مرکز القائمیة اصفهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

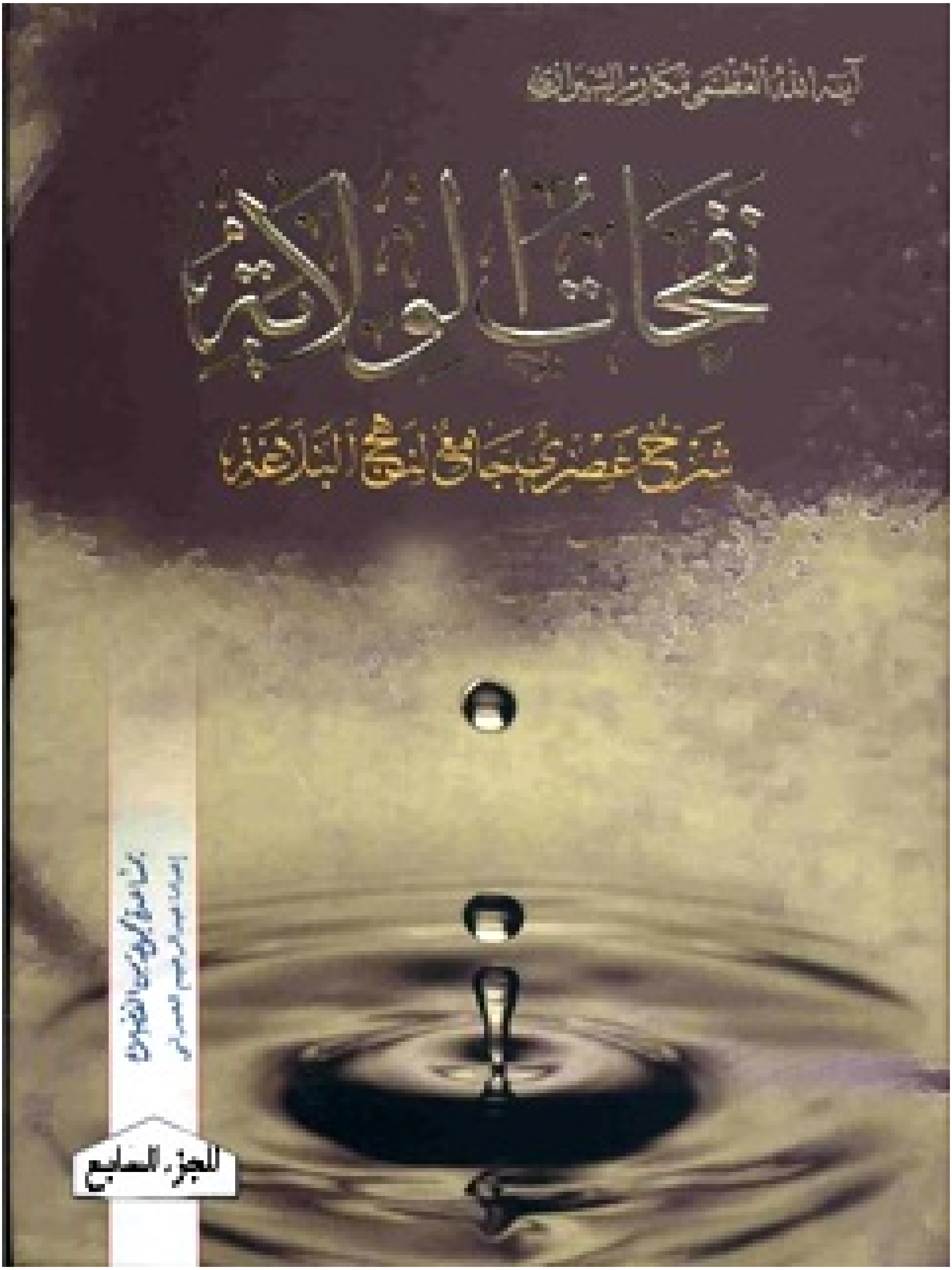
آية الله العظمى مكارم الشيرازي
نفحات الولاية
شرح عصري جامع لنهج البلاغة
الجزء السابع

بسم الله الرحمن الرحیم

# نفحات الولایه: شرح عصری جامع لنهج البلاغه

کاتب:

ناصرمکارم شیرازی

نشرت فی الطباعهٔ:

مدرسه الامام علی بن ابی طالب ( علیه السلام )

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

# الفهرس

الفهرس ----- ۵
نفحات الولایة المجلد ۷ ----- ۲۴
اشارة ----- ۲۴
الخطبة ۱۸۱ ----- ۲۴
اشارة ----- ۲۴
نظرة إلى الخطبة ----- ۲۵
الشرح والتفسیر: مصیر المشککین الجهّال ----- ۲۵
الخطبة ۱۸۲ ----- ۲۶
اشارة ----- ۲۶
نظرة إلى الخطبة ----- ۲۷
القسم الاوّل ----- ۲۷
اشارة ----- ۲۷
الشرح والتفسیر: هو من یستحق الشکر ----- ۲۷
القسم الثانی ----- ۲۹
اشارة ----- ۲۹
الشرح والتفسیر: دلالة السماء علی اللّه ----- ۲۹
القسم الثالث ----- ۳۱
اشارة ----- ۳۱
الشرح والتفسیر: احاطته العلمیّة بکلّ شیء ----- ۳۱
تأمّل ----- ۳۲
ما الأنواء؟ ----- ۳۲
القسم الرابع ----- ۳۳
اشارة ----- ۳۳

الشرح والتفسیر: عجزنا عن إدراک صفاته ۳۳
تأمّلان ۳۶
۱. سرّ صعوبة معرفة صفات اللّه ۳۶
۲. العرش والکرسی ۳۶
القسم الخامس ۳۷
اشارة ۳۷
الشرح والتفسیر: أین الفراعنة والعمالقة؟ ۳۷
تأمّلات ۳۸
۱. شوکة سلیمان علیه السلام وموته ۳۹
۲. من هم العمالقة؟ ۳۹
۳. فراعنة مصر ۴۰
۴. أصحاب الرسّ ۴۰
القسم السادس ۴۱
اشارة ۴۱
الشرح والتفسیر: خصائص ذلک الولی ۴۱
تأمّل ۴۲
إشارات لنهضة الإمام المهدی علیه السلام ۴۲
القسم السابع ۴۳
اشارة ۴۳
الشرح والتفسیر: التذکیر بما یلزم! ۴۳
القسم الثامن ۴۴
اشارة ۴۴
الشرح والتفسیر: النفیر العام للجهاد ۴۵
تأمّل ۴۶

صحب الإمام عليه السلام الميامين ----- ۴۶
اشارة ----- ۴۶
۱. عمّار بن یاسر ----- ۴۶
۲. ابن التيّهان ----- ۴۷
۳. ذو الشهادتين ----- ۴۷
۴. قیس بن سعد بن عبادة ----- ۴۷
۵. أبو أيوب الأنصارى ----- ۴۷
الخطبة ۱۸۳ ----- ۴۸
اشارة ----- ۴۸
نظرة إلى الخطبة ----- ۴۸
القسم الأوّل ----- ۴۸
اشارة ----- ۴۸
الشرح والتفسير: دور الأنبياء عليهم السلام فى هداية الأمم ----- ۴۹
القسم الثانى ----- ۵۰
اشارة ----- ۵۰
الشرح والتفسير: الهدى فى ظلّ القرآن ----- ۵۱
تأمّلان ----- ۵۳
۱. وحدة حكم اللّه فى الأولين والآخرين ----- ۵۳
۲. القرآن ناطق أم صامت؟ ----- ۵۴
القسم الثالث ----- ۵۴
اشارة ----- ۵۴
الشرح والتفسير: منزلة التقوى ----- ۵۴
القسم الرابع ----- ۵۷
اشارة ----- ۵۷

الشرح والتفسير: العذاب الشديد يوم القيامة ----- ۵۷
القسم الخامس ----- ۵۸
اشارة ----- ۵۸
الشرح والتفسير: الامتحان الإلهی ----- ۵۸
القسم السادس ----- ۶۱
اشارة ----- ۶۱
الشرح والتفسير: الانتقال إلى جيران اللّه ----- ۶۱
تأمّل ----- ۶۲
طريق السير والسلوک إلى اللّه ----- ۶۲
الخطبة ۱۸۴ ----- ۶۲
اشارة ----- ۶۲
نظرة إلى الخطبة ----- ۶۳
الشرح والتفسير: صه يا أحمق ----- ۶۳
تأمّل ----- ۶۳
من هو بُرج بن مُسهِر؟ ----- ۶۳
الخطبة ۱۸۵ ----- ۶۴
اشارة ----- ۶۴
نظرة إلى الخطبة ----- ۶۴
القسم الاوّل ----- ۶۴
اشارة ----- ۶۵
الشرح والتفسير: معرفة اللّه الحقيقية ----- ۶۵
القسم الثانی ----- ۶۸
اشارة ----- ۶۸
الشرح والتفسير: الأبعاد الوجوديّة للنّبی الأكرم صلى الله عليه و آله ----- ۶۹

القسم الثالث ----- ۷۰
اشارة ----- ۷۰
الشرح والتفسير: قدرته المطلقة فى خلق الكائنات ----- ۷۰
تأمّل ----- ۷۳
حياة النمل العجيبة ----- ۷۳
القسم الرابع ----- ۷۴
اشارة ----- ۷۴
الشرح والتفسير: نظرة إلى كائنات السموات والأرض ----- ۷۵
تأمّل ----- ۷۷
قبسات من برهان النظم ----- ۷۷
القسم الخامس ----- ۷۸
اشارة ----- ۷۸
الشرح والتفسير: صنع الجرادة ----- ۷۸
تأمّل ----- ۷۹
عجائب الجرادة ----- ۷۹
القسم السادس ----- ۸۰
اشارة ----- ۸۰
الشرح والتفسير: اللّه العظيم ----- ۸۰
تأمّل ----- ۸۲
دروس عظيمة بعبارات قصيرة ----- ۸۲
الخطبة ۱۸۶ ----- ۸۲
اشارة ----- ۸۲
نظرة إلى الخطبة ----- ۸۳
القسم الأوّل ----- ۸۳

اشارة ----- ۸۳
الشرح والتفسیر: أضواء مهمّة فی صفات اللّه ----- ۸۳
تأمّل ----- ۸۷
کیفیة الجمع بین الضدین ----- ۸۷
القسم الثانی ----- ۸۸
اشارة ----- ۸۸
الشرح والتفسیر ----- ۸۸
القسم الثالث ----- ۹۱
اشارة ----- ۹۱
الشرح والتفسیر: جانب من صفاته المطلقة ----- ۹۱
القسم الرابع ----- ۹۴
اشارة ----- ۹۴
الشرح والتفسیر: صفات أخری فی الجمال والجلال ----- ۹۵
القسم الخامس ----- ۹۷
اشارة ----- ۹۷
الشرح والتفسیر: العجز عن خلق بعوضة ----- ۹۷
تأمّلان ----- ۹۸
۱. المعاد الجسمانی واعادة المعدوم ----- ۹۸
۲. الخلقة العجیبة للبعوض! ----- ۹۹
القسم السادس ----- ۹۹
اشارة ----- ۹۹
الشرح والتفسیر: الغنی عن الخلق ----- ۱۰۰
تأمّل ----- ۱۰۱
هل هناک زمان دون مخلوق ----- ۱۰۱

القسم السابع ----- ۱۰۲
اشارة ----- ۱۰۲
الشرح والتفسير: دوام الخلقة والفناء ----- ۱۰۲
الخطبة ۱۸۷ ----- ۱۰۳
اشارة ----- ۱۰۳
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۰۳
القسم الأوّل ----- ۱۰۴
اشارة ----- ۱۰۴
الشرح والتفسير: الحوادث المرعبة ----- ۱۰۴
تأمّل ----- ۱۰۶
الحوادث الأليمة آخر الزمان ----- ۱۰۶
القسم الثانى ----- ۱۰۷
اشارة ----- ۱۰۷
الشرح والتفسير: وصايا للنجاة من الفتنة ----- ۱۰۷
تأمّل ----- ۱۰۸
الانسحاب من الفتن ----- ۱۰۸
الخطبة ۱۸۸ ----- ۱۰۹
اشارة ----- ۱۰۹
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۰۹
القسم الأوّل ----- ۱۰۹
اشارة ----- ۱۰۹
الشرح والتفسير: التوصية بالتقوى والحمد ----- ۱۰۹
القسم الثانى ----- ۱۱۰
اشارة ----- ۱۱۰

الشرح والتفسير: أفضل الوعظ ----- ۱۱۰
تأمّل ----- ۱۱۱
ذكر الموت ----- ۱۱۱
القسم الثالث ----- ۱۱۲
اشارة ----- ۱۱۲
الشرح والتفسير: سبيل النجاة ----- ۱۱۲
الخطبة ۱۸۹ ----- ۱۱۳
اشارة ----- ۱۱۳
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۱۴
القسم الأول ----- ۱۱۴
اشارة ----- ۱۱۴
الشرح والتفسير: الإيمان الثابت والأجوف ----- ۱۱۴
تأمّل ----- ۱۱۵
عناصر ثبات الإيمان ----- ۱۱۵
القسم الثانى ----- ۱۱۵
اشارة ----- ۱۱۵
الشرح والتفسير: سلونى قبل أن تفقدونى ----- ۱۱۶
تأمّل ----- ۱۱۸
الهجرة فى الإسلام ----- ۱۱۸
الخطبة ۱۹۰ ----- ۱۱۹
اشارة ----- ۱۱۹
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۱۹
القسم الأوّل ----- ۱۲۰
اشارة ----- ۱۲۰

الشرح والتفسير: نبی الرحمة والجهاد ۱۲۰
القسم الثانی ۱۲۱
اشارة ۱۲۱
الشرح والتفسير: الأهوال القادمة ۱۲۱
القسم الثالث ۱۲۲
اشارة ۱۲۲
الشرح والتفسير: أهوال المحشر! ۱۲۳
القسم الرابع ۱۲۵
اشارة ۱۲۵
الشرح والتفسير: الاستعداد للرحيل ۱۲۵
القسم الخامس ۱۲۶
اشارة ۱۲۶
الشرح والتفسير: لكلّ شیء أجل ومدّة ۱۲۶
تأمّل ۱۲۷
الثورات المتعجلة ۱۲۷
الخطبة ۱۹۱ ۱۲۷
اشارة ۱۲۷
نظرة إلى الخطبة ۱۲۷
القسم الأوّل ۱۲۸
اشارة ۱۲۸
الشرح والتفسير: بديع خلق اللّه ۱۲۸
القسم الثانی ۱۳۰
اشارة ۱۳۰
الشرح والتفسير: التقوى كهف فی الدنيا ونور فی الآخرة ۱۳۰

القسم الثالث ۱۳۲
اشارة ۱۳۲
الشرح والتفسير: سماع نداء التقوى ۱۳۳
القسم الرابع ۱۳۵
اشارة ۱۳۵
الشرح والتفسير: عاقبة أصحاب الدنيا ۱۳۵
الخطبة ۱۹۲ ۱۳۷
اشارة ۱۳۸
نظرة إلى الخطبة ۱۳۸
القسم الأول ۱۳۹
اشارة ۱۳۹
الشرح والتفسير: الشيطان رأس العصبية ۱۳۹
القسم الثانى ۱۴۱
اشارة ۱۴۱
الشرح والتفسير: الاعتبار بعاقبة إبليس ۱۴۱
تأمّلات ۱۴۳
۱. حبط الأعمال ۱۴۳
۲. هل إبليس من الملائكة؟ ۱۴۳
۳. كبر إبليس أساس كفره ۱۴۴
۴. وحدة حكم اللّه فى الجميع ۱۴۴
القسم الثالث ۱۴۴
اشارة ۱۴۴
الشرح والتفسير: أعدى أعداء الإنسان ۱۴۴
القسم الرابع ۱۴۷

اشارة ----- ۱۴۷
الشرح والتفسیر: التحذیر من التشبه بالشیطان أو قابیل ----- ۱۴۷
القسم الخامس ----- ۱۵۰
اشارة ----- ۱۵۰
الشرح والتفسیر: اجتناب تبعیة المتکبرین ----- ۱۵۰
تأمّل ----- ۱۵۴
التکبر والعصبیة ----- ۱۵۴
القسم السادس ----- ۱۵۵
اشارة ----- ۱۵۵
الشرح والتفسیر: آفة التکبّر ----- ۱۵۵
تأمّل ----- ۱۵۸
تصحیح خطأ ----- ۱۵۸
القسم السابع ----- ۱۵۸
اشارة ----- ۱۵۸
الشرح والتفسیر: درس وعبرة فی قصة موسی علیه السلام ----- ۱۵۸
القسم الثامن ----- ۱۶۰
اشارة ----- ۱۶۰
الشرح والتفسیر: زهد الأنبیاء ----- ۱۶۰
القسم التاسع ----- ۱۶۱
اشارة ----- ۱۶۱
الشرح والتفسیر: الدروس والعبر فی بیت اللّه ----- ۱۶۱
القسم العاشر ----- ۱۶۴
اشارة ----- ۱۶۴
الشرح والتفسیر: الکعبة المقدّسة ----- ۱۶۴

تأمّل ----- ۱۶۵
«أفْضَلُ الْاعْمالِ أحْمَزُها»! ----- ۱۶۵
القسم الحادى عشر ----- ۱۶۶
اشارة ----- ۱۶۶
الشرح والتفسير: آفة الكبر والغرور ----- ۱۶۷
تأمّل ----- ۱۶۸
فلسفه العبادات ----- ۱۶۸
القسم الثانى عشر ----- ۱۶۹
اشارة ----- ۱۶۹
الشرح والتفسير: العصبية الطائشة ----- ۱۶۹
القسم الثالث عشر ----- ۱۷۰
اشارة ----- ۱۷۰
الشرح والتفسير: العصبية الممدوحة ----- ۱۷۱
تأمّل ----- ۱۷۲
العصبيّة الإيجابيّة والسلبيّة ----- ۱۷۲
القسم الرابع عشر ----- ۱۷۳
اشارة ----- ۱۷۳
الشرح والتفسير: الاعتبار بالماضين ----- ۱۷۳
القسم الخامس عشر ----- ۱۷۴
اشارة ----- ۱۷۴
الشرح والتفسير: عناصر انتصار المؤمنين الأوائل ----- ۱۷۴
القسم السادس عشر ----- ۱۷۵
اشارة ----- ۱۷۵
الشرح والتفسير: الوحدة والفرقة، والنصر والهزيمة ----- ۱۷۶

القسم السابع عشر ---- ۱۷۷
اشارة ---- ۱۷۷
الشرح والتفسیر: الاعتبار بولد إسماعیل وإسحاق ---- ۱۷۷
تأمّل ---- ۱۷۸
القطرة والبحر ---- ۱۷۸
القسم الثامن عشر ---- ۱۷۹
اشارة ---- ۱۷۹
الشرح والتفسیر: عزتکم بالاسلام ---- ۱۷۹
القسم التاسع عشر ---- ۱۸۰
اشارة ---- ۱۸۰
الشرح والتفسیر: اجتناب الفرقة ---- ۱۸۱
القسم العشرون ---- ۱۸۴
اشارة ---- ۱۸۴
الشرح والتفسیر: تکلیفی فی قتال المفسدین ---- ۱۸۴
تأمّل ---- ۱۸۵
من هو ذو الثدیة؟ ---- ۱۸۵
القسم الحادی والعشرون ---- ۱۸۶
اشارة ---- ۱۸۶
الشرح والتفسیر: التربیة فی کنف النّبی صلی الله علیه و آله ---- ۱۸۶
تأمّلات ---- ۱۸۹
۱. العلاقة الحمیمة بین علی علیه السلام والنّبی صلی الله علیه و آله ---- ۱۸۹
۲. غار حراء ---- ۱۹۰
۳. النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله قبل البعثة ---- ۱۹۰
القسم الثانی والعشرون ---- ۱۹۱

اشارة ----- ۱۹۱

الشرح والتفسير: معجزة حركة الشجرة ----- ۱۹۲

تأمّلان: ----- ۱۹۴

۱. معجزة الشجرة فی الروايات الإسلاميّة ----- ۱۹۴

۲. الفارق بين السحر والمعجزة ----- ۱۹۵

القسم الثالث والعشرون ----- ۱۹۶

اشارة ----- ۱۹۶

الشرح والتفسير: أولياء اللّه ----- ۱۹۶

الخطبة ۱۹۳ ----- ۱۹۸

اشارة ----- ۱۹۸

نظرة إلى الخطبة ----- ۱۹۸

إجابة عن سؤال ----- ۱۹۸

القسم الأوّل ----- ۱۹۹

اشارة ----- ۱۹۹

الشرح والتفسير: صفات المتّقين ----- ۱۹۹

تأمّل ----- ۲۰۶

محاور هذا الجانب من الخطبة ----- ۲۰۶

القسم الثانی ----- ۲۰۷

اشارة ----- ۲۰۷

الشرح والتفسير: ليل المتّقين ----- ۲۰۷

تأمّل ----- ۲۰۸

القسم الثالث ----- ۲۰۹

اشارة ----- ۲۰۹

الشرح والتفسير: نهار المتّقين ----- ۲۰۹

تأمّل ----- ۲۱۱
إشفاق المتّقین من أعمالهم ----- ۲۱۱
القسم الرابع ----- ۲۱۱
اشارة ----- ۲۱۱
شرح وتفسیر ----- ۲۱۲
اثتنا عشرة صفة أخری ----- ۲۱۲
القسم الخامس ----- ۲۱۶
اشارة ----- ۲۱۶
الشرح والتفسیر: تسع صفات أخری ----- ۲۱۶
اشارة ----- ۲۱۶
مصیر همام بعد سماع الخطبة ----- ۲۲۲
تأمّل ----- ۲۲۴
نظرة أخری لخطبة همام ----- ۲۲۴
الخطبة ۱۹۴ ----- ۲۲۵
اشارة ----- ۲۲۵
نظرة إلی الخطبة ----- ۲۲۵
القسم الأوّل ----- ۲۲۵
اشارة ----- ۲۲۵
الشرح والتفسیر: محن الرسالة ----- ۲۲۵
القسم الثانی ----- ۲۲۷
اشارة ----- ۲۲۷
الشرح والتفسیر: خطر المنافقین ----- ۲۲۸
القسم الثالث ----- ۲۳۱
اشارة ----- ۲۳۱

الشرح والتفسير: التخطيط الدقيق للمنافقين ----- ۲۳۱
تأمّل ----- ۲۳۲
النفاق والمنافقون طيلة التاريخ ----- ۲۳۲
الخطبة ۱۹۵ ----- ۲۳۳
اشارة ----- ۲۳۴
نظرة إلى الخطبة ----- ۲۳۴
القسم الأوّل ----- ۲۳۴
اشارة ----- ۲۳۴
الشرح والتفسير: البعثة النبوية والظروف الصعبة ----- ۲۳۴
القسم الثانی ----- ۲۳۵
اشارة ----- ۲۳۵
الشرح والتفسير: الموائد الإلهيّة المطلقة ----- ۲۳۶
القسم الثالث ----- ۲۳۸
اشارة ----- ۲۳۸
الشرح والتفسير: أهوال القيامة ----- ۲۳۸
الخطبة ۱۹۶ ----- ۲۴۰
نظرة إلى الخطبة[۱۰۰۶] ----- ۲۴۰
القسم الأوّل ----- ۲۴۰
اشارة ----- ۲۴۰
الشرح والتفسير: أهوال الدنيا ----- ۲۴۱
القسم الثانی ----- ۲۴۲
اشارة ----- ۲۴۲
الشرح والتفسير: اغتنام الفرصة ----- ۲۴۲
الخطبة ۱۹۷ ----- ۲۴۲

اشارة ----- ۲۴۳
نظرة إلى الخطبة ----- ۲۴۳
القسم الأوّل ----- ۲۴۳
اشارة ----- ۲۴۳
الشرح والتفسير: طاعتی المطلقة ----- ۲۴۳
القسم الثانی ----- ۲۴۵
اشارة ----- ۲۴۵
الشرح والتفسير: أولی الناس بالنّبی صلی الله علیه و آله ----- ۲۴۵
اشارة ----- ۲۴۵
الحوادث الأليمة إبان وفاة النّبی صلی الله علیه و آله وبعدها ----- ۲۴۷
الخطبة ۱۹۸ ----- ۲۴۹
اشارة ----- ۲۴۹
نظرة إلى الخطبة ----- ۲۴۹
القسم الأوّل ----- ۲۵۰
اشارة ----- ۲۵۰
الشرح والتفسير: احاطة اللّه العلميّة ----- ۲۵۰
القسم الثانی ----- ۲۵۱
اشارة ----- ۲۵۱
الشرح والتفسير: التقوى مصدر الخيرات ----- ۲۵۱
القسم الثالث ----- ۲۵۴
اشارة ----- ۲۵۴
الشرح والتفسير: فضل الإسلام ----- ۲۵۵
القسم الرابع ----- ۲۵۹
اشارة ----- ۲۵۹

الشرح والتفسير: ربيع الإسلام ----- ۲۵۹
اشارة ----- ۲۵۹
اجابة عن سؤال ----- ۲۶۰
تأمّل ----- ۲۶۱
ربيع النبوّة ----- ۲۶۱
القسم الخامس ----- ۲۶۱
اشارة ----- ۲۶۱
الشرح والتفسير: خصائص القرآن الكريم ----- ۲۶۲
تأمّلان ----- ۲۶۶
۱. عظمة القرآن لدى أمير المؤمنين عليه السلام ----- ۲۶۶
۲. العلماء الأجانب والقرآن ----- ۲۶۷
الخطبة ۱۹۹ ----- ۲۶۸
اشارة ----- ۲۶۸
نظرة إلى الخطبة ----- ۲۶۸
القسم الأوّل ----- ۲۶۸
اشارة ----- ۲۶۸
الشرح والتفسير: الأهميّة القصوى للصلاة ----- ۲۶۹
اشارة ----- ۲۶۹
تأمّل ----- ۲۷۱
دور الصلاة فى تربية الإنسان ----- ۲۷۱
القسم الثانى ----- ۲۷۲
اشارة ----- ۲۷۲
الشرح والتفسير: بركات الزكاة ----- ۲۷۲
تأمّل ----- ۲۷۴

الزكاة؛ ركن مهم في المجتمع الإسلامي ----- ۲۷۴
القسم الثالث ----- ۲۷۴
اشارة ----- ۲۷۴
الشرح والتفسير: أداء الأمانة ----- ۲۷۴
تأمّلان ----- ۲۷۵
۱. نقطة مهمّة ----- ۲۷۵
۲. أفضل علامات الإيمان ----- ۲۷۶
القسم الرابع ----- ۲۷۷
اشارة ----- ۲۷۷
الشرح والتفسير: عالم الغيب والشهادة ----- ۲۷۷
الخطبة ۲۰۰ ----- ۲۷۸
اشارة ----- ۲۷۸
نظرة إلى الخطبة ----- ۲۷۸
الشرح والتفسير: السياسة الآثمة ----- ۲۷۹
تأمّل ----- ۲۸۰
السياسة الإنسانيّة والسياسة الشيطانيّة ----- ۲۸۰
تعريف مركز ----- ۳۲۸

# نفحات الولاية المجلد ۷

## اشارة

عنوان و نام پديدآور : نفحات الولايه: شرح عصرى جامع لنهج‌البلاغه/ ناصرمكارم شيرازى، بمساعده مجموعه من‌الفضلاء؛ اعداد عبدالرحيم الحمدانى.

مشخصات نشر : قم : مدرسه‌الامام على‌ابن‌ابى‌طالب (ع) ، ۱۴۲۶ق.-= ۱۳۸۴.

مشخصات ظاهرى : ج.

شابک : ۳۰۰۰۰ ريال : دوره ۹۶۴-۸۱۳-۹۵۸-X: ؛ ج. ۱ ۹۶۴-۸۱۳-۹۰۷-۵ : ؛ ج. ۲ ۹۶۴-۸۱۳-۹۰۸-۳ : ؛ ج. ۳ ۹۶۴-۸۱۳-۹۱۷-۲ : ؛ ج. ۴ ۹۶۴-۸۱۳-۹۱۸-۰ : ؛ ج.۵ : ۹۶۴-۸۱۳-۹۴۱-۵ ؛ ۷۰۰۰۰ ريال: ج. ۶۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۰-۵ : ؛ ۷۰۰۰۰ ريال: ج. ۷۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۱-۲ : ؛ ۷۰۰۰۰ ريال: ج. ۸۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۲-۹ : ؛ ۷۰۰۰۰ ريال: ج. ۹۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۳-۶ : ؛ ۷۰۰۰۰ ريال: ج. ۱۰۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۴-۳ :

يادداشت : عربى.

يادداشت : ج ۱- ۵ ( چاپ دوم: ۱۳۸۴).

يادداشت : ج. ۶- ۱۰ (چاپ اول: ۱۴۳۲ ق.= ۱۳۹۰).

يادداشت : كتابنامه.

مندرجات : .- ج. ۶. من خطبة ۱۵۱ الى ۱۸۰.- ج. ۷. من خطبة ۱۸۱ الى ۲۰۰.- ج. ۸. من خطبة ۲۰۱ الى ۲۴۱.- ج. ۹. من رسالة ۱ الى ۳۱.- ج. ۱۰. من رسالة ۳۲ الى ۵۳

موضوع : على‌بن ابى‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- خطبه‌ها

موضوع : على‌بن ابى‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- كلمات قصار

موضوع : على‌بن ابى‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- نامه‌ها

موضوع : على‌بن ابى‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج‌البلاغه -- نقد و تفسير

شناسه افزوده : حمرانى، عبدالرحيم

شناسه افزوده : على‌بن ابى‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج‌البلاغه. شرح

شناسه افزوده : مدرسة الامام على بن ابى طالب (ع)

رده بندى كنگره : BP۳۸/۰۲ /م۷ ۱۳۸۴

رده بندى ديويى : ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره كتابشناسى ملى : م‌۸۴-۴۰۳۴۷

## الخطبة ۱۸۱

### اشارة

وقَدْ أَرْسَلَ رَجُلًا مِنْ أَصْحابِهِ، يَعْلَمُ لَهُ عِلْمَ أَحْوالِ قَوْمٍ مِنْ جُنْدِ الْكُوفَةِ، قَد هَمُّوا بِاللِّحاقِ بِالْخَوارِجِ، وكانُوا عَلى خَوْف مِنْهُ عليه السلام، فَلَمّا عادَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ قالَ لَهُ: «أأمِنُوا فَقَطَنُوا[۱]، أم جبنوا

فَظَعَنُوا[۲]؟» فَقالَ الرَّجُلُ: بَلْ ظَعَنُوا یاأَمیرَالْمُؤمنینَ. فَقالَ علیه السلام:

[۳]

## نظرة إلى الخطبة

لابدّ من التعرف علی سبب ذکر هذا الکلام الذی ورد فی الخطبة بغیة الوقوف علی معناها.

إنّ رجلًا یُدعی الخریت بن راشد أحد بنی ناجیّة قد شهد مع علی علیه السلام صفین

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۶

فجاء بعد تحکیم الحکمین فی ثلاثین من صحبه (وفی روایة الطبری ثلاثمائة) فقال:

«وَاللَّهِ یاعَلیُّ لا أُطیعُ أَمْرَکَ ولا أُصلّی خَلْفَکَ وإنّی غداً مُفارِقُکَ».

فقال الإمام علیه السلام:

«ثَکَلَتْکَ أُمُّکَ إذاً تَعْصِی رَبَّکَ وتَنْکِثُ عَهْدَکَ وَلا تَضُرُّ إلَّا نَفْسَکَ»

، «أخبِرنِی لِمَ تَفْعَلُ ذلِکَ؟»

قال:

«لأَنَّکَ حَکَمْتَ فِی الکِتابِ وَضَعُفْتَ عَنِ الحَقِّ إذا جَدّ الجَدُّ فَأنا عَلَیکَ رادٌّ وَلَکُم جَمِیعاً مُباینٌ».

فقال علیه السلام:

«وَیحَکَ هَلُمَّ إلیّ أُدارِسُکَ وَأُناظِرُکَ فِی السُّنَنِ وأُفاتِحُکَ أمُوراً مِنَ الحَقِّ أنَا أعلَمُ بِها مِنْکَ فَلَعَلَّکَ تعرِفُ ما أنْتَ الآنَ لَهُ مُنکِرٌ».

فقال الخریت:

«فإنّی غادٍ عَلَیکَ غداً».

فقال علیه السلام:

«أُغدو وَلا یَستَهوِیَنَّکَ الشَّیطانُ وَلا یَتَقَحَمَنَّ بِکَ رأیُ السُّوءِ وَلا یَسْتَخِفَنَّکَ الجُهلاءُ الّذینَ لایَعلَمُونَ، فَواللَّهِ إن اسْتَنْصَحْتَنِی وَاسْتَرشَدْتَنِی وَقَبِلْتَ مِنّی لأَهدِیَنَّکَ سَبِیلَ الرَّشادِ»[۴].

فقرر هذا الرجل الجاهل الإلتحاق بقومه من الخوارج لیبتلی بذلک المصیر الأسود، وإثر ذلک بعث الإمام علیه السلام أحد أصحابه خلف هذا الرجل علّه یتراجع عن موقفه، ولکن سرعان ما عاد مبعوث الإمام علیه السلام لیخبره بإلتحاقه وصحبه بالخوارج ومغادرته الکوفة.

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۷

بُعْداً لَهُمْ «کَما بَعِدَتْ ثَمُودُ»! أَمَا لَوأُشْرِعَتِ الأَسِنَّةُ إِلَیْهِمْ، وصُبَّتِ السُّیُوفُ عَلَی هَامَاتِهِمْ، لَقَدْ نَدِمُوا عَلَی مَا کَانَ مِنْهُمْ. إنَّ الشَّیْطَانَ الْیَوْمَ قَدِ اسْتَفَلَّهُمْ، وهُو غَداً مُتَبَرِّیءٌ مِنْهُمْ، ومُتَخَلٍّ عَنْهُمْ. فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَی، وَارْتِکَاسِهِمْ فِی الضَّلَالِ وَالْعَمَی، وَصَدِّهِمْ عَنِ الْحَقِّ، وجِمَاحِهِمْ فِی التِّیهِ.

## الشرح والتفسیر: مصیر المشککین الجهّال

کما مضی سابقاً کان الکلام من قبل فئة قلیلة جاهلة ومتعصبة أشکلت علی الإمام علیه السلام بسبب استجابته لتحکیم القرآن، والحال هذا وأمثاله ممّا کانوا قد مارسوا ضغوطهم علی الإمام علیه السلام لقبول التحکیم، والأسوأ من ذلک وإثر اعتراضهم علی الإمام علیه السلام الذی یمثل محور الهدی انشقّوا عنه وإلتحقوا بالخوارج محور الجهل والتعصب والضلال، ویشرح الإمام علیه السلام فی هذه

الخطبة عوامل تعاسة هذه الفئة الضالّة بغية تجنّب الآخرين السقوط فى هذا المستنقع فقال عليه السلام:

«بُعْداً[۵] لَهُمْ

«كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ»

!». كان هذا التعبير إشارة لما ورد فى القرآن الكريم بشأن قوم ثمود إذ قال تعالى

«أَلَا بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ»[۶] والذى كان لعنة لقوم شعيب الوثنيين، كما كان إشارة إلى الجهات المشتركة بين هؤلاء القوم الضالّين وقوم شعيب وقوم صالح،

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۸

حيث كان هؤلاء اناساً متكبرين ومغرورين وردت قصّتهم فى عدّة سور من القرآن الكريم، ثم قال عليه السلام:

«أَمَا لَو أُشْرِعَتِ ۷] الأَسِنَّةُ إِلَيهِمْ، وصُبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى

هَامَاتِهِمْ ۸]، لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ، إِنَّ الشَّيطَانَ الْيَوْمَ قَدِ اسْتَقَلَّهُمْ ۹]، وهُو غَداً

مُتَبَرِّىءٌ مِنْهُمْ، ومُتَخَلٍّ عَنْهُمْ».

يشير هذا الكلام فى الواقع إلى ما ورد مراراً فى القرآن الكريم بخصوص الطغاة الغافلين الذين ما أن يركبوا السفينة وتغشاهم أمواج البحار الهادرة ويستشعروا بالخطر حتى تطرح عنهم حجب الغفلة ويتوجّهون إلى اللّه، ولكن سرعان ما يعودون لتلك الغفلة إذا ما بلغوا ساحل النجاة[۱۰].

كما يشير أيضاً إلى ما ورد كراراً فى القرآن الكريم أنّ الشيطان ۱۱] وأئمّة الضلال ۱۲] يتبرأون يوم القيامة من أتباعهم.

ثم قال عليه السلام:

«فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى، وَارْتِكَاسِهِمْ ۱۳] فِى الضَّلَال وَالْعَمَى،

وصَدِّهِمْ عَنِ الْحَقِّ، وجِمَاحِهِمْ ۱۴] فِى التِّيهِ».

إشارة إلى أنّه نتيجة تلك اللجاجة التيه فى الضلال والحيرة والإبتعاد عن الهدى وهذا المصير الأسود الذى يصنعه كلّ إنسان لجوج وجاهل، جدير بالذكر أنّه يستفاد من هذا الكلام وتلك المقدّمة التاريخية الواردة فى سبب ذكره:

إنّ الإمام عليه السلام كان رحيماً حتى بالأفراد من أهل اللجاجة والجهل والتعصب، وكان

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۹

يسعى قدر المستطاع لإصلاحهم، وإن لم تؤثر مواعظه البليغة كان يقرعهم بكلمات عنيفة ويريهم عاقبة أعمالهم فى الدنيا والآخرة لعلّهم يفيئون إلى الحقّ.

***

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۱

## الخطبة ۱۸۲

### اشارة

رُوِىَ عَنْ نَوْفِ الْبَكّالى قالَ: خَطَبَنا بِهذِهِ الْخُطْبَةِ أَميرُالْمؤمنينَ عَلىٌّ عليه السلام بِالْكُوفَة وهُوقائِمٌ عَلى حِجارَة، نَصَبَها لَهُ جُعْدَةُ بنُ

هُبَيْرَةَ[١٥] الْمَخْزُومى، وعَلَيْهِ مِدْرَعَةٌ[١٦] مِنْ صُوف
وحَمائِلُ سَيْفِهِ لِيفٌ، وفى رِجْلَيْهِ نَعْلانِ مِنْ لِيف، وكَأنّ جَبينَه ثَفِنَةُ[١٧] بَعير[١٨]

## نظرة إلى الخطبة

يستفاد من أواخر هذه الخطبة أنّ الإمام عليه السلام خطبها قبل شهادته بأسبوع، وهدفه



منها إعداد الناس لجهاد معاوية ولصوص الشام، واستجابوا لدعوته فتقاطروا عليه أُلوفاً مؤلفة، ولكن للأسف ....
خاض الإمام عليه السلام فى استعراض عدّة أمور من هذه الخطبة بغية إثارة أرواحهم وعواطفهم لمواجهة الأعداء الظلمة، فاستهلّ حديثه فى القسم الأوّل والثانى والثالث من الخطبة بحمد اللّه والثناء عليه إلى جانب بيان صفاته الجماليّة والجلاليّة ومن ثم وحدانيته وعلمه المطلق بذرات الوجود كافّة، وأنّ ذاته وصفاته أسمى من أن يستوعبها الفكر، كما لا يقوى على ذلك الأمر حتى الملائكة المقرّبون.
ثم تطرق الإمام عليه السلام فى القسم الرابع إلى الورع والتقوى والزهد فى الدنيا، وبين جوانب من سيرة سالف الأنبياء مثل نبى اللّه سليمان عليه السلام الذى عاش الزهد فى الدنيا مع ما كان لديه من الملك.
وبين فى القسم الخامس من الخطبة المصير الأسود الذى طال طغاة العالم كالفراعنة والعمالقة وأصحاب الرسّ الذين قتلوا أنبياء اللّه وسعوا لإطفاء نور اللّه، ولكن سرعان ما صرعوا وغادروا الدنيا.
وأشار فى الفصل السادس إلى ظهور المهدى عليه السلام وتشكيل حكومة العدل العالميّة وتطرق إلى جانب من فضائله ومناقبه.
وخاض فى القسم السابع ثانية فى الوعظ والإرشاد، وتحدّث عن غدر الدنيا وتقلب أحوالها وتفاهتها، وذكر شهداء صفين الذين عانقوا الشهادة وبكى عدداً من أصحابه مثل عمار بن ياسر وابن التيهان وخزيمة ذىالشهادتين، ثم مدحهم على طاعتهم لأوامر اللّه وإحيائهم لسنّة رسول اللّه صلى الله عليه و آله وإماتتهم البدع واستعدادهم الدائم للجهاد.
وأصدر فى القسم الثامن من خطبته أمره بالجهاد ودعى الجميع للإلتحاق بسوح الوغى.

***



## القسم الاوّل

### اشارة

الْحَمْدُ للّهِ الَّذى إلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ، وعَوَاقِبُ الأَمْرِ. نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إحْسَانِهِ، ونَيِّرِ بُرْهَانِهِ، ونَوَامِى فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ، حَمْداً يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً، ولِشُكْرِهِ أدَاءً، وإلَى ثَوَابِهِ مُقَرِّباً، وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِباً. ونَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ، وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ. ونُؤْمِنُ بِهِ إيمَانَ مَنْ رَجَاهُ مُوقِناً، وأَنَابَ إلَيْهِ مُؤْمِناً، وخَنَعَ لَهُ مُذْعِناً، وأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّداً، وعَظَّمَهُ مُمَجِّداً، ولَاذَ بِهِ رَاغِباً مُجْتَهِداً.

### الشرح والتفسير: هو من يستحق الشكر

ينبغى قبل الشروع فى شرح هذه الخطبة الإشارة إلى شخصية (نوف البكالى) راوى هذه الخطبة، لا شك ولا ريب فى أنّه من أصحاب الإمام على عليه السلام وقيل حاجبه، ويعتقد البعض أنّه من قبيلة حمير التى سكنت اليمن، بينما يراه البعض الآخر من قبيلة همدان، وهنالك كلام فى لقبه، قيل بَكّال (على وزن فعّال) وقيل بِكال (على وزن كِتاب) وقيل بَكال (على وزن طَواف)، على كلّ حال فقد كان رجلًا عفيفاً ومؤمناً ووفياً.

***

استهل الإمام عليه السلام هذا القسم من الخطبة بحمد اللَّه والثناء عليه بهدف إعداد قلوب المخاطبين وإزالة صدأ الغفلة عنها، ثم استعان بذاته المقدّسة وأبرز إيمانه المطلق بها

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۴

فقال فى الحمد والثناء:

«الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِى إِلَيْهِ مَصَائِرُ[۱۹] الْخَلْقِ، وعَوَاقِبُ الأَمْرِ».

نعم فمنه تعالى بداية الخلق وإليه المصير، فموجودات هذا العالم كافّة من فيض وجوده وستؤول عاقبة أمرها إليه، وهذه إشارة إلى قضية المعاد ويوم القيامة فالحديث فى هذه العبارة عن مبدىءٍ نحمده ونثنى عليه.

ولكن لم هذا الحمد والثناء؟ قال عليه السلام:

«نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ، ونَيِّرِ بُرْهَانِهِ، ونَوَامِى ۲۰] فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ».

العبارة:

«عَظِيمِ إِحْسَانِهِ»

يمكن أن تكون إشارة إلى نعمة الإيمان والاعتقاد الخالص باللَّه تعالى بقرينة

«نَيِّرِ بُرْهَانِهِ»

التى تشير إلى الأدلّة الواضحة، وكما يمكن أن تكون إشارة إلى نعمة الحياة والخلق التى تعدّ من أعظم نعم اللَّه، إلّاأنّ التفسير الأوّل أنسب، والعبارة:

«ونَوَامِى فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ»

إشارة إلى تكامل الإنسان فى المجالات الماديّة والمعنويّة والتى تعدّ من النعم الإلهيّة الكبرى.

ثم خاض عليه السلام فى بيان كيفية هذا الحمد فقال:

«حَمْداً يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً، ولِشُكْرِهِ أَدَاءً، وإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرِّباً، وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِباً».

من البديهى أن لا يسع أحد أداء حقّ الشكر والحمد للّه‌تبارك وتعالى، ويعجز عن ذلك حتى جميع الأنبياء والأولياء والملائكة المقرّبين، وعليه فالمراد من الأداء ما كان فى وسع الإنسان والذى يوجب ثواب اللَّه ونيل المزيد من نعمه.

وعلى هذا الأساس تطرق فى هذه الجملات الحكيمة، تارة الصفات الإلهيّة وإحسانه ونعمه، وتارة أخرى إلى أساس النعم المتنوعة الإلهيّة وأصولها، وفى الثالثة إلى كيفية الحمد والشكر، وبذلك تطرق إلى مجموعة كاملة من الصفات الإلهيّة ونعمه.

ثم تطرق بعد الحمد- كما ورد شبيه ذلك فى سورة الفاتحة- إلى الاستعانة باللَّه

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۵

تبارك وتعالى فقال:

«ونَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ، وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ ۲۱]، مُذْعِنٍ ۲۲] لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ».

تشير هذه العبارات الخمس إلى مواضيع متنوعة؛ الأوّل: الحديث عن الأمل بفضل اللَّه فى الأمور المعنويّة، والثانى: الأمل والرجاء فى

المنافع والمصالح الماديّة، والثالث: الثقة بدفع الآفات والمضرّات عن العباد، والرابع: مقام الاعتراف بالنعم، وأخيراً أداء حقّ الشكر بالقول والعمل.

فقد اتّجه الإمام عليه السلام بعد بيانه لما يستحق اللَّه تعالى من حمد واستعانة تامة بذاته المقدّسة الإفصاح عن إيمانه بالذات المقدّسة، وهو الإيمان الذى انطوى على جميع المزايا فقال عليه السلام:

«ونُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ رَجَاهُ مُوقِناً، وأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِناً، وخَنَعَ [٢٣] لَهُ مُذْعِناً، وأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّداً، وعَظَّمَهُ مُمَجِّداً، ولَاذَ بِهِ رَاغِباً مُجْتَهِداً».

حقّاً إنّ الإيمان الذى ينطوى على كلّ هذه الصفات ويختزن كلّ هذه الآثار لهو أرفع إيماناً وأرسخ عقيدة، ولا يتأتّى مثل هذا الإيمان إلّامن خلال تطهير القلب من دنس المعصية والإبتعاد عن الأهواء والسعى إلى تهذيب النفس والتوجه إلى اللَّه سبحانه وتعالى، ولعلّ هنالك من يتساءل: لماذا استهل الإمام عليه السلام كلامه بحمد اللَّه والثناء عليه ثم استعان بذاته المقدّسة ليتجه أخيراً إلى الإيمان، والحال أنّ الإيمان هو دافع الحمد والاستعانة؟

والجواب عن ذلك، إنّ الإيمان الذى تطرق إليه الإمام عليه السلام هنا هو الإيمان الجامع للكمال، والذى لا يحصل إلّابعد حمد اللَّه والإستعانة بذاته المقدّسة وما وجب سابقاً قبل الحمد والإستعانة إنّما يمثل المراحل الابتدائية للإيمان.

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١٧

## القسم الثانى

### اشارة

لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِى الْعِزِّ مُشَارَكاً، ولَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثاً هَالِكاً.

ولَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ ولَا زَمَانٌ، ولَمْ يَتَعَاوَرْهُ زِيَادَةٌ ولَا نُقْصَانٌ، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتْقَنِ، وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ. فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ، قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ. دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ، غَيْرَ مُتَلَكِّئَاتٍ ولَا مُبْطِئَاتٍ؛ ولَوْلَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وإِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَةِ، لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ، ولَا مَسْكَناً لِمَلَائِكَتِهِ، ولَا مَصْعَداً لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ.

### الشرح والتفسير: دلالة السماء على اللَّه

قال الإمام عليه السلام فى هذا القسم من الخطبة- فى مواصلة شرح صفات اللَّه التى تصدرت بها الخطبة:

«لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِى الْعِزِّ مُشَارَكاً، ولَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثاً هَالِكاً، ولَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ ولَا زَمَانٌ، ولَمْ يَتَعَاوَرْهُ [٢٤] زِيَادَةٌ ولَا نُقْصَانٌ».

إنّ من بين القوانين التى تحكم عالم المادة والممكنات أنّ كلّ جماعة ترد الحياة تفارقها بعد مدّة لتحل محلها طائفة أخرى فالأبناء يرثون صفات الآباء، كما ينقل هؤلاء صفاتهم إلى الأبناء، وبما أنّ الذات الإلهيّة أزليّة وأبديّة فهى لم تولد من أحد ليكون لها مثيل ولم يولد منها أحد ليرثها.

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١٨

والعبارة:

«ولَمْ يَتَقَدَّمْهُ ...»

إشارة إلى أنّه يفوق الزمان؛ لأنّ الزمان نتيجة لحركة الموجودات من النقص إلى الكمال وبالعكس، وبما أنّ وجوده المقدّس عين

كماله المطلق وليس للزيادة والنقصان من سبيل إلى ذاته فلا معنى لطرو الوقت والزمان عليه ٢٥].

وحيث إنّ نفى الشبيه والنظير والزمان والزيادة والنقصان عن ذاته القدسيّة ربّما يخلق وهماً يتمثل فى تعطيل معرفة اللّه، وبعبارة أخرى إنعدام السبيل إلى معرفته؛ فقد قال:

«بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتْقَنِ، وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ».

إشارة إلى أنّ الذات القدسيّة وإن كانت خارجة عن متناول العقول البشريّة إلّاأنّ إثبات أصل وجودها ممكن من خلال تأمّل نظام الخليقة والتدبير الحكيم الذى يحكمه، وهذا ما أشارت إليه بعض الروايات الإسلاميّة التى حثت على عدم الاستغراق فى الذات المقدّسة، بل التفكير فى آثار قدرته وعظمته وعلمه فى عالم الوجود، الأمر الذى جعله القرآن الكريم محوراً فى معرفة اللّه ودعى أصحاب الفكر وأولوا الألباب إلى التفكير على الدوام فقال تعالى «انَّ فِى خَلْقِ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِاولِى الْأَلْبَابِ* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهُ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»[٢٦].

ثم ركز الإمام عليه السلام على مصاديق هذا البيان الكلّى والعام فقال:

«فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ مُوَطَّدَات ٢٧] بِلَا عَمَد[٢٨]، قَائِمَات بِلَا سَنَد[٢٩]».

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١٩

ثم أشار إلى هذه الحقيقة:

«دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَات مُذْعِنَات، غَيْرَ مُتَلَكِّئَات ٣٠] ولَا مُبْطِئَات».

يبدو هنالك رأيان بشأن المراد من طاعة السماوات لأوامر اللّه وإقرارها بربوبيّته تعالى؛ قال البعض: إنّ المراد الإقرار والطاعة بلسان الحال، أى أنّ اللّه سبحانه وتعالى خلقها بهذه الصيغة بحيث تعيش حالة التسليم له من حيث نظام العلّة والمعلول وقوانين الخلق دون أن يكون لها أيّة إرادة أو علم، لأنها موجودات جامدة ولا روح لها.

وقال البعض: إنّ العبارات أعلاه تدلّ على أنّ جميع عالم الوجود- من الإنسان والحيوان والجماد وجميع الكواكب السماويّة- له عقل وشعور، وقد أقرّوا بإرادتهم على ربوبيّته تعالى وأذعنوا له بالطاعة.

طبعاً هذان التفسيران صحيحان ولا يختلفان عمّا أراد الإمام عليه السلام بيانه، لأنّ الهدف بيان عظمة الخلق وتسليم عالم الوجود لأمر اللّه تبارك وتعالى.

ثم قال عليه السلام:

«وَلَوْلَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وإِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَةِ[٣١]، لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ، ولَا مَسْكَناً لِمَلَائِكَتِهِ، ولَا مَصْعَداً[٣٢] لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ».

أشار الإمام عليه السلام فى هذه العبارة إلى أنّ طاعة السماوات لأوامر اللّه منحها ثلاثة امتيازات: الأوّل: أنّها موضع عرش اللّه، والثانى: مسكن لملائكته، والثالث: موضع لصعود الأعمال والأقوال الصالحة للعباد؛ بمعنى أنّ حفظة الأعمال وكتبة الأفعال

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٢٠

تكتبها فى سجل الأعمال ويرفع إلى السماء ما يستحق منها القرب الإلهى.

ومن الطبيعى أن يختار اللّه تعالى موضعاً لهذه الأمور خاضعاً لسيطرته وهيمنته، وبعبارة أخرى بما أنّ جميع السماوات فى قبضته فقد أسبغ عليها تلك الأمور، والتعبير بالملائكة فى العبارة المذكورة إشارة إلى الملائكة المقربين، وإلّا فللملائكة حضور فى العالم برمته

من أرض وسماء.

وأمّا حقيقة العرش فهذا ما سيأتى شرحه فى هذه الخطبة إن شاء اللّه.

***

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۱

## القسم الثالث

### اشارة

جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَاماً يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ فِى مُخْتَلِفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ، لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا ادْلِهْمَامُ سُجُفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَلَا اسْتَطَاعَتْ جَلَابِيبُ سَوَادِ الْحَنَادِسِ أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِى السَّمَاوَاتِ مِنْ تَلأْلُؤِ نُورِ الْقَمَرِ، فَسُبْحَانَ مَنْ لَايَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقٍ دَاجٍ، وَلَا لَيْلٍ سَاجٍ، فِى بِقَاعِ الْأَرَضِينَ الْمُتَطَأْطِئَاتِ، وَلَا فِى يَفَاعِ السُّفْعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ؛ وَمَا يَتَجَلْجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِى أُفُقِ السَّمَاءِ، وَمَا تَلَاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ وَانْهِطَالُ السَّمَاءِ! وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا، وَمَسْحَبَ الذَّرَّةِ وَمَجَرَّهَا، وَمَا يَكْفِى الْبَعُوضَةَ مِنْ قُوتِهَا، وَمَا تَحْمِلُ الْأُنْثَى فِى بَطْنِهَا.

### الشرح والتفسير: احاطته العلميّة بكلّ شىء

تطرق الإمام عليه السلام فى مواصلته لبيان آثار عظمة اللّه فى عجائب السماوات فى العالم العلوى عن القمر والنجوم حيث قال ابن أبى الحديد: إنّ هذا القسم من كلام الإمام عليه السلام بيان لتوحيد اللّه وتمجيده بأحسن وجه وبأفصح الكلام وأجمل العبارات حيث قال عليه السلام:

«جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَاماً يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ فِى مُخْتَلِفِ فِجَاجِ [۳۳]
الْأَقْطَارِ[۳۴]».

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۲

هذه العبارة إشارة إلى ما ورد كراراً فى القرآن الكريم بشأن النجوم: «وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ»[۳۵].

وقال تعالى فى موضع آخر: «وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِى ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ»[۳۶].

نعلم أنّ النجوم الثابتة التى تشكل تقريباً أغلب كواكب السماء إنّما تطلع من نقاط معينة وتغيب فى أخرى معينة كذلك وأنّ مواضعها فى السماء من شأنها تعيين الجهات الأربع الشمال والجنوب والشرق والغرب وتعدّ أفضل وسائل للإهتداء فى الأسفار الطويلة خلال الليالى المظلمة فى الصحارى والبحار.

ثم أشار عليه السلام إلى نقطة بديعة أخرى فقال:

«لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا ادْلِهْمَامُ [۳۷] سُجُفِ [۳۸]
اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَلَا اسْتَطَاعَتْ جَلَابِيبُ [۳۹] سَوَادِ الْحَنَادِسِ [۴۰] أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِى
السَّمَاوَاتِ مِنْ تَلَأْلُونُورِ الْقَمَرِ».

فقد أشار الإمام عليه السلام فى الواقع إلى نكتة ظريفة إلى أنّ اللّه سبحانه وتعالى خلق ظلمة الليل كنعمة كبيرة لهدوء المخلوقات وراحتها من جانب، ومن جانب آخر جعل النجوم ليهتدى بها فى الصحارى والبحار وخلق القمر منيراً، إلّاأنّ هذين المصدرين

المضيئين خُلقا بحيث لا يقضيان على عتمة الليل، والجمع بين هذا النور والظلمة بهدفين مختلفين نموذج لقدرته المطلقة سبحانه.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۳

وما أن فرغ الإمام عليه السلام من بيان آثار عظمة اللّه وقدرته فى عالم الخلق حتى تطرق لسعة علمه وإحاطته بجميع الموجودات فى الأرض والسماء؛ حتى أشار بشرح رائع إلى عشرة موارد منها تجسد سعة علمه سبحانه فقال:

«فَسُبْحَانَ مَنْ لَايَخْفى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَق [۴۱] دَاج [۴۲]، وَلَا لَيْل سَاج [۴۳]، فِى بِقَاعِ الْأَرَضِينَ الْمُتَطَأْطِئَاتِ [۴۴]، ولَا فِى

يَفَاع [۴۵] السُّفْع [۴۶] الْمُتَجَاوِرَاتِ؛ ومَا يَتَجَلْجَلُ [۴۷] بِهِ الرَّعْدُ فِى أُفُقِ السَّمَاءِ، ومَا تَلَاشَتْ [۴۸]

عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَام، ومَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَة تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ [۴۹] الْأَنْوَاءِ[۵۰]

وانْهِطَالُ [۵۱] السَّمَاءِ! ويَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ ومَقَرَّهَا، ومَسْحَبَ [۵۲] الذَّرَّةِ ومَجَرَّهَا[۵۳]، ومَا

يَكْفِى الْبَعُوضَةَ مِنْ قُوتِهَا، ومَا تَحْمِلُ الْاُنْثَى فِى بَطْنِهَا».

حقّاً إنّ تأمّل عبارة الإمام عليه السلام بشأن علم اللّه تبارك وتعالى بجميع الكائنات فى السماوات والأرض التى تجعل أعظم الأشياء وأصغر الموجودات وأخفى المخلوقات يغوص فى بحرٍ من التفكير هل بالإمكان خفاء أعمالنا وأقوالنا، بل نيّاتنا وأفكارنا على اللّه تبارك وتعالى المحيط بكلّ شىء؟ وهذه أحد أهم الآثار التربويّة للإيمان بسعة علم اللّه وإحاطته بجميع الأشياء.

والطريف أنّ الإمام عليه السلام حين يتحدّث عن ظلمة الليل أو سكونه يشير إلى آثاره المختلفة فى مختلف بقاع الأرض من قمم الجبال إلى سفوحها، وحين يتحدّث عن

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۴

تساقط الأوراق يخوض فى جملة الأسباب التى تؤدّى إلى هذا التساقط، وبالتالى حين يتطرق إلى هطول قطرات المطر لا ـ ينسى الحديث عن مواضع استقراره فى جوف الأرض الذى يعدّ خزاناً مباركاً لتلك المياه، وحين يتحدّث عن طعام ذبابة يشير إليه بمقدار، وهذا بدوره ما يجعل هذه الخطبة فى مصاف أفصح وأبلغ خطب نهج البلاغة، وهى الفصاحة والبلاغة التى بلغت حدّ الإعجاز.

جدير بالذكر أنّ لأغلب هذه التعبيرات جذوراً فى الآيات القرآنيّة، فاللّه تبارك وتعالى حين يشير إلى علمه بجميع الموجودات يقول: «اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىء عِنْدَهُ بِمِقْدَار»[۵۴] ويقول تعالى فى موضع آخر: «انَّ اللَّهُ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْأَرْحَامِ»[۵۵].

## تأمّل

### ما الأنواء؟

تضمنت الخطبة إشارة إلى عواصف الأنواء التى تستحق المزيد من الشرح، فأنواء جمع نوء على وزن نوع تعنى لغوياً طلوع النجوم أو غروبها، إلّاأنّهم اقتصروا على معنى الطلوع، وإن أضاف البعض إليها الغروب واعتبرها من مفردات الأضداد، ومن العقائد السائدة لدى العرب أنّ القمر يطوى ۲۸ منزلًا خلال دورته حول نفسه ويستغرق كلّ منزل ۱۳ يوماً، وتقترن بداية كلّ منزل بطلوع نجم فى المشرق وغروب آخر فى المغرب، كما يعتقدون بحصول تغيير فى الجو وسقوط مطر أو هبوب رياح يتزامن مع بداية كلّ منزل، ومن هنا كانوا يقولون: (مُطِرنا بنوء فلان)، وقد اتخذ هذا الاعتقاد صيغة خرافية بالتدريج ليعتقدوا بأنّ هذا النجم هو العنصر المسبب لنزول الأمطار ولابدّ من التضرع إليه بغية نزول المطر.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۵

ذكر العلّامة المجلسى رحمه الله فى الجزء ۵۵ من بحار الأنوار باباً مفصلًا حمل عنوان:

«فی النهی عن الاستمطار بالأنواء والطیرة والعدوی»

ونقل فیه عدّة روایات بهذا الشأن منها ما روی عن الإمام الباقر علیه السلام:

«ثَلاثَةٌ مِنْ عَمَلِ الْجاهِلِیَةِ، الْفَخْرُ بِالْأَنْسابِ والطَّعْنُ فِی الأَحْسابِ والاسْتِسْقاءُ بِالْأَنْواءِ»[۵۶].

والذی تجدر الإشارة إلیه هنا أنّ أحداً لوطرح الموضوع بصیغة بحث فلکی وقال باقتران هبوب ریاح شدیدة أو سقوط مطر فی کلّ منزل من المنازل الثمانیة والعشرین بأمر اللّه فإنّه لم یجانب الحقیقة، ولیس هناک من نهی عن هذا الکلام، غیر أنّ عرب الجاهلیة نسبوا هبوب الریاح وهطول الأمطار إلی تلک الأنواء وهذا نوع من الشرک، لأنّهم قالوا باستقلالیة تلک الأنواء بعیداً عن إرادة اللّه، من هنا یتّضح عدم وجود أی إشکال فی عبارة الإمام:

«تُزِیلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الأَنْوَاءِ»

لأنّ مراد الإمام علیه السلام أنّ کل ما اقترن بطلوع وغروب هذه الأنواء تابع لإذن اللّه وأوامره.

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۲۷

## القسم الرابع

### اشارة

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْکَائِنِ قَبْلَ أَنْ یَکُونَ کُرْسِیٌّ أَوعَرْشٌ، أَوسَمَاءٌ أَوأَرْضٌ، أَوجَانٌّ أَوإِنْسٌ. لَایُدْرَکُ بِوَهْمٍ، وَلَا یُقَدَّرُ بِفَهْمٍ، وَلَا یَشْغَلُهُ سَائِلٌ، وَلَا یَنْقُصُهُ نَائِلٌ، وَلَا یَنْظُرُ بِعَیْنٍ، وَلَا یُحَدُّ بِأَیْنٍ، وَلَا یُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ، وَلَا یُخْلَقُ بِعِلَاجٍ، وَلَا یُدْرَکُ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا یُقَاسُ بِالنَّاسِ. الَّذِی کَلَّمَ مُوسَی تَکْلِیماً، وَأَرَاهُ مِنْ آیَاتِهِ عَظِیماً؛ بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدَوَاتٍ، وَلَا نُطْقٍ وَلَا لَهَوَاتٍ. بَلْ إِنْ کُنْتَ صَادِقاً أَیُّهَا الْمُتَکَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّکَ، فَصِفْ جِبْرِیلَ وَمِیکَائِیلَ وَجُنُودَ الْمَلَائِکَةِ الْمُقَرَّبِینَ، فِی حُجُرَاتِ الْقُدُسِ مُرْجَحِنِّینَ، مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ أَنْ یَحُدُّوا أَحْسَنَ الْخَالِقِینَ. فَإِنَّمَا یُدْرَکُ بِالصِّفَاتِ ذَوُوالْهَیْئَاتِ وَالأَدَوَاتِ، وَمَنْ یَنْقَضِی إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ. فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَضَاءَ بِنُورِهِ کُلَّ ظَلَامٍ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ کُلَّ نُورٍ.

### الشرح والتفسیر: عجزنا عن إدراک صفاته

تابع الإمام علیه السلام بیان صفات اللّه تعالی بعد أن أشار إلی عظمة الخالق وقدرته وذکر آیاته فی عالم الوجود، فشرح فی هذا القسم جانباً مهمّاً من الصفات الثبوتیّة والسلبیّة والصفات الفعلیة بصورة رائعة فأتمّ درسه لمخاطبیه فی سبیل معرفة اللّه، فقد تحدّث فی بادئ الأمر عن أزلیّة اللّه تبارک وتعالی المقرونة بالأبدیّة فقال علیه السلام:

«وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْکَائِنِ قَبْلَ أَنْ یَکُونَ کُرْسِیٌّ أَوعَرْشٌ، أَوسَمَاءٌ أَوأَرْضٌ، أَوجَانٌّ أَوإِنْسٌ».

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۲۸

فالأمور الستة هذه إشارة إلی تکوین العالم، ذلک لأنّها الأصل والأساس وما سواها تابع لها، علی کلّ حال فإنّ هذه العبارة إشارة إلی أهم صفاته الجمالیّة سبحانه والتی تعود إلیها سائر الصفات وهی عدم تناهی ذاته القدسیّة من جمیع الجهات، فلکل المخلوقات زمان وتاریخ لحدوثها سوی الذات القدسیّة التی کانت منذ الأزل وستبقی إلی الأبد، ومن هنا أشار إثر ذلک إلی إحدی عشرة صفة من صفاته السلبیّة والتی تنبع جمیعها من ذاته القدسیّة اللامتناهیّة.

فقال فی العبارة الأولی والثانیة:

«لَا یُدْرَکُ بِوَهْمٍ، وَلَا یُقَدَّرُ بِفَهْمٍ».

ذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ الفارق بين هاتين العبارتين هو أنّ الوهم هنا إشارة إلى القوّة التى تدرك الجزئيات، والفهم إشارة إلى إدراك الكليات، وهنالك احتمال آخر هو أنّ الوهم إشارة إلى قوّة الحدس والفرض، والفهم إشارة إلى الإدراك واليقين، أى لا- يمكن الوصول إليه تعالى عن طريق العلم ولا- الحدس ولا الظن، أضف إلى ذلك أنّ العبارة الأُولى إشارة إلى إدراك أصل وجوده، والعبارة الثانية إشارة إلى قياس ذاته القدسيّة وبما أنّها لامتناهيّة فهى لا تدرك بوهم ولا تقاس بعقل.

ثم قال فى الصفتين السلبيتين الثالثة والرابعة:

«وَلَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ، وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ ۵۷]».

إنّ الإنسان مهما كان ذكياً وفطناً إن تحدّث إليه شخص أو عدّة أشخاص بشأن موضوع مهم لا يسعه إدراك مطلب الآخرين، أو تعامله مع شخص يحول دونه والآخرين، ذلك لأنّه وجود محدود ومتناهٍ، أمّا الذات الإلهيّة القدسيّة فلا يضيق بها التعامل مع جميع المخلوقات وفى آن واحد فهى تسمع أصواتهم وتقضى حاجاتهم وتعلم بنّياتهم ولا يشغلها سائل عن آخر، وكذلك لو طرق جميع العباد باب اللّه وسألوه ما سألوا وضمن لهم الإجابة لما نقص شىء من ملكه وخزائنه، بل لما شكل

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۹

ذلك قطرة من بحر جوده، كيف لا وهو الخلّاق لما يشاء وفيضه غنى عن الحدود[۵۸].

ثم قال عليه السلام: فى الصفتين الخامسة والسادسة:

«وَلَا يَنْظُرُ بِعَيْنٍ، وَلَا يُحَدُّ بِأَيْنٍ ۵۹]».

أجل! إنّه يرى كلّ شىء وكل مكان والعالم برمّته حاضر عنده، مع ذلك ليس له عين ولا مكان، لإنّه أسمى من الزمان والمكان والعوارض الجسميّة.

ثم قال عليه السلام فى الصفتين السابعة والثامنة:

«وَلَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ ۶۰]، وَلَا يُخْلَقُ

بِعَلَاجٍ».

ذكروا عدّة معانٍ لأزواج منها: جمع زوج مثل النظير والقرين والزوج والشبيه والمثيل والضد والتركيب، ولا مانع من جمع كلّ هذه المفاهيم فى العبارة السابقة، أى أنّ اللّه منزّه عن كلّ هذه الأمور، والعبارة

«لَا يُخْلَقُ بِعَلَاجٍ»

إشارة إلى الناس وأشباههم إن أرادوا خلق شىء- أو بتعبير أدق- إن أرادوا تركيب هيئة من أشياء إنّما يستعينون ببعض الوسائل التى قد تكون بسيطة وأخرى صعبة، والخالق الوحيد الذى لا يحتاج إلى أيّة وسائل وأدوات هو الحقّ سبحانه وتعالى ۶۱]، بل أبعد من ذلك كما قال القرآن الكريم: «انَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»[۶۲].

ثم قال فى الصفتين التاسعة والعاشرة من صفاته السلبيّة سبحانه:

«وَلَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ».

إننا نعلم بأنّ دائرة حواس الإنسان هى الأجسام الماديّة، وعليه فالذات القدسيّة

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۰

التى تفوق عالم المادة لا تدرك إلّابالعقل والفكر، ويخطئ أولئك الذين يعتقدون بإمكانيّة رؤية اللّه تعالى فى الدنيا والآخرة بهذه العين.

العبارة:

«لَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ»

تشير إلى أصل كلّى بشأن صفات اللّه تعالى فى عدم إمكانيّة مقارنة هذه الصفات بصفات المخلوق فإنّ ذلك ينتهى إلى الضلالة، وهذا المعنى ورد فى الخطبة الأُولى من نهج البلاغة:

«وكَمالُ الْاخْلاصِ لَهُ نَفْىُ الصِّفاتِ عَنْهُ».

وقال أخيراً فى بيان آخر الصفات:

«الَّذِی کَلَّمَ مُوسَی تَکْلِیماً، وأَرَاهُ مِنْ آیَاتِهِ عَظِیماً؛ بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدَوَات، وَلَا نُطْق وَلَا لَهَوَات ۶۳]».

بما أنّه نقل فى السابق مختلف الصفات وأثبتها للّه‌تعالى بأكمل وجه، فقد خاض هنا فى مسألة تكلّم اللّه سبحانه وتعالى وأوضح أنّ اللّه كلّم موسى عليه السلام ولكن ليس على غرار الناس الذين يتكلّمون بواسطة اللسان والفم والأمواج الصوتية وأداء الحروف، بل يخلق الأمواج الصوتية ليتحدّث بواسطتها مع موسى عليه السلام، فكان موسى يسمع الكلام من ست جهات وهذا من عظمة آيات اللّه دون الحاجة إلى الجوارح والأعضاء الصوتية، وظاهر كلام الإمام عليه السلام أنّ عظمة آيات اللّه هو سماع كلامه سبحانه من الجهات الست، والشاهد على ذلك قوله عليه السلام:

«بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدَوَات، وَلَا نُطق وَلَا لَهَوَات».

الاحتمال الآخر الذى ذكره شرّاح نهج البلاغة بهذا الشأن أنّ المراد من عظيم آياته المعجزات التسع التى حبى بها موسى بن عمران ۶۴]، ولكن يبدو هذا الاحتمال بعيداً ولا ينسجم مع سياق كلام الإمام عليه السلام فهو لا يخلو من تكلّف ومخالفة الظاهر،

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۱

ويحتمل أن يكون المراد معجزتى العصا واليد البيضاء التى اقترنت بتكليم موسى عليه السلام.

على كلّ حال فلا- يصح إطلاق صفة الناطق أو اللافظ على اللّه تبارك وتعالى، هذين اللفظين يشيران إلى حركة اللسان ومخارج الحروف والأمواج الصوتية التى يتنزّه عنها اللّه تبارك وتعالى، بينما يصح إطلاق لفظ المتكلّم على اللّه لأنّه يوجد الكلام ويخلق الأمواج الصوتية فى ست جهات كى لا يتصور موسى والآخرون أنّ اللّه يحويه مكان.

ثم خاض الإمام عليه السلام فى مطلبين آخرين بهدف إكمال هذه الصفات وإثبات عجز الفكر البشرى عن تبيانه لحقيقة اللّه تبارك وتعالى فقال فى الأُولى

«بَلْ إِنْ کُنْتَ صَادِقاً أَیُّهَا الْمُتَکَلِّفُ ۶۵] لِوَصْفِ رَبِّکَ، فَصِفْ جِبْرِیلَ ومِیکَائِیلَ وجُنُودَ الْمَلَائِکَةِ الْمُقَرَّبِینَ، فِی حُجُرَاتِ الْقُدُسِ مُرْجَحِنِّینَ ۶۶]، مُتَوَلِّهَةً[۶۷] عَقُولُهُمْ أَنْ یَحُدُّوا أَحْسَنَ الْخَالِقِینَ».

إشارة إلى أنّ الإنسان الذى يعجز عن بيان صفات ملائكة اللّه المقرّبين ولا يسعه إدراك حقيقة وجودها وحقيقة صفاتها، فكيف يتوقع إدراك صفات الخالق ويستوعب فى حيزه الفكرى صفاته الجماليّة والجلاليّة، مع العلم أنّ الملائكة الذين نعجز عن بيان صفاتهم يعيشون حالة الحيرة ضمن دائرتهم.

ثم خاض عليه السلام فى النقطة الثانية التى تعدّ دليلًا عقلياً واضحاً فقال:

«فَإِنَّمَا یُدْرَکُ بِالصِّفَاتِ ذَوُوالْهَیْئَاتِ وَالْأَدَوَاتِ، ومَنْ یَنْقَضِی إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ».

ثم اختتم هذا القسم باستنتاج واضح فقال عليه السلام:

«فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَضَاءَ بِنُورِهِ کُلَّ ظَلَام، وأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ کُلَّ نُور».

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۲

وقد ركز شرّاح نهج البلاغة فى تفسيرهم لهذه العبارة على معنى مطابق؛ فقالوا:

المراد القضاء على ظلمة الليل بضياء النهار وجمع ضياء النهار بظلمة الليل وجعل الظلمة المقرونة بالسكون والهدوء تعمّ كلّ مكان،

بینما أخذ البعض الآخر المعنی الکنائی، فقال: إنّ المراد من الظلمات الأخلاق القبیحة التی تزول من روح الإنسان بنور معرفة اللَّه، وبالمقابل فإنّ الأفراد الذین یعیشون ظلمة الجهل وعدم معرفة اللَّه إنّما تزول عن وجودهم أنوار الفضیلة والأخلاق الإنسانیّة.

نعم، لیست هنالک من حاجة للتفسیر الکنائی استناداً إلی إمکانیّة التفسیر علی ضوء المعنی المقارن وعدم وجود القرینة علی المعنی الکنائی وإن أمکن الجمع بین المعنیین.

## تأمّلان

### ۱. سرّ صعوبة معرفة صفات اللَّه

ذکرنا کراراً أنّ طریق معرفة اللَّه صعب بنفس الدرجة التی یتّضح فیها السلوک إلیه والتعرف علیه، وبعبارة أخری فإنّ العلم بوجود اللَّه عن طریق تدبر أسرار الخلق فی الأرض والسماء والوقوف علی عجائب الخلقة أمر فی غایة الصعوبة، فکلّ إنسان مهما کان لدیه من علم وشعور یری آثار علمه وقدرته وعظمته تعالی فی کلّ مکان وفی کلّ شیء، ولکن یستحیل علیه فهم کنه ذاته وصفاته، ذلک لأنّه کما ذکر الإمام علیه السلام فی هذه الخطبة أننا نعانی من القیاس المضل بهذا الشأن، فلیس لنا حظ سوی معرفة الصفات بواسطة الوسائل والأدوات والمقرونة بالزمان والمکان، فکان من الطبیعی أن یتعذر علینا إدراک ما یفوق الزمان والمکان والأدوات واللامتناهی من حیث الوجود والصفات، أو بتعبیر:

«ما لِتُراب وربِّ الأَرْبابِ».

إننا لنعجز عن إدراک صفات بعض المخلوقات الأسمی کالملائکة المقرّبین- کما أشار إلی ذلک الإمام علیه السلام فی الخطبة- فضلًا عن إدراک صفات خالقها، وعلی هذا

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۳۳

الأساس أُمرنا بالإکتفاء بالعلم الإجمالی فی مرحلة إدراک کنه الذات والصفات، وأن لا نسعی للوصول للعلم التفصیلی فهو خارج عن طاقتنا، علی سبیل المثال إننا نعلم أنّ اللَّه عالم بکلّ شیء وقادر علی کلّ شیء، ولکن هل علمه عن طریق الصور الذهنیة کالذی علیه الأمر بالنسبة للإنسان؟ طبعاً لا! ولکن کیف ذلک، حقّاً إننا لا نعلم وهذه هی الحقیقة التی أشار إلیها الإمام علیه السلام کراراً فی خطب نهج البلاغة ولا سیما فی الخطبة ۹۱ المعروفة بخطبة الأشباح، کما حذرنا سائر أئمّة الهدی علیهم السلام من سلوک هذا الوادی وقد نقل المرحوم الکلینی فی الکافی والصدوق فی کتاب التوحید بعض نماذج ذلک.

یذکر أنّ عبد الملک بن أعین أحد أصحاب الإمام الصادق علیه السلام کتب له رسالة أنّ طائفة فی العراق یصفون اللَّه بالأوصاف الجسمیّة فطلب منه بیان المذهب الحقّ فی التوحید فکتب الإمام علیه السلام:

«سَأَلتَ عَنِ التَّوحِیدِ رَحِمَکَ اللَّهُ، فاعلِم أنَّ اللَّهَ لَیسَ کَمِثلِهِ شَیءٌ وَهوَ السَّمِیعُ البَصِیرُ، وأنَّهُ أَسمَی مَنَ الصِّفاتِ الَّتی یَشبَه بِها مَخلُوقَاتِهِ، وَاعلَم أنّ المَذهَبَ الصَّحیح ما جاءَ فِی القُرآنِ الکَریم فَنَزِّهُهُ عَنِ الشَّبیهِ»[۶۸]

(إشارة إلی أنّه فی باب صفات اللَّه أن لا نشبّهه بالمخلوقات وأن لا نعتقد بالعدم بصورة کلیّة بالاکتفاء بالمعرفة الإجمالیّة).

### ۲. العرش والکرسی

قیل الکثیر فی العرش والکرسی، وقد أسهبنا فی شرح العرش وحملته فی الخطبة الأُولی من نهج البلاغة[۶۹].

تکررت مفردة العرش فی القرآن الکریم ۲۰ مرّة، وإن لم تکن جمیعها متعلقة بالعرش الإلهی، کما ذکرت مفردة الکرسی مرتان تتعلق إحداهما فقط بکرسی اللَّه

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۴

كما وردت عبارة «العرش» فى نهج البلاغة سبع مرّات والكرسى مرّة واحدة فى هذه الخطبة، ورغم أنّ العرش يعنى المسند المعهود والأريكة التى ينصبها السلاطين ويجلسون عليها فى الأعياد والمناسبات الرسمية، ويعنى الكرسى الأريكة القصيرة الدعامة والتى يجلسون عليها فى الأيّام الاعتيادية، ولكن قطعاً ما ورد فى القرآن ونهج البلاغة والروايات بشأن العرش والكرسى ليس المراد منه هذا المعنى وإنّما هى كناية عن أمور أخرى.

فقد اعتبر البعض العرش إشارة إلى مجموع عالم الوجود، بينما عدّه البعض الآخر علم اللّه تعالى، وذهبت طائفة ثالثة إلى أنّ المراد به صفات الجمال والجلال، كما فسّروا الكرسى بهذا المعنى أيضاً، وهناك من اعتبر الكرسى إشارة إلى تدبير الأمور الجزئيّة للعالم والعرش بمعنى التدبير الكلّى والأحدى والذى يفرز جميع التدبيرات الجزئيّة، ولكن كما أشرنا سابقاً فإنّ ما يفهم من القرآن الكريم أنّ أحد معانى الكرسى على الأقل مجموعة السماوات والأرض وعالم المادة أو الحاكميّة عليه، والعرش إشارة إلى عالم الأرواح والملائكة وعالم ما وراء المادة أو الحاكميّة عليها، ذلك أنّ القرآن الكريم قال فى آية الكرسى: «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمواتِ وَالأَرْضَ»[ ۷۰] ومن الطبيعى أنّ العرش أسمى وأرفع من الكرسى، طبعاً ما ذكرناه هو أحد التفاسير الواضحة للعرش والكرسى، وهناك بعض التفاسير الأخرى كما صرحت بها الروايات ۷۱].

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۵

## القسم الخامس

### اشارة

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللّهِ بِتَقْوَى اللّهِ الَّذِى أَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ، وأَسْبَغَ عَلَيْكُمُ الْمَعَاشَ؛ فَلَوأَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلَّماً، أَولِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا، لَكَانَ ذلِكَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِى سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ والْاِنسِ، مَعَ النُّبُوَّةِ وعَظِيمِ الزُّلْفَةِ. فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ، واسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ، رَمَتْهُ قِسِيُّ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ، وأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً، والْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً، وورِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ. وإِنَّ لَكُمْ فِى الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً!

أَيْنَ العَمَالِقَةُ وأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ! أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ! أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ، وأَطْفَأُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ، وأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ! أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ، وهَزَمُوا بِالأُلُوفِ، وعَسْكَرُوا الْعَسَاكِرَ، ومَدَّنُوا الْمَدَائِنَ!

### الشرح والتفسير: أين الفراعنة والعمالقة؟

خاض الإمام عليه السلام فى هذا القسم من الخطبة بعد الأبحاث المرتبطة بصفات الجمال والجلال وعظمة عالم الوجود بالأبعاد العمليّة، ذلك لأنّ الأعمال الصالحة إنّما تفرزها العقيدة الصالحة، فقد دعى الإمام عليه السلام الجميع للتقوى إزاء تلك النعم التى أفاضها تعالى على عباده فقال عليه السلام:

«أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللّهِ بِتَقْوَى اللّهِ الَّذِى أَلْبَسَكُمُ الرِّيَاش ۷۲]، وأَسْبَغَ عَلَيْكُمُ الْمَعَاشَ».

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۶

فقد أشار الإمام عليه السلام فى الواقع إلى نعمتين عظيمتين تعدان مصدراً لنعم جمّة أخرى؛ النعمة الأُولى أنواع الثياب التى تحفظ البدن من الحرارة والبرودة ومختلف المخاطر، وتضفى على الإنسان الوقار والهيبة والاحترام وتميّزه عن الحيوانات.

والنعمة الأخرى المعاش، أى أنواع الرزق التى يحتاجها الإنسان فى حياته، وللمعاش من مادة معيشة مفهوم واسع يشمل الطعام والماء

والهواء والدواء والسكن، وجميع مواهب الحياة ولا يبدو صحيحاً ما تصوره البعض من أنّه يقتصر على الماء والغذاء، ورغم أنّ هذا المفهوم عام إلّاأنّه يشمل أنواع الألبسة الفاخرة، ولكن ممكن ذكر ذلك بالخصوص بسبب أهميّته الفائقة فی حياة الإنسان.

وبما أنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة فقد خاض الإمام عليه السلام فی تقلب أحوال الدنيا وزوالها ثم ركز على مصداق واضح فقال عليه السلام:

«فَلو أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلَّماً، أَو لِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلاً لَكَانَ ذلِكَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِی سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ والْإنْسِ، مَعَ النُّبُوَّةِ وعَظِيمِ الزُّلْفَةِ[۷۳]».

نعم فسليمان عليه السلام مع ما كان له من جلال وجبروت وقدرة وعزّة وكر وفر لم يستطع الحيلولة دون الموت ليغادر الدنيا فی الأجل المعين دون أدنى تأخير أو تريث، ومن هنا واصل الإمام عليه السلام كلامه قائلًا:

«فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ، واسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ، رَمَتْهُ قِسِیُّ ۷۴] الْفَنَاءِ بِنِبَالِ ۷۵] الْمَوْتِ، وأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً، والْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً، وورِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ».

يا له من تشبيه رائع! فقد شبّه الإمام عليه السلام قانون الفناء بالنبال التی تحمل الموت! وقد صوبت هذه النبال نحو الجميع لتنتظر آخر لقمة طعام يتناولونها وآخر دقيقة عمر يقضونها لتصوب نحوهم سهام الموت فتصيب أهدافها، سواء كان هذا الهدف

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۷

نملة ضعيفة أو سليمان الذی سخرت له جنود الإنس والجن والوحش والطير، والعجيب أنّ قانون الموت والفناء من القوانين التی لا تعرف من معنى للاستثناء، فهو يَطال الصالحين والسيئين والأتقياء والأشقياء والأقوياء والضعفاء دون أن يرحم أحداً أو يمهله مدّة: «فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَايَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ»[۷۶] وسنورد بحثاً مهمّاً فی التأملات بشأن كيفية موت سليمان عليه السلام.

ثم خلص الإمام عليه السلام إلى هذه النتيجة:

«وإِنَّ لَكُمْ فِی الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً! أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ! أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ! أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ، وأَطْفَأُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ، وأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ! أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ، وهَزَمُوا[۷۷] بِالْأُلُوفِ، وعَسْكَرُوا الْعَسَاكِرَ، ومَدَّنُوا الْمَدَائِنَ!».

فالإمام عليه السلام فی هذه العبارات العميقة المعنى وعقب إشارته للاعتبار بموت سليمان عليه السلام يسلط الضوء على تاريخ البشريّة السالفة فيتطرق إلى ذوی النفوذ والقدرة الذين حكموا البلاد بقبضتهم الفولاذية آنذاك ولم يبق منهم اليوم سوى حفنة من التراب مركزاً على طائفة معينة منهم فقد أشار بادئ الأمر إلى العمالقة الذين ينحدرون من العملاق أحد أحفاد نبی اللّه نوح عليه السلام ممن كانت لهم أجساد قويّة وضخمة وقد حكموا البلاد لسنين متمادية.

ثم أشار إلى الفراعنة أی ملوك مصر الذين كانوا من أقوى ملوك التاريخ، بينما تطرق فی المرحلة الثالثة إلى أصحاب الرس (نهر الرس أو الأبار المليئة بالماء التی كانت فی بعض مناطق ايران)، وهم أولئك الذين وقفوا بوجه الأنبياء وقتلوهم وأطفأوا سنن اللّه وأحيوا سنن الظلمة.

وأشار فی المرحلة الأخيرة بصورة كلية إلى الملوك المتجبرين السابقين كافّة

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۸

الذين كانوا يمتلكون العدّة والعدد وشيدوا المدن الجميلة والرائعة، ولكن لم تكن عاقبتهم سوى الركوع للموت ومغادرة العروش المذهبة والاكتفاء بحفرة صغيرة فی باطن الأرض.

## تأمّلات

### ١. شوكة سليمان عليه السلام وموته

خلافاً للتوراة المعاصرة التى تصور سليمان عليه السلام كملك جبار وصانع للمعابد الوثنية[٧٨] يعتبره القرآن الكريم من الأنبياء العظام ونموذجاً للقدرة والحاكمية الاستثنائية، وقد اختزنت سيرته العديد من الدروس والعبر للجميع فالقرآن الكريم يصرح بأنّ اللَّه سبحانه وتعالى أفاض عليه العديد من النعم فسخر له الريح التى تنقله من مكان إلى آخر وسخر له الإنس والجن وأفاض عليه العلم الجم حتى علّمه منطق الطير وزوده بالعديد من الجنود والعمال، مع ذلك كان موته عبرة ودرساً، جاء فى بعض الروايات: أنّ سليمان عليه السلام قال ذات يوم لأصحابه:

«إنّ اللَّهَ قَد وَهبَ لُى مُلكاً عَظِيماً وَمَعَ جَميعِ ما أُوتيتُ مِنَ المِلكِ ما تمّ لِى سُرورَ يَومٍ إلى اللّيلِ، وَقَد أَحببتُ أن أدخلَ قَصرى فِى غَدٍ فأصعدِ أعلاهُ وَانظرُ إلى مَمالِكى فَلا تَأذَنُوا لأحدٍ بِالدُّخولِ عَلىَّ»

فلما كان من الغد أخذ عصاه بيده وصعد إلى أعلى موضع من قصره ووقف متكئاً على العصا ينظر إلى ممالكه مسروراً بما أوتى فرحاً بما أُعطى، إذ نظر إلى شاب حسن الوجه واللباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره فقال له سليمان:

«مَنْ أَدخلكَ إلى هذا القّصر وَقَد أردتُ أن أخلُو فيهِ اليومَ فَبِإذن مَنْ دَخلتَ»

. فقال الشاب:

«أدخَلَنى هذا القَصر رَبّهُ وَبإذنِه دَخلتُ»

. فقال:

«رَبُّهُ أَحَقُّ بِهِ مِنّى فَمَنْ أنتُ؟»

قال:

«أنا مَلَكُ المَوت»

. قال:

«وَفِيما جِئتَ»

. قال:

«لأقبِضَ رُوحكَ»

. قال سليمان:

«إمضِ لِما أِمرتَ بِهِ فَهذا يَومُ سُرورى وأبى اللَّهُ عَزّ وَجلّ أنْ يَكونَ لِى

نفحات الولايه، ج٧، ص: ٣٩

سُرور دُونَ لِقائِهِ»

، فقبض ملك الموت روحه وهو متكئاً على عصاه (ولم يمنحه إذن الجلوس) وهو ميت ما شاء اللَّه والناس ينظرون إليه وهم يقدرون أنّه حى فافتتنوا فيه واختلفوا فمنهم من قال إنّ سليمان عليه السلام قد بقى متكئاً على عصاه هذه الأيّام الكثيرة ولم يتعب ولم ينم ولم يأكل ولم يشرب، إنّه لربّنا الذى يجب علينا أن نعبده، وقال قوم إنّ سليمان عليه السلام لساحر وأنّه يرينا أنّه واقف متكىء على عصاه يسحر أعيننا وليس كذلك، فقال المؤمنون: إنّ سليمان هو عبد اللَّه ونبيّه يدبر اللَّه أمره بما شاء، فلما اختلفوا بعث اللَّه الارضة فدبّت فى عصاه فلمّا أكلت جوفها انكسرت العصا وخرّ سليمان عليه السلام على وجهه فعلموا جميعاً بموته [٧٩].

وكما أشار الإمام عليه السلام فى الخطبة لما تمّ عمر سليمان صوبت إليه أقواس المنيّة وأصابه سهم الموت.

### ٢. من هم العمالقة؟

«عمالقة»:

جمع «عملاق» اسم شخص من أحفاد نوح وإليه تنسب قبيلة العمالقة وكان هؤلاء الأفراد أقوياء وأشداء ومقاتلين عاشوا فى شمال الحجاز لألفى سنة قبل الميلاد حسب بعض المؤرخين، هجموا على مصر فاحتلوها وحكموها مدّة، ولكن حمل عليهم المصريون لسبعة عشر قرن قبل الميلاد فعادوا إلى جزيرة العرب وأقاموا فى اليمن والحجاز وسائر المناطق وشكلوا هناك بعض الدويلات ويرى بعض المفسرين أنّ الجبابرة الذين تحدّث عنهم القرآن فى قصّة دخول موسى وبنى اسرائيل إلى بيت المقدس هم طائفة من أولئك العمالقة.

وأخيراً قضى عليهم يوشع حيث أمر بنى اسرائيل بأمر من موسى عليه السلام، وقد تساءل أميرالمؤمنين عليه السلام فى هذه الخطبة قائلًا:

«أَيْنَ الْعَمالِقَةُ وأَبْنَاءُ الْعَمالِقَةِ»

الذين

نفحات الولايهٔ، ج۷، ص: ۴۰

كانوا يتمتعون بقدرات هائلة وشكلوا الحكومات المقتدرة ليحكموها لعقود من الزمان، ثم زالوا من صفحة الوجود ولم يبق سوى اسمهم ۸۰].

## ۳. فراعنة مصر

كان ملك مصر يسمى (فرعون) وسلطان الروم (القيصر) وسلطان ايران (كسرى ، ويُدعى فرعون مصر الذى عاصر نبى اللَّه موسى عليه السلام رمسيس الثانى والذى عاصر نبى اللَّه يوسف عليه السلام كان الريان بن الوليد، وقيل إنّ الفراعنة الذين حكموا مصر قبل الميلاد بلغوا ۳۲ فرعوناً، كان بعضهم من مصر والبعض الآخر من العمالقة والروم واليونانيين وبعض الايرانيين الذين أوفدوا من قبل بعض السلاطين لفتح مصر فحكموا البلاد ولم يبق لهم من اليوم أثر.

## ۴. أصحاب الرسّ

تعنى مفردة الرس فى الأصل (الأثر المختصر)، ويرى البعض أنّ الرس مختصر الأرس (نهر معروف فى شمال ايران) بينما يرى الأعم الأغلب أنّها بئر ويعتقدون أنّ القوم الذين لم يبق منهم الآن إلّاالقليل كانوا مزارعين ولديهم عدّة آبار مليئة بالمياه فكانت أوضاعهم المعاشية جيدة، وهنالك خلاف بين المفسرين بشأن المكان الذى عاشوا فيه والنّبى الذى أرسل إليهم، فالبعض يعتقد أنّهم بقايا عاد وثمود، بينما يرى البعض الآخر أنّهم عاشوا فى اليمامة وكان نبيّهم يدعى حنظلة، ويرى آخرون أنّ نبيّهم كان شعيب.

جاء فى كتاب عيون أخبار الرضا أنّ أميرالمؤمنين على عليه السلام قال:

«إنّهُم كَانُوا قَوماً يَعبُدونَ شَجرَةً صُنوبر يُقالُ لَها شاه درخت وَكَانتْ لَهُم إثنَتا عَشَرَ قَريةً عَلى

نفحات الولايهٔ، ج۷، ص: ۴۱

شاطئ نَهرٍ يقالُ لَهُ أرسُ يُسمى إحدَاهُنَّ آبان والثّانية آذَر وَالثّالثة دى وَالرّابِعة بَهمن وَالخامِسة اسفندار وَالسّادسَة فَروردين وَالسّابعة ارديبهشت وَالثّامنة خرداد وَالتّاسعة تير وَالعاشِرة مُرداد وَالحادية عَشرة شهريور وَالثّانية عشرة مِهر، وَكَانوا يَأتُون بِشِياهٍ وَبقر فَيذبَحُونَها لِلشجرةِ وَيَشعِلُونَ النِّيرانَ بِالحَطبِ فَإذا إرتَفَع دُخان تِلكَ الذَّبائح خَرّوا لَلشجرةِ سُجّداً يَبكُونَ وَيَتضرعُونَ إليها، ثُمَّ بَعثَ اللَّهُ عَزّ وَجلّ إليهِم نَبيّاً مِنْ بَنى اسرائيلَ فَلَم يَتّبُعُوهُ فدعا اللَّهَ قائلًا: أَيبس شَجرَهُم أَجْمَع، أرهِم قُدرَتَكَ وَسُلطانَكَ، فَأصبَحَ القَومُ وَقَد يَبس شَجَرُهُم كُلّه فَهالَهُم ذَلِكَ وَاجتَمعَ رَأيُهم وَاتّخذُوا أنابيبَ طُوال مِنْ رِصاص وَاسعةِ الأفواهِ ثُمَّ أَرسلُوها فِى قَرارِ العِينِ وَأَرسلُوا فِيها نَبِيّهُم حَيّاً

حَتّى مَاتَ، فَأرسلَ اللَّهُ عَلَيهِم رِيحاً عَاصِفاً، شديدة الحُمرة؛ فَأماتَهُم جَميعاً»[۸۱].

نعم، لقد رأت الدنيا الكثير من السلاطين والأقوام المنحرفة والجبابرة الظالمة، وقد طفح غبار النسيان لا على قبورهم فحسب بل على تاريخهم، وهذا أفضل سند ودليل على عدم وفاء الدنيا لأحد.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۳

## القسم السادس

### اشارة

ومنها: قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا، وأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا، مِنَ الْاقْبَالِ عَلَيْهَا، وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا، وَالتَّفَرُّغِ لَهَا؛ فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِى يَطْلُبُهَا، وحَاجَتُهُ الَّتِى يَسْأَلُ عَنْهَا، فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْاسْلَامُ، وضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ، وأَلْصَقَ الأَرْضَ بِجِرَانِهِ، بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ.

### الشرح والتفسير: خصائص ذلك الولى

ما ورد فى هذا القسم يبدو ظاهراً عديم الإرتباط بالأقسام السابقة من الخطبة وسبب ذلك أنّ السيد الرضى لا ينقل جميع الخطبة فى أغلب الأحيان، بل يختار قطوفاً منها، ويدلّ على ذلك ما صدر به هذه الخطبة بقوله

«مِنْها»

، وهذا ما أدى إلى نوع من الإبهام والغموض فى هذا القسم وعودة الضمائر فيه ليقدم كلّ شارح ما يراه من احتمال بشأنها، لكننا نعتقد بوجود بعض القرائن لها هنا.

فقال عليه السلام:

«قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا[۸۲]، وأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا، مِنَ الْاقْبَالِ عَلَيْهَا،

وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا، وَالتَّفَرُّغِ لَهَا».

هنالك عدّة احتمالات بشأن هذا الشخص الذى تدرع بالحكمة وأخذ بجميع آدابها ومنها أربعة احتمالات هى:

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۴

۱. قال البعض: المراد به الإمام المهدى عليه السلام وغيبته ونهضته، وقد نسب ابن أبى الحديد هذا الراى إلى الإماميّة ولم يقرّ به بادئ الأمر، بينما أذعن أخيراً بأنّه الشخص الذى سيولد فى آخر الزمان واسمه المهدى عليه السلام.

۲. قال الفلاسفة: هم نخبة من العرفاء يتواجدون بين الناس فى كلّ زمان.

۳. جاء عن بعض المتصوفه أنّ المراد أولياء اللّه وسالكى طريق الحقّ الذين يتواجدون على الأرض على الدوام.

۴. وترى المعتزلة أنّ المراد به العالم العدل والموحّد من المؤمنين من الأفراد الذين يعيشون بين الناس، ولكن حين نسلط الضوء على هذه العبارات إلى آخر القسم سيتّضح لدينا بما لا يقبل الشك أنّ المراد هو الإمام المهدى عليه السلام.

على كلّ حال فالعبارة:

«قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا»

تشير إلى أنّه حكيم وقد لبس جلباباً لحفض هذه الحكمة والمراد من ذلك طبعاً جلباب الورع والتقوى، كما ورد فى هذا الحديث الشريف:

«ما أَخْلَصَ عَبْدٌ اللّهِ عَزَّوَجَلَّ أَرْبَعينَ صَباحاً إِلّا جَرَتْ يَنابيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلى لِسانِهِ»[۸۳].

والعبارات اللاحقة:

«وأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا ...»

كلّها تشير إلى أنّه حكيم، قد عمّت الحكمة والعلم كلّ كيانه وبها يدير شؤون من حوله.

ثم قال عليه السلام:

«فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا، وحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا».

وهذا الكلام تأكيد آخر على أنّ ذلك الولى ينطلق فى مشروعه من الحكمة والعلم ليمارس قبل كلّ شىء خلق الثورة العلميّة والثقافيّة، وينسجم هذا الكلام تماماً وما ورد فى الروايات بشأن المهدى عليه السلام.

ومن ذلك ما روى عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

«إذا قامَ قائِمُنا وَضَعَ يَدَهُ عَلى رُؤُوسِ الْعِبادِ فَجَمَعَ بِها عُقُولَهُمْ وكَمُلَتْ بِها أَحْلامُهُم»[۸۴].

نفحات الولايه، ج٧، ص: ۴۵

وواصل كلامه عليه السلام فى بيان ميزة أخرى لذلك الولى فقال:

«فَهُو مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ ۸۵] الْاسْلَامُ، وضَرَبَ بِعَسِيبِ ۸۶] ذَنَبِهِ ۸۷]، وأَلْصَقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ ۸۸]».

حين تتخلف الناقة عن المشى فإنّها تفترش الأرض بحيث يلتصق ذنبها بالأرض حتى تضع عليه أسفل عنقها وهذه دلالة على شدّة التعب ويستفيد العرب من هذا الأمر بصفته كناية عن الضعف والعجز، وهذا الكلام إشارة واضحة أخرى إلى أحد صفات ذلك الولى الربّانى فى أنّ الإسلام والمسلمين يعيشون أقصى درجات الضعف فى غيبته وتتكالب عليهم الأعداء من كلّ حدب وصوب بغية القضاء على الإسلام وكسر شوكة المسلمين.

وجاء فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام:

«الْعِلْمُ سَبْعَةٌ وعِشْرُونَ حَرْفاً فَجَميعُ ما جاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ حَرْفانِ فَلَمْ يَعْرِفِ النّاسُ حَتّى الْيَوْمِ غَيْرَ الْحَرْفَيْنِ فَإذا قامَ قائِمُنا أَخْرَجَ خَمْسَةً وعِشْرينَ حَرْفاً فَبَثَّها فى النّاسِ وضَمَّ إِلَيْها الْحَرْفَيْنِ حَتّى يَبُثَّها سَبْعَةً وعِشْرينَ حَرْفاً»[۸۹].

(إشارة إلى أنّ الإمام المهدى عليه السلام يمارس ثورة ثقافية هائلة وسريعة بحيث يرقى بسطح العلم والمعرفة عشرة أضعاف ما كانت عليه).

ويختتم الإمام عليه السلام هذا القسم بمسألة واضحة بهذا الخصوص فيقول:

«بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ».

وكما يفهم من بيان هذه الصفات فإنّ مرجع الضمير فى العبارات السابقة لا يعود

نفحات الولايه، ج٧، ص: ۴۶

إلّا إلى الإمام المهدى عليه السلام سيما من خلال هذه المفردات «بقية»، «بقيّة اللّه»، «الحجّة»، «الخليفة» الواضحة فى نصوصنا الدينيّة.

### تأمّل

## إشارات لنهضة الإمام المهدى عليه السلام

يستفاد من الإشارات الواضحة التى تضمنتها هذه الخطبة بشأن نهضة الإمام المهدى عليه السلام وخلافاً لما يتصوره الجهّال فإنّ القاعدة الأصلية التى ينطلق منها الإمام عليه السلام إنّما تستند إلى الثورة الثقافية والعلميّة والفكريّة، لا النهضة العسكريّة التى تختزن

إراقة الدماء، حيث يرتقى بالمستوى العلمى لدى الناس بحيث يمارس حكومته القائمة على أساس العدل والقسط، طبعاً سيواجه الإمام عليه السلام فى بداية مشروعه تلك الأقليّة المتغطرسة والمنحرفة التى تحاول إعاقة مشروعه ممّا يضطره لمعالجتها عسكرياً، ولكن يبقى همه محصوراً فى طلب العلم والارتفاع بالمستوى العلمى لدى الأمّة ولسان حاله وقاله على غرار سيرة جدّه النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله: «رَبِّ زِدْنِى عِلْماً»[۹۰].

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۷

## القسم السابع

### اشارة

ثُمَّ قالَ عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّى قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِى وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُم مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِى فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا، لِلَّهِ أَنْتُمْ! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِى يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ؟

أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً، وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ، وَبَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لَايَبْقَى، بِكَثِيرٍ مِنَ الآخِرَةِ لَا يَفْنَى. مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وهُمْ بِصِفِّينَ أَلَّا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءً؟ يُسِيغُونَ الْغُصَصَ ويَشْرَبُونَ الرَّنْقَ! قَدْ واللَّهِ لَقُوا اللَّهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ.

### الشرح والتفسير: التذكير بما يلزم!

خاض الإمام عليه السلام فى الوعظ والإرشاد والنصح المشوب بالتحذير فقال:

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّى قَدْ بَثَثْتُ ۹۱] لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِى وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُم مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِى فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وحَدَوْتُكُم ۹۲] بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا[۹۳]».

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۸

تشير هذه العبارات إلى أنّ الإمام عليه السلام كان يستغل كلّ فرصة بغية هداية أهل الكوفة الذين عرفوا بالضعف والتشتت وقد مارس شتّى الأعمال الثقافية بهذا الشأن حتى أفاض عليهم مختلف مواعظ الأنبياء وإرشادات الأوصياء إلّاأنّ المطر الرحمة الإلهيّة لم يجد له من سبيل فى أرض قلوبهم السبخة، ثم تخلى عن الرفق والمرونة ليجابههم بشدة علهم يعودون إلى أنفسهم ويعيشون الوحدة؛ ومرّة أخرى لم تجد هذه المسامير من سبيل فى تلك الأحجار الصلدة، ليتّضح بجلاء أن لا نقص ولا عيب فى الزعامة والقيادة، بل العيب كلّه فى تلك الفئة الجاهلة الفاقدة للحميّة.

كما تفيد هذه العبارات أنّ مساعى جميع الأنبياء والأوصياء لا تبدو مجدية مع هؤلاءالقوم.

«لِلَّهِ أَنْتُمْ! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِى يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ؟».

أى حين لا يتمكن زعيم مثلى من إعادتكم إلى جادة الصواب فسوف لن يكون هنالك قط من يسعه القيام بذلك.

والغريب أنّه رغم حالة اليأس والقنوط التى تفرزها طبيعة تلك الفئة إلّاأنّ الإمام عليه السلام لا يكفّ عن النصح والإرشاد، فيستعرض لهم طبيعة ما حولهم وما تحكمه من ظروف ويكشف لهم عن منزلة الشهادة فى سبيل اللّه فيقول:

«أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً».

إشارة إلى اقبال جميع الفضائل على المجتمع الإنسانى إبان بزوغ فجر الإسلام وشروق شمس النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله، إلّاأنّ هذه القيم والسنن الإلهيّة قد ولّت ظهرها لهذا المجتمع وحلّت محلّها قبائح عصر الجاهلية التى طويت صفحتها عن المجتمع الإسلامى بفعل ظهور بنى أميّة وسليلى عصر الجاهلية.

ثم ذكر عليه السلام مقدمة بهدف الاشادة بمقام الشهداء فى سبيل اللّه وترسيخ ثقافة الجهاد والشهادة إزاء الطواغيت والظلمة فقال:

«وأَزْمَعَ ۹۴] التَّرْحَالَ ۹۵] عِبَادُ اللَّهِ الأَخْيَارُ،

نفحات الولايه، ج٧، ص: ۴۹

وبَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لَايَبْقى بِكَثِير مِنَ الآخِرَةِ لَايَفْنَى».

تشير هذه العبارة اللطيفة إلى أنّ أولئك الأخيار الذين فازوا بالشهادة وتقلّدوا وسام الشرف بالجهاد فى سبيل اللّه لم يجانبوا الضرر فحسب، بل مارسوا تجارة مربحة حيث باعوا القليل من متاع الدنيا الفانى بالكثير من متاع الآخرة الباقى، كما أنّ أولئك الذين وفقوا لجهاد أنفسهم ولم ينالوا الشهادة وولّوا ظهورهم لزخرف الدنيا وزبرجها وأقبلوا على الآخرة ونعيمها هم أيضاً فى مصاف عباد اللّه الأخيار.

ثم أكّد الإمام عليه السلام ذلك بقوله:

«مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وهُمْ بِصِفِّينَ أَلَّا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءً؟ يُسِيغُونَ ۹۶] الْغُصَصَ ويَشْرَبُونَ الرَّنْقَ![۹۷]».

إشارة إلى أنّهم ذهبوا واستراحوا لنبقى اليوم ونشهد هذه الأوضاع المزرية التى يصول ويجول فيها العدو بينما يكتفى الأصحاب الضعاف فى الحقّ والفاقدو الإرادة بالتفرج على هذا المشهد الذى يهز من الأعماق كلّ مؤمن غيور، والواقع أنّ الإمام عليه السلام يشير بهذه العبارات إلى جنايات معاوية وجند الشام وسكوت وضعف أهل الكوفة والعراق.

ثم بلغ كلام الإمام عليه السلام ذروته فقال:

«قَدْ واللَّهِ لَقُوا اللَّهُ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ، وأَحَلَّهُمْ دَارَ الأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ».

أجل، فالأمر كما قال القرآن الكريم: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحياءٌ عِنْدَ رَبِهِم يُرزَقُونَ»، بل الموتى أولئك الذين استسلموا للذل وواصلوا حياتهم الماديّة التافهة فى ظلّ راية الطواغيت والظلمة، والحقّ أنّ الشهادة مدعاة للفخر، ويتضاعف هذا الفخر حين يكون فى وسط اجواء فاسدة وقذرة وتنتهى إلى الخلاص من الطغمة المفسدة والمتجبرة.

ولعل الرسالة التى اطلقها الإمام على عليه السلام من محراب عبادته حين شهادته بقوله:

نفحات الولايه، ج٧، ص: ۵۰

«فُزْتُ ورَبِّ الْكَعْبَةِ»

لتختزن العديد من الدروس والعبر التى ينبغى أن يحتذى بها المؤمنون.

***

نفحات الولايه، ج٧، ص: ۵۱

## القسم الثامن

### اشارة

أَيْنَ إِخْوَانِى الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ، ومَضَوْا عَلَى الْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ؟ وأَيْنَ ابْنُ التَّيِّهَانِ؟ وأَيْنَ ذُوالشَّهَادَتَيْنِ؟ وأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ

الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ، وأَبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ!

قال: ثمّ ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة، فأطال البكاء، ثم قال عليه السلام: (أَوِّهِ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَوُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيَوُا السُّنَّةَ وأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ. دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجابُوا، ووَثِقُوا بِالْقَائِدِ فاتَّبَعُوهُ).

ثم نادى بأعلى صوته: الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ! أَلَا وإِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَوْمِي هذَا؛ فَمَنْ أَرادَ الرَّوَاحَ إِلَى اللَّهِ فَلْيَخْرُجْ!

## الشرح والتفسير: النفير العام للجهاد

تغيّر خطاب الإمام عليه السلام فى هذا القسم من الخطبة ليواصل خطبته بعبارات مليئة بالحزن ويذكر تلك الثلّة من الشهداء فى صفين التى خلا مكانها الآن بين الأصحاب فقال:

«أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ، ومَضَوْا عَلَى الْحَقِّ؟».

ثم ركز عليه السلام على الطليعة منهم فى الاثرة والشهادة والعلم والمعرفة فقال:

«أَيْنَ عَمَّارٌ؟ وأَيْنَ ابْنُ التَّيِّهَانِ؟»

ثم ذكرهم بصورة كلية وعامة فقال:

«وأَيْنَ ذُوالشَّهَادَتَيْنِ؟ وأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ، وأُبْرِدَ[۹۸]

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۲

بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ!».

إشارة إلى عشرات الأفراد من أصحاب النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله الذين لزموا عليّاً عليه السلام ونالوا الشهادة فى صفين وقام جناة جيش معاوية بحز رؤوسهم وارسالها إلى طاغيتهم معاوية[۹۹].

«قالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْكَرِيمَةِ، فَأَطالَ الْبُكاءَ»

، ثُمَّ قالَ عليه السلام:

«أَوِّهِ ۱۰۰] عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَوُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيَوُا السُّنَّةَ وأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ. دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجابُوا، ووَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ».

فهذه الصفات الست تفيد عظمة مقامهم فى العمل والعلم فى حفظ الدين والجهاد وطاعة الإمام والزعيم الربّانى، فقد كانوا على بصيرة بالقرآن فيطبقونه على تفاصيل حياتهم كما كانوا على علم بالواجبات فيعملون بها ويميتون البدعة ويحيون السنّة كما كانوا من أهل الإيثار والتضحية حين الجهاد.

فى الواقع أنّ الإمام عليه السلام أراد أن يقدم لأصحابه أُسوة حسنة ويقول إنّ المؤمن الواقعى والمسلم الحقيقى وصاحب النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله من يتصف بهذه الخصائص، أملًا فى أن تفعل هذه الكلمات الحماسية فعلها فى تلك القلوب الباهتة فيهب أصحابها لجهاد الظلمة والطواغيت.

«ثُمَّ نادى بِأَعْلى صَوْتِهِ: الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ! أَلَا وإِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَوْمِي هذَا؛ فَمَنْ أَرادَ الرَّوَاحَ إِلَى اللَّهِ فَلْيَخْرُجْ!»

. وهكذا دعا الإمام عليه السلام القوم للجهاد بعد تلك المواعظ البالغة، فأقبل العديد منهم وشعر بخطورة المسؤوليّة فتأهب للجهاد.

«قالَ نوْفٌ: وعَقَدَ لِلْحُسَيْنِ عليه السلام فى عَشَرَةِ آلاف، ولِقيسِ بن سعد فى عَشَرَةِ

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۳

آلاف، ولِأَبِى أَيُوبِ الأَنْصارى فى عَشَرَةِ آلاف، ولِغَيْرِهِمْ عَلى أَعْداد أُخَر، وهُو يُرِيدُ الرَّجْعَةَ إلى صِفينَ، فَما دارَتِ الْجُمْعَةُ حَتّى ضَرَبَهُ الْمَلْعُونُ ابنُ مُلْجَم لَعَنهُ اللّهُ، فَتراجَعَتِ الْعَساكِرُ، فَكُنّا كَأَغْنامٍ فَقَدتْ راعِيها، تَخْتَطُفها الذِئابُ مِن كُلِّ مَكان!».

وعلى هـذا الأساس فرح ذئاب الشام ولصوص جيش معاويـة بتخلصـهم من ذلك الخطر العظيم، بينما عاش المؤمنون حالـة من الأسـى والهم، جاء في الرواية أنّ الشام لما بلغها خبر قتل أمير المؤمنين عليه السلام علم بذلك عمرو بن العاص فبشر معاوية قائلًا:

«انَّ الأَسَد المُفرِشِ ذِراعَيْهِ بِالْعَراقِ لاقى شُعُوبَه»[۱۰۱].

## تأمّل

## صحب الإمام عليه السلام الميامين

## اشارة

ذكر الإمام عليه السلام في هـذه الخطبة بعض الأصحاب الأوفياء الذين كانوا من صحابة رسول اللّه صلى الله عليه و آله الأشداء، ثم وفوا بما عاهدوا عليه الإمام عليه السلام حتى نالوا الشهادة في صفين، وكما ذكر سابقاً وجاء في الرواية أنّ ۳۰۰ من صحابة النّبي صلى الله عليه و آله الذين بايعوه في بيعة الرضوان وكان منهم ممن شهد بدر قد وقفوا إلى جانب علي في صفين فقتل منهم ۶۳ وقد ذكر الإمام عليه السلام ثلاثة منهم، ونذكر هنا نبذة عن كلّ واحد منهم ثم نخوض في سيرة قيس بن سعد وابي أيوب الأنصاري الذين ورد إسماهما في آخر الخطبة بصفتهما من امراء جيش الإمام عليه السلام.

## ۱. عمّار بن ياسر

كنيته أبواليقظان، أسلم في مكة وتحمل أشدّ العذاب، وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أنّ ياسر حين قدم إلى مكة تزوج من جارية هي سمية التي ولدت له عماراً الذي عذب على يد المشركين وأجبر على الطعن بالإسلام، فأتى النّبي صلى الله عليه و آله

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۴

باكياً فنزلت الآية الشريفة: «الَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْايمانِ»[۱۰۲] التي تدلّ على التقية في هذه الموارد، وأجمع المفسرون على أنّ الآية نزلت في عمّار، وكان ممن هاجرالحبشة وصلى إلى القبلتين ومن أوائل المهاجرين الذين شهدوا بدراً وجميع الغزوات الإسلاميّة.

قال فيه النّبي الأكرم صلى الله عليه و آله:

«انَّهُ مَليئٌ إيماناً إلى أَخْمُصِ قَدَمَيْهِ»

؛ وقال أيضاً:

«مَنْ أَبْغَضَ عَمّاراً أَبْغَضَهُ اللَّهُ»

؛ وقال صلى الله عليه و آله:

«تَشْتاقُ الجَنَّةُ إلى أربَعة: عَليٍّ وَعمّار وَسَلمان وأَبي ذر».

وأضاف ابن عبد البر تواتر عن النّبي صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«تَقْتُلُ عَمّاراً الْفِئَةُ الْباغِيَةُ».

وعدّه ابن عبد البر من أصح الأخبار، وقد قتل يوم صفين وهذا أعظم دليل على بطلان معاويه، وروى ابن عبد البر عن أبي عبد الرحمن السلميانة قال: شهدنا صفين فرأيت عمار بن ياسر ومعه أصحاب محمّد وكأنّه رأيتهم وسمعت عمار يقول لهاشم ابن‌عقبة (عتبة) احمل يا هاشم فالجنّة في ظلال السيوف، اليوم نلقى محمّداً وأصحابه فإنّما نحن على الحقّ وهم على الباطل. يقول عبد اللّه ابن سلمة: نظرت

عمّار فی صفین وقد أصابه العطش فالتمس ماء، فأتوه بظرف من اللبن فقال الیوم التقی أصحابی فقد قال لی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله:

«إنّ آخِرَ شَرابِکَ مِنَ الدُّنیا ضَباحاً مِنْ لَبن»[۱۰۳].

جدیر ذکره أنّه لما بلغ معاویة خبر قتل مالک الأشتر- بعد صفین- خطب الناس فقال: «أما بعد فإنّه کانت لعلی یمینان فقطعت إحداهما بصفین- یعنی عمّار بن یاسر، وقطعت الأخری الیوم- یعنی الأشتر-»[۱۰۴].

## ۲. ابن التیّهان

هو أبوالهیثم بن التیهان واسمه مالک من قبیلة الأنصار، وهو أحد النقباء لیلة

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۵۵

العقبة وممن شهد بدراً، وقیل إنّه أدرک صفین وقتل فیها، ویؤید ذلک هذه الخطبة، وذکر ابن أبیالحدید أسماء طائفة من علماء أهل السنّة الذین قالوا بقتله فی صفین ۱۰۵].

## ۳. ذو الشهادتین

هو خزیمة بن ثابت الأنصاری وکنیته أبو عمّار وممن التحق بالنّبی صلی الله علیه و آله فی المدینة وقد وروی ابن الأثیر فی أُسد الغابة سبب لقبه ذوالشهادتین فقال: إنّ النّبی صلی الله علیه و آله اشتری فرساً من سواء بن قیس المحاربی، فجحد سواء، فشهد خزیمة بن ثابت للنبی فقال له رسول اللَّه صلی الله علیه و آله:

«ما حَمَلَکَ عَلی الشّهادةِ وَلَم تَکُن مَعنا حاضِراً»

، فقال: صدقتک بما جئت به وعلمت أنّک لا تقول إلّاحقّاً، فقال: رسول اللَّه صلی الله علیه و آله:

«مَن شَهِدَ لَهُ خُزَیمةُ أو عَلَیهِ فَحَسبُهُ»[۱۰۶]

، فجعل رسول اللَّه شهادة خزیمة بشهادتین (طبعاً هذا استثناء وذلک بسبب إیمان خزیمة ولعل ذلک کون شهادته تدعو إلی علم القاضی). کان ممن شهد الغزوات الإسلامیّة، وذکر ابن عبد البر فی الاستیعاب أنّه شهد صفین فقاتل فیها حتی قتل ۱۰۷].

## ۴. قیس بن سعد بن عبادة

کنیته أبوالفضل. کان رجلًا شجاعاً وجواداً، وأبوه سعد رئیس الخزرج، وکان قیس من کبار شیعة أمیر المؤمنین علیه السلام وهو معروف بمحبّته وولائه للإمام وشهد معه حروبه کلّها وروی انس بن مالک أنّ قیس بن سعد کان رئیس حاجبی النّبی صلی الله علیه و آله (وکان ثقة فی کلّ الأمور) وذکر ابن شهاب: أنّ قیس بن سعد کان أحد الساسة العرب الخمسة الذین یحلّون المشاکل والفتن ۱۰۸].

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۵۶

## ۵. أبو أیوب الأنصاری

هو خالد بن زيد ويعرف عادة بالكنية، كان ممن صحب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وشهد العقبة وشهد بدراً، وعليه نزل النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله حين قدم المدينة ولم يزل عنده حتى بنى مسجده ومساكنه، شهد مع على عليه السلام الجمل وصفين وكان فى المقدمة يوم النهروان، عاش عشر سنوات بعد على عليه السلام وتوفى سنة ۵۰ للهجرة[۱۰۹].

ويتّضح ممّا مرّ معنا سابقاً هذه النقطة التاريخيّة من هم الأفراد الذى قاتلوا مع على عليه السلام قاسطى الشام وسائر البغاة؟ ومن هم أولئك الأفراد الذين نالوا الشهادة مع على عليه السلام ومن هم قادة جيشه؟ ولو لم يكن هناك من دليل على أحقيّته عليه السلام وبطلان خصمه سوى هذا لكفى.

نفحات الولاية ؛ ج۷ ؛ ص۵۶

نفحات الولايهٔ، ج۷، ص: ۵۷

## الخطبة ۱۸۳

### اشارة

فى قُدْرَةِ اللَّهِ وفِى فَضْلِ الْقُرْآنِ وفِى الْوَصِيَّةِ بِالتَّقْوى ۱۱۰]

### نظرة إلى الخطبة

هذه الخطبة من الخطب الغاية فى الفصاحة والبلاغة والتى تتضمن عدّة مباحث تبدو غير متصلة الأقسام، وذلك بسبب اسلوب السيد الرضى رحمه الله المعهود فى الاختيار. على كل حال تتعرض الخطبة لخمسة مواضيع مهمّة هى:

۱. جانب من صفات اللَّه الجلاليّة والجماليّة بعبارات عميقة المعنى.

۲. التعريف بالقرآن الكريم وبيان بعض خصائصه المهمّة.

۳. الوصيّة بالورع والتقوى وشرح آثارها وبركاتها.

۴. ذكر للقيامة ونار جهنم الأليمة وعجز الإنسان عن تحملها.

نفحات الولايهٔ، ج۷، ص: ۵۸

۵. بيان سبل النجاة من نار جهنم والاستفادة من إمكانات الدنيا فى هذا السبيل وأهمها إغاثة المحرومين والمساكين.

***

نفحات الولايهٔ، ج۷، ص: ۵۹

## القسم الأوّل

### اشارة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، والْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ. خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَاسْتَعْبَدَ الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ، وسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ؛

وهُوالَّذِى أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ، وبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ والْانْسِ رُسُلَهُ، لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا، ولِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَّائِهَا، ولِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا، ولِيُبَصِّرُوهُمْ عُيُوبَهَا، ولِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَر مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِّهَا وأَسْقَامِهَا، وحَلَالِهَا وحَرَامِهَا، ومَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَالْعُصَاةِ مِنْ جَنَّة ونَار، وكَرَامَة وهَوَان. أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحْمَدَ إِلَى خَلْقِهِ، وجَعَلَ لِكُلِّ شَيء قَدْراً، ولِكُلِّ قَدْر أَجَلا، ولِكُلِّ أَجَل كِتَاباً.

## الشرح والتفسير: دور الأنبياء عليهم السلام فى هداية الأمم

جدير ذكره أنّ «ابن أبى الحديد المعتزلى» لما بلغ هذه الخطبة تأثر جدّاً بفصاحتها وبلاغتها. ثم خاض فى مقارنتها مع أحد أبرز وأفضل الخطب التى خطبها الكاتب العربى المعروف (ابن أبى الشحماء العسقلانى) فأشار إلى ضعف تلك الخطبة إزاء خطبة أميرالمؤمنين عليه السلام، واستنتج أنّ مثل هذه العبارات لا تصدر إلّامن على عليه السلام وعرض بالذم لأولئك المتعصبين الذى يحاولون عبثاً نسب خطب نهج البلاغة لغير الإمام عليه السلام ويراهم لا يتبعون إلّاأهواءهم ورغباتهم [۱۱۱].

على كلّ حال استهل الإمام عليه السلام خطبته قائلًا:

«الْحَمْدُ اللّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَة،

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۶۰

والْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَة[۱۱۲]. خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَاسْتَعْبَدَ الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ، وسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ».

لا شك فى أنّ الرؤية والمشاهدة تختص بالأجسام، واللّه أسمى من الجسميّة، والتعب والإرهاق أثر القيام بالأعمال من شؤون الأفراد ذوى القدرة المحدودة، وليس لها من سبيل إلى من كانت جميع صفاته لامتناهيّة فى خلقه لما يشاء، فخلق هذا العالم أهون عليه من رؤيتنا لبعضنا خلال لحظة، كما ليس لمقتدر من قدرة أمام اللّه، فهو القادر على فناء كلّ شىء بعاصفة أو صاعقة أو زلزلة أو سيل جارف.

العبارة:

«وسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ»

إشارة لطيفة إلى هذه الحقيقة أنّ عظمة الإنسان فى جوده وكرمه فكلما كانت كرمه أكبر كان عظمته كذلك، ولكن بما أنّ جميع نعم الأرض والسماء من اللّه الذى بسط مائدته لتشمل الجميع فهو أعظم من كلّ عظيم.

ثم أشار إلى جانب من صفاته سبحانه فى خلق الإنسان والهدف من هذه الخلقة وطُرق الأنبياء عليهم السلام فى التربية والتعليم فقال:

«وهُوالَّذِى أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ، وبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ والْانْسِ رُسُلَهُ».

ثم تطرق إلى الهدف من بعثة الأنبياء ليوجزها فى عدّة أمور فقال:

«لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا، ولِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَّائِهَا، ولِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا، ولِيُبَصِّرُوهُمْ عُيُوبَهَا».

أجل، فزخارف الدنيا ومتاعها غفلة وعيشها نكد ومالها ومقامها ضلالة، ومن هنا كان أحد المبادىء الأساسيّة للأنبياء تحذيراتهم المتكررة للإنسان بغية عدم الغفلة عن الهدف الأساسى للخلقة وعدم الاستغراق فى هذه الدنيا واتخاذها قنطرة إلى الآخرة وعدم الركون إلى الإقامة فيها فهى ليست إلّامنزل يتوقف فيه الإنسان لليلة.

ثم واصل عليه السلام كلامه بالاشارة إلى سائر أهداف الأنبياء فقال:

«ولِيَهْجُمُوا[۱۱۳] عَلَيْهِمْ

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۶۱

بِمُعْتَبَر[۱۱۴] مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِّهَا[۱۱۵] وأَسْقَامِهَا، وحَلَالِهَا وحَرَامِهَا، ومَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُطِيعِينَ

مِنْهُمْ وَالْعُصَاةِ مِنْ جَنَّة ونَار، وكَرَامَة وهَوَان».

إشارة إلى أنّ الأنبياء عليهم السلام وإضافة لما سبق ينشدون ثلاثة أهداف مهمّة أخرى لهداية الناس؛ فذكر فى البداية الدروس والعبر التى تختزنها هذه الحياة العابرة، ومن ذلك أننا نرى بعض الأفراد الأصحاء والأقوياء الذين سرعان ما يهجم عليهم المرض فيسلبهم قدرة الحركة ويسير بهم إلى حافة الموت، وإذا بهم ينهضون فجأة ليستأنفوا نشاطهم من جديد، والآخر بيان الحلال والحرام الذى يشكل جانباً مهماً من دعوة الأنبياء ويمثل الحد الفاصل بين المنطقة الآمنة والمحظورة.

والثالث بيان الثواب والعقاب المادى والمعنوى- المادى مثل الجنّة والنار والمعنوى مثل الاحترام والتحقير- فكلّ هذه الأمور من شأنها أن تكون دافعاً لطاعة اللّه ۱۱۶].

العبارة:

«لِيَهْجُمُوا»

إشارة إلى أنّ أنبياء اللّه يخوضون فى أهداف الدعوة من خلال بياناتهم البلاغية وتعبيراتهم المؤكدة والتى تفعل فعلها فى نفس المخاطب.

ثم عاد الإمام عليه السلام فى ختام هذا القسم إلى حمد اللّه والثناء عليه فقال:

«أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحْمَدَ إِلَى خَلْقِهِ».

وقد اختلف شرّاح نهج البلاغة فى مفهوم هذه العبارة، ولكن بالنظر إلى العبارة

«اسْتَحْمَدَ إِلَى فلان»

التى تعنى أنّه عامله بإحسان ليحمده ۱۱۷] يصبح معنى العبارة

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۶۲

(أحمده على إفاضة النعم) كما طلب من عباده.

وعاد عليه السلام فى الختام إلى ما استهل به الخطبة فتطرق إلى محدودية الحياة الدنيا والحساب الدقيق الذى يسود العالم فقال:

«وجَعَلَ لِكُلِّ شَىء قَدْراً، ولِكُلِّ قَدْر أَجَلا، ولِكُلِّ أَجَل كِتَاباً».

نعم! فكلّ ذرات هذا العالم تسير وفق حساب وكل شيء فى لوح محفوظ، كما أنّ لجميع موجودات هذا العالم نهاية ستبلغها فى وقت معين ينتهى فيه عمرهم وهذه عبرة لجميع الناس ليعلموا من جانب أنّ الدنيا ليست باقية ومن جانب آخر أنّ هنالك حساباً دقيقاً ينتظر جميع الأعمال.

***

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۶۳

## القسم الثانى

### اشارة

منها: فَالْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ، وصَامِتٌ نَاطِقٌ. حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ. أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ، وارْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ. أَتَمَّ نُورَهُ، وأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ، وقَبَضَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وقَدْ فَرَغَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ. فَعَظِّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ دِينِهِ، ولَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوكَرِهَهُ إِلَّا وجَعَلَ لَهُ عَلَماً بَادِياً، وآيَةً مُحْكَمَةً، تَزْجُرُ عَنْهُ، أَوتَدْعُوإِلَيْهِ، فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِىَ وَاحِدٌ،

وسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ. واعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيء سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُم، ولَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيء رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُم. وإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَر بَيِّن، وتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْع قَوْل قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ. قَدْ كَفَاكُمْ مَؤُونَةَ دُنْيَاكُمْ، وحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ، وافْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ.

### الشرح والتفسير: الهدى فى ظلّ القرآن

تحدّث الإمام عليه السلام فى القسم السابق من الخطبة عن المبدأ والمعاد وصفات الجلال والجمال والثواب والعقاب يوم القيامة إلى جانب بعثة الأنبياء والرسل وبيانهم للحلال والحرام.

وتطرق هنا إلى القرآن الكريم لكونه معجزة نبى الإسلام صلى الله عليه و آله وأعظم مشروع عمل يوم القيامة وذكر له عدّة أوصاف تشير جميعاً إلى جامعية القرآن وشموليته فقال:

«فَالْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ، وصَامِتٌ نَاطِقٌ. حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ. أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ،

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۶۴

وارْتَهَنَ عَلَيْهِم أَنْفُسَهُمْ».

فقد ذكر عليه السلام سبع صفات مهمّة للقرآن كافية شافية لبيان أهميّة القرآن ومنزلته الرفيعة، العبارة

«آمِرٌ زَاجِرٌ، وصَامِتٌ نَاطِقٌ»

فى الواقع كلّ منهما صفتان للقرآن وقد حذفت واو العطف بينهما، أى للقرآن أوامر ونواهٍ سكت فى بعض الأمور التى تقتضى المصلحة فيها السكوت وانطلق بيانه فى الأمور التى يتوجب على الجميع الإلمام بها أو أنّ القرآن ساكت فى الظاهر ذلك أنّه ليس أكثر من حروف وكلمات، إلّا أنّ حقيقة الأمر أنّه تحدّث بمئة لسان وإماط اللثام عن الحقائق، العبارة

«أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ»

إشارة إلى العهد الذى أخذه اللَّه وأنبياؤه من المؤمنين حين الإيمان بالتوحيد والنبوّة، لأنّ من يبدى إيمانه بهذين المبدأين فمعنى ذلك تسليمه لأوامر اللَّه وأوامر رسوله صلى الله عليه و آله، أو أنّ اللَّه بافاضته للعقل من جانب وفطرة التوحيد من جانب آخر أخذ هذا العهد من جميع الناس من خلال التكوين ليسلموا لأمره ويعملوا بكتابه.

العبارة:

«وارْتَهَنَ عَلَيْهِم أَنْفُسَهُمْ»

إشارة إلى الحقيقة التى صرّح بها القرآن الكريم «كُلُّ نَفْس بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ»[۱۱۸] فكما لا تطلق العين المرهونة دون تسديد الديون فإنّ الإنسان لا يبلغ حريته الحقيقية ما لم يمارس وظائفه الدينيّة.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه ليكشف عن عمق أهميّة كتاب اللَّه بذكره لصفتين أخريين فقال:

«أَتَمَّ نُورَهُ، وأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ».

والمراد من النور هنا الفيض الإلهى الذى يشمل العباد عن طريق القرآن، والعبارة

«أَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ»

إشارة إلى الآية: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ»[۱۱۹] التى كمل بموجبها الدين بنزول القرآن ومشروع الولايه.

وتطرق الإمام عليه السلام إلى شمولية أحكام الإسلام والقرآن فقال:

«وقَبَضَ نَبِيَّهُ صَلَّى

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۶۵

اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وقَدْ فَرَغَ إِلَى الْخَلقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ».

ثم استنتج من ذلك

«فَعَظِّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ».

إشارة إلى عدم ارتجال الصفات للّهوعدم الابتداع فى العبادة والدعاء وتنزيه اللّه سبحانه وتعالى عن كلّ شىء بل لابدّ من اتباع هديه وإرشاده الذى ورد فى القرآن فى كل هذه الأمور (يمكن أن تكون هذه العبارة إشارة إلى توقيفيّة صفات اللّه والتعبديّة فى الطاعة).

ثم خاض عليه السلام فى بيان علّة هذا الموضوع فقال:

«فَإنَّهُ لَمْ يُخفِ عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ دِينِهِ، ولَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوكَرِهَهُ إِلَّا وجَعَلَ لَهُ عَلَماً بَادِياً[۱۲۰]، وآيَةً مُحْكَمَةً، تَزْجُرُ عَنْهُ، أَوتَدْعُوإلَيْهِ».

بعبارة أخرى أنّ اللّه سبحانه وتعالى أتمّ الحجّة فى جميع أوامره ونواهيه وجهد رسول اللّه فى ابلاغ الرسالة؛ فأوضح المعالم من الدين وبين الأصول والفروع، وعليه فلم يدع من مجال للبدع فى الدين.

ثم قال عليه السلام:

«فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ، وسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ».

وعليه فقد سلب هذه الذريعة فى أنّ أحكام عصر النّبى صلى الله عليه و آله إنّما تختص بعهده وعلينا الاجتهاد على ضوء تغير الزمان وتبدل الوسط، والواقع أنّ هذه العبارة إشارة إلى الحديث النبوى الشريف:

«حَلالُ مُحَمَّد حَلالٌ أبَداً إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ وحَرامُهُ حَرامٌ أبَداً إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ»[۱۲۱].

وقال فى تأكيده على وحدة الرسالة بشأن جميع الناس بما فيهم الماضون والحاضرون والقادمون:

«واعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيء سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، ولَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيء رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. وإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَر بَيِّن، وتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْل قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ».

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۶۶

وتشير كلّ هذه العبارات إلى وحدة تعاليم الأنبياء وسفراء اللّه وطُرق السعادة والتكامل التى ابلغت من جانب اللّه بواسطة أنبيائه، رغم رقى التكامل البشرى بفعل تقادم الزمان وهذا فى الواقع أحد فروع التوحيد، وهو ما أكّده القرآن الكريم.

«آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَانُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَد مِّنْ رُسُلِهِ»[۱۲۲].

واختتم الإمام عليه السلام كلامه هنا بالإشارة لبعض الأمور المهمّة فقال:

«قَدْ كَفَاكُمْ مَؤُونَةَ دُنْيَاكُمْ، وحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ، وافْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ».

إشارة من جانب إلى أنّه شملكم بأنواع النعم: «وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمواتِ ومَا فِى الأَرْضِ»[۱۲۳]

و

«هُوالَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً»[۱۲۴] ومن جانب آخر أمركم بالشكر الذى يوجب زيادة النعمة واستمرار العناية الإلهيّة، ومن جانب آخر دعاكم لذكره والذى يعود على قلوبكم بالطمأنينة والنجاة من مخالب الشيطان: «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ»[۱۲۵] «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُّبْصِرُونَ»[۱۲۶].

وما يلاحظ من أنّ الإمام عليه السلام اكد على ذكر اللسان من بين جميع الأعمال الواجبة والمستحبة كونه مدعاة ليقظة القلب وهذه اليقظة هى المصدر الرئيسى للحركة نحوالخير والسعادة، أضف إلى ذلك فإنّ اللسان إن لم يلهج بالذكر سينطلق لخدمة الشيطان وأننا لنعلم أنّ العديد من الكبائر إنّما تصدرمن اللسان، جدير بالذكر أنّ التوجه إلى النعم وشكر المنعم على فضله ونعمه هو المحور الأصلى لمعرفة اللّه كما ورد فى علم العقائد.

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۶۷

## تأمّلان

### ۱. وحدة حکم اللّه فی الأولین والآخرین

إنّ وحدة الأحکام الشرعیّة وسریانها علی الأولین والآخرین بما فیها الأقوام والأمم کافّة لمن الأمور المهمّة التی أکّد علیها الإمام علیه السلام فی هذا الجانب من الخطبة، وتوضیح ذلک أنّ تاریخ البشریّة فی الماضی والحاضر شهد أنواع التمییز بین الأقوام والشعوب فی وضع القوانین والتشریعات، فکانت هنالک الأحکام المختلفة التی تتأثر عادة بلون البشرة والأخری بالمنزلة الاجتماعیّة وکان دم ذوی البشرة البیضاء أثمن من نظیره لدی العبید فکانت هنالک الامتیازات الخاصّة لدی طبقة الأشراف فی سن القوانین.

فانبثق الإسلام لیلغی تلک الامتیازات کافّة إثر تبنیه لرسالة المساواة وعدم التمایز الطبقی وتکافو جمیع الأفراد مهما اختلفت ألوانهم وأعراقهم فی الحقوق والواجبات وجاء فی الخبر أنّ النبی الأکرم صلی الله علیه و آله بینما کان فی منی أیّام الحج راکباً دابته إذ التفت إلی الناس فقال:

«یا أَیُّها النّاسُ ألا إِنَّ رَبَّکُمْ واحِدٌ وإِنَّ أَباکُمْ واحِدٌ ألا لا فَضْلَ لِعَرَبِیٍّ عَلی عَجَمی، ولا لِعَجَمِی عَلی عَرَبی، ولا لِاسْوَدَ عَلی أَحْمَرَ[۱۲۷]، ولا

لِاحْمَرَ عَلی اسْوَدَ إِلّا بِالتَّقْوی. أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قالُوا نَعَم! قالَ لِیَبْلُغِ الشّاهِدُ الْغائِبَ»[۱۲۸].

ولم یقتصر النّبی صلی الله علیه و آله علی هذا الکلام فی ذلک التجمع العظیم بمنی، بل أشار إلیه فی موارد کثیرة بصفته أحد المبادئ الإسلامیّة المسلمة، ففی الخبر أنّ سلمان الفارسی دخل مجلس النبی صلی الله علیه و آله فأکرمه النّبی لفضله وسنه وأجلسه فی صدر المجلس فلما رآه عمر أنکر ذلک وقال:

«مَنْ هذَا الْعَجَمِیُّ الْمُتَصَدِّرُ فیما بَیْنَ الْعَرَبِ»

فصعد النبی الأکرم صلی الله علیه و آله المنبر (الأمر الذی کان یقوم به لبیان حکم عام وأساسی) فخطب الناس وقال:

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۶۸

«انَّ النّاسَ مِنْ آدمَ إِلی یَوْمِنا هذا مِثْلُ أَسْنانِ الْمُشْطِ؛ لا فَضْلَ لِلْعَرَبِیِّ عَلَی الْأَعْجَمِیِّ ولا لِلْاحْمَرِ عَلَی الْأَسْوَدِ إِلّا بِالتَّقْوی، سَلْمانُ بَحْرٌ لا یُنْزَفُ وکَنْزٌ لا یَنْفَد، سَلْمانُ مِنّا أَهْلَ الْبَیْتِ»[۱۲۹].

یشیر هذا الحدیث صراحة إلی عدم مساواة الناس الذین یعیشون فی عصر معین إزاء القوانین الشرعیّة فحسب، بل شمولیته لجمیع الأفراد الذین سکنوا الأرض طیلة تاریخ البشریّة فی ظلّ نفس الظروف ویبدو لهذا المبدأ والحکم الإسلامی جدواه الفعلیه آنذاک حین کانت الامتیازات القبلیة بین العرب والامتیازات العرقیّة والتمایز الطبقی هو الحاکم فی العالم انذاک.

وکلام أمیرالمؤمنین علیه السلام فی هذه الخطبة إنّما هو تأکید لهذا الموضوع حین قال إنّ اللّه لن یرضی عنکم بشیء سخطه علی من کان قبلکم ولن یسخط علیکم بشیء رضیه ممن کان من قبلکم وما زال هذا القانون هو الحاکم، کما یبدو لهذا الکلام الذی یمثل امتداداً لکلمات النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله قیمته القصوی علی أساس إعادة تلک الامتیازات الجاهلیة بما فیها امتیاز العرب علی العجم إبان خلافة عمر کما تفید تواریخ الفریقین.

ونختتم الحدیث هنا بعبارة من خطبته صلی الله علیه و آله فی حجة الوداع حین بین للجمیع أسس وقوانین الشریعة الإسلامیّة للجمیع:

«أَیُّهَا النّاسُ إِنّ رَبَّکُمْ واحِدٌ وإِنَّ أباکُمْ واحِدٌ کُلُّکُمْ لِآدَمَ وآدَمُ مِنْ تُراب،

إِنَّ أَکْرَمَکُمْ عِنْدَاللّهِ أَتْقاکُمْ»

ولَيْسَ لِعَربيٍّ عَلى عَجَمِيٍّ فَضْل إِلَّا بِالتَّقوى؛ ألا هَلْ بَلّغْتُ؟ قالُوا: نَعَمْ. قالَ: فَلْيَبْلُغِ الشّاهِدُ الْغائِبَ»[۱۳۰].

## ۲. القرآن ناطق أم صامت؟

صدرّ الإمام عليه السلام كلامه فى هذه الخطبة بأنّ القرآن صامت وناطق، بينما وصفه فى

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۶۹

الخطبة ۱۲۵ فى قصة التحكيم قائلًا:

«هذَا الْقُرْآنُ إِنَّما هُوخَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّفَتَيْنِ لا يَنْطِقُ بِلِسان ولابُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمان. وإِنّما يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ»

كما ورد شبيه ذلك فى الخطبة ۱۵۸.

فهل هنالك من تناقض بين هذه التعابير؟ الجواب هو أنّ المراد من ناطقية القرآن أنّه بين أحكام اللّه فيه بلسان عربى مبين، فكلّ من كان لديه استعداد دعاه لنفسه وهداه للخير والسعادة وعليه فهو ناطق بالنسبة لدعاة الحقّ؛ أمّا بالنسبة إلى أولئك الأفراد المتعصبين والذين انبروا للنزاع فهم لا يسمعون رسالة القرآن وإن سمعوها تظاهروا بعدم السماع، ولا مناص لهؤلاء الأفراد من قاضٍ وحكم عادل يبلغهم رسالة القرآن ويتم عليهم الحجّة، على سبيل المثال للقرآن رسالة واضحة فى قصة صفين حيث يقول: «فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتّى تَفِىءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ»[۱۳۱]. فمن الواضح للجميع أنّ علياً عليه السلام وإضافة إلى نصبه لخلافة النبى صلى الله عليه و آله من جانب اللّه تعالى إنّما بويع من قبل قاطبة المؤمنين وأغلبية المهاجرين والأنصار، ولم يكن معاوية وجيشه سوى حفنة من الطغاة الجفاة الذين أرادوا فرض أنفسهم على الأمة، ولكن حيث انبروا لمواجهة حكم اللّه لزم أن يكون هناك حكم يأخذ بأيديهم إلى الحقّ رغم أنّ مسألة التحكيم وللأسف لم تسر بالاتجاه الصحيح ولم تتوصل إلى النتيجة المتوخاة.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۷۱

## القسم الثالث

### اشارة

وأَوْصِاكُمْ بِالتَّقْوَى، وجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ، وحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ. فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ، ونَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ، وتَقَلُّبُكُمْ فِى قَبْضَتِهِ. إِنْ أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ، وإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ؛ قَدْ وَكَّلَ بِذلِكَ حَفَظَةً كِراماً، لَايُسْقِطُونَ حَقّاً، وَلَا يُثْبِتُونَ بَاطِلًا. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ (مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً) مِنَ الْفِتَنِ، ونُوراً مِنَ الظُّلَمِ، ويُخَلِّدْهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، ويُنْزِلْهُ مَنْزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ، فِى دَارِ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ؛ ظِلُّهَا عَرْشُهُ، ونُورُهَا بَهْجَتُهُ، وزُوَّارُهَا مَلَائِكَتُهُ، ورُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ؛ فَبَادِرُوا الْمَعَادَ، وسَابِقُوا الآجَالَ، فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الأَمَلُ، ويَرْهَقَهُمُ الأَجَلُ، ويُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ. فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِى مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وأَنْتُمْ بَنُوسَبِيل، عَلَى سَفَر مِنْ دَار لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالْارْتِحَالِ، وأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ.

### الشرح والتفسير: منزلة التقوى

أكّد الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة على الدعوة إلى التقوى إلى جانب ذكره لسبب ذلك مع الإشارة إلى آثار التقوى، كما قدم شرحاً عميقاً لتقلب الدنيا ورحلة الآخرة وما يلزمها من زاد ومتاع يكمن فى الورع والتقوى.

فقال بادئ الأمر:

«وأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى، وجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ، وحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ».

وتشير هذه العبارة إلى أنّ التقوى أفضل شىء سأله اللّه عباده وأعظم فخر يتقلّده

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۷۲

الجميع والذى ينسجم مع الآيات القرآنيّة القائلة: «انَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ»[۱۳۲]، «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوَى»[۱۳۳]، «تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيّاً»[۱۳۴] وجعل للتقوى قيمتها العميقة.

والحقيقة هى أنّ التقوى شعور باطنى بالمسؤوليّة فهى وليدة الإيمان القوى من جانب وأساس الطاعة واجتناب المعصية من جانب آخر، والتعبير بالحاجة بشأن اللّه تعالى لا يعنى أنّ اللّه محتاج إلى العباد فالحاجة لغوياً لا تقتصر على الفقر، بل ترد أحياناً بمعنى الطلب والسؤال.

ثم خاض الإمام عليه السلام فى الإشارة إلى الداعى لرعاية تقوى اللّه فقال:

«فَاتَّقُوا اللّهَ الَّذِى أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ، ونَوَاصِيكُمْ ۱۳۵] بِيَدِهِ، وتَقَلُّبُكُمْ ۱۳۶] فِى قَبْضَتِهِ».

نعم فالعالم حاضر عند اللّه وزمام الجميع بيده سبحانه، ورغم أنّ العباد أحرار فى ما يمارسون من أعمال، إلّاأنّ هذه الحرية لا تعنى سلب الذات القدسيّة قدرتها.

ثم قال عليه السلام لمزيد من التأكيد:

«انْ أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ، وإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ؛ قَدْ وَكَّلَ بِذلِكَ حَفَظَةً كِراماً، لَايُسْقِطُونَ حَقّاً، وَلَا يُثْبِتُونَ بَاطِلًا».

وجاء فى القرآن أيضاً: «وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَواجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ»[۱۳۷].

وكذلك: «وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ* كِراماً كَاتِبِينَ* يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ»[۱۳۸].

فمن البديهى أنّ كتابة الأعمال من قبل الملائكة الحفظة إنّما هو للتأكيد، وإلّا فقد اتضح من العبارات السابقة أنّ السر والعلانيّة سواء عند اللّه وعلمه محيط بكلّ ما فى السماوات والأرض، استناداً للعبارة

«قَدْ وَكَّلَ بِذلِكَ»

وحصر هذه الكتابة بأعمال

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۷۳

معينة

«وإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ»

فالذى يستفاد أنّ الملائكة ليست مأمورة بكتابة كلّ الأعمال الخفية وأنّ اللّه الستار للعيوب قد أخرج جانباً من هذه الأعمال عن دائرة علمهم واختص بها نفسه وهذا يشير إلى منتهى لطفه.

جاء فى دعاء كميل:

«وَكُلَّ سَيِّئَةٍ أَمَرْتَ بِاثْباتِهَا الْكِرامَ الْكاتِبِينَ الَّذينَ وَكَّلْتَهُمْ بِحِفْظِ ما يَكُونُ مِنّى وَجَعَلْتَهُمْ شُهُوداً عَلَىَّ مَعَ جَوارِحى وَكُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَىَّ مِنْ وَرائِهِمْ وَالشّاهِدَ لِما خَفِىَ عَنْهُمْ وَبِرَحْمَتِكَ اخْفَيْتَهُ وَبِفَضْلِكَ سَتَرْتَهُ».

ثم خاض الإمام عليه السلام فى بيان آثار وبركات التقوى فذكر بعبارة قصيرة عميقة المعنى أربع نتائج تفرزها التقوى. فقال فى الأُولى والثانية:

«واعْلَمُوا أَنَّهُ

«مَنْ يَتَّقِ اللّهُ يَجْعَلْ لَّهُ مَخْرَجاً»

مِنَ الْفِتَنِ، ونُوراً مِنَ الظُّلَمِ».

فالشق الأوّل من الكلام اقتباس من الآية الشريفة: «وَمَنْ يَتَّقِ اللّهُ يَجْعَلْ لَّهُ مَخْرَجاً»[۱۳۹].

روی أبوذر الغفّاری عن النّبی صلی الله علیه و آله أنّه قال:

«إنّی لَاعْلَمُ آیةً لَوأخَذَ بِها النّاسُ لَکَفَفَتْهُمْ:

«ومَنْ یَتَّقِ اللَّهَ یَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً»

فَما زالَ یَقُولُها ویُعیدُها»[۱۴۰].

والشق الثانی من سائر الآیات مثل: «یَا أَیُّهَا الَّذِینَ امَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ یَجْعَلْ لَّکُمْ فُرْقَاناً»[۱۴۱] (ورؤیة خاصة تتعرفون من خلالها علی الحقّ والباطل).

وقال فی الثمرة الثالثة والرابعة للتقوی:

«ویُخَلِّدْهُ فِیمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، ویُنْزِلْهُ مَنْزِلَ الْکَرَامَةِ عِنْدَهُ، فِی دَارِ اصْطَنَعَهَا[۱۴۲] لِنَفْسِهِ».

فنتیجة التقوی فی هذه العبارة الخروج من الفتنة وزوال الظلمات من حیاة المتّقین فی هذا العالم والخلود فی النعم المادیّة والمعنویّة فی العالم الآخر، فالواقع أنّ اللَّه سبحانه وتعالی جمع للمتّقین النعم المادیّة والمعنویّة لهذا العالم والعالم الآخر

نفحات الولایه، ج۷، ص: ۷۴

والعبارات تشیر کلّ منها إلی إحدی هذه النعم.

وتشیر العبارة

«اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ»

أنّ اللَّه خلق منازل الآخرة الخاصّة لخواصه أو أنّها من قبیل بعض العبارات مثل «بیت اللَّه» و «شهراللَّه» التی تشیر إلی عظمة تلک الدار وأهمیّتها.

ثم خاض الإمام علیه السلام فی شرح صفات ذلک المنزل الخاص فقال:

«ظِلُّهَا عَرْشُهُ، ونُورُهَا بَهْجَتُهُ، وزُوَّارُهَا مَلَائِکَتُهُ، ورُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ».

یا له من منزل رفیع ذلک الذی یفوق السماء والأرض وفی ظلّ عرش اللَّه، أضاءته أشعة نور اللَّه وتقاطرت فیه ملائکته علی زیارة ذلک الإنسان وجالس فیها رسل‌اللَّه وأنبیاءه، وهی الصفات التی تسحر الإنسان عند سماعها، فما ظنک برؤیتها؟

قال تعالی فی القرآن الکریم: «وَمَنْ یُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِکَ مَعَ الَّذِینَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَیْهِم مِّنَ النَّبِیِّینَ وَالصِّدِّیقِینَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِینَ وَحَسُنَ أُوْلئِکَ رَفِیقاً»[۱۴۳].

وخلص الإمام علیه السلام فی مواصلة کلامه بالدعوة إلی التقوی وبیانه لبرکاتها بالقول:

«فَبَادِرُوا الْمَعَادَ، وسَابِقُوا الآجَالَ».

کما قال القرآن: «سَابِقُوا إِلی مَغْفِرَة مِّنْ رَّبِّکُم وَجَنَّة عَرْضُهَا کَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»[۱۴۴].

وقال فی موضع آخر: «وَالْمَلَائِکَةُ یَدْخُلُونَ عَلَیْهِمِ مِّنْ کُلِّ بَاب* سَلَامٌ عَلَیْکُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَی الدَّارِ»[۱۴۵].

ثم خاض علیه السلام فی بیان العلّة فقال:

«فَإِنَّ النَّاسَ یُوشِکُ أنْ یَنْقَطِعَ بِهِمُ الأَمَلُ، ویَرْهَقَهُمُ ۱۴۶] الأَجَلُ، ویُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ. فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِی مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَیْهِ الرَّجْعَةَ

نفحات الولایه، ج۷، ص: ۷۵

مَنْ کَانَ قَبْلَکُمْ».

والکلام إشارة لما ورد فی القرآن: «حَتَّی إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّی أَعْمَلُ صَالِحاً فِیمَا تَرَکْتُ کَلّا إِنَّهَا کَلِمَةٌ هُوقَائِلُهَا»[۱۴۷].

ومراد الإمام علیه السلام بادروا الیوم إلی العمل الصالح والتوبة من الذنب قبل أن تعیشوا مثل هذا المصیر وتطلبوا ما لا یلّبی لکم.

وحث إثر ذلك على التأهب لسفر الآخرة والاستعداد والتزود لذلك السفر الطويل والمليئ بالمخاطر فقال:

«وأَنْتُمْ بَنُو سَبِيل، عَلَى سَفَر مِنْ دَار لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ».

واختتمها بالعبارة:

«وقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالْارْتِحَالِ، وأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ».

وعادة ما يلاحظ مثل هذا التشبيه الرائع للدار الآخرة والدنيا وسكنة هذا العالم فى بعض الآيات القرآنيّة والعديد من الروايات الإسلاميّة التى شبهت الإنسان بالمسافر الذى ينطلق نحو الهدف المطلوب وعليه أن يطرق بعض الأيّام أثناء الطريق فيتوقف فى بعض الأماكن فيهيء الزاد والمتاع وينطلق من هناك وليس المراد من الزاد والمتاع سوى التقوى كما ليس المراد من المركب سوى الإيمان، فأولئك الذين يقصرون فى الإعداد إنّما يتخلّفون فى الطريق ويهلكون ولا يبلغون المقصد قط فقافلة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام مازالت تنادى بالرحيل والتزود لذلك السفر الطويل، وإن غط البعض فى نوم عميق وفقد الآذان الصاغية فصم عن سماع ذلك النداء.

قال تعالى فى محكم كتابه:

«وَإِنَّ الْاخِرَةَ هِىَ دَارُ الْقَرَارِ»[۱۴۸]

. وقال: «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى»[۱۴۹].

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۷۷

## القسم الرابع

### اشارة

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ، فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ، فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِى مَصَائِبِ الدُّنْيَا.

أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ، وَالْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ، والرَّمْضَاءِ تُحْرِقُهُ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَار، ضَجِيعَ حَجَر، وقَرِينَ شَيْطَان! أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِغَضَبِهِ، وإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ!

### الشرح والتفسير: العذاب الشديد يوم القيامة

إثر تأكيدات الإمام عليه السلام على الورع والتقوى فى القسم السابق من الخطبة أشار هنا بعبارات رائعة إلى شدة العذاب يوم القيامة فقال:

«وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ، فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ».

ثم جسد بمقارنة بسيطة وواضحة شدّة إحراق نار جهنم فقال:

«فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِى مَصَائِبِ الدُّنْيا، أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ[۱۵۰] تُصِيبُهُ، وَالْعَثْرَة تُدْمِيه ۱۵۱]، والرَّمْضَاءِ[۱۵۲] تُحْرِقُهُ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ ۱۵۳] مِنْ نَار، ضَجِيعَ حَجَر،

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۷۸

وقَرِينَ شَيْطان!».

وقال فى مواصلته لهذا الكلام:

«أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً إِذا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ ۱۵۴]

بَعْضُهَا بَعْضاً لِغَضَبِهِ، وإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ ۱۵۵] بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ!».

وللمرحوم «مغنية» حين بلغ هـذا القسم من الخطبـة كلام رائع حيث يقول: «إنّ جميع خطب نهج البلاغة تبحث أصـلين أو ثلاثة أصول مع بعضـها، فمن جانب الثناء على صـفات اللّه الجماليّة والجلاليّة وأسـمائه الحسنى ومن جانب آخر مدح النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله وما أتى به من هـدى للناس وأخيراً الكلام عن خـداع الـدنيا وسـكرات الموت ووحشة القبر وأليم العذاب فى القيامة، والعجيب أنّ هـذه الخطب لا تتضـمن التكرار رغم تكرر هـذه المواضـيع، حيث يوردها بأسـلوب بديع وشـكل جديد، الأمر الذى أذهل شـرّاح نهج البلاغة»[۱۵۶].

على كـلّ حـال فإنّ الإمام عليه السـلام شـرح فى هـذا الكلام عجز الإنسان وانزعاجه الشديـد من مصائب الـدنيا الهينـة وقارنها مع أليم العذاب وشدّة المصاب فى الآخرة ليحذر الجميع من ذلك.

وقد ورد شبيه ذلك فى دعاء كميل حيث يقول:

«يـا رَبِّ وَانْتَ تَعْلَمُ ضَـعْفى عَنْ قَليـل مِنْ بَلاءِ الـدُّنْيا وَعُقُوباتِها وَما يَجْرى فيها مِنَ الْمَكارِهِ عَلى اهْلِها عَلى انَّ ذلِكَ بَلاءٌ وَمَكْرُوهٌ قَليلٌ مَكْثُهُ يَسيرٌ بَقآؤُهُ قَصيرٌ مُـدَّتُهُ فَكَيْفَ احْتِمالى لِبَلاءِ الْاخِرَةِ وَجَليلِ وُقُوعِ الْمَكارِهِ فيها وَهُوبَلاءٌ تَطُولُ مُدَّتُهُ وَيَدُومُ مَقامُهُ وَلا يُخَفَّفُ عَنْ اهْلِهِ».

والـذى يسـتفاد ضـمنياً من العبـارات المـذكورة أنّ نـار جهنم مخلوق فطن، يشـعر بـالرعب من غضب مالـك خازن النار فيتأرجـح هنا وهناك، كما يفهم من تلك

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۷۹

التعبيرات أنّ لعذاب جهنم بعد جسمى هو حرقة النار وآخر معنوى يتمثل فى مجاورة الشيطان.

***

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۸۱

## القسم الخامس

### اشارة

أَيُّهَا الْيَفَنُ الْكَبِيرُ، الَّذِى قَـدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا الْتَحَمَتْ أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الأَعْنَاقِ، ونَشِـبَتِ الْجَوَامِعُ حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ. فَـاللَّهَ اللَّهَ مَعْشَـرَ الْعِبَـادِ! وأَنْتُم سَـالِمُونَ فِى الصِّحَّةِ قَبْـلَ السُّقْمِ، وفِى الْفُسْـحَةِ قَبْـلَ الضِّيقِ. فَاسْـعَوْا فِى فَكَـاكِ رِقَـابِكُمْ مِنْ قَبْـلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا. أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ، وأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ، واسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ، وأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ، وخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَبْخَلُوا بِهَـا عَنْهَـا، فَقَـدْ قَـالَ اللَّهُ سُـبْحَانَهُ: «إِنْ تَنْصُـرُوا اللَّهَ يَنْصُـرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْـدَامَكُمْ» وقَالَ تَعَالَى: «مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَـناً فَيُضَـاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ». فَلَمْ يَسْتَنْصِـرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ، ولَمْ يَسْتَقْرِضْـكُمْ مِنْ قُـلٍّ؛ اسْتَنْصَـرَكُمْ «ولَهُ جُنُودُ السَّمَـاوَاتِ والأَرْضِ وهُوالْعَزِيزُ الْحَكِيمُ». واسْتَقْرَضَكُمْ «ولَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وهُوالْغَنِىُّ الْحَمِيدُ». وإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ «لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُم أَحْسَنُ عَمَلاً».

### الشرح والتفسير: الامتحان الإلهى

تغيرت نبرة الإمام عليه السـلام فى هـذا الجانب من الخطبـة ليخاطب الكهول ويسـتعرض لهم جانباً من أشد عذاب وأهوال يوم القيامة، ثم يـدعو عباد اللّه كافّة اغتنام الفرصة بغية الخلاص من عذاب اللّه ونقمته ليقدم تعاليم دقيقة بهذا الشأن يتمثل أحدها فى الانفاق فقال عليه السلام:

«أَيُّهَا الْيَفَنُ ۱۵۷] الْكَبِيرُ، الَّذِى قَدْ

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۸۲

لَهَزَهُ ۱۵۸] الْقَتِيرُ[۱۵۹]، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا الْتَحَمَتْ ۱۶۰] أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الأَعْنَاقِ، ونَشِبَتِ ۱۶۱]

الْجَوَامِعُ ۱۶۲] حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ[۱۶۳]».

السؤال الذى يطرح نفسه هنا: لماذا خاطب الإمام عليه السلام الشيخ المسن؟ لعل ذلك يعود إلى أنّ شمس عمره توشك على المغيب- وإن كان الموت يأتى كلّ أحد بغتة- وعليه أن يركز فى الانتباه لنفسه، أو لأنّ للكهول تأثيراً على أُسرهم وأبنائهم وباستطاعتهم نصحهم ووعظهم.

العبارة:

«قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ»

استناداً إلى أنّ

«لهز»

يعنى فى الأصل نفوذ الشيء واتساعه فى شيء آخر و

«قتير»

من مادة قتر بمعنى التضييق والتصعب فالعبارة تفيد أنّ الشيخوخة قد نفذت فى كلّ كيانهم فقد ضعفت العظام وبهت الدماغ والأعصاب وعجزت أعضاء البدن كافّة.

وقد أشار الإمام عليه السلام إلى نوعين من العذاب الأليم الذى يحيق بأهل جهنم، أحدهما أطواق النار التى تطوق أعناق المجرمين وتتغلغل فى لحومهم حتى تبلغ عظامهم والآخر غل الجامعة التى تربط أيديهم إلى أعناقهم بحيث تجرح سواعد أيديهم، طبعاً هذا العذاب وإن كان شديد الألم إلّاأنّه يعتبر رحمة بفعل دوره فى حجزهم عن الذنب والمعصية.

ثم واصل كلامه عليه السلام موجهاً الخطاب لجميع العباد فقال:

«فَاللَّهَ اللَّهَ مَعْشَرَ الْعِبَادِ!

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۸۳

وأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِى الصِّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ، وفِى الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ. فَاسْعَوْا فِى فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا[۱۶۴]».

فقد أشار الإمام عليه السلام هنا إلى نعمتين كبيرتين؛ إحداهما السلامة والعافية والأخرى إعداد الإمكانات التى تمكن الإنسان من الإقدام على أى عمل. نعم فهو يحذر الجميع من استغلال هذه الفرص والخلاص من تبعات المسؤوليّة.

وتشير العبارة

«فَاسْعَوْا فِى فَكَاكِ رِقَابِكُمْ»

إلى سلسلة من التكاليف التى لا مناص للإنسان من القيام بها، فقد كان السائد لدى الأقوام السابقة أنّ الدائن يستعبد المدين مالم يتمكن من أداء دينه، ولا يعتق مالم يسدد ذلك الدين، فالعبارة المذكورة يمكن أن تكون كناية عن هذا المطلب.

والعبارة:

«مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا»

إشارة إلى أنّ الشخص المدين إن تخلف عن أداء الدين خرج عن ملكيته ما كان مرتهناً لدى المدين (طبعاً بمقدار الطلب) فقد أشار الإمام عليه السلام إلى ضرورة أداء الديون الإلهيّة والمراد بها الواجبات بغية تحرير رهائنهم لديه والمراد به أنفسهم.

ثم واصل الإمام عليه السلام بالخوض فى تفاسير العبارات التى ذكرها سابقاً بصورة كلية فركز على خمسة مواضيع وقال:

«أَسْهِرُوا[۱۶۵] عُيُونَكَمْ، وأضْمِرُوا[۱۶۶] بُطُونَكَمْ،
واسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ، وأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ، وخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا».

والمراد من

«أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ»

أسهروا عيونكم المناجاة فى الليل سيما صلاة التهجد.

«وأَضْمِرُوا بُطُونَكُم»

إشارة إلى الصيام،

«واسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ»

إشارة إلى قيام الليل أو السعى فى قضاء حوائج الناس واغاثة الملهوفين،

«وأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ»

إشارة إلى الخمس والزكاة الواجبة والصدقات المستحبة

«وخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ»

إشارة إلى العبادة وتهذيب النفس والجهاد فى سبيل اللَّه.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۸۴

ثم استدل الإمام عليه السلام على كلامه بالاستشهاد بآيتين من القرآن فقال:

«فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ:

«إِنْ تَنصُرُوا اللَّهُ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ»[۱۶۷]».

وقَالَ تَعَالَى: «مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ»[۱۶۸].

وقال عليه السلام فى شرحه لهذه الآيات:

«فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ، ولَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ؛ اسْتَنْصَرَكُمْ

«ولَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ وهُوالْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»

وَاسْتَقْرَضَكُمْ

«ولَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وهُو الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ»

وإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ

«لِيَبْلُوَكُم أَيُّكُم أَحْسَنُ عَمَلاً»».

إشارة إلى أنّ اللَّه اعتمد غاية اللطف فى الكلام ليتعظ من كان له أدنى استعداد لطاعته بتلك التعبيرات المفعمة باللطف والمحبّة فيحث الخطى على التسليم للَّه.

والحقيقة أنّ كلام الإمام عليه السلام جواب لسؤال هو هل يمكن للَّه‌تعالى الذى له جند السماوات والأرض أن يستعين بعبده الضعيف العاجز الذى لا- يملك لنفسه سوى ما أفاض اللَّه عليه؟ أم يستقرض عبده الضعيف الذى يرتع فى نعمه وهو الذى بيده خزائن السماوات والأرض؟ فلو أراد اللَّه اعانة ضعيف لما لا يعينه، ولو أراد اثراء فقير لما لا يقوم هو بهذا العمل؟ أشار الإمام عليه السلام إلى أنّ الهدف من كلّ هذه الأمور هو الامتحان والاختبار.

جدير بالذكر أنّ جميع ما ذكر اقتباس من القرآن الكريم، إذ قال تعالى فى موضع «وَلو يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلكِنْ لِّيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْض»[۱۶۹].

وفى موضع آخر: «الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُم أَيُّكَمْ أَحْسَنُ عَمَلًا»[۱۷۰] وآيات أخرى.

نفحات الولايهٔ، ج۷، ص: ۸۵

## القسم السادس

### اشارهٔ

فَبَادِرُوا بَأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللَّهِ فِى دَارِهِ. رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ، وأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتَهُ، وأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَداً، وصَانَ أَجْسَادَهُمْ أنْ تَلْقَى لُغُوباً ونَصَباً: (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيمِ). أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِى وأَنْفُسِكُمْ، وهُوحَسْبُنَا ونِعْمَ الْوَكِيلُ!

### الشرح والتفسير: الانتقال إلى جيران اللَّه

خلص الإمام عليه السلام فى ختام الخطبهٔ إلى نتيجهٔ واضحهٔ وهى أنّ كان الأمر كذلك

«فَبَادِرُوا بَأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللَّهِ فِى دَارِهِ».

ثم خاض عليه السلام فى خصائص هؤلاء الجيران فقال:

«رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ، وأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتَهُ، وأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ [۱۷۱] نَارٍ أَبَداً، وصَانَ [۱۷۲] أَجْسَادَهُمْ أنْ تَلْقَى لُغُوباً[۱۷۳] ونَصَباً[۱۷۴]:

«ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيمِ»[۱۷۵]».

فقد بيّن الإمام عليه السلام بهذه العبارات الرائعهٔ أربع خصائص لجيران اللّه اثنان منها لهما

نفحات الولايهٔ، ج۷، ص: ۸۶

بعد معنوى والاثنان الآخران لهما بعد مادى؛ فمرافقهٔ الأنبياء وزيارهٔ الملائكهٔ كرامتان معنويتان وكرامتان روحيتان لا مثيل لهما كما أنّ عدم سماع أدنى صوت لنار جهنم وصون الاجساد من أى تعب ونصب كرامتان ماديتان لا نظير لهما كذلك.

وليت شعرى أى كرامهٔ أسمى من أن يرافق الإنسان هؤلاء المقرّبين فى غرف الجنّهٔ ويشمل بهذه النعم المعنويّهٔ والماديّهٔ.

ويؤكد الإمام عليه السلام ضمنياً بالاستفادهٔ من الآيهٔ الشريفهٔ على أهميّهٔ هذه النعم الأخرويهٔ ويعدها من فضائل اللّه العظمى.

والعبارهٔ:

«وأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ ...»

اقتباس من الآيهٔ: «لَايَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِى مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ»[۱۷۶].

والعبارهٔ:

«وصَانَ أَجْسَادَهُمْ ...»

إشارهٔ إلى الآيهٔ الشريفهٔ: «لَايَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ»[۱۷۷].

وهنا يرد هذا السؤال: تُرى من هم جيران اللّه الذين لهم هذه الكرامات؟

فالتعبير بجيران اللّه يشير إلى أنّهم من خواص اللّه ومقرّبيه بحيث استحقوا اسم جيران اللّه ويتّضح من زيارهٔ الملائكهٔ والأنبياء لهم أنّهم ليسوا أنبياء ولا ملائكهٔ، وعليه فلابدّ أن يكونوا من الصديقين والشهداء والحواريين الذين تمحوروا حول الأنبياء والأولياء وأصبحوا على ما هم عليه فى ظلّ الورع والتقوى وتهذيب النفس ليشملوا بكل هذه العنايهٔ الإلهيّهٔ، على غرار ما قال القرآن الكريم: «وَمَنْ يُطِعِ

اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِکَ مَعَ الَّذِینَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَیهِمْ مِّنَ النَّبِیِّینَ وَالصِّدِّیقِینَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِینَ وَحَسُنَ أُوْلَئِکَ رَفِیقاً»[۱۷۸].

والشاهد على هذا الموضوع ما ذکره الإمام علیه السلام فی الرسالهٔ ۲۷ بشأن تلک الثلّهٔ

نفحات الولایهٔ، ج۷، ص: ۸۷

من المتّقین الذی بلغوا درجهٔ من الورع والتقوی ومنزلهٔ رفیعهٔ من الزهد وعدم الاعتناء بزخارف الدنیا واکتسبوا بحقّ اسم جیران اللَّه.

ثم اختتم خطبته لإتمام الحجّهٔ فقال:

«أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِی وأَنْفُسِکُمْ، وهُوحَسْبُنَا ونِعْمَ الْوَکِیلُ!».

وعلیه فقد أتمّ الحجّهٔ علیهم من جانب ودعا لهم بالموفقیهٔ من جانب آخر وأفصح بالتالی عن توکله على اللَّه فی جمیع الأحوال.

## تأمّل

### طریق السیر والسلوک إلى اللَّه

لقد کشف الإمام علیه السلام فی هذه الخطبهٔ عن أروع الدروس التی یمکن أن ینطوی علیها من سلک سبیل الحق بغیهٔ التربیهٔ والتهذیب کما تطرق بعبارات قصیرهٔ وعمیقهٔ المعنى إلى منهج السیر والسلوک إلى اللَّه تعالى.

فقد أثار لدیهم الشعور بخشیهٔ اللَّه من خلال ذکره لجانب من العذاب الألیم لنار جهنم، ثم حذرهم من أنّ أعمارهم وعافیتهم إنّما هی أمانهٔ مستودعهٔ وستعاد یوماً ما إلى صاحبها.

وعلیه فلابدّ من اغتنام الفرصهٔ والمبادرهٔ إلى العمل کما ورد فی الحدیث النبوی الشریف:

«إغْتنم خَمساً قَبْلَ خَمْس؛ حَیاتَکَ قَبْلَ مَوْتِکَ وصِحَّتَکَ قَبْلَ سُقْمِکَ وفَراغَکَ قَبْلَ شُغْلِکَ وشَبابَکَ قَبْلَ هَرَمِکَ وغِناکَ قَبْلَ فَقْرِکَ»[۱۷۹].

ثم أشار إلى العبادهٔ وتهذیب النفس فأوصى بإحیاء اللیل وقلّهٔ الطعام وتوظیف الجوارح فی خدمهٔ الخلق والسعی إلى الجهاد ومن ثم انفاق الأموال، وبالتالی الحد من الجسم لصالح الروح لبث الأمل فی قلوب السالکین بوعد اللَّه من خلال استشهاده ببعض الآیات القرآنیّهٔ.

نفحات الولایهٔ، ج۷، ص: ۸۸

وأخیراً رسخ الدوافع المعنویّهٔ عن طریق ذکر الثواب العظیم الذی ینتظرهم جوار قرب اللَّه. نعم فقد أدى معلم الإنسانیّهٔ العظیم وقائد الغرّ المحجلین حقّ المطلب بعبارات قصیرهٔ واضحهٔ فی اطار تعالیم متکاملهٔ.

***

نفحات الولایهٔ، ج۷، ص: ۸۹

## الخطبهٔ ۱۸۴

### اشارهٔ

قالَهُ لِلْبُرجِ بْنِ مُسْهِرِ الطّائی، وقَدْ قالَ لَهُ بِحَیْثُ یَسْمَعُهُ:

«لا حُکْمَ إلّا للّهِ»، وکانَ مِنَ الْخَوارِجِ ۱۸۰]

## نظرة إلى الخطبة

نعلم أنّ الخوارج– تلك الفئة الجاهلة والمتعصبة التى ثارت على الإمام عليه السلام بعد التحكيم فى صفين– وكان شعارهم
«لا حُكْمَ إِلَّا لِلّهِ»
ومرادهم عدم ضرورة تعيين حَكم يوم صفين، فلا حَكم إلّاالله؛ وقد استعمل هذا الشعار بصيغة منحرفة وخاطئة من قبل الخوارج، وحين رفع بُرج بن مُسهر الطائى هذا الشعار عند الإمام عليه السلام، عنفه عليه السلام بكلمات لاذعة وعنيفة، حتى لا يجر واحداً غيره على رفع هذا الشعار المضل (قدمنا شرحاً وافياً بشأن هذا الشعار الذى رفعته هذه الفئة الضالة فى الخطبة ۴۰ من هذا الشرح)
نفحات الولايه، ج۷، ص: ۹۱
اسْكُتْ قَبَّحَكَ اللَّهُ يَا أَثْرَمُ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَئِيلًا شَخْصُكَ، خَفِيّاً صَوْتُكَ؛ حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ.

## الشرح والتفسير: صه يا أحمق

فى بداية الكلام أجبر الإمام عليه السلام هذا الخارجى على السكوت. ثمّ ليعرفه جيداً الناس ذكر صفاته السيئة وسابقته البشعة، فقال:
«اسْكُتْ قَبَّحَكَ اللَّهُ يَا أَثْرَمُ».
كلمة «أثرم» التى تعنى الشخص الذى ضرب على فمه وكسرت أسنانه الإماميّة إشارة إلى أنّ فمك واسنانك تشير إلى أنّ مخالفيك ضربوك لأنّك بذىء اللسان، إضافة إلى ذلك فإنّ من كسرت أسنانه الأماميّة لا يستطيع أن يتكلّم بطلاقة والأفضل له أن يسكت.
ثم واصل ذكر ماضيه السىء فقال:
«فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَئِيلًا[۱۸۱]
شَخْصُكَ، خَفِيّاً صَوْتُكَ؛ حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتَ ۱۸۲] نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ[۱۸۳]».
إشارة إلى أنّك لم تحضر ولم تدافع عن الحقّ عند ظهور الإسلام حين بعثة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أو ظهور ولاية الحقّ لأميرالمؤمنين على عليه السلام بل كنت شخصاً ضعيفاً لا يكترث لكلامك، أمّا الآن وقد صدع صوت الباطل فقد انضممت إليه لتطلق ذلك الشعار عن حماقة وجهل، ويتّضح من خلال تأمّل سوابق هذا الرجل ومن شاكله
نفحات الولايه، ج۷، ص: ۹۲
العقيدة والظروف التى كانت سائدة آنذاك أنّ هذه المواجهة العنيفة من قبل الإمام عليه السلام والعبارات المحقرة له كانت غاية فى الحكمة، ولولا ذاك لكان يخشى انخداع الأفراد السطحيين بزيف ذلك الشعار.
والخوارج فئة سطحية متعصبة جاهلة خلقت العديد من الإرباكات للمجتمع الإسلامى. كما أنّ قسوتهم وغلظتهم فاقت الوصف فى تاريخ الإسلام، ولحسن الحظ فقد تعرفت عليهم المجتمعات الإسلاميّة طيلة التاريخ فاقصتهم عن الساحة ولعل هنالك القليل من سليليهم والذين لا يتظاهرون وبتلك العقيدة الباطلة.

## تأمّل

### من هو بُرج بن مُسهِر؟

اعتبر ابن أبى الحديد برج بن مسهر أحد شعراء الخوارج الذى ينتمى إلى يعرب بن قحطان؛ إلّاأنّ البعض يعتقد أنّ برج بن مسهر

الشاعر هو شخص آخر، عاش فی العهد الجاهلی (ویحتمل أنّه أدرک ظهور الإسلام) وقد روی أبو تمام أبیاتاً من شعره فی الحماسة[۱۸۴].

وبرج بن مسهر الطائی الخارجی الذی حقره الإمام علیه السلام شخص مجهول لم یرد اسمه فی کتب الرجال المعروفة، ویؤید ذلک عبارة أمیر المؤمنین علیه السلام حین خاطبه بأنّک شخص ضئیل ومجهول ولا قدرة لک علی الکلام.

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۹۳

## الخطبة ۱۸۵

### اشارة

یَحْمَدُ اللَّهَ فِیها وَیُثْنِی علی رَسُولِهِ وَیَصِفُ خَلْقاً مِنَ الْحَیَوانِ ]۱۸۵

### نظرة إلی الخطبة

تعدّ هذه الخطبة من الخطب الجامعة فی نهج البلاغة والتی تسهب فی المعارف الدینیّة وتتکون فی الواقع من ستة أقسام، ففی القسم الأوّل- وعلی غرار أغلب خطب نهج البلاغة- جری الکلام فی حمد اللّه والثناء علیه وذکر أسمائه وصفاته بعبارات غایة فی الدقة والروعة.

وتطرق القسم الثانی إلی رسالة الرسول صلی الله علیه و آله ومشاریعه العملیّة.

ورکز فی القسم الثالث علی خلق بعض الأحیاء کنموذج حی لآیات علم اللّه وقدرته سیما بشأن النمل وخلق السماوات والأرض والشمس والقمر.

وخاض- فی القسم الرابع- فی نتائج ما قیل لیکشف عن عظمة الخالق التی تقف وراء هذه المشاهد العجیبة وحذر أولئک الذین یرون هذه الآیات وینکرونها عملیاً.

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۹۴

وتطرق فی القسم الخامس ثانیة إلی خلقة کائن عجیب آخر هو الجرادة وخاض فی جزئیات خلقه.

واختتم الخطبة فی القسم الأخیر لیخلص فی نتیجة جامعة لینهی خطبته ببحث کلّی بشأن نظام الخلق وعظمة الخالق وخضوع جمیع المخلوقات لذاته القدسیّة.

جدیر ذکره أنّ تنظیم الخطب هنا یختل فی أغلب شروح نهج البلاغة؛ فقد ذکر البعض هذه الخطبة بالرقم ۲۳۱ (مثل ابن أبی الحدید وفیض الإسلام) بینما ذکروا بدلًا من هذه الخطبة التی وردت بالرقم ۱۸۵ فی نسخة صبحی الصالح خطبة همام؛ والبعض بالرقم ۲۲۷ (مثل نسخة بنیاد نهج البلاغة وشرح ابن میثم).

وذکرها المرحوم الشارح الخوئی بالرقم ۱۸۴؛ ولکننا- کما یعلم الإخوة القراء- نتبع نسخة صبحی الصالح.

***

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۹۵

### القسم الاوّل

## اشارة

الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِی لَاتُدْرِکُهُ الشَّوَاهِدُ، وَلَا تَحْوِیهِ الْمَشَاهِدُ، وَلَا تَرَاهُ النَّوَاظِرُ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ، الدَّالِّ عَلَی قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ، وبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَی وَجُودِهِ، وبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَی أنْ لَاشَبَهَ لَهُ. الَّذِی صَدَقَ فِی مِیعَادِهِ، وارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، وقَامَ بِالْقِسْطِ فِی خَلْقِهِ، وعَدَلَ عَلَیْهِمْ فِی حُکْمِهِ. مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الأَشْیَاءِ عَلَی أَزَلِیَّتِهِ، وبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَی قُدْرَتِهِ، وبِمَا اضْطَرَّهَا إِلَیْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَی دَوَامِهِ. وَاحِدٌ لَابِعَدَدٍ، ودَائِمٌ لَابِأَمَدٍ، وقَائِمٌ لَا بِعَمَدٍ. تَتَلَقَّاهُ الأَذْهَانُ لَابِمُشَاعَرَةٍ، وتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِی لَابِمُحَاضَرَةٍ. لَمْ تُحِطْ بِهِ الأَوْهَامُ، بَلْ تَجَلَّی لَهَا بِهَا، وبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا، وإِلَیْهَا حَاکَمَهَا. لَیْسَ بِذِی کِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهَایَاتُ فَکَبَّرَتْهُ تَجْسِیماً، وَلَا بِذِی عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَایَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِیداً؛ بَلْ کَبُرَ شَأْناً، وعَظُمَ سُلْطَاناً.

## الشرح والتفسیر: معرفة اللَّه الحقیقیة

ما أن استهل الإمام علیه السلام الخطبة بحمد اللَّه والثناء علیه حتی خاض فی صفاته التی تنفی عنه الجسمیة والحدوث والشبیه والمثیل فقال علیه السلام:

«الْحَمْدُ اللَّهِ الَّذِی لَاتُدْرِکُهُ الشَّوَاهِدُ، وَلَا تَحْوِیهِ الْمَشَاهِدُ، وَلَا تَرَاهُ النَّوَاظِرُ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ».

فما جاء فی هذه الصفات الأربع أمور تنفی أی شائبة جسمیّة عن اللَّه تعالی، فلا عین تراه ولا حواس تدرکه ولا مکان یحویه ولا شیء یخفیه.

«شَواهِد»

جمع

«شاهِدَة»

بمعنی الحس و

«مَشاهِد»

جمع

«مَشْهد»

بمعنی

نفحات الولایه، ج۷، ص: ۹۶

مکان الحضور والظهور.

«نَواظِر»

جمع

«ناظِرَة»

قوّة الباصرة و

«سَواتِر»

جمع

«ساتِرَة»

بمعنی الستر وکل ما یستر الأشیاء.

فالصفات المذكورة والمقتبسة فى الواقع من القرآن الكريم فى عدد من الآيات تبطل عقيدة المجسمة (الفرقة التى تقول بجسميّة اللّه) وتكشف مدى بعد أصحابها عن التعاليم الإسلاميّة.

ثم أشار عليه السلام إلى صفات أخرى ومنها صفة الأزلية وتنزيهه عن كلّ شبيه ومثيل فقال عليه السلام:

«الدَّالِّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ، وبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وَجُودِهِ، وباشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أنْ لَاشَبَهَ لَهُ».

تستند هذه الأدلة الثلاثة إلى هذه النقطة وهى استحالة مضى سلسلة العلل ومعاليل العالم إلى مالا نهاية، لأنّ التسلسل باطل، وعليه فحدوث الموجودات دليل على وجود العلّة الأزليّة والأبديّة التى ينبع وجودها من ذاتها؛ فالكلّ حادث وهو القديم، والكلّ مخلوق وهو الخالق، لأنّ ذاته الطاهرة لا متناهية من جميع الجهات فليس له شبيه ولا مثيل، لاستحالة وجود وجودين لا متناهيين من جميع الجهات ذلك أنّ كلّاً منها يحد الآخر أمّا المخلوقات المحدودة من جميع الجهات بما فيها الزمان والمكان إنّما تعددت أشباهها وأمثالها.

ثم تطرق عليه السلام إلى صفتين من صفات الذات وهما تعدان من صفات الفعل فقال:

«الَّذِى صَدَقَ فِى مِيعَادِهِ، وارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، وقَامَ بِالْقِسْطِ فِى خَلْقِهِ، وعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِى حُكْمِهِ».

نعم، فليس فى وعوده غير الصدق، ذلك لأنّ التخلف فى الوعد إمّا يعزى إلى العجز أو إلى الجهل أو الحاجة (مثلًا يعدّ الإنسان ثم يعجز ويتخلف عمّا وعد بعد القيام به، أو يعد ثم يفهم لاحقاً ما كان ينبغى عليه أن يعد مثل ذلك أو يعد ويرى أن خلف الوعد لصالحه) ومن الطبيعى أنّ أيّاً من الصفات الثلاث؛ العجز والجهل والحاجة ليست لها من سبيل إلى الذات القدسيّة ومنها يستحيل عليه خلف الوعد.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۹۷

وأشار فى بيانه للصفة الثانية إلى سمو مقام اللّه عن الظلم، وهو ذات الأمر الذى يفرزه العجز والجهل أو الحاجة.

ثم ركز عليه السلام على جانبين من جوانب عدله أحدهما فى عدم التمييز والآخر العدل فى القضاء والعقاب والثواب، وعليه فالعبارات الثلاث

«وارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ» «وقَامَ بِالْقِسْطِ فِى خَلْقِهِ، «وعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِى حُكْمِهِ»

تشير جميعها إلى عدالة اللّه ونفى الظلم عنه فى مختلف الجوانب.

ثم تطرق عليه السلام إلى صفات أخرى من صفات الجمال والجلال فقال:

«مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ، وبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ، وبِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ».

فقد قال الإمام عليه السلام فى العبارة الأولى: إنّ اللّه قد جعل حدوث الأشياء دليل على أزليّته، ذلك لأننا نرى فى هذا العالم مجموعة من الموجودات تنتهى إلى علل سابقة بصيغة سلسلة من العلل والمعاليل، فهل يمكن أن تستمر سلسلة العلل والمعاليل إلى مالانهاية؟ وكل علّة معلولة لآخر وبعبارة أخرى هل نقبل تسلسل العلّة والمعلول إلى مالا نهاية؟

الجواب عن هذا السؤال بالسلب قطعاً، لأنّ مفهوم ذلك أنّ المالانهاية تتطلب التبدل إلى موجود غنى، أو بتعبير آخر تتبدل مالانهاية الصفر إلى عدد، وعليه فإننا ندرك من حدوث الأشياء وجوداً أزلياً ووجوده من ذاته وهو واجب الوجود.

وأشار فى العبارة الثانية إلى حقيقة هى أنّ فى جبين كلّ موجود علامة على العجز، فالأعمار والقدرات والاستعدادات كلّها محدودة، وهذا العجز يكشف أنّ وراءها يد القدرة المطلقة التى أفاضت القدرة على كلّ شىء بالمقدار الذى تطلبته حكمته.

وجرى الحديث فى العبارة الثالثة عن فناء الكائنات، وهو الفناء الذى يسير طواعية وقد كمن لها الموت بالمرصاد شائت أم أبت، ومن الواضح أنّ هذه الكائنات الفانيّة ليست خالقة لنفسها كما أنّ وجودها لا ينبع من ذاتها وإلّا لما آلت إلى الفناء،

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۹۸

وعليه فهنالك قدرة تفوقها أزليّة وأبديّة والكلّ مستند فى وجوده إلى الذات المقدّسة، والذى نود بيانه هنا أنّه ما الفارق بين العبارة

«مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الأَشْيَاءِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ»

والعبارة السابقة

«الدَّالِّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ؟»

فهل العبارتان تفيدان اثبات أزلية اللّه عن طريق حدوث الموجودات؛ أى أنّها صفة وضحت بعبارتين أم أنّ لكلّ منهما مفهوماً مستقلًا؟ طبعاً فصاحة وبلاغة الإمام عليه السلام تستلزم أن تختزن كلّ عبارة مفهوماً جديداً.

فلا يستبعد أن تكون العبارة السابقة إشارة إلى الدلالة التكوينيّة والعبارة الأخيرة إشارة إلى الدلالة التشريعيّة، أى كما يدل حدوث الموجودات على أزليّة اللّه بلسان التكوين ففى الآيات القرآنيّة وروايات المعصومين وردت مثل هذه الاستدلالات بعبارات مختلفة.

قال القرآن الكريم: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ* وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُوالْجَلَالِ وَالْاكْرَامِ»[۱۸۶].

وقال فى موضع آخر: «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَئٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ»[۱۸۷].

فالآية فى الواقع إشارة لبرهان العلية الذى جاء فى الفلسفة لاثبات وجود اللّه وهو أنَّ العالم الذى نعيش فيه حادث لا شك، فهل وجد هذا الحادث بدون علّة أم أنه علّة لنفسه أم أنّه معلول لعلة أخرى معلولة لعلة أخرى أو مخلوق للّه‌تعالى واجب الوجود؟ الذى وجوده فى ذراته ولا يبقى سوى الاحتمال الرابع بعد الإلتفات إلى بطلان الاحتمالات الثلاثة الأولى.

ثم ذكر الإمام عليه السلام ثلاث صفات أخرى من صفات اللّه تعالى فقال:

«وَاحِدٌ لَابِعَدَد، ودَائِمٌ لَابِأَمَد، وقَائِمٌ لَابِعَمَد».

والمراد من الواحد العددى الأشياء التى لها شبيه ومثيل وثانى وثالث ولكن لم يوجد إلّا فرد منها؛ كالشمس فى المنظومة الشمسيّة فهى واحدة فقط لا غير ولكن لها ثان.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۹۹

فهذا المعنى لا يصح بالنسبة للّه‌تعالى؛ لأنّ وجوده لا متناهٍ من جميع الجهات ويستحيل عليه التعدد، ولذلك فوحدة الذات القدسيّة ليست وحدة عدديه، بل بمعنى انعدام الشبيه والنظير والمثيل لها، وهوذات المعنى الوارد فى سورة التوحيد: «وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ»[۱۸۸].

وبعبارة أخرى يمكن التعدد فى الواحد العددى؛ لكنه يستحيل فى الواحد الذاتى.

وأشار فى العبارة الثانية

«دَائِمٌ لَابِأَمَد»

إلى أنّ دوام وجوده سبحانه ليس بدوام زمانى لأنّ ذاته القدسيّة تفوق الزمان والمكان بل المراد منه الدوام الذاتى.

ومفهوم العبارة

«قَائِمٌ لَابِعَمَد»

أنّ قيامه بذاته؛ لا بمساعدة الآخر وبعبارة أخرى فإنّ القيام ذو مفهوم مادى وهو وقوف الشيء على قدميه أو بالاستعانة بعمود، كما له مفهوم يفوق المادة وهو أنّه وجود مدير ومدبر لعالم الوجود ودون الاستناد إلى شيء آخر وهذا هو معنى قائمية اللّه تعالى.

بعبارة أخرى فإنّ جميع الموجودات تعتمد على ذاته القدسيّة وهو قائم بهذه الذات.

ثم بلغ كلام الإمام عليه السلام ذروته ليخوض فى تلك الذات المطلقة إلى الحد الذى يسعه الفكر البشرى فشرح الذات المقدّسة بأسلوب رائع ضمن عبارة قصيرة وعميقة المعنى بما يبعدها عن التشبيه ولا ينتهى إلى تعطيل المعرفة فقال:

«تَتَلَقَّاهُ الأَذْهَانُ لَابِمُشَاعَرَةٍ[۱۸۹]، وتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِى ۱۹۰] لَابِمُحَاضَرَةٍ[۱۹۱]».

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۰۰

دليل واضح إشارة إلى أنّ آثار عظمته وقدرته وعلمه وحكمته التى ملأت العالم على وجوده؛ الوجود الكائن خلف حجب الغيب وما وراء الطبيعة وجعل كلّ شىء تجلياً لعلمه وقدرته.

وقال فى مواصلته لكلامه عليه السلام:

«لَمْ تُحِطْ بِهِ الأَوْهَامُ ۱۹۲]، بَلْ تَجَلَّى لَهَا[۱۹۳] بِهَا، وبِهَا

امْتَنَعَ مِنْهَا، وإلَيْهَا حَاكَمَهَا».

فالإمام عليه السلام طبق ما ورد أبطل مذهب التعطيل إلى جانب نفى التشبيه؛ أى أنّه حذر من مغبة خطأ أولئك الذين يزعمون أنّهم لا يفهمون من صفات اللَّه تعالى سوى صفاته السلبيّة، إلى جانب أولئك الذين هبطوا باللَّه تعالى إلى درجة الممكنات فقالوا: له صفات محدودة وممكنة، فقد تحدّث من جانب عن تلقى الأذهان وتجلى الصفات ومن جانب آخر عن عدم احاطة الأفكار بالذات القدسيّة وصفاتها وينتج من ذلك أنّ لدينا علماً إجمالياً بالنسبة لذاته وصفاته سبحانه رغم عجزنا عن الاستغراق فى تفاصيلها وجزئياتها.

ثم قال عليه السلام:

«لَيسَ بِذِى كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيماً، وَلَا بِذِى عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيداً؛ بَلْ كَبُرَ شَأْنًا، وعَظُمَ سُلْطَاناً».

إشارة إلى أننا حين نقول:

«اللَّه أكبر»

إنّما يقتدح أحياناً إلى ذهن الأفراد غير المطلعين إلى أنّ أبعاده الوجودية ملأت شرق العالم وغربه وشماله وجنوبه، وحين نقول:

«اللَّه عظيم»

يتصورون أنّه كذلك بالنسبة لسائر الموجودات كالجبال والبحار والسماوات، والحال ليس لكبره وعظمته من بعد جسمى، بل كبره وعظمته معنوى،

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۰۱

لأنّه إن كان اللَّه جسماً كبيراً لاشتمل حتماً على أجزاء ونهاية وزمان ومكان بينما هو أسمى وأرفع من كلّ ذلك ويالها من كلمات رائعة تلك التى ساقها الإمام الصادق عليه السلام لذلك الشخص الذى قال عنده: اللَّهُ أكبر، فسأله عليه السلام:

«أَكْبَرُ مِنْ أىِّ شَىءٍ؟»

، قال:

«مِنْ كُلِّ شَىء».

فأشار عليه الإمام عليه السلام:

«بِأنّكَ جَعلتَ لَهُ حُدوداً فِى الزّمانِ وَالمَكانِ»

. فقال الشخص فماذا أقول: قال عليه السلام: قل:

«اللَّهُ أكْبر مِنْ أنْ يُوصَفَ»[۱۹۴].

إشارة إلى أننا لا نعدو صفات مخلوقاته فى كلّ صفة نطبقها عليه ذلك لأنّ فكرنا محدود فى الاستيعاب، وعليه فهواسمى من كلّ الصفات وهذا ما أكّده القرآن الكريم بقوله: «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ* إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ»[۱۹۵]. (الذين يصفونه بما يليق به).

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۰۳

## القسم الثانى

### اشارة

وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ الصَّفِيُّ، وأَمِينُهُ الرَّضِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِأَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ، وظُهُورِ الْفَلَجِ، وإِيضَاحِ الْمَنْهَجِ؛ فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً بِهَا، وحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دالّا عَلَيْهَا، وأَقَامَ أَعْلَامَ الْاهْتِدَاءِ ومَنَارَ الضِّيَاءِ، وجَعَلَ أَمْرَاسَ الْاسْلَامِ مَتِينَةً، وعُرَى الْايمَانِ وَثِيقَةً.

## الشرح والتفسير: الأبعاد الوجوديّة للنّبى الأكرم صلى الله عليه و آله

بعد أن فرغ الإمام عليه السلام من بيان صفات الجمال والجلال خاض فى الأصل الثانى للدين أى الشهادة بنبوة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فوصفه بتلك الصفات التى تكشف عن أبعاده الوجوديّة كافّة فقال:

«وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ الصَّفِيُّ، وأَمِينُهُ الرَّضِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ-».

حقاً إنّ اللّه تعالى إن اصطفى شخصاً واعتبره أميناً وارتضاه من خلقه فذلك لكمال إخلاصه وطهارته على جميع المستويات، فهذه العبارات إشارة إلى عصمة النّبى صلى الله عليه و آله من الذنب والخطأ.

ثم خاض عليه السلام فى الأهداف المتوخاة من بعثته صلى الله عليه و آله وتعاليمه فقال:

«أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ، وظُهُورِ الْفَلَجِ ۱۹۶]، وإِيضَاحِ الْمَنْهَجِ».

وهكذا بيّن الإمام عليه السلام من خلال هذه العبارات الثلاث أهداف البعثة التى تتمثل فى إتمام الحجّة وانتصار الحقّ على الباطل وايضاح سبيل السعادة. آنذاك تناول

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۰۴

المهام العمليّة للنبى صلى الله عليه و آله فقال:

«فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً[۱۹۷] بِهَا، وحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دالّا

عَلَيْهَا، وأَقَامَ أَعْلَامَ الْاهْتِدَاءِ ومَنَارَ الضِّيَاءِ، وجَعَلَ أَمْرَاسَ ۱۹۸] الْاسْلَامِ مَتِينَةً، وعُرَى ۱۹۹]

نفحات الولاية ؛ ج۷ ؛ ص۱۰۴

الْايمَانِ وَثِيقَةً».

فقد ورد الحديث بادئ الأمر عن الخوض فى إبلاغ الرسالة بصورة كلية على غرار ما ورد فى القرآن الكريم: «فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ»[۲۰۰].

ثم خاض فى الجزئيات فى أنّ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله دعا الناس إلى جادة الصواب وعرض لهم علامات لسير على هذا النهج ونصب لهم مصابيح الهدى حتى لا يضلوا الطريق فى ظلمة الليل ولا يتخلفوا عن مواصلة السير، وبالتالى رسخ أسس الإسلام وشدّ عرى الإيمان بشرح وافٍ وتدبير محكم.

وقلّما نجد كلاماً يستعرض هذا المطلب بشأن أهداف النّبى صلى الله عليه و آله وخططه فى الدعوة بهذه العبارة القصيرة والعميقة.

العبارة:

«جَعَلَ أَمْرَاسَ الْاسْلَامِ مَتِينَةً»

كأنّه شبه الإسلام بالخيمة التى شدّت بحبال متينة من كلّ جانب إلى الأرض لتحول دون إقتلاعها من قبل العواصف وليست هذه الحبال سوى بعض الأمور من قبيل الجمعة والجماعة والحج والزكاة والأمر وبالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد التى حفظت على الدوام بيضة الإسلام وذادت عن كيانه، فالإسلام بخير ما طبقت هذه التعليمات الإسلاميّة فإنّ ضعفت هيمن الأعداء على المسلمين.

والعبارة:

«وعُرَى الْايمَانِ وَثِيقَةً»

شبهت الإيمان بحبل له عدّة عقد لابدّ من التمسك بها للنجاة من قعر البئر أو الخلاص من المطبات، ومن الطبيعى أنّ هذه العقد

نفحات الولايهٔ، ج۷، ص: ۱۰۵

إن كانت ضعيفة وخاوية فلا يتعذر على الإنسان النجاة فحسب بل يشرف على سقوط خطير فهذه العقد هى فروع الإسلام وتعليماته فى مختلف مشاريعه العباديّة والاجتماعيّة التى صرّحت بها الأخبار والروايات، ومن ذلك ما ورد فى الحديث النبوى الشريف أنّه صلى الله عليه و آله سأل أصحابه يوماً:

«أىّ عُرَى الإيمانِ أَوْثَق؟»

قالوا: «اللّه ورسوله أعلم؟» وذكر البعض الصلاة أو الزكاة و ... فقال صلى الله عليه و آله:

«بَلى فِى ذَلِكَ فَضلٌ، ولكِنْ أوْثَقُ عُرَى الإيمانِ الحُبُّ فِى اللّهِ والبُغْضُ فِى اللّهِ وتَولّى اوْلِياءَ اللّهِ وَالتّبرى مِنْ اعْداءِ اللّهِ»[۲۰۱].

طبعاً يمكن أن تكون المفاهيم الأخلاقيّة التى أشارت إليها الروايات من قبيل التوكل والتفويض والتسليم والرضا والصبر واليقين وما شابه ذلك من عرى الإيمان وليست هنالك أى منافاة مع بعضها البعض الآخر.

نفحات الولايهٔ، ج۷، ص: ۱۰۷

## القسم الثالث

### اشارة

ولَوفكَّرُوا فِى عَظِيمِ الْقُدْرَةِ، وجَسِيمِ النِّعْمَةِ، لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ، وخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ، ولكِنِ الْقُلُوبُ عَلِيلَةٌ، وَالْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ! أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ، كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ، وأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ، وفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، وسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشَرَ! انْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِى صِغَرِ جُثَّتِهَا، ولَطَافَةِ هَيْئَتِهَا، لَاتَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ، وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكَرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا، وصُبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا، تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا، وتُعِدُّهَا فِى مُسْتَقَرِّهَا. تَجْمَعُ فِى حَرِّهَا لِبَرْدِهَا، وفِى وِرْدِهَا لِصَدْرِهَا؛ مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا، مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا؛ لَايُغْفِلُهَا الْمَنَّانُ، وَلَا يَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ، ولَوفِى الصَّفَا الْيَابِسِ، وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ! ولَوفَكَّرْتَ فِى مَجَارِى أَكْلِهَا، فِى عُلْوِهَا وسُفْلِهَا، ومَا فِى الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا، ومَا فِى الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وأُذُنِهَا، لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً، ولَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً! فَتَعَالَى الَّذِى أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا، وبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا! لَمْ يَشْرَكْهُ فِى فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ، ولَمْ يُعِنْهُ عَلَى خَلْقِهَا قَادِرٌ. ولَوضَرَبْتَ فِى مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ، مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوفَاطِرُ النَّخْلَةِ، لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَىْءٍ، وغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَىٍّ. ومَا الْجَلِيلُ واللَّطِيفُ، والثَّقِيلُ والْخَفِيفُ، والْقَوِىُّ والضَّعِيفُ، فِى خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ.

### الشرح والتفسير: قدرته المطلقة فى خلق الكائنات

عاد الإمام عليه السلام ثانية إلى موضوع معرفة اللّه الذى استهل به خطبته وعرج فيها

نفحات الولايهٔ، ج۷، ص: ۱۰۸

على معرفة النّبى صلى الله عليه و آله ليخوض هنا فى أدلة اثبات وجود اللّه وعلمه وقدرته المطلقة، فحذر أولئك الذين ضلّوا الطريق فقال:

«ولَوفكَّرُوا فِى عَظِيمِ الْقُدْرَةِ، وجَسِيمِ النِّعْمَةِ، لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ، وخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ».

إشارة إلى أمرين: أنّه لو استعمل الفكر لاتّضحت آثاره عاجلًا على أعمال الإنسان؛ الأوّل التفكير فى عظمة قدرة اللّه الذى خلق النجوم السماويّة العظيمة ومليارادت الكواكب فى المجرة ومئات الملايين من المجرات بحيث لم يتّضح لأحد سعة ملكه وعظمته، وكل ما

نورده بشأن عظمة العالم إنّما يقتصر على الأشياء التى لا تتجاوز دائرة علمنا القاصر، ولعل كلّ ذلك لا يعدو ورقة شجرة بلغت عنان السماء فى وسط غابة كثيفة، فالتفكير بهذا الشأن يجعل الإنسان خاضعاً لهذه القدرة فيقبل على اللَّه ويتعلق به قلبه فينير باسمه وذكره حياته.

والآخر التفكير فى النعم كونها ملأت وجودنا وهى متصلة منذ لحظة انعقاد النطفة حتى ختام العمر؛ فقد سخر لنا لشمس والقمر والسماوات والأرض ومنحنا التصرف فى السحب والرياح والأمطار، فقد بسط نعمته فى كلّ مكان وجعل الجميع يتغذى على رزقه، والحقّ أنّ شكر النعمة المودع فى فطرة كلّ إنسان يسوقه إلى معرفة المنعم.

ثم تساءل عليه السلام ترى ما العامل الذى يصد الإنسان عن السبيل ويسوقه إلى العذاب الأليم مع وجود كلّ هذه الدوافع القوية؟ فقال:

«ولكِنِ الْقُلُوبُ عَلِيلَةٌ، وَالْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ![۲۰۲]».

فقد أشار الإمام عليه السلام هنا إلى سببين رئيسيين، لأنّ المراد من القلوب العقول التى تتعطل عن المعرفة أثر الهوى والهوس وسائر الآفات، والمراد من البصائر عيون البصيرة التى تطرح عليها حجب المعصية والتعصب وحبّ الذات.

وبالطبع فإنّ هذه الأمور طارئة على أصل الخلقة بل الغفلة والهوى والهوس

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۰۹

والشهوة هى التى قادت إلى ذلك، فقد أشار الإمام عليه السلام فى هذه العبارة القصيرة إلى موانع المعرفة والتى أفصح عنها القرآن الكريم بقوله: «كَلَّا بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ)[۲۰۳].

وقوله:

«أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً»[۲۰۴].

كما تضمنت العديد من الآيات القرآنيّة دعوة الجميع إلى تأمّل أسرار الخلق والتفكر فى قدرة اللَّه ونعمه علهم يعودون عن هذا الطريق إلى جادة الصواب.

ثم ركز الإمام عليه السلام على بعض الكائنات العجيبة فى هذا العالم بعد فراغه من بيان أسرار الخليقة بصورة كلّية فقال:

«أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ، كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ، وأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ، وفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، وسَوَّى ۲۰۵] لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشَرَ![۲۰۶]».

حيث أشار الإمام عليه السلام إلى ستة أمور بشأن الحيوانات والحشرات الغاية فى الصغر؛ الخلق المحكم، التركيب الصحيح، الإشتمال على الأذن والعين، والنظام الخاص فى العظام والجلد، نعم فهذه الحشرات تتمتع بالأعضاء والوسائل كافّة التى تحتاجها رغم صغرها فقد أفاض اللَّه عليها بقدر جسمها وحاجتها ما أفاضه على بعض الحيوانات العظيمة كالفيل والجمل وبالطبع يبدو خلق هذه الكائنات الصغيرة أعظم من تلك الكبيرة لما فيها من دقة وظرافة عجيبة.

ثم خاض الإمام عليه السلام فى مرحلة أدق فى تفاصيل مخلوقين صغيرين غالباً ما لا يكترث الإنسان لخلقتهما بعبارات رائعة، فقال بادئ الأمر بشأن النملة:

«انْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِى صِغَرِ جُثَّتِهَا، ولَطَافَةِ هَيْئَتِهَا، لَاتَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصرِ، وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكَرِ».

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۱۰

ثم قال عليه السلام:

«كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا، وصُبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا، تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى حُجْرِهَا، وتُعِدُّهَا فِى مُسْتَقَرِّهَا. تَجْمَعُ فِى حَرِّهَا لِبَرْدِهَا، وفِى وِرْدِهَا[۲۰۷] لِصَدْرِهَا[۲۰۸]».

نعم، فهذا المخلوق الضعيف على درجة من الفطنة بحيث يعرف كيف يمارس حياته، فهو يتجول بهذه اليد والرجل الصغيرة فى الجبل

والصحراء ويتسلق الأشجار ويختار ذلك النوع من الطعام من بين مختلف الأطعمة والذى ينسجم مع طبيعته ومزاجه ويجلب إلى عشه الحبوب من الطرق القريبة والبعيدة فهو يختار حتى هذه الحبوب ويسلك بعض الطرق المتشعبة فى عشّه كى لا يخلق بعض المتاعب لسائر جنسه فى الحركة والعبور ثم يضع هذه الحبوب فى مكان معين بغية الحيلولة دون فسادها، ويعمد فى فصل الصيف بإلهام ذاتى ودون أن يرى فصل الشتاء- أى ولد فى تلك السنة- لادّخار بعض الحبوب والمواد الغذائيّة التى يحتاجها فى المستقبل خشية هطول الأمطار وتعذر الحركة فى فصل الشتاء فيلتقط ما يعينه على قضاء تلك المدّة.

ثم قال عليه السلام:

«مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا، مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا؛ لَايُغْفِلُهَا الْمَنَّانُ، وَلَا يَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ ٢٠٩]، وَلَوفِى الصَّفَا[٢١٠] الْيَابِسِ، وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ![٢١١]».

أشار إلى أنّ اللّه سبحانه وتعالى قد عمّ لطفه هذه الموجودات الصغيرة التى تعيش فى الجبال والصحارى والسهول فزودها بالطعام الذى يلائم طبعها وقد وفر لها ما تحتاجه من غذاء ورطوبة لازمة عن طريق الهواء حتى وإن كانت تعيش فى جوف صخرة صماء، والهمها قدرة التزود بالطعام لتلك التى تفتقد فيها هذه القدرة وهذا حقاً ما يذهل العقول.

نفحات الولايه، ج٧، ص: ١١١

هل تدرى هذه الحشرة أنّه يتعذر عليها الخروج من عشها فى بعض أيّام الشتاء؟

وهل تفهم المقدار الذى تحتاجه من المواد الغذائيّة فى تلك المدّة؟ وهل تعى طبيعة المواد التى يمكن أن تبقى سالمة أو فاسدة خلال هذه المدّة؟ وهل تعلم أين هذه المواد وكيف يجب عليها الحصول عليها؟

نعم، إنّها تعرف كلّ ذلك بعد أن علّمها خلقها.

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى البنية العجيبة لهذا المخلوق الحى الصغير فقال:

«ولَوفَكَّرْتَ فِى مَجَارِى أَكْلِهَا، فِى عُلْوِهَا وسُفْلِهَا، ومَا فِى الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ ٢١٢]
بَطْنِهَا، ومَا فِى الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وأُذُنِهَا، لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً، ولَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً!».

إشارة إلى أنّ الإنسان لو تأمّل خلق هذا الموجود الصغير الذى لا يرى بسهولة لرآى عالَماً عجيباً حقّاً فذلك الرأس الغاية فى الصغر يضم العين والأذن والفم وقرنان كأنّهما هوائيان تستفيد منهما فى الإرتباط بالعالم الخارجى وتحوى بطنها شىء أشبه بالمعدة والأمعاء واحاطت به أضلاع غاية فى الصغر والدقة كما لها أعصاب وعضلات ظريفة تتناسب مع حاجتها ويتولى دماغها الصغير إدامة حياتها المعقدة، ولأرجلها مفاصل مختلفة ولكلّ مفصل وظيفة معينة على غرار مفاصل الحيوانات الكبرى.

ثم خلص الإمام عليه السلام ممّا سبق إلى هذه النتيجة فقال:

«فَتَعَالَى الَّذِى أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا، وبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا! لَمْ يُشْرِكْهُ فِى فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ، ولَمْ يُعِنْهُ عَلَى خَلْقِهَا قَادِرٌ».

فقد لفت الإمام عليه السلام فى هذه العبارة انتباه الجميع إلى موضوعين:

وهوأنّ اللّه سبحانه وتعالى خلق هذا الجسد الظريف على يد ورجل ظريفة تستطيع حمله بل أحياناً تحمل حملًا ثقيلًا يفوق دفعة أضعاف وزنها، والغريب أنّها

نفحات الولايه، ج٧، ص: ١١٢

تتسلق الحائط الأملس بهذا الحمل وتلتصق أحياناً بالسقف وتواصل طريقها وهو العمل الذى يتعذر على أى إنسان بطل القيام به، أضف إلى ذلك فقد خلق لها جهازاً عظمياً يناسب طبيعتها والذى عبّر عنه الإمام عليه السلام بالدعائم، وهذا الجهاز ليس ثقيلًا بحيث يحدّ من حركتها ولا خفيفاً وظريفاً إلى الدرجة التى لا تستطيع حفظ حياتها وما بجوفها.

ثم أشار عليه السلام إلى نقطة مهمّة أخرى فقال:

«ولَو ضَرَبْتَ فِى مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ، مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوفَاطِرُ النَّخْلَةِ، لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَىء، وغَامِضِ

اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ».

أى لا تعتقدوا أنّ بنيهٔ كائن كبير كالنخلهٔ الضخمهٔ أعقد من بنيهٔ موجود صغير كالنملهٔ، لأنّكم إن نظرتم بدقّهٔ فإنّ لكليهما بنيهٔ غايهٔ فى التعقيد والدقّهٔ وتحكم كلّ منهما قوانين معينهٔ وتبدو عليهما الهدايهٔ الإلهيّهٔ منذ الولادهٔ حتى الممات بالإضافهٔ إلى أنّ لتلك الشجرهٔ الكبيرهٔ أعضاء مختلفهٔ صغيرهٔ وكبيرهٔ وقويهٔ وضعيفهٔ بحيث يؤدّى كلّ منهما وظيفهٔ معينهٔ تتناسب معه (وعلى هذا الضوء تتضح علاقهٔ العلّهٔ والمعلول فى العبارات المذكورهٔ).

وزبدهٔ الكلام إنّ الإنسان يرى أحياناً آثاراً مختلفهٔ من حيث الصغر والكبر لصانع اساعهٔ التى لا يعدو حجمها سانتيمتراً واحداً وأخرى التى تبلغ بضعهٔ أمتار، أو كتاب من بضع صفحات وآخر ذو عشرهٔ أجزاء، فإنّ الإنسان حين يقارنها مع بعضها ويرى وحدهٔ الأصول الكليهٔ السائدهٔ فيها ويقف على انسجام الآداب التى ضمها ذلك الكتاب الصغير وذلك الكبير يفهم أنّ هذين الأثرين يعودان إلى مصدر واحد وأنّ الذى أبدعهما واحد أيضاً.

ثم أشار عليه السلام إلى نقطهٔ مهمّهٔ أخرى لمواصلهٔ كلامه السابق فقال:

«ومَا الْجَلِيلُ واللَّطِيفُ، والثَّقِيلُ والْخَفِيفُ، والْقَوِيُّ والضَّعِيفُ، فِى خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ».

إشارهٔ إلى أنّ الصغير والكبير والبسيط والمعقّد إنّما يتصور بالنسبهٔ لموجود

نفحات الولايهٔ، ج٧، ص: ١١٣

محدود القدرهٔ ويمتنع عليه ما كان خارجاً عن استعداده ويصعب عليه ما كان بمنتهى استعداده ويسهل عليه ما كان دون قدرته، أمّا اللَّه تبارك وتعالى اللامتناهى القدرهٔ فالجميع لديه على حد سواء، فلا فرق عنده بين تسيير المنظومهٔ الشمسيهٔ وتسيير ذرهٔ من الغبار، وخلق نملهٔ غايهٔ فى الصغر مع خلق شجرهٔ غايهٔ فى الضخامهٔ.

وحمل حبّهٔ قمح بالنسبهٔ لنملهٔ يفرق عما عليه فى حمل حبتين، فلعل حملها للأولى يبدو سهلًا بينما يشقّ عليها حمل الثانيهٔ والحال لا نشعر نحن البشر بأدنى فارق بين الحالتين.

كما أننا نستطيع فى تصوراتنا الذهنيهٔ أن نتصور قطرهٔ ماء كما نستطيع بنفس البساطهٔ تصور بحر متلاطم من المياه.

لعل هذه الأمثلهٔ تستطع إيضاح عمق البحث الذى ذكرناه بشأن قدرته المطلقهٔ سبحانه.

### تأمّل

### حياهٔ النمل العجيبهٔ

رغم أنّ طبيعهٔ النمل بفعل كثرتها وتنوعها وتواجدها فى الجبال والصحراء وداخل البيوت بحيث لا تحضى باهتمام عامهٔ الناس، لكنها تبدو عجيبهٔ للغايهٔ بالنسبهٔ للعلماء الذين فكروا لأكثر من عقدين بشأن حياتها فالدراسات التى أجريت بشأن أسرار خلقهٔ هذه الكائنات فتحت الباب على مصراعيه أمام الوقوف على عظمهٔ الخالق ونشير هنا إلى جانب من تلك الدراسات:

١. إنّ الحيوانات والحشرات التى تعيش بصورهٔ جماعيهٔ ليست بالقليلهٔ من قبيل:

الطيور والأسماك والغزلان بينما قليلهٔ هى الحيوانات التى تستند حياتها الجماعيهٔ على أساس تقسيم الوظائف والأعمال وأبرزها النمل فلإناث النمل وظيفهٔ جمع

نفحات الولايهٔ، ج٧، ص: ١١٤

الطعام وحفظ الفراخ وحتى حراسهٔ ملكهٔ النمل فى عشّها، ووظيفهٔ الذكور تلقيح الملكهٔ كما أنّ وظيفهٔ الملكهٔ وضع البيوض، والغريب فى الأمر أنّ الذكور تموت بعد التلقيح، وهنالك طائفهٔ منها تبدو كمجموعهٔ مسلحهٔ لها مجسّات قويهٔ تنبرى للدفاع بها عن نفسها وصد

هجمات الأعداء على لاعشاش.

٢. تقوم العاملات بوظيفة ثقب الأرض وايجاد حفرة بالتدريج لتوفر لبقيتها الحياة تحت سطح الأرض إلّاأنّ جميع النمل لا يعيش تحت الأرض فهنالك طائفة منها التى يطلق عليها «النجارة» تعمد إلى ثقب الأخشاب لتصنع أعشاشها بداخلها

٣. تملك النملة- على الرغم من صغرها ودقّة هيكلها- جميع الأجهزة التى يملكها الحيوان الكبير بل لديها ما يفوق تلك الحيوانات من قبيل: الأرجل الإضافية والمجسّات التى تمكنها من التعرف على الوسط الذى تعيش فيه.

۴. هناك نوع من النمل يتغذى على بعض الأحياء ومن ذلك النمل المعروف بالحنطى والذى يخدمه البرغوث النباتى، فهذه الحشرات تفرز سائلًا حلواً كالعسل يتغذى عليه النمل، كما يستفيد سائر النمل من بعض الحشرات التى تضع بيوضها على قشور الأشجار.

۵. إذا لا- يعتريكم العجب فإنّ بعض النمل يمارس الزراعة، فهناك نوع من النمل يدعى المظلى حيث يرتب مزرعة صغيرة حول أعشاشها ويزرعها بالفطريات الصغيرةوتقوم العاملات بفصل قطع صغيرة من الأوراق وتضعها على رأسها فتبدو وكأنّها مظلة وهذا سبب التسمية.

۶. هنالك نوع من النمل يدعى بالحرس الذى يتنقل كالبدو من مكان إلى آخر، وهو فى الواقع حشرات مفترسة تتجنبها حتى الفيلة وإلّا كبدتها خسائر جسيمة، وطائفة من هذه الحشرات التى تعيش فى المناطق الحارة تأكل اللحوم، فإن هاجمت حيواناً افترسته ونهشت لحمه وعضلاته ولا تبقى منه سوى العظام وخلال مدّة وجيزة.

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١١٥

٧. للنمل عادة رأس كبير وخصر نحيف وجثة قوية فهى قادرة على حمل الحبوب التى تعادل بضعة أضعاف وزنها وتتسلق الجدران التى لا يقوى على تسلقها الأبطال من حملة الأثقال، نعم فالنملة وخلافاً لجثتها الصغيرة تحمل مايبلغ عشرة أضعاف وزنها وتنقله من مكان لآخر.

٨. نظرة النملة للمستقبل وإدارتها رائعة جدّاً، فهى تفكر فى الصيف بمؤونة الشتاء والحال ربّما لم تكن شاهدت الشتاء طيلة عمرها، فتلتقط الحبوب وتخرجها أحياناً من عشّها لكى لا تفسد، وأحياناً أخرى تشطرها نصفين حتى لا تخضر وتنمو.

٩. للنمل خبرة عجيبة بالمكان فقد ذكر العلماء أنّهم جعلوا نملة وسط دائرة من النار فحاولت الخروج ولم تستطع حتى ماتت وكان ذلك فى مركز الدائرة، أى أبعد نقطة عن النار.

١٠. ذكر العلماء أنّ النمل أنواع ربّما يتجاوز الأربعة آلاف وأنّ عدده على الأرض عشرة أضعاف عدد الناس، وتفيد المطالعات الحديثة أنّ النمل سبق الإنسان فى التغلب على مشكلة الازدحام، فملايين النمل تتخذ أقصر الطرق لتبلغ مقصدها بأسرع وقت ودون أى تأخير.

إنّ عجائب عالم النمل ليفوق ما ذكرناه وقد سطرت العديد من المقالات والكتب بهذا الشأن، ومن هنا تتضح أهميّة المسألة التى ركز عليها الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة من شرحه لخلق اللّه سبحانه [٢١٣].

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١١٧

## القسم الرابع

### اشارة

وكَذلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ، والرِّيَاحُ وَالْمَاءُ. فَانْظُرْ إلى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالنَّبَاتِ والشَّجَرِ، وَالْمَاءِ والْحَجَرِ، وَاخْتِلَافِ هذَا اللَّيْلِ والنَّهَارِ، وتَفَجُّرِ هذِهِ الْبِحَارِ، وكَثْرَةِ هذِهِ الْجِبَالِ، وطُولِ هذِهِ الْقِلَالِ وتَفَرُّقِ هذِهِ اللُّغَاتِ، والأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ. فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدِّرَ، وجَحَدَ

الْمُدَبِّرَ! زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ، وَلَا لِاخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ؛ ولَمْ يَلْجَأوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا، وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا، وهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيرِ بَانٍ، أَوجِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ؟!

## الشرح والتفسير: نظرة إلى كائنات السموات والأرض

تحدّث الإمام عليه السلام فى القسم السابق من الخطبة عن عجائب خلق النمل وبغية دفع التوهم بأنّ العجائب التى تسلب العقول وتخطف الأبصار ربّما تنحصر فى هذه الموارد صرح مباشرة بأن تأمّل مواضع هذا العالم الواسع فى أرضه وسمائه إنّما ينطوى على مثل هذه العجائب أيضاً، فركز الإمام عليه السلام هنا على ست عشرة ظاهرة عجيبة فى هذا العالم من السماء والأرض إلى بعض الأمور المرتبطة بالإنسان فقال:

«وكَذلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ، والرِّيَاحُ وَالْمَاءُ».

وواصل كلامه قائلًا:

«فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالنَّبَاتِ والشَّجَرِ، وَالْمَاءِ والْحَجَرِ، وَاخْتِلَافِ هذَا اللَّيْلِ والنَّهَارِ، وتَفَجُّرِ هذِهِ الْبِحَارِ، وكَثْرَةِ هذِهِ الْجِبَالِ، وطُولِ هذِهِ الْقِلَالِ ۲۱۴] وتَفَرُّقِ هذِهِ اللُّغَاتِ، والأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ».

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۱۸

فقد طرح الإمام عليه السلام هنا سلسلة من الموجودات المتنوعة فى هذا العالم لكلّ منها مميزاتها العجيبة وخصائصها الجمّة، والمراد من السماء مجموعة العالم العلوى من الثوابت والسيارات إلى المجرات وعليه فالشمس والقمر فى الجملة القادمة من قبيل ذكر الخاص بعد العام وأننا لنعلم أنّ السماء بهذا المعنى تنطوى على خلقة غاية فى الدهشة كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم: «لَخَلْقُ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ»[۲۱۵].

المراد من الهواء هوذلك الهواء المحيط بالكرة الأرضيّة، الأكثر حيوية من كلّ شىء والأكثر من كلّ شىء.

والرياح (جمع ريح) والتى له عدّة وظائف فى تسيير عجلة حياة الإنسان والكائنات الحية فهى تسوق السحب والغيوم إلى الأراضى الجافة والقاحلة فتخرج النباتات، وتبث الأمواج فى البحار وتزود الكائنات البحرية بالأوكسجين وتنقل الهواء الملوث من مكان إلى آخر وتبعث إلى المدن بهواء الغابات النقى.

والماء هنا بقرينة الرياح إشارة إلى نزول الأمطار التى تبعث الحياة كما ذكر ذلك القرآن الكريم: «وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً»[۲۱۶].

ثم أمر الإمام عليه السلام بتأمّل مختلف كائنات هذا العالم من الشمس والقمر إلى النباتات والأشجار والمياه والأحجار (يبدو أنّ المراد من الماء الذى ذكر هنا إلى جانب الحجر هو العيون والأنهار الجارية) واختلاف الليل والنهار إشارة إلى النظام الدقيق ذو النور والظلمة حيث يعقب كلّ منهما الآخر وينبثق من بركتهما الفصول الأربعة وتلك الليالى الساكنة والهادئة والأيّام المفعمة بالحركة والتى أشارت إليها العديد من الآيات القرآنيّة.

العبارة:

«وتَفَجُّرِ الْبِحارِ»

يمكن أن تكون إشارة إلى ظهور البحار أو الحركة التى

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۱۹

تظهر تلك الأمواج العاتية ونعلم أنّ البحار مركز عجائب مخلوقات اللّه حيث ورد فى دعاء الإمام السجاد عليه السلام:

«يا مَنْ فِى الْبِحارِ عَجائِبُهُ»[۲۱۷]

وأنّها مصدر مهم للمواد الغذائيّة والمعدنيّة ووسيلة مناسبة للنقل بصورة واسعة جدا ومصدر ظهور السحب وهطول الأمطار.

وكثرة الجبال إشارة إلى عددها الجم والذى جعلها تبدو كدرع يحيط بالكرة الأرضيّة وتكسر الرياح العواتى وتحتفظ بالسحب لسقى الأراضى وتمنح الأرض الهدوء والاستقرار إزاء عمليّة المد والجزر الناشئة من الجاذبية الأرضيّة، كما أنّ سفوحها مرعى خصب للدواب والأنعام. كما أنّ استطالة القطعان تؤدّى إلى ادّخار المياه بصورة بَرَد أو حبات ثلج على سفوحها فتنحدر تدريجيا إلى الأراضى القاحلة فتسقيها بالمياه، كما تسقى الإنسان والحيوان، قال القرآن الكريم: «وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاهَا* أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا* وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا* مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ»[۲۱۸].

وأشار الإمام عليه السلام فى النهاية إلى نقطة مهمّة من حياة الإنسان والتى تتمثل فى اختلاف اللغات واللهجات وكثرة الألسن، فكيف تعددت هذه اللغات وكيف كان لكلّ قوم لغتهم الخاصّة مع أنّ الجميع ينحدر من ذات الأب والام؟ فالآن هنالك أكثر من ألف لغة فى العالم بما فيها اللغات الرسمية والمحلية، وقد أفاض اللّه على الإنسان استعداداً لخلق اللغة بحيث تتمكن كلّ جماعة من اختراع لغة ووسيلة للتفاهم بينها ولعل ذلك لكى تنحصر أسرارهم بينهم دون أن يطلع عليها الآخرون، قال القرآن الكريم: «الرَّحْمَنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الْانسَانَ* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ»[۲۱۹].

وقال أيضاً: «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وأَلْوَانِكُمْ»[۲۲۰].

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۲۰

ولما فرغ الإمام عليه السلام من استدلالاته الرصينة والمقنعة فى إثبات وجود اللّه اتّجه صوب من ينكر وجود اللّه ليفند دعواه الواهية بدليلين. (طبعاً قلّما يرى فى القرآن ونهج البلاغة كلام بشأن الماديين ومنكرى الذات الإلهيّة القدسيّة، ذلك لأنّهم كانوا قلّة قليلة آنذاك وكان أكثر الناس ممن يعتقدون بالأديان والمذاهب).

فقال عليه السلام:

«فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدِّرَ، وجَحَدَ الْمُدَبِّرَ!».

إشارة إلى أنّ آثار التدبير فى أرجاء عالم الخلق كافّة على درجة من الوضوح بحيث لا يستحق منكر مدبر العالم سوى الويل واللعنة.

ثم قال عليه السلام:

«زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ، وَلَا لِاخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ».

طبعاً هذه العبارة بسبب النظرة الساذجة التى يبديها الإنسان عادة تجاه العلف المهمل والحال من وجهة نظر عالم النبات أنّ كلّ ورقة منها هى دفتر من معرفة اللّه تعالى وقد توصل العلماء المعاصرون اليوم إلى أنّ آلاف الأنوع من هذا النبات يختزن العديد من الخواص الطبيّة والعلاجيّة ولكلّ منها بنية معقدة، الجذور والسيقان والأوراق والبذور كلّ منها تبدو أعجب من الاخرى إذن يتّضح من تأمّلها أنّ لها زارعاً وخالقاً عليماً وقديراً.

ثم فند الإمام عليه السلام قولهم بدليلين: فقال أولًا:

«ولَمْ يَلْجَأُوا[۲۲۱] إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا،

ولَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا[۲۲۲]».

والدليل الثانى أنّ لكلّ بناء منظم ومبنى مرتب مهندس ومعمار فقال عليه السلام:

«وهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ، أَوجِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ».

وتوجد اليوم العديد من الآثار والمبانى هنا وهناك فى الكرة الأرضيّة وقد مرّت عليها آلاف السنين وحفظت كآثار تراثية لما فيها من دقة وفنون وليس هنالك أحد

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۲۱

من عباد اللّه ولا أحد من الماديين من يدعى أنّ هذه المبانى ظهرت بواسطة الأمطار والرياح والعواصف أو أنّها رتبت من قبل أفراد جهال من عديمى الخبرة عن طريق الصدفة، بل يجمع الجميع دون استثناء على وجود البانى لها صاحب العقل والشعور ويشيد بهندسته وفنه فى البناء.

والعبارة:

«أَوجِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ»

إشارة إلى أنّه ليس فقط البناء بحاجة إلى علم وتدبير بل التخريب والجناية المتعمدة تحتاج إلى تخطيط الشخص العاقل الذى يتعين عليه انتخاب الزمان والمكان والوسيلة وكيفية ممارسة العمل لتحقيق الهدف.

ويستعان اليوم بذوى الخبرة والاختصاص فى هدم بعض المبانى الضخمة بغية تفادى وقوع العوارض الجانبية، وعليه فالبناء والهدم المبرمج كلاهما يحتاج إلى العقل والتدبير.

والدليل على هذا الكلام ما سيرد فى القسم القادم من هذه الخطبة وكلام الإمام عليه السلام عن الجراد وبنيته العجيبة وعمله التخريبى المنظم ضد النباتات.

## تأمّل

### قبسات من برهان النظم

ما قاله الإمام عليه السلام فى العبارة الأخيرة من هذه الخطبة:

«وهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ، أَوجِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ»

إشارة لطيفة إلى البرهان المعروف ببرهان النظم الذى يعدّ من أهم الاستدلالات على معرفة اللّه.

توضيح ذلك:

أننا حين نرد مبناً ضخماً ذا عدّة طبقات يحتوى على غرف متعددة، وصالة للاستقبال، ومطبخ وحمام، ومرافق صحية، ومصاعد وحين نظر إلى الجدران والسقوف المزينة بالمرايا الجميلة والنقوش الظريفة الملونة ووسائل التكييف والتبريد ومد أنابيب المياه والغاز وخطوط الكهرباء والهاتف فنرى كلّ شيء منظم ومرتب.

فهل هنالك من أحد- مهما كانت درجته من العقل والشعور- يحتمل أنّ الصدفة الناشئة من الحوادث الطبيعية المختلفة هى التى تقف وراءه؟ أم أنّ عدّة عمال أميين

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۲۲

جمعوا مقداراً من مواد البناء فبنوا هذاالبناء الرائع دون أن يكون لديهم أدنى فن أو خبرة؟

قطعاً أنّ كلّ من يحتمل هذا الشيء إمّا أن يمزح أو أنّه فقد عقله، فالعقلاء كافّة يحكمون بأنّ بعض الأفراد الأذكياء أعدّوا خريطة مسبقة ثم تكاتف عدد من المهندسين البنائين المهرة والمختصين وذوى المهن المنزلية ليشيّدوا معاً هذا المبنى.

ويصدق هذا الكلام على كلّ بناء وكل مصنع وكل كتاب علمى و ... ويعبر عن ذلك ببرهان النظم ويقال إنّ النظم يدل دائماً على عقل وشعور من يأتى به، وكلّما كان النظم أدق وأعقد كان صاحبه أوعى عقلًا وشعوراً وعلماً.

ولو تأمّلنا بنية نملة والتى يمكن أن نقضى عليها لحظة واحدة دون أن نلتفت إليها لوقفنا على أنّها أعظم وأهم من تلك المبانى الشاهقة والضخمة، فبنية الأرجل، ومفاصلها والأيدى والمجسّات والعين الغاية فى الصغر وجهاز الشامّة القوى الذى يمكنها من الشمّ من مسافات بعيدة والفم والأمعاء وجهاز الهضم وسلسلة الأعصاب والأهم من كلّ ذلك الدماغ الغاية فى الصغر والخارق للذكاء

لكشف كلّ منها بمفرده خلقه من قبل خالق عالم وقدير.

أضف إلى ذلك فإنّ هذه الحشرة الصغيرة تتغذى وتنمو وتنجب بينما ذلك المبنى الضخم موجود جامد خالٍ من الروح لا يأكل ولا يشرب ولا ينمو ولا ينجب.

والحقّ أنّ إيماننا ليتعمق بذلك الخالق القادر والعالم إن اتجهنا صوب بنية الإنسان وأجهزته الغاية فى التعقيد كالقلب والدماغ والأعصاب وألوف الكيلومترات من الشرايين والأوعية الدمويّة التى تغذى كلّ لحظة جميع ذرات البدن.

أضف إلى ذلك فإننا نعلم أنّ العالم يحتوى على مئات الأُلوف من أنواع النباتات ومئات الأُلوف من أنواع الحيوانات والطيور والحشرات و ... ولكلّ منها قصته العجيبة والمذهلة.

والقرآن المجيد جعل كلّ واحدة منها آية من آياته فقال: «سَنُرِيهِمْ ايَاتِنَا فِى الْآفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ»[۲۲۳].

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۲۳

## القسم الخامس

### اشارة

وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِى الْجَرَادَةِ، إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ، وأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ، وجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ، وفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ، وجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ، ونَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ، ومِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ. يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِى زَرْعِهِمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا، ولَوأَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ، حَتَّى تَرِدَ الْحَرْثَ فِى نَزَوَاتِهَا، وتَقْضِى مِنْهُ شَهَوَاتِهَا. وخَلْقُهَا كُلُّهُ لَايُكَوِّنُ إِصْبَعاً مُسْتَدِقَّةً.

### الشرح والتفسير: صنع الجرادة

يمكن تصنيف الحشرات إلى ثلاثة أنواع؛ الصنف الذى يخدم الإنسان كالنحل الذى يزودنا بالشهد وعامّة النحل التى تنقل حبوب اللقاح وتنمى ثمار الأشجار.

والصنف الآخر الحشرات غير المؤذية (ظاهرياً) التى لا تعود على الإنسان بالنفع ولا تصيبه بضرر، والصنف الثالث الحشرات التى تعدّ من الآفات مثل الجراد.

وقد أسهب الإمام عليه السلام فى الأقسام السابقة من هذه الخطبة فى عجائب خلقة النمل فى أنّها وجودات خالية من الأضرار غالباً ومجدّة ومثابرة يمكن أن تكون نموذجاً للإنسان؛ لكنّه تحدّث هنا عن حشرة تعدّ من وسائل العذاب الإلهى وبإمكانها أن تجهز جيشاً لتهجم به على الحقول والمزارع ولا يسع قوّة الحد من زحفها، وهكذا يفصح اللّه تعالى عن قدرته فى جميع الجهات ويرسخ لدى الإنسان شعور الخوف والرجاء.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۲۴

فقال:

«وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِى الْجَرَادَةِ[۲۲۴]، إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ، وأَسْرَجَ لَهَا
حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ ۲۲۵]، وجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ، وفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِىَ ۲۲۶]».

وأضاف قائلًا:

(وجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ، ونَابَيْنِ ۲۲۷] بِهِمَا تَقْرِضُ، ومِنْجَلَيْنِ ۲۲۸] بِهِمَا

تَقْبِضُ».

صرح بعض العلماء بأنّ الجرادة حشرة عجيبة يشبه كلّ عضو منها أحد الحيوانات، وبعبارة أخرى مع أنّها تبدو حشرة ضعيفة لكنها تشبه عشرة حيوانات قوية، فوجهها كوجه الفرس، وعيونها كعيون الفيل ورقبتها كرقبة البقرة، ومجسّاتها كقرنى الضبى وصدرها كصدر الأسد وبطنها كبطن العقرب وأجنحتها كأجنحة العقاب وسيقانها كسيقان الجمل وأرجلها كأرجل النعامة وذيلها كذيل الحية، وقد أشار الإمام عليه السلام فى هذه العبارات إلى سبع خصائص عجيبة فيها؛ كالعيون والأحداق والأذن الخفية والفم والشعور القوى والأسنان الحادة والعضوين اللذين يشبهان منجلين على جانبى الفم (وسنعرض لها فى التأمّلات).

ثم تطرق عليه السلام إلى الأخطار العظيمة لهذه الحشرة التى تبدو ضعيفة فقال:

«يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِى زَرْعِهِمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا، ولَوأَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ، حَتَّى تَرِدَ الْحَرْثَ فِى نَزَوَاتِهَا[۲۲۹]، وتَقْضِى مِنْهُ شَهَوَاتِهَا. وخَلْقُهَا كُلُّهُ لَايُكَوِّنُ إِصْبَعاً مُسْتَدِقَّةً[۲۳۰]».

حقّاً أنّه لمن العجب أنّ كبار أبطال التاريخ كلّما جهّزوا جيشاً لمقاومة هذه الحشرة الضعيفة فشلوا فى التخلص منها؛ فأسراب الجراد تظهر كقطع السحب

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۲۵

الكبيرة فى السماء فتهجم بغتةً على البساتين والمزارع الواسعة، فتلتهم خلال مدّة قصيرة سيقان النباتات وأغصانها وأوراقها فتحيلها إلى أشجار عارية جرداء من الأوراق والثمار.

ويستعان اليوم بالطائرات التى ترش المبيدات الحشرية وسائر الوسائل لمواجهة خطر هذه الآفة مع ذلك لم تحرز سوى بعض التقدم وفى بعض الأحيان، وإن كانت حملة الجراد قوية، فإنّ الوسائل المعاصرة هى الأخرى تعجز عن مواجهتها.

### تأمّل

### عجائب الجرادة

إنّ إحدى الحشرات العجيبة هى الجرادة، الحشرة التى تبدو بصورة عادية خالية من الضرر والأذى حيث تعيش هنا وهناك فى المزارع والبساتين والوديان والجبال، ولكن ما أن تتلقى بعض الأوامر المشفرة حتى تتكاثر بسرعة وتتطاير كأسراب عظيمة بمثابة السحب فى السماء لتحط على كلّ مزرعة وبستان فتحيله خراباً.

ويقول العلماء: إنّ بنية هذه الحشرة غاية فى التعقيد والدهشة ومن ذلك لها عينان مركبتان وثلاثة عيون بسيطة، وتتكون عيونها المركبة من أربعة آلاف قسم ولكلّ قسم بنيته الخاصّة وتتشكل من جميع هذه العيون المركبة رؤية واحدة.

أمّا العيون الثلاثة البسيطة فتقع فى أعلى الرأس، ويتألف صدرها من ثلاث حلقات وبطنها من عشر حلقات تشبه بعضها البعض الآخر.

لها زوجان من الأجنحة زوج أمامى بصيغة مقوسة لا- يستعمل فى الطيران ووظيفته حفظ أجنحة الطيران الظريفة التى تنطبق حين الاستراحة لتحفظ تحت الأجنحة الأماميّة القويّة.

وقد استطالت أرجلها الخلفية لتساعدها فى القفز والوثوب، تضع الجرادة بيوضها فى فصل الصيف أو الربيع، حيث تخرج هذه البيوض بواسطة نوع من المواد

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۲۶

من ذيلها فتضعها فى ثقوب من الأرض تصنعها بنفسها، وتمتاز صغار الجراد التى تتفقس عن البيوض بشدّة النهم والحرص فتأكل كلّ ما يصادفها فى طريقها، ومن هنا لابدّ من التعرف على موضع بيوضها من أجل مكافحتها والتصدى لصغارها قبل تفقيسها من البيوض.

والجراد أنواع وأقسام منه الجراد البحرى والجراد المراكشى والجراد الإيطالى الذى يسبب خسارة للمزارع أكثر من غيره من سائر الأنواع، ومن عجائب هذه الحشرة أنّها تغير شكلها ست مرّات منذ تفقيسها من البيضة إلى تكاملها كحشرة قادرة على الطيران.

وتبدو أسراب الجراد على درجة من السعة بحيث تغطى آلاف الكيلومترات المربعة من السماء[۲۳۱].

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۲۷

## القسم السادس

### اشارة

فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِى يَسْجُدُ لَهُ (مَنْ فِى السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً)، ويُعَفِّرُ لَهُ خَدّاً ووَجْهاً، ويُلْقِى إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْماً وضَعْفاً، ويُعْطِى لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وخَوْفاً! فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِامْرِهِ؛ أَحْصَى عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا والنَّفَسَ، وأَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَى والْيَبَسِ؛ وقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا، وأَحْصَى أَجْنَاسَهَا. فَهذَا غُرَابٌ وهذَا عُقَابٌ. وهذَا حَمَامٌ وهذَا نَعَامٌ؛ دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ، وكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ.

وأَنْشَأَ (السَّحَابَ الثِّقَالَ) فَأَهْطَلَ دِيَمَهَا، وعَدَّدَ قِسَمَهَا. فَبَلَّ الأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا، وأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا.

### الشرح والتفسير: اللّه العظيم

بين الإمام عليه السلام فى ختام الخطبة خلاصة عامّة ليعتبر موجودات الأرض والسماء كافّة وأنواع الطيور والسحب والرياح مؤتمرة بأمره سبحانه وتعالى فقال:

«فَتَبَارَكَ [۲۳۲

اللَّهُ الَّذِى يَسْجُدُ لَهُ

«مَنْ فِى السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً»[۲۳۳]

، ويُعَفِّرُ[۲۳۴] لَهُ خَدّاً[۲۳۵]

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۲۸

ووَجْهاً، ويُلْقِى إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْماً وضَعْفاً، ويُعْطِى لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وخَوْفاً!».

ربّما يكون السجود هنا إشارة إلى الخضوع الإرادى للذات الإلهيّة المقدّسة فاعله أصحاب العقول والذى يفهم من كلمة «مَنْ»، كما يحتمل أن يكون المراد من السجود الإرادى التشريعى والتكوينى، إستناداً إلى أنّ مفردة «مَنْ» تشمل هنا ذوى العقول وغيرهم (أى لها حيثية تغليبية كما فى الاصطلاح).

ويمكن أن تكون العبارة

«طَوْعاً وَكَرْهاً»

إشارة إلى هذا المعنى، لأنّ السجود التشريعى قائم على أساس الإرادة، بينما ليست هنالك مثل هذه الإرادة فى السجود التكوينى، وعليه فربّما تكون إشارة إلى الطائفة التى تسجد مختارة للّهوالاخرى التى تسجد حين البلاء والشدّة كما ورد فى القرآن الكريم: «فَإِذَا رَكِبُوا فِى الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ»[۲۳۶].

كما أنّ العبارة

«يُعَفِّرُ لَهُ ...»

إن فسّرت بمعناها الحقيقى فهى إشارة إلى السجدة الاعتيادية التى يضع فيها الإنسان جبهته على التربة، وإن فسرت بالمعنى المجازى

فهى شاملة للخضوع التشريعى والتكوينى.

كما أنّ العبارة

«يُلْقِى إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ ...»

واردة بهذا المعنى أيضاً فى أنّ طائفة من العقلاء يخضعون للّهإنطلاقاً من الرغبة والاختيار والشعور بالضعف والعجز بينما تعيش الموجودات غير العاقلة حالة التسليم لقوانين الخلق دون إرادة واختيار.

وتشير العبارة

«يُعْطِى لَهُ الْقِيَادَ ...»

إلى مرحلة أبعد من مرحلة الطاعة لأنّ الإنسان يسمع أمر المولى فى الطاعة فينهض ويباشر العمل، أمّا فى القياد فهو يسلم نفسه لمولاه ليأخذه حيث يشاء.

ثم وذهب بعض اللغويين إلى التمييز بين «الرهبة» و «الخوف» فى أنّ الخوف يعنى مطلقه، بينما تعنى الرهبة الخوف المقرون بالاضطراب وضبط النفس.

ثم خاض الإمام عليه السلام ثانية فى جانب من مخلوقات اللّه العجيبة هى الطيور التى

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۲۹

تمتاز حقّاً بعالمها العجيب. فلا يقتصر الأمر على تحليقها إلى السماء باتّجاه مضاد للجاذبية الأرضيّة فتنطلق هنا وهناك بسرعة فائقة، بل تمتاز بنيتها ببعض الأشياء المعقدة من جميع الجهات والتى سنعرض إلى جانب منها فى ختام هذا البحث فقال:

«فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِامْرِهِ».

والعبارة اقتباس من الآية الشريفة: «أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَات فِى جَوالسَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِى ذلِكَ لَآيَات لِّقَوْم يُؤْمِنُونَ»[۲۳۷].

ثم أسهب الإمام عليه السلام فى شرح هذه الطيور فأشار إلى بعض الأمور المهمّة فقال:

«أَحْصَى عَدَدَ الرِّيشِ ۲۳۸] مِنْهَا والنَّفَسَ، وأَرْسَى ۲۳۹] قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَى ۲۴۰] والْيَبَسِ؛ وقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا، وأَحْصَى أَجْنَاسَهَا. فَهذَا غُرَابٌ وهذا عُقَابٌ. وهذَا حَمَامٌ وهذَا نَعَامٌ؛ دَعَا كُلَّ طَائِر بِاسْمِهِ، وكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ».

أشار الإمام عليه السلام فى هذه العبارات إلى أمور رائعة، فعدّ ريش الطيور من أغرب عجائبها فكلّ منها يشبه البرعم الجميل الذى غاصت جذوره بصورة سطحية فى لحم بدنه وظهرت أغصانه وأوراقه بصورة منتظمة وتجمعت على بعضها بهيئة خاصّة على جوانب الرأس والعنق والجناح والصدر وما أن يسقط أحد منها حتى ينمو آخر غيره فلطافتها عجيبة وألوانها أعجب.

ثم أشار إلى أقدامها فقد صممت بعضها لليابسة فهى قصيرة ومحكمة، وأخرى للفائدة عند حافات البحار والأنهار فهى طويله ومرتفعة وبرقبة طويلة لتمكن الطائر من تناول طعامه من داخل المياه.

ثم تطرق عليه السلام إلى موادها الغذائيّة حيث لكلّ حصته من الحبوب وما شابه ذلك

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۳۰

والطريف فى الأمر أنّ أيّاً من الطيور لا- يملك أسناناً لقضم هذه الحبوب وبالمقابل زودت بمعدة (والتى يطلق عليها اسم القانصة) والتى تمتاز بحراراتها الشديدة فتفرز بعض السوائل التى تطحن الحبوب وتمتصها، وحيث لا تمتلك الوقت الكافى لالتقاط الحبوب خشية مهاجمتها من مختلف الأعداء فقد زودت بعضو آخر هو الحوصلة التى تشبه الكيس فتقوم عن طريقها بجمع سريع لتلك الحبوب ثم تهضمها وتمتصها.

ثم أشار إلى أنواع مختلفة ومتفاوتة للطيور حيث لكلّ بنيّته الخاصّة وطريقته المختصة به كالغراب والعقاب إلى الحمام والنعام والتى

انطوت على العديد من العجائب والغرائب بما يبهت الإنسان فتعالى اللّه الملك الحقّ الذى أبدع كلّ هذا الخلق.

ولعل العبارة

«دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ»

تشير إلى هذا الموضوع حيث إنّه سبحانه خلق كل طائر من هذه الطيور على ضوء ما أراده من خصائص والواقع هذه دعوة تكوينيّة مع مجموعة الخصائص التى عبّر عنها بالاسم وشبيه تلك العبارة التى وردت فى القرآن الكريم بشأن خلق جميع الموجودات: «انَّمَآ أَمْرُهُ إِذَا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»[۲۴۱].

واختتم الإمام عليه السلام خطبته بالإشارة إلى السحب التى تعدّ المصدر الأصلى بما تفيضه من مياه ضرورية لحياة جميع الموجودات فقال:

«وأَنْشَأَ

«السَّحابَ الثِّقَالَ»[۲۴۲]

فَأَهْطَلَ ۲۴۳] دِيَمَهَا[۲۴۴]، وعَدَّدَ قِسَمَهَا. فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا وأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ

جُدُوبِهَا[۲۴۵]».

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۳۱

وإننا لنعلم أنّ السحب على أنواع فهنالك السحب المغطاة التى تخلو تقريباً من المياه وتلك التى تحمل قليلًا من الماء، والنوع الثالث السحب المتجمعة المليئة بالمياه والشديدة الرطوبة وكأنّها بحار علقت فى عنان السماء وتكون عادة فى الطبقات السفلى من الجو والتى عبّر عنها القرآن الكريم بالسحاب الثقال فقال:

«وَهُوالَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَد مَّيِّت فَأَنزَلْنا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ»[۲۴۶].

## تأمّل

### دروس عظيمة بعبارات قصيرة

تعلّمنا من هذه الخطبة عدّة دروس؛ ومن ذلك أن نتأمّل أسرار عظمة اللّه حتى فى أصغر موجودات هذا العالم، فما أكثر الموجودات الصغيرة والتى لا تبدو فى ظاهرها مهمّة كالنمل والجراد بينما تختزن عجائب أسرار الخلقة، فما علينا إلّاأنّ نعيد النظر فى رؤية كلّ شيء وكأننا نراه لأول مرّة لنقف على عجائبه فنستدل من خلالها على خالقها الحكيم والقادر العليم.

جدير ذكره أنّ الأسلاف ذكروا بعض الأمور عن أسرار خلق الموجودات ولا سيما الحيوانات والتى لا تخلو من الأساطير والخرافات والحال ما ذكره الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة وسائر خطب نهج البلاغة عن أسرار الخليقة يخلو تماماً من أى إغراق وخرافة واسطورة.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۳۳

## الخطبة ۱۸۶

### اشارة

فِى التَّوْحيدِ وتَجْمَع هذِهِ الْخُطْبَة مِنْ أَصولِ الْعِلْم
ما لا تَجْمَعُهُ خُطْبَةٌ[۲۴۷]

## نظرة إلى الخطبة

تحدّث الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة عن صفات اللّه تعالى ليشير إلى أكثر من سبعين صفة حيث لم يلاحظ ذكر هذا العدد من صفات الجلال والجمال فى أى من سائر الخطب.

والواقع كشف الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة عن قدرات تفكيره الربّانى فى شرح وتوضيح أعقد المسائل العقائدية، فتطرق إلى تفاصيل صفاته تعالى الثبوتيّة والسلبيّة

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۳۴

والإضافيّة بنظام خاص ورائع، وما أحرانا أن نعدّ ذلك بمنزلة سورة التوحيد- التى اعتبرتها بعض الروايات أنّها تعدل ثلث القرآن الكريم- فى نهج البلاغة.

والخطبة فى الحقيقة قسم واحد هو شرح أسماء اللّه وصفاته لكننا من باب المسامحة نقسمها إلى ثلاثة أقسام، قسم يتحدّث عن صفات اللّه الثبوتيّة والقسم الآخر فى صفاته السلبيّة وقسم ثالث فى قدرته تعالى فى مسألة المعاد وعودة الناس إلى الحياة الاخرويّة.

وبالتالى فإنّ كلّ من يتأمّل هذه الخطبة ليقطع بأنّ أحداً من الفلاسفة الإلهيين فى الماضى والحاضر لم يقدموا مثل هذه الصورة الرائعة والدقيقة والجلية بشأن اللّه تعالى؛ حتى أنّ من يطلع على هذه الخطبة من غير المسلمين لا يملك إلّاالإشادة بقائلها.

***

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۳۵

## القسم الأوّل

### اشارة

مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ، وَلَا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ، وَلَا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وتَوَهَّمَهُ. كُلُّ مَعْرُوف بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ، وكُلُّ قَائِم فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ. فَاعِلٌ لَابِاضْطِرَابِ آلَة، مُقَدِّرٌ لَابِجَوْلِ فِكْرَة، غَنِيٌّ لَا بِاسْتِفَادَة. لَاتَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ، وَلَا تَرْفِدُهُ الْأَدَوَاتُ؛ سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ، وَالْعَدَمَ وُجُودُهُ، وَالْابْتِدَاءَ أَزَلُهُ. بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَامَشْعَرَ لَهُ، وبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمورِ عُرِفَ أَنْ لَاضِدَّ لَهُ، وبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ. ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ، والْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ، والْجُمُودَ بِالْبَلَلِ، وَالْحَرُورَ بِالصَّرَدِ. مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا، مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا، مُقَرِّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا، مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا.

### الشرح والتفسير: أضواء مهمّة فى صفات اللّه

تشتمل هذه الخطبة الشريفة كما ورد سالفاً على مواضيع قيمة ومباحث هامّة فى علم اللّه والتى بيّنت بمنتهى الفصاحة والبلاغة وحسن الأسلوب وانسجام العبارات، فقد استهل الإمام عليه السلام الخطبة بالإشارة إلى جانب من صفات اللّه السلبيّة فقال:

«مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ، وَلَا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ، وَلَا صَمَدَهُ ۲۴۸] مَنْ
أَشَارَ إِلَيْهِ وتَوَهَّمَهُ».

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۳۶

فقد أشار الإمام عليه السلام فى أول صفة من صفاته السلبيّة إلى مسألة نفى الكيفية عن اللَّه تعالى، تلك الحالة التى تعرض على الجسم المادى أو الموجود الروحانى وبما أنّ طرو العوارض دليل على المخلوقيّة فإنّ الذات الإلهيّة الطاهرة لا تطرأ عليها الكيفية كونها أزليّة وأبديّة.

ثم نفى الإمام عليه السلام عن اللَّه فى الصفة الثانية أى شبيه ومثيل، ذلك إن كان له مثيل وكانت هذه المثليّة فى جميع الجهات لأصبح عينه، وإن كانت فى بعض الجهات لزم منها التركيب (تركيب ما به الاشتراك وما به الامتياز) والتركيب لا ينسجم مع كونه واجب الوجود، ذلك لأنّ كلّ مركب يحتاج أىّ أجزائه ولا معنى للحاجة فى واجب الوجود، وبعبارة أخرى تكون الأجزاء فى المرتبة السابقة للكلّ، وعليه إن كان واجب الوجود لكانت تلك الأجزاء، لا (الكلّ) المولود من تلك الأجزاء، ومن جانب آخر فإنّ الذى يلزم من الأجزاء التعدد والتعدد محال فى واجب الوجود، لأنّ واجب الوجود لامتناهٍ من جميع الجهات ويستحيل وجود لامتناهيين من جميع الجهات.

ونفى الشبيه فى الصفة الثالثة عن الذات القدسيّة، فالذات اللامتناهية من جميع الجهات لا شبيه لها (الفارق بين المثل والشبيه أنّ المثل يلاحظ فى جميع الجهات أو أكثر الصفات بينما الشبيه يمكن فى بعض الجهات).

وقال فى الصفة الرابعة والخامسة: من أشار إلى اللَّه أو توهمه لم يعرفه، لأنّ الإشارة الحسية دلالة على الجسميّة والاشتمال على الجهة والمكان المنزّه اللَّه منها، وتوهمه يعنى جعل حدود لذاته اللامحدودة، وعلى هذا الأساس نقول ليس لأحد درك ذاته سبحانه وعلمنا به هو علم إجمالى فنقول مثلًا: اللَّه خالق وخالق لهذا العالم.

ثم أشار عليه السلام إلى صفتين أخريين فقال:

«كُلُّ مَعْرُوف بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ، وكُلُّ قَائِم فِى سِوَاهُ مَعْلُولٌ».

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۳۷

قلنا كراراً أنّ اللَّه وجود لا متناهٍ من جميع الجهات ولا يستوعبه فكرنا المحدود، ولهذا فهو أسمى من الخيال والقياس والظن والوهم، فإن قيل: فكيف نعرف اللَّه؟

نقول: عن طريقين رئيسيين؛ الأوّل الإشارة إلى آثاره وأفعاله التى ملأت عالم الوجود وكلّما أمعنا النظر فى شىء رأيناه إجمالًا خلفه، والآخر عن طريق تحليل حقيقة الوجود التى تنتهى إجمالًا بواجب الوجود والذى يصطلح عليه (برهان الصديقين) والذى أشير إليه فى الأحاديث والأدعية بعنوان

«يا مَنْ دَلَّ عَلى ذاتِهِ بِذاتِهِ»

وهو أيضاً علم إجمالى؛ لا علم بكنه وحقيقة ذاته الخارجة عن متناول جميع الأفكار بما فيها أفكار الأنبياء والأولياء.

كما توضح هذه النقطة أنّ كلّ شىء قائم بآخر سواء بصورة عرض عارض على ذلك الشىء أو بصورة وجود جوهرى متوقف عليه، على كلّ حال معلول آخر واللَّه تعالى واجب الوجود ليس بمعلول؛ بل هو القيوم؛ أى القائم بذاته وقيام الآخرين به.

ثم أشار عليه السلام إلى أفعاله وتدبيره وغناه فقال:

«فَاعِلٌ لَاباضْطِرَابِ آلَهٍ، مُقَدِّرٌ لَا بِجَوْلِ ۲۴۹] فِكْرَهٍ، غَنِيٌّ لَاباسْتِفَادَهٍ».

لأنّ الشخص إنّما يستعين فى عمله بالوسائل والأدوات من حيث كانت قدرته محدودة ولابدّ له من الاستفادة والاستعانة بتلك الوسائل ومن يحتاج فى تدبيره الفكر والمطالعة فإنّما يعزى ذلك لمحدودية علمه وهذا ما يدفعه لزيادة فكره ومطالعاته؛ أمّا من كان علمه وقدرته لامتناهيان فهو غنى عن كلّ ذلك كما أنّ جميع الأغنياء غيره يصبحون أغنياء عن طريق كسب المال والمقام وأمثال ذلك من خارج وجودهم أمّا اللَّه تعالى فهو الغنى بالذات.

قال تعالى فى القرآن الكريم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللّهِ وَاللّهُ هُوالْغَنِيُّ الْحَمِيدُ»[۲۵۰].

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۳۸

ثم واصل كلامه عليه السلام فى بيان هذه الصفات فقال:

«لَا تَصْحَبُهُ الأَوْقَاتُ، وَلَا تَرْفِدُهُ ۲۵۱] الأَدَوَاتُ؛ سَبَقَ الأَوْقَاتَ كَوْنُهُ، وَالْعَدَمَ وُجُودُهُ، وَالْابْتِدَاءَ أَزَلُهُ».

العبارة:

«لَا تَصْحَبُهُ الأَوْقَاتُ ...»

تشير إلى أنّ الزمان أمر حادث واللَّه تعالى الأزلى والأبدى الذات لم ولن يقترن بالحوادث كما لم تكن الأدوات والآلات سنده ومعينه.

والفارق بين هذه العبارة والعبارة:

«فَاعِلٌ لَابِاضْطِرَابِ آلَةً»

يمكن أن تكون فى أنّ الكلام فى العبارة السابقة فى أفعال اللَّه التى لا تتطلب الآلات والأدوات؛ بينما تشير هذه العبارة إلى عدم استعانته بهذه الأدوات فى بقائه.

العبارة:

«سَبَقَ الأَوْقَاتَ كَوْنُهُ ...»

فى الواقع، شرح للعبارة

«لَا تَصْحَبُهُ الأَوْقَاتُ»

لأننا حين نقرّ بأنّ وجوده أسمى من الزمان والمكان نخلص إلى نتيجة أنّ وجوده سبق الزمان وتقدم على العدم وأنّ أزليته مقدمة على كلّ بدايه.

وهنا يرد هذا السؤال، وهو أنّ الإمام عليه السلام قال: وجوده سبق عدمه والحال العدم ليس بالشىء الذى يسبقه وجود اللَّه والجواب يمكن القول إنّ المراد من العدم هنا هو انعدام المخلوقات أى أنّ اللَّه تعالى كان موجوداً حين لم يكن أى من الموجودات.

ويقال أحياناً هذه العبارة كناية عن كون اللَّه واجب الوجود لأنّ الذات الواجبة الوجود كائنة وستكون على الدوام وتتغلب على العدم ولا يعرض لها العدم بأى شكل من الأشكال.

وتشير العبارة:

«وَالْابْتِدَاءَ أَزَلُهُ»

إلى أنّ الذات الأزليّة والأبديّة أسمى من أن يكون لها ابتداء.

ثم خاض عليه السلام فى صفات أخرى كلّ واحدة منها أهم من الأخرى فقال:

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۳۹

«بِتَشْعِيرِهِ ۲۵۲] الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَامَشْعَرَ لَهُ»

، لأنّ وجود الحواس من لوازم المخلوقات الممكنة الوجود ويتنزّه عن ذلك واجب الوجود، أضف إلى ذلك أنّ الحواس من عوارض الموجودات، والعرض والمعروض شيئان مختلفان بينما نعلم أن ليس للتركيب من سبيل إلى ذات اللَّه.

بعبارة أخرى لقد دلّ اللَّه تعالى بخلقه الحواس لعباده أنّ الاحساس والحواس عارضة ومنفصلة عن ذات الأشياء، وهنا فهم العباد أن ليس له حواس لأنّ ذاته ليست محلّاً للعوارض.

ثم قال عليه السلام:

«وبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْامُورِ عُرِفَ أَنْ لَاضِدَّ لَهُ، وبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَاقَرِينَ لَهُ»

وتفسير هذا الكلام أنّ وجودين متضادين يكونان قطعاً محدودين ولهما حالتان مختلفتان، والحال الذات الإلهيّة ليست محدودة ولا شيء عارض عليها، كما أنّ الموجودين المقرونين محدودان ولهما عوارض مشابهة بينما الذات الإلهيّة لامحدودة من كلّ الجهات وعارية من كلّ العوارض.

وواصل الإمام عليه السلام كلامه بالإشارة إلى بعض المصاديق من الأمور المتضادة فقال:

«ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ، والْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ[۲۵۳]، والْجُمُودَ بِالْبَلَلِ، وَالْحَرُورَ بِالصَّرَدِ[۲۵۴]».

طبعاً ينطوى هذا التضاد على فلسفة تتمثل فى ايجاد التوازن وإزالة آثار السوء لكلّ شيء بآخر، فلو أشرقت الشمس على جانب من الكرة الأرضيّة دائماً وغط الجانب الآخر منها فى ظلمة دائمة لزالت الحياة عاجلًا؛ فالجانب الذى يتعرض إلى الشمس يحترق بفعل شدّة الحرارة ويهلك، كما ينجمد ويزول ذلك الذى يعيش الظلمة: «قُلْ أَرَأَيْتُم إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلَا تَسْمَعُونَ»[۲۵۵]؛ «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلى يَوْم

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۴۰

الْقِيَامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْل تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ»[۲۵۶]؛ «وَمِنْ رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»[۲۵۷].

قد يقال هنا إنّ الظلمة أمر عدمى وليس بالشيء الذى خلقهاللّه أو يكون مضاداً للنور.

وهوذات السؤال الذى ورد فى الآية الشريفة: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ»[۲۵۸].

ولكن بالإلتفات إلى هذه النقطة وهى أنّ ظلمة الليل وأمثالها ليست ظلمة مطلقة لتكون عدميّة، بل ضعف شديد للنور ومن هنا حين تطفأ المصابيح فى الليل فجأة لا نكاد نرى شيئاً مطلقاً، ولكن بالتدريج تعتاد عيوننا ذلك النور الضعيف فى جوف الظلمة فنبدأ برؤية الأشياء من حولنا، وعليه فالظلمة مخلوق من مخلوقات اللّه مضادة للنور.

ويمكن أن تكون العبارة

«والْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ»

إشارة إلى اختلاف الألوان وفلسفة ذلك تمييز الأشياء عن بعضها البعض الآخر، فالوضوح إشارة إلى الألوان الفاتحة والبهمة إلى الألوان الغامقة والقاتمة، أو إشارة إلى الحالات شبه المضيئة وشبه المظلمة بين الطلوعين والغروبين.

«والْجُمُودَ بِالْبَلَلِ»

أشار إلى اليابسة والبحار والأشياء الجامدة والمرطوبة والتى لكلّ منها فلسفته الوجودية المختصة به.

كما تشير

«والْحَرُورَ بِالصَّرَدِ»

إلى فصول السنة أو بصورة كلية الحرارة والبرودة والتى لكلّ منهما دوره فى حياة ورشد الكائنات الحية.

ثم أشار عليه السلام إلى أربع صفات أخرى فقال:

«مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا، مُقَارِنٌ بَيْنَ

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۴۱

مُتَبَايِنَاتِهَا، مُقَرِّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا، مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا»

. حيث تطرق الإمام عليه السلام إلى أمور غاية فى الأهميّة اعتمدها اللّه سبحانه وتعالى فى تدبير عالم الوجود، فقد جمع فى أغلب الموارد بين الضدين فربط بين الروح هذا الجوهر اللطيف الذى يفوق المادة مع هذا الجسم الترابى وجعل عدّة موجودات مختلفة إلى جانب بعضها البعض الآخر الأمر الذى نلاحظه فى تركيب بدن الإنسان والحيوان والنبات حيث جعل عشرات الفلزات وأشباه الفلزات

إلى جانب بعضها البعض الآخر ليخلق منها ذلك التركيب البديع، والعجيب أنّه جعل الجاذبية والتناقض بين الضدين كالقطب الكهربائى الموجب والقطب السالب وبين القطبين المتشابهين أوجد حالة من التنافر كما فى القطبين الموجبين أو القطبين السالبين كما جعل جاذبية بين الجنس المذكر والمؤنث والتنافر بين المتجانسين.

وهكذا فقد أشار الإمام عليه السلام إلى أربعة أقسام من موجودات العالم: قسم منها متضاد كالنور والظلمة والروح والجسم، وآخر متباين كأنواع النباتات والحيوانات المتباينة غير المتضادة وقد جعل اللَّه بينها جميعاً نوعاً من الألفة.

والقسم الثالث تلك المتباعدة وقد قرّبها اللَّه كالأزواج من قومين منفصلين عن بعضهما البعض الآخر ويقترنان ببعضهما إثر الحبّ والمودّة.

وأخيراً القسم الرابع الأمور القريبة من بعضها ذاتاً، وقد ابعدها اللَّه عن بعضها بتدبيره لهذا العالم مثل كرات المنظومة الشمسية التى كانت مع بعضها البعض حسب النظرية المعروف ففصلها اللَّه تعالى وخلق المنظومة الشمسيّة.

رغم أنّ الأجزاء المركبة للنباتات وأوراقها تنفصل عنها بعد الجفاف وتتحول إلى عناصر فعالة لتنمية سائر الأشجار والنباتات كما أنّ سحب الغيوم أحياناً تتصل مع بعضها من مختلف المناطق بواسطة الرياح فتهطل الأمطار الحيوية، كما يأمر الرياح بحملها إلى مناطق أخرى

نعم! فربوبيّته وتدبيره تقتضى أحياناً أن يجمع بين الضدين وأحياناً أخرى للتقريب بين المتباينين وثالثة تقريب المتباعد وإبعاد المتقارب.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۴۲

### تأمّل

### كيفية الجمع بين الضدين

يعتقد البعض أنّ العالم مؤلف من جمع الأضداد والتضاد سبب التكامل وحسب بعض الحكماء

«لَولا التَّضادُ ما صَحَّ الْفَيْضُ عَنِ الْمَبْدَأ الْجَوادِ»

. كما استدل البعض على هذا المطلب بعبارة الإمام عليه السلام الواردة فى الخطبة:

«مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا، مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا ...».

ويرى اتباع المدرسة الماديّة الديالكتيكية أنّ أحد المبادئ الأربعة يتمثل فى الجمع بين الضدين ويزعمون أنّ كلّ موجود يحمل ضده فى داخله وبظهور الضد يزول الموجود السابق ويضربون على ذلك مثال البيضة والدجاجة وأمثال ذلك ليخلصوا فى النتيجة إلى أنّ المجتمع الرأسمالى يبلور مضطراً داخله ضده الذى يتمثل فى المجتمع الاشتراكى والشيوعى وما تظهر حتى تزول الرأسمالية، وهكذا طرحوا مبادئهم الواهية الجوفاء على هذا الأساس بحيث اتضح ضعفهم وعجزهم عملياً على مستوى الظاهر، وقد لمسنا كيفية إنهيار هذه المدرسة.

ويجب الإلتفات إلى أنّ الجمع بين الضدين (أو النقيضين) مصطلح فلسفى يعنى الجمع فى محل واحد من جميع الجهات بمعنى أن يكون الشيء الواحد أسوداً وأبيضاً فى آن واحد، وهذا محال؛ أو يكون مكان معين فى لحظة معينة ليلًا ونهاراً أو يكون الإنسان حيّاً وميّتاً فى زمن معين ومن الطبيعى أنّ الجمع بين هذين النقيضين محال بهذا المعنى، ولكن أحياناً يكون المراد الجمع العرفى: كأن يجتمع جسمان أبيض وأسود مع بعضهما فى آن واحد أو فى زمنين متصلين، فأحياناً يكون الجسم أبيضاً وأخرى أسوداً.

وهذا المعنى ليس ممكناً فقط فحسب بل شمل جوانب عظيمة من هذا العالم وعلى ضوء هذه النقطة نعود إلى أصل الموضوع فنقول:

فى العالم الذى نعيش فيه فإنّ مدبّره هو الذات الإلهيّة القدسيّة التى أشاعت نظام الأضداد، وكما ورد فى كلام

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۴۳

الإمام عليه السلام فقد مزج النور بالظلمة والحرارة والبرودة واليبوسة والبلل ووظف نظام الليل والنهار والفصول الأربعة والسحب والأمطار والشمس ببعض الأعمال المهمّة، وأحياناً يلاحظ بين الأمثال أنّ عضواً من أعضاء الإنسان أو النبات ليس فقط لا يتضادان بل هما منسجمان مع بعضهما.

على كلّ حال فإنّ التضاد بالصيغة المذكورة من شأنه فى أغلب المواقع أن يلعب دوراً مهماً فى تطوير المجتمع البشرى وتكامل الكائنات؛ والتنافس البناء فى كلّ مجتمع مدعاة للتطور وعادة ما يؤدّى إلى القوّة والمنعة فى مختلف المجالات حتى أنّ وجود الشيطان أمام المؤمنين مدعاة لتأصل ورسوخ إيمانهم.

***

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۴۵

## القسم الثانى

### اشارة

لَا يُشْمَلُ بِحَدٍّ، وَلَا يُحْسَبُ بِعَدٍّ، وإِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا، وتُشِيرُ الْآلاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا. مَنَعَتْهَا «مُنْذُ» الْقِدْمَةَ، وحَمَتْهَا «قَدُ» الْأَزَلِيَّةَ، وجَنَّبَتْهَا «لَولَا» التَّكْمِلَةَ! بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ، وبِهَا امْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ، وَلَا يَجْرى عَلَيْهِ السُّكُونُ والْحَرَكَةُ، وكَيْفَ يَجْرى عَلَيْهِ مَا هُوأَجْرَاهُ، ويَعُودُ فِيهِ مَا هُوأَبْدَاهُ، ويَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوأَحْدَثَهُ! إِذاً لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ، ولَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ، وَلَامْتَنَعَ مِنَ الْأَزَلِ مَعْنَاهُ، ولَكَانَ لَهُ وَرَاءٌ إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ، وَلَالْتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ. وإِذاً لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ، ولَتَحَوَّلَ دَلِيلا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولا عَلَيْهِ، وخَرَجَ بِسُلْطَانِ الْامْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ مَا يُؤَثِّرُ فِى غَيْرِهِ. الَّذِى لَايَحُولُ وَلَا يَزُولُ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْافُولُ. لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً، ولَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً. جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ، وطَهُرَ عَنْ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ.

### الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذا القسم إلى صفات أخرى من صفات اللّه السلبيّة فقال:

«لَا يُشْمَلُ بِحدٍّ، وَلَا يُحسَبُ بِعَدٍّ، وإِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا، وتُشِيرُ الْآلاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا».

وتفسير العبارة الأُولى والثانية واضح لأنّ اللّه وجود لا متناهٍ من جميع الجهات ولو كان محدوداً لما كان واجب الوجود، بل لأصبح ممكن الوجود كذلك لو حسب بعدد لكان من الممكنات التى يمكن عدّها، وقولنا إنّ اللّه واحد لا بمعنى الواحد

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۴۶

العددى بل بمعنى عدم وجود مثيل له: «لَيسَ كَمِثْلِهِ شَىءٌ»[۲۵۹].

بينما اختلف شرّاح نهج البلاغة فى تفسيرهم للعبارتين الثالثة والرابعة بسبب الإبهام الذى يسودها ولعلّ مفتاح حلّ المشكلة فى تفسير هاتين العبارتين يكمن فى هذا الأمر وهو أنّ القرائن تشير إلى أنّ المرحوم السيد الرضى قد حذف العبارات المرتبطة بهاتين العبارتين درجاً على عادته فى الاقتطاف.

ورغم حرص المرحوم الرضى على عدم بتر العبارات المرتبطة مع بعضها إلّاأنّ ذلك قد يقع سهواً ونسياناً أحياناً.

والشاهد على سقوط بعض العبارات فى هذه الخطبة ما ورد فى «تحف العقول» حيث قال الإمام عليه السلام:

«لا تَفوّتْهُ «مَتى وَلا تدنيهِ «قَد» وَلا تَحجُبُهُ «لَعلّ» وَلا تُقارُنُهُ «مَع» وَلا تَشتَمِلُهُ «هو» إنّما تَحدّ الأدواتُ أنفُسَها وَتشيرُ الآلَةُ إلى نَظائِرِها».

فهذه الكلمات (بعض العبارات مثل متى وقد ولعل ومع وهو) تحدد نفسها (أى تستعمل فقط حين يكون للزمان والمكان وعدم العلم إليها من سبيل) وهذه العبارات إنّما تشير إلى نظائرها (النظائر الموجودة فى عالم الممكنات لا الذات المقدّسة التى لا نظير لها).

ثم أكّد عليه السلام هذا الكلام بقوله:

«مَنَعَتْهَا «مُنْذُ» الْقِدْمَةَ، وحَمَتْها «قَدُ» الْأَزَلِيَّةَ، وجَنَّبَتْهَا «لَولَا» التَّكْمِلَةَ!»[۲۶۰].

توضيح ذلك: أنّ المفردة

«مُنْذُ»

تستعمل حيث السيرة التاريخية لوجود الشىء، وعليه واستناداً إلى استعمال هذه المفردة بشأن الممكنات يمكن التوصل بسهولة إلى أنّها حادثة وليست قديمة، كما أنّ المفردة

«قَد»

حين تستعمل فى الماضى تعنى

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۴۷

وقوع الشىء القريب من الزمن الحاضر وهذا أيضاً لا ينسجم مع الأزلية، كما تستعمل المفردة

«لَولَا»

حيث المانع الذى يكمن فى طريق تكامل الشىء، كالقول الذى نقله القرآن الكريم على لسان الكافرين حين مخاطبتهم للمستكبرين: «لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ»[۲۶۱]. واستناداً إلى أزليّته وأبديّته سبحانه وكماله المطلق فلا تستعمل بحقّه هذه الأدوات والعبارات.

ثم قال الإمام عليه السلام فى بيانه لصفات أخرى من صفات اللّه أنّه تجلى للعقل بخلقه لمخلوقاته ومن هنا تعذرت رؤيته بهذه العيون:

«بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ، وبِهَا امْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ».

نعم، فآثاره واضحة فى كلّ زاوية من زوايا عالم الوجود ومنها ندرك وجوده المقدّس؛ مع ذلك لا يمكن رؤيته بعين، لأنّ رؤية العين تختص بالأجسام ذات الزمان والمكان والأجزاء والجهة، واللّه منزّه عن كلّ هذه الأمور.

ثم تعرض الإمام عليه السلام لمسألة مهمّة أخرى ليتحدّث بشأن نفى السكون والحركة عن الذات القدسيّة فقال عليه السلام:

«وَلَا يَجْرِى عَلَيْهِ السُّكُونُ والْحَرَكَةُ، وكَيْفَ يَجْرِى عَلَيْهِ مَا هُو أَجْرَاهُ، ويَعُودُ فِيهِ مَا هُوأَبْدَاهُ، ويَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوأَحْدَثَهُ!».

نعم، فالحركة والسكون من عوارض الممكنات، والحركة أن يكون للشىء موضعين أو حالتين فى زمانين، والسكون أن يكون له فى زمانين نفس المكان والحالة، وعليه فالسكون حادث والحركة كذلك؛ لأنّ كلا الصفتين بيان للحالة الثانية للشىء التى مضى عليها الزمان، بعبارة أخرى فى الحالة الأولى لا سكون ولا حركة بينما للسكون والحركة معنى فى الحالة الثانية، فإنّ كان فى المكان الأوّل سكون كان فى موضع آخر حركة.

أضف إلى ذلك إن كانت الحركة فى المكان والزمان والكيفيّة وما شابه ذلك فهى من عوارض الجسم وكذلك إن كانت الحركة فى الجوهر، وأننا لنعلم أنّ اللّه ليس

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۴۸

بجسم ولا بجوهر.

والنتيجة هى أنّ الحركة والسكون من مخلوقات اللّه ومن الممكنات وليس لها من سبيل قط إلى الذات القدسيّة واجبة الوجود.

ثم خاض الإمام عليه السلام ليذكر ثمانية أدلة على هذا الموضوع فقال:

الأوّل: لوجرت علیه الحرکة والسکون

«اذاً لَتَفاوَتَتْ ذاتُهُ»

ونعلم أنّه وجود ذوکمال مطلق ولیس لأیّ تغییر من سبیل إلی ذاته الثابتة.

والثانی لزم أیضاً:

«ولَتَجَزَّأَ کُنْهُهُ»

لأنّ ما یلزم الحرکة بلوغ الموجود نقطة لم تکن عنده، وعلیه فوجوده مرکب ممّا ما بالفعل وما بالقوّة.

والثالث:

«ولَامْتَنَعَ مِنَ الأَزَلِ مَعْنَاهُ»

، لأنّ الحرکة والسکون کما قلنا حادثان وذاته سبحانه أزلیّة وقدیمة ویستحیل الجمع بین الحادث والقدیم.

والرابع: یلزم من الحرکة

«ولَکَانَ لَهُ وراءٌ إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ»

، لأنّ للحرکة بأی اتجاه وبأی مفهوم لها جهة تعدّ أمامیّة وما یعاکسها جهة خلفیة.

والخامس: یلزم من الحرکة البحث عن الکمال، فمن عانی النقص یبحث عن الکمال

«وَلَالْتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ»

، لأنّ الحرکة إمّا إلی النقص أو الکمال، ومهما کانت فهی تعنی عدم مطلقیة الموجود المتحرک.

السادس: لو تخللته الحرکة لظهرت فیه آیة الخلق

«وإِذاً لَقَامَتْ آیَةُ الْمَصْنُوعِ فِیهِ».

السابع: أنّه لو کان کذلک لکان دلیلًا علی وجود خالق آخر، لا أن تکون المخلوقات دلیلًا علیه:

«ولَتَحَوَّلَ دَلِیلا بَعْدَ أَنْ کَانَ مَدْلُولا عَلَیْهِ».

الثامن: فسوف لن یؤثر علیه ما یؤثر علی غیره بسبب قوّته المطلقة

«وخَرَجَ بِسُلْطَانِ الْامْتِنَاعِ مِنْ أَنْ یُؤَثِّرَ فِیهِ مَا یُؤَثِّرُ فِی غَیْرِهِ»

. إشارة إلی أنّ سلطته المقتدرة وغیر القابلة للتغییر إلّاأن یکون فی معرض الحوادث وما یؤثر فی غیره لایؤثر علیه، لأنّ ذاته القدسیّة لیست قابلة للتغییر.

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۱۴۹

وزبدة الکلام فإنّ الحرکة سواء کانت فی العرض أو الجوهر، فی الکمیة (کنمو بدن الإنسان أو النبات) أو فی الکیفیة (کتغیر الألوان فی عالم الطبیعة وزیادة ونقصان الحرارة والبرودة فی فصول السنة) وسواء کانت نحوالکمال (کنموالطفل) أو نحوالنقصان (کالضعف والعجز لدی الکهول) لیس لها من سبیل إلی الذات القدسیّة، واجب الوجود وکمال مطلق وتختص الحرکة بالممکنات والوجودات الناقصة.

أضف إلی ذلک فإنّ الحرکة عبارة عن الجزئیّة والحدوث التی لیس لها من سبیل إلی الذات الأزلیّة.

ثم تطرق الإمام علیه السلام إلی بیان سبع صفات أخری ذات علاقة قویة بمسألة الحرکة فقال:

«الَّذِی لَایَحُولُ وَلَا یَزُولُ، وَلَا یَجُوزُ عَلَیْهِ الْافُولُ».

فالتغییر والزوال والأفول والغروب کلّها من عوارض الموجودات الممکنة والمحدودة والناقصة ولا تتصور هذه الصفات علی اللّه.

ثم قال علیه السلام:

«لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً، ولَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً. جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الأَبْنَاءِ، وطَهُرَ عَنْ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ».

لا ـ شك فى أنّ كلّ هذه الأمور من قبيل الولادة والزواج والولد والابن من عوارض الوجودات الجسميّة، واللّه سبحانه ليس بجسم وليست له عوارض جسميّة، أضف إلى ذلك كلّ هذه الأمور من علامات الحدوث وكذلك الحاجة، وهوليس بحادث ولا محتاج.

والعبارة:

«لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً»

إشارة إلى الوضع المعروف لدى الكائنات الحيّة التى تولد من أحد ومن جانب آخر يولد منهم أولادهم، وعليه فلا يبدو النقض على آدم عليه السلام أنّه صاحب ولد لكنه لم يولد من أحد لا يبدو وارداً لأنّ آدم عليه السلام كان فرداً استثنائياً، إضافة إلى أنّ آدم إن لم يولد من إنسان فقد ولد من التراب وهذا بحدّ ذاته نوع ولادة.

***

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۵۱

## القسم الثالث

### اشارة

لَا تَنَالُهُ الأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ، وَلَا تَلْمِسُهُ الأَيْدِى فَتَمَسَّهُ. وَلَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ، وَلَا يَتَبَدَّلُ فِى الأَحْوَالِ. وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِى والأَيَّامُ، وَلَا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ. وَلَا يُوصَفُ بِشَىءٍ مِنَ الأَجْزَاءِ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالأَعْضَاءِ، وَلَا بِعَرَضٍ مِنَ الأَعْرَاضِ، ولَا بِالْغَيْرِيَّةِ والأَبْعَاضِ. وَلَا يُقَالُ: لَهُ حَدٌّ وَلَا نِهَايَةٌ، وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ؛ وَلَا أَنَّ الأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَتُقِلَّهُ أَوتُهْوِيَهُ، أَوأَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ، فَيُمِيلَهُ أَويُعَدِّلَهُ. لَيْسَ فِى الأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ، وَلَا عَنْهَا بِخَارِجٍ. يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ ولَهَوَاتٍ، ويَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وأَدَوَاتٍ. يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ، ويَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ، ويُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ.

يُحِبُّ ويَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ، ويُبْغِضُ ويَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ. يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ: (كُنْ فَيَكُونُ)، لَابِصَوْتٍ يَقْرَعُ، وَلَا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ؛ وإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ ومَثَّلَهُ، لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذلِكَ كَائِناً، ولَوكَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلهاً ثَانِياً.

#### الشرح والتفسير: جانب من صفاته المطلقة

إنّ من النقاط المهمّة الواضحة والمتجلية فى كلمات الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة هى نفيه عليه السلام عن اللّه تعالى أى صفة من الصفات الماديّة والجسميّة بعبارات متنوعة؛ ذلك لأنّ أغلب الناس يعانون من التشبيه فى معرفة اللّه ويصورون له فى أذهانهم بعض صفات المخلوقات وهذا خطأ جسيم لا يغفر.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۵۲

وقد ركز هذا الموحد العارف باللّه كراراً على هذه المسألة لينقذ مخاطبيه من هوة التشبيه بعبارات غاية فى الجمال والروعة والدقّة.

ومن هنا قال فى مواصلته للأبحاث السابقة فى هذا الجانب من الخطبة:

«لَا تَنَالُهُ الأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ، وَلَا تَلْمِسُهُ الأَيْدِى فَتَمَسَّهُ. وَلَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ، وَلَا يَتَبَدَّلُ فِى الأَحْوَالِ. وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِى والأَيَّامُ، ولَا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ».

«اوْهام»

جمع

«وَهْم»

بمعنى قوّة الخيال التى تتعلق بالمادة والمحسوسات ولو أحاط الوهم باللَّه لكان له مكان وزمان وكيفيّة وكميّة، بينما ذاته المقدّسة منزّهة عن هذه الأمور فللجسم أجزاء والزمان والمكان والتغيير والحركة أمور ليست لها من سبيل إلى ذاته اللامتناهيّة.

«فِطَن»

جمع

«فِطْنه»

قوّة العقل ويقال

«الفَطِن»

وتنشط قوّة العقل أيضاً بمساعدة الواهم والتصورات الذهنية المتعلقة بالأجسام، وعليه فلو أدرك بالعقل وبمساعدة الوهم لظهرت ثانية قضية العوارض الجسميّة.

العبارة:

«ولا تَلْمِسُهُ ...»

بالنظر إلى أنّ اللمس يختلف عن المس، حيث يطلق المس على التماس بالأجسام بينما يطلق اللمس على الطلب والسعى للتماس- إشارة إلى أنّه مهما يسعى الإنسان للمسه تعالى بيده لما أمكن ذلك لأنّه ليس بجسم فيلمس.

وأمّا بالإلتفات إلى ثبات ذاته فإنّ تغييره بمرور الزمان والحوادث كالنور والظلمة ليس بممكن؛ لأننا قلنا كراراً أنّه وجود كامل ولا متناهٍ من جميع الجهات ويفوق المكان والزمان والحركة، ومثل هذه الذات لا تتأثر بالحوادث والتغييرات كما لا يجرى عليها ليل ونهار ونور وظلمة.

ثم أردف ذلك عليه السلام بقوله:

«وَلَا يُوصَفُ بِشَىء مِنَ الأَجْزَاءِ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالأَعْضَاءِ، ولَا بِعَرَض مِنَ الأَعْرَاضِ، وَلَا بِالْغَيْرِيَّةِ والأَبْعَاضِ».

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١٥٣

من الواضح أنّ جميع هذه الأمور أى الاشتمال على الأجزاء وأعضاء البدن وقبول العوارض- مثل الألوان والكميّة المتفاوتة والكيفيّة- كلّها من خواص الجسم والجسمانيات والمادة والممكنات وكذلك التفاوت مع الأشياء الأخرى، لأنّه يلزم من ذلك التركب من قدر مشترك وما به الامتياز، وكل تركب دليل على احتياج المركب إلى أجزائه والموجود المحتاج لا يكون واجب الوجود.

ثم بين الإمام عليه السلام صفات أخرى فى مواصلته لبيان صفاته السلبيّة فقال:

«وَلَا يُقَالُ: لَهُ حَدٌّ وَلَا نِهَايَةٌ، وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ؛ وَلَا أَنَّ الأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَتُقِلَّهُ [٢٦٢] أو تُهْوِيَهُ [٢٦٣]، أَوأَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ، فَيُمِيلَهُ أَويُعَدِّلَهُ».

هذه الصفات الست (الحد والنهاية والانقطاع والغاية والاحاطة والحمل) كلّها من صفات الأجسام واللَّه منزّه عن الجسمية فليس لهذه الصفات من سبيل إلى ذاته المقدّسة.

وعلى فرض أنّ بعض هذه الصفات صادقة على غير الموجودات الماديّة، فمما لا شك فيه أنّها من صفات ممكن الوجود المحدود من كلّ جهة دائماً، وقلنا كراراً أنّ ذات واجب الوجود لامتناهية من جميع الجهات وعليه فلا- تجرى أى من هذه الصفات على تلك الذات.

أضف إلى ذلك فإنّ للصفات المذكورة لوازم هى الأخرى مرتبطة بعالم الأجسام، فالاحاطة بالشىء تؤدّى إلى رفعه أو خفضه، وحمل

الشيء يسبب أحياناً ميله إلى جانب معين أو ثباته وكل ذلك من صفات الأجسام.

بل ذهب بعض الفلاسفة إلى أنّه لا يمكن وصف اللَّه تعالى باللانهاية لأنّه قد يتداعى منه اللانهائية الجسميّة، على كلّ حال سعى الإمام عليه السلام فى جوانب هذه

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۵۴

الخطبة لانتشال مخاطبيه من الوقوع فى فخ التشبيه فنزه اللَّه تعالى عن كلّ صفة من صفات مخلوقاته.

ثم أردف حديثه عن الصفات بذكر صفات أخرى فقال عليه السلام:

«لَيسَ فِى الْأَشْيَاءِ بِوَالِج ۲۶۴]، وَلَا عَنْهَا بِخَارِج».

قد يتصور البعض من هذه العبارات التى وردت بشأن إحاطة اللَّه تعالى بجميع الأشياء فى هذه الخطبة وسائر الخطب والروايات أنّ هنالك شيئاً من التناقض فكيف يكون هنالك وجود لا داخل فى الأشياء ولا خارج عنها، إلّاأنّ هذه حقيقة واقعة، ففى تشبيه ناقص يمكن القول إنّ ذاته المقدّسة هى روح عالم الوجود، وروح الإنسان فى بدنه لا بمعنى أنّها جزء من البدن كما أنّها خارجة من البدن لا بصفتها غريبة عنه بل لها احاطة تدبير وتصرف فى الجسم، وإن خرجت هذه الروح من الجسم قطعت علاقة تدبيرها وتصرفها؛ فيموت. فاللَّه تعالى بمنزلة عالم الوجود.

ثم خاض عليه السلام فى بيان خمس صفات أخرى فقال:

«يُخْبِرُ لَابِلِسَان ولَهَوَات ۲۶۵]،

ويَسْمَعُ لَابِخُرُوق ۲۶۶] وأَدَوَات. يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ، ويَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ، ويُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ».

إشارة إلى اطلاق بعض الصفات على اللَّه تعالى كالسميع والحفيظ والمتكل والمريد؛ لكنه مجرّد من العوارض الجسميّة والأسباب الماديّة، لأنّه ليس بجسم ولا- مادة، والسميع أو الحفظ بمعنى علمه بجميع الأقوال والكلمات وحفظه لجميع الحوادث الماضية وهى نتيجة للحفظ والسمع والإرادة، بعبارة أخرى فإنّ هذه العبارات من قبيل المجازات التى تفوق الحقيقة ولا ينبغى أبداً حين نسمع هذه

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۵۵

الألفاظ التى ابتدعها البشر لحياته اليوميّة وتتصف عادة بالجسمية والماديّة أن نتصور أنّها تجرى كذلك على الذات القدسيّة، بل لابدّ من التخلص من الأغطية الجسميّة والماديّة كافّة حين استعمال هذه الألفاظ بشأن اللَّه تعالى، وهى بالتالى من قبيل:

«خُذِ الْغاياتِ واتْرُكِ الْمَبادِىء»

ليمكن استعمالها بشأن اللَّه تعالى.

احتمل بعض شرّاح نهج البلاغة أنّ المراد فى العبارة

«يَحْفَظُ ولا يَتَحَفَّظُ»

أنّ اللَّه تعالى يحفظ الموجودات من الحوادث وهو لا- يحتاج إلى حافظ، ولكن بالإلتفات إلى سائر الصفات التى وردت قبل هذه الصفة يتّضح أنّ المفهوم الصحيح لهذا الكلام ما ورد سابقاً بمعنى الإشارة إلى قوّة الحافظة.

ثم أشار عليه السلام إلى صفتين فقال:

«يُحِبُّ ويَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّة، ويُبْغِضُ ويَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّة».

رغم أنّ البعض تصور معنيين مختلفين لِ

«يُحِبُّ ويَرضى»

وكذلك

«يُبْغِضُ وَيَغْضَبُ»

غير أنّ سياق كلام الإمام عليه السلام يفيد أنّهما ذات معنى واحد أو استعملتا بمعنى واحد.

على كلّ حال فهاتان الصفتان تشبهان الصفات المذكورة سابقاً، لأسبابهما بعد سماوى، لكن نتيجتهما تصدق على اللّه فمحبّتنا ورضانا ممزوجة برقة القلب ونوع من الرغبة الباطنيّة كما أنّ بغضنا وغضبنا لألم ومعاناة باطنيّة مقرونة بإثارة الأعصاب وارتفاع ضغط الدم، ومن البديهى أنّ هذه المعانى ليست صادقة على اللّه، ولذلك فسروا هذه الأوصاف بالنتيجة، فقالوا إنّ حبّ اللّه لعباده ورضاه عنهم بهذه الصيغة أنّه يشملهم عملياً بنعمه وتوفيقاته وبغضه وغضبه على شخص فى أن يسلبه النعمة والتوفيق والسعادة.

هذا النوع من التفسير بالنتيجة أحد المبادئ الأساسيّة الذى يستعمل بشأن العديد من صفات اللّه.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۵۶

ثم قال عليه السلام:

«يَقُولُ لِمَنْ أَرادَ كَوْنَهُ:

كُنْ فَيَكُونُ»[۲۶۷]

نفحات الولاية ؛ ج۷ ؛ ص۱۵۶

، لَابِصَوْت يَقْرَعُ، وَلَا بِنِدَاء

يُسْمَعُ؛ وإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ ومَثَّلَهُ، لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذلِكَ كَائِناً، ولَوكَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلهاً ثَانِياً».

مراد الإمام عليه السلام من هذا الكلام أنّ العبارة

«كُنْ فَيَكُونُ»

وردت فى الآيات القرآنيّة بمعنى الأمر اللفظى؛ ليس من قبيل أوامر الملوك والسلاطين لمن دونهم بحيث يجرون بعض الألفاظ على ألسنتهم ويسمعون مخاطبيهم، وربّما يدفعهم الحرص أحياناً للصراخ حتى ليسمع صوتهم من مكان بعيد، بل أوامر اللّه تعالى هى أوامر تكوينيّة وبتعبير آخر هى فعل، فإنّ أراد شيئاً (الإرادة أيضاً بمعنى العلم بالنظام الأصلح) يوجد مباشرة، فلو أراد لوجدت الكائنات فى لحظة واحدة كما توجد فى تلك اللحظة السماء والأرض والنجوم والمجرّات ولو أراد أيضاً لوجدت بصورة تدريجيّة خلال ألف سنة أو ملايين السنين دون زيادة أو نقيصة.

وفعل اللّه هوخلق الموجودات ليس على سبيل شبيه سابق؛ لأنّ الأمر لوكان كذلك للزم تعدد الوجود الأزلى وتعدد الإله والمعبود، وكما ذكرنا فى أبحاث التوحيد فإنّ التعدد فى هذا المورد محال لأنّ الوجود اللامتناهى واللامحدود من جميع الجهات يأبى التعدد.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۵۷

## القسم الرابع

### اشارة

لَا يُقَالُ: كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، فَتَجْرِىَ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ، وَلَا يَكُونُ بَيْنَهَا وبَيْنَهُ فَصْلٌ، وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ، فَيَسْتَوِىَ الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ، ويَتَكَافَأَ الْمُبْتَدَعُ وَالْبَدِيعُ. خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَال خَلَا مِنْ غَيْرِهِ، ولَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَد مِنْ خَلْقِهِ. وأَنْشَأَ الأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَال، وأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَار، وأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمَ، ورَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمَ، وحَصَّنَهَا مِنَ الأَوَدِ وَالْاعْوِجَاجِ، ومَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ وَالْانْفِرَاجِ. أَرْسَى أَوْتَادَهَا، وضَرَبَ أَسْدَادَهَا، وَاسْتَفَاضَ عُيُونَهَا، وخَدَّ أَوْدِيَتَهَا؛ فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ، وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ. هُوالظَّاهِرُ

عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وعَظَمَتِهِ، وهُوالْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ ومَعْرِفَتِهِ، والْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيء مِنْهَا بِجَلَالِهِ وعِزَّتِهِ. لَايُعْجِزُهُ شَيٌ مِنْهَا طَلَبُهُ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبُهُ، وَلَا يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقَهُ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذی مَال فَيَرْزُقَهُ. خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ لَهُ، وذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ، لَاتَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِهِ وضَرِّهِ، وَلَا كُفءَ لَهُ فَيُكَافِئَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ.

## الشرح والتفسير: صفات أخرى فی الجمال والجلال

أشار الإمام عليه السلام فی هذا الجانب من الخطبة إلی صفات أخری من صفات اللّه ليكمل ما تطرق إليه سابقاً، فاتّجه بادئ الأمر صوب أزليّة اللّه تعالی فقال عليه السلام:

«لَا يُقَالُ: كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، فَتَجْرِیَ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ، وَلَا يَكُونُ بَيْنَهَا وبَيْنَهُ

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١٥٨

فَصْلٌ، وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ، فَيَسْتَوِیَ الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ، ويَتَكَافَأَ الْمُبْتَدَعُ وَالْبَدِيعُ [٢٦٨]».

ثم خاض فی شرح صفة أخری من صفاته البارزة تعالی أی قدرته فتعرض لمسألة الابدع والخلق دون سابقة فقال:

«خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَال خَلَا مِنْ غَيْرِهِ، ولَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَد مِنْ خَلْقِهِ»

. فحين نتأمّل عالم الخلقة تطالعنا أنواع لا تحصی من المخلوقات فی عالم الحشرات والنباتات والجمادات التی يمتاز كلّ منها ببنيته البديعة وخلقه الرائع الخاص، وهی الموجودات التی ليس لها من سابقة وقد كساها اللّه سبحانه حلّة الوجود من طيات العالم وساقها لمسيرتها التكامليّة، والحال لو كان للإنسان بعض الصناعات لاكتسبها من الآخرين، فمثلًا تأمّل الإنسان أجنحة الطيور وكيفية طيرانها ففكّر فی صنع طائرة غاية فی البساطة، ثم جاء العلماء فی زمان لاحق الواحد تلو الآخر ليستفيدوا من الاختراع السابق ويجدوا فی إتمامه حتی بلغ الأمر ذروة تكامله فی عصرنا الراهن.

وعلی هذا الأساس فإنّ علماءنا إمّا يستلهمون من الطبيعة فی اختراعاتهم أو من الآخرين فهم لا يقومون بعمل دون سابقة ولا يقومون به دون الاستعانة بالآخرين والحال أعمالهم محدودة بينما اللّه تعالی وفی ايجاده لهذه المخلوقات المتنوعة كافّة والتی لا تعدّ ولا تحصی ليس بحاجة إلی سابقة ولا لمعونة أحد.

ثم اتّجه عليه السلام إلی جانب آخر من قدرته اللامتناهية فقال:

«وأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَال، وأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَار، وأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِم، ورَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِم، وحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوَدِ[٢٦٩] وَالْاعْوِجَاجِ، ومَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ [٢٧٠] وَالْانْفِرَاجِ [٢٧١]».

نفحات الولاية، ج٧، ص: ١٥٩

من المسلم به اليوم من قِبل الجميع أنّ الكرة الأرضيّة تدور منذ ملايين السنين حول نفسها والشمس فی مدار معين فی الحركة وهذه الحركة علی درجة من السرعة المنتظمة والهادئة بحيث لايشعر بها سكان الأرض ممّا دفع العلماء السابقين لاعتبار الأرض ثابتة ومركز العالم، تری ماهذه القدرة العظيمة التی حفظت ثبات الكرة الأرضيّة منذ ملايين السنين ورغم تعدد حركاتها دون دعائم وأعمدة، ودون أدنی تشقق وتحطم أجزاء رغم مضی كلّ هذه المدّة الزمانيّة؛ وهل من قدرة غير القدرة الإلهيّة من شأنها القيام بهذا العمل؟ إننا لنعلم اليوم أنّ المسافة التی جعلت الأرض بهذا البعد عن الشمس وفی وضع طبيعی معلول للتعادل بين قوّة الجاذبة والدافعة، وعلی أساس الجاذبيّة فإنّ كلّ كتلتين تجذب إحداهما الأخری بقوة تتناسب طردياً مع حاصل ضرب الكتلتين وعكسياً مع مربع المسافة بينهما. فهذه القوّة تجعل الأرض تندفع بسرعة نحو الشمس فتنجذب إليها وتتحول إلی بخار، ومن جانب آخر فإنّ الحركة الدورانيّة حول المركز تسبب فرار ذلك الجسم من المركز والتی تسمی قوّة الطرد المركزية وكلّما كانت الحركة أسرع كانت القوّة الطاردة أكبر، ولذلك حين يدور القلاب الحجری بسرعة ويترك فجأة فإنّه يقذف إلی نقطة بعيدة، وعليه وبغية دوران الأرض فی مدارها

لملايين السنين بصورة طبيعية لابدّ من مساواة قوّة الجاذبية للقوّة الطاردة، وتختل لهذه المعادلة لو إزدادت أو قلت المسافة وكذلك لوازدادت أو قلت الحركة فتتيه الأرض في الفضاء أو تنجذب باتجاه الشمس.

وهنا يرد هذا السؤال: لم كلّ هذه العبارات المختلفة؟

ذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أنّها من قبيل العطف التفسيرى؛ ولكن يبدو أنّ الإمام عليه السلام استعمل كلّ عبارة بمعنى معين ليوضح جوانب الموضوع كافّة، توضيح ذلك إن أريد ثبات جسم فلابدّ من موضع يستند إليه، ومن ثم حاجته لدعائم وأعمدة قوية ومحكمة، وقد قال الإمام عليه السلام إنّ اللّه أثبت الأرض دون الحاجة إلى

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۶۰

هذه الأمور، فهى تسبح فى الفضاء بانتظام دون موضع وأعمدة، ثم أشار فى العبارة اللاحقة إلى أنّ اللّه حال دون إعوجاج الأرض أو تهافتها وانفراجها وأودها، ولكلّ من هذه المفردات معنى معين، فالأود إشارة إلى الثقل والضغط الذى يؤدّى إلى الإعوجاج، كما يوجب أحياناً التهافت أو الانفراج فى البناء، واللّه حفظ الأرض من كلّ ذلك.

ثم تطرق عليه السلام إلى سائر عجائب الأرض والتدبير الإلهى لإعدادها للحياة البشريّة فقال عليه السلام:

«أَرْسَى أَوْتَادَهَا، وضَرَبَ أَسْدَادَهَا[۲۷۲]، وَاسْتَفَاضَ عُيُونَهَا، وخَدَّ[۲۷۳] أَوْدِيَتَهَا؛

فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ، وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ».

فالعبارة الأُولى إشارة إلى العديد من الآيات القرآنيّة الواردة بشأن الجبال وأنّ اللّه وتد بها الأرض وجعلها كالمسامير، فقد جاء فى سورة النبا: «وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً»[۲۷۴][۲۷۵] ولما كان أحد آثار الجبال أنّها تكمن بصورة سد فى مقابل السيول والعواصف فقد عبّر عنها بالأسداد، وبالنظر إلى أنّ الخلل والشقّ فى الجبال والمواضع الخالية فى بعض أقسامها يؤدّى إلى خزن الماء ومن ثم جريان العيون، وكذلك شقوق الجبال التى تؤدّى إلى ظهور الأودية وانحدار مياه الأمطار إلى الأودية فقد ركز عليها الإمام عليه السلام فى خطبته.

ولما أراد عليه السلام الإشارة إلى ربوبية اللّه وتدبيره والتى تعدّ من صفات أفعاله فقد تطرق إلى صفات الذات وأشار بعبارات غاية فى الروعة والدقّة إلى علم اللّه وقدرته ووحدانيته فقال:

«هُوالظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وعَظَمَتِهِ، وهُوالْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ ومَعْرِفَتِهِ، والْعَالِى عَلَى كُلِّ شَىء مِنْهَا بِجَلَالِهِ وعِزَّتِهِ. لَايُعْجِزُهُ شَىٌ مِنْهَا طَلَبَهُ، وَلَا

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۶۱

يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبَهُ، وَلَا يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقَهُ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذِى مَال فَيَرْزُقَهُ».

أساس كلّ هذه الصفات فى الواقع علمه وقدرته اللامتناهيّة، ومن له القدرة اللامتناهيّة يغلب كلّ شىء ويسمو على كلّ موجود، لا يغلبه شيء ولا يفر من قدرته وبالطبع غنى عن الكلّ، لأنّه القادر على كلّ شيء.

كما أنّ من كان علمه لامتناهياً فهو عليم ببواطن الأشياء وظواهرها بل الظاهر والباطن لديه على حد سواء، كما يتساوى لديه القوى والضعيف والبعيد والقريب والأعلى والأسفل.

ولا يخفى الدور الذى يلعبه الإلتفات إلى هذه الصفات فى تربية الإنسان وتزكيته بغض النظر عن الارتقاء بمستوى معرفته.

ثم واصل كلامه عليه السلام فى شرحه لقدرة اللّه تعالى فى عالم الوجود فقال:

«خَضَعَتِ الأَشْيَاءُ لَهُ، وذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ، لَاتَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِهِ وضَرِّهِ».

نعم فالعالم كلّه ملك اللّه وقوانينه حاكمة فى كلّ مكان وأينما اتّجهنا فإنّما نحن خاضعين لسلطانه وليس خارج ذلك إلى العدم ولا معنى للفرار من سلطته.

وهنا يتساءل شرّاح نهج البلاغة أنّ الفرار من الضرر ممّا لا شك فيه؛ ولكن ما المراد بالهروب من المنفعة؟

فأجابوا: إنّ المراد بأنّ الشخص إذا لم يرد أن يكون مديناً لآخر لكى لا يخضع له أو بعبارة أخرى يهرب من منافعه وعطاياه لكى لا

يضطر للخضوع له؛ فإنّ مثل هذا العدد لا معنى له إزاء اللَّه ولطفه وقهره.

قال تعالى: «قُلْ مَنْ ذَا الَّذِى يَعْصِمُكُمْ مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوأَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً»[۲۷۶].

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۶۲

ثم جرى الكلام هنا عن الامتناع عن قبول رحمة اللَّه وعقابه فأشار عليه السلام إلى أن لا سبيل أمامكم سوى القبول سواء أراد بكم رحمة أو مصيبة إزاء رحمته؛ ففى كلّ الأحوال أنتم مدينون له.

ثم اختتم عليه السلام الخطبة بالتأكيد على وحدانيته سبحانه فقال:

«وَلَا كُفءَ لَهُ فَيُكَافِئَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ».

قلنا مراراً، إنّ الذات الإلهيّة لامتناهية من جميع الجهات، ومن الطبيعى أن تستحيل الأثنية فى الوجود اللامتناهى، لأنّ التعدد إنّما يقترن دائماً بالمحدودية، لأنّ كلّ واحد منهما فاقد لوجود الآخر، أو بعبارة أخرى فإنّ حد كلّ واحد منهما نقطة نهايته وهذا ما لا ينسجم مع الذات الإلهيّة اللامتناهيّة وغير المحدودة.

والجدير بالذكر أنّ هذا القسم ينطلق بالتوحيد ويختتم بالتاكيد عليه بعد ذكر سلسلة من صفات الذات وصفات الأفعال.

***

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۶۳

## القسم الخامس

### اشارة

هُوالْمُفْنِى لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا، حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا. ولَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَاخْتِرَاعِهَا. وكَيْفَ وَلَواجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وبَهَائِمِهَا، ومَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا وسَائِمِهَا، وأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وأَجْنَاسِهَا، ومُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا وأَكْيَاسِهَا، عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَة، مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا، وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى إِيجَادِهَا، ولَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِى عِلْمِ ذلِكَ وَتَاهَتْ، وعَجَزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ، ورَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً، عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ، مُقِرَّةً بِالْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا، مُذْعِنَةً بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا!

### الشرح والتفسير: العجز عن خلق بعوضة

تحدّث الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة عن قضية فناء العالم وقدرة اللَّه المطلقة على خلق العالم وعدمه بعد أن فرغ من أبحاثه العميقة فى الأقسام السابقة من هذه الخطبة بشأن خلق العالم ولا سيما الأرض وعجائبها فقال:

«هُوالْمُفْنِى لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا، حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا».

ثم واصل كلامه فقال:

«ولَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَاخْتِرَاعِهَا. وكَيْفَ وَلَو اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وبَهَائِمِهَا، ومَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا[۲۷۷] وسَائِمِهَا[۲۷۸]، وأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا[۲۷۹] وأَجْنَاسِهَا، ومُتَبَلِّدَةِ[۲۸۰] أُمَمِهَا وأَكْيَاسِهَا،

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۶۴

عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَة، مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا، وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى إِيجَادِهَا».

فهذا الكلام لا يعد حقيقة إبان صدوره من الإمام عليه السلام آنذاك، بل هوحقيقة واقعة اليوم، ذلك أنّه لو اجتمع علماء العالم كافة

لخلق بعوضة لعجزوا عن ذلك، لأنّ قضية بعث الحياة فى الجمادات مستحيلة، أضف إلى ذلك فإنّ بنية البعوضة من حيث الأجنحة والأرجل والدماغ والأعصاب وجهاز الهضم والانجاب على درجة من التعقيد والدقّة فغير الخالق سبحانه لا يستطيع المخلوق خلق بعوضة.

وتشير كلّ عبارة من العبارات:

«مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا، وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى إِيجَادِهَا»

إلى نقطة معينة، فالعبارة الأولى تشير إلى عجز الإنسان والحيوان عن خلق بعوضة، بينما تشير العبارة الثانية إلى الجهل بتلك الأسباب والعوامل.

وقد ورد مثل هذا المعنى فى القرآن الكريم بشأن خلق الذباب حيث قال تعالى:

«انَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَواجْتَمَعُوا لَهُ»[۲۸۱].

ثم قال عليه السلام:

«ولَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِى عِلْمِ ذلِكَ وَتَاهَتْ، وعَجِزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ، ورَجَعَتْ خَاسِئَةً[۲۸۲] حَسِيرَةً[۲۸۳]، عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ، مُقِرَّةً بِالْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا، مُذْعِنَةً

بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا!».

نعم لو عزمت هذه البعوضة الصغيرة على أذى الإنسان وسائر الحيوانات ولم يحد اللّه من انجابها لتكاثرت بشكل يضيّق الحياة على الإنسان ولعجزت كلّ المبيدات عن مواجهتها، وما نشاهده اليوم من القضاء عليها فى بعض المناطق بفعل المواد السامة فذلك لأنها محدودة فى انجابها وإلّا لكانت كالجراد فى خروجها عن

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۶۵

السيطرة ولشكلت أسراباً عظيمة تملأ أركان الفضاء، وهذه البعوضة التى تبدو فى ظاهرها ضعيفة قد كشفت فى بعض الأحيان عن قدرتها- بإذن اللّه- لتهاجم أحياناً بصورة جماعية فيلًا فتقضى عليه.

ويمتاز بعضها- فى ظروف معينة- بنقلها للميكروبات الخطيرة أو السموم القاتلة فتشعر الإنسان بعجزه عن مواجهتها لتثبت له مدى قدرتها.

## تأمّلان

### ۱. المعاد الجسمانى واعادة المعدوم

تحدّث بعض شرّاح نهج البلاغة بشأن المعاد الجسمانى عند العبارة

«هُوالْمُفْنِى لَها بَعْدَ وُجُودِها»

التى تصدر بها هذا الجانب من الخطبة واستشهدوا على ذلك بهذه الآية: «يَوْمَ نَطْوِى السَّمَاءَ كَطَىِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْق نُعِيدُهُ»[۲۸۴].

ثم أضافوا أنّ جميع الأنبياء وخاصة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أخبر عن فناء هذا العالم، وأضافوا أنّ الفلاسفة خالفوا هذا الأمر لا على أساس عدم إمكانيّة فناء العالم، بل على أساس استحالة انعدام العالم مع بقاء العلّة وهى الذات الإلهيّة المقدّسة.

ثم خاضوا فى شرح مسألة امتناع إعادة المعدوم وأشاروا إلى شكّ البعض فى مسألة المعاد الجسمانى، والحقّ فناء العالم ليس بمحال، لأنّ اللّه فاعل مختار وإن رآى المصلحة خلق الشىء أو عدمه، كما ليس هنالك من شكّ فى المعاد الجسمانى، فقد صرّح القرآن فى

العديد من آياته بهذا الأمر، كما أنّه ليس هنالك من دليل عقلى على امتناعه [۲۸۵].

وليست هنالك من علاقة بين مسألة استحالة إعادة المعدوم ومسألة المعاد، لأننا إن قلنا إعادة المعدوم مستحيلة؛ يعنى ذلك أنّ إعادة ذلك الشيء بجميع خصوصياته حتى الزمان والمكان محال وبالطبع ليست هنالك من عودة للزمان الذى مضى، إلّا

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۶۶

أنّ عودة الإنسان فى المعاد يوم القيامة لا تعنى عودة الزمان والمكان الماضيين، فليس هنالك من عاقل يزعم بعودة ذلك الزمان الذى عاشه فى الدنيا يوم القيامة، بل المراد عودة إنسان بجميع خصائصه فى زمان ومكان آخر، مثلًا حين يحيى المسيح عليه السلام ميتاً فسيكون ذلك الشخص السابق قطعاً وإن أحياه فى زمان ومكان آخر، وهكذا إحياء الأموات فى القيامة.

وزبدة الكلام فما جاء فى هذه الخطبة هو بعينه ما ورد فى القرآن الكريم، بل شرح الإمام عليه السلام فى الواقع آيات المعاد هنا بعبارات رائعة وعميقة.

## ۲. الخلقة العجيبة للبعوض!

صرّح الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة لواجتمعت الكائنات كافّة لخلق بعوضة لما استطاعت، ولواطلق اللَّه العنان للبعوض فى التكاثر لما كانت هنالك من قوّة فى العالم قادرة على القضاء عليها وكما أسلفنا فإنّ هذا الكلام لا يبدو حقيقة على عهد نزول القرآن وعصر الإمام فحسب بل هو كذلك حتى فى عصرنا الراهن.

فللبعوضة خلقة معقدة؛ أغلبها لا تعيش سوى فى المياه الراكدة فى حافات الأنهار والمستنقعات وما شابه ذلك، وتضع انثى البعوض ما يقرب من ۱۵۰ بيضة فى كلّ مرّة لتفقس عن بعوضة ولكلّ بعوضة وليدة انبوب تنفسى نحيف للغاية يرتبط بسطح المياه تتعلق به البعوضة، ثم تظهر بعد بضعة أيّام قشرة على جوانبه كما يحدث الكثير من التغييرات فى بنيتها داخل القشرة التى تبدو ظاهراً عديمة الحركة، وبعد عدّة أيّام تخرج البعوضة غير الكاملة من تلك القشرة فتطير وتقضى سائر عمرها لتعيش فى الهواء.

والتغييرات التى تطرأ خلال هذه المدّة القصيرة على بنية البعوضة وتحولها من كائن مائى إلى طائر حقّاً لمذهلة وعجيبة.

يقول العلماء إنّ ذكور البعوض تتغذى على عصارة الفواكه وسوائل النباتات؛

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۶۷

بينما تتغذى الاناث على امتصاص الدم فهى تلسع الإنسان وتمتص دمه كمادة غذائية.

والبعوض حشرات صغيرة لها جناحان ولو وُضعت تحت المجهر لشوهدت بنيتها الظريفة والعجيبة ويستحيل على الإنسان صنع مثلها فضلًا عن كائن حى قادر على التغذية والنمو والانجاب.

والعجيب أنّ بعضها عديمة اللون بحيث لا ترى بالعين المجردة.

والبعوض العادى وإن كانت حشرات مؤذية قد تسلب الإنسان القوى والشديد البنية نومه ليلة كاملة، لكنها غالباً ليست خطيرة، مع ذلك هنالك بعض البعوض خطير وسام بحيث يستطيع القضاء على أقوى الحيوانات [۲۸۶].

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۶۹

# القسم السادس

### اشارة

وإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ، يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحْدَهُ لَاشَىَ مَعَهُ كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، كَذلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا، بِلَا وَقْت وَلَا مَكَان، وَلَا حِين وَلَا

زَمان.

عُدِمَتْ عِنْدَ ذلِكَ الآجالُ وَالأَوْقاتُ، وزالَتِ السِّنُونَ والسّاعاتُ. فَلا شَىءَ إِلَّا اللّهُ الْواحِدُ الْقَهّارُ الَّذِى إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الْامُورِ. بِلا قُدْرَة مِنْها كانَ ابْتِداءُ خَلْقِها، وبِغَيْرِ امْتِناعٍ مِنْها كانَ فَناؤُها، ولوقَدَرتْ عَلَى الْامْتِناعِ لَدامَ بَقاؤُها.

لَمْ يَتَكاءَدْهُ صُنْعُ شَىء مِنْها إذْ صَنَعَهُ، ولَمْ يَؤُدْهُ مِنْها خَلْقُ ما خَلَقَهُ وَبَرَأَهُ، ولَمْ يُكَوِّنْها لِتَشْدِيدِ سُلْطان، وَلا لِخَوْف مِنْ زَوال ونُقْصان، وَلا لِلاْسْتِعانَةِ بِها عَلَى نِدٍّ مُكاثِر، وَلا لِلاْحْتِرازِ بِها مِنْ ضِدٍّ مُثاوِر، وَلا لِلاْزْدِيادِ بِها فِى مُلْكِهِ، وَلا لِمُكاثَرَةِ شَرِيك فِى شِرْكِهِ، وَلا لِوَحْشَة كانَتْ مِنْهُ، فَأَرادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْها.

## الشرح والتفسير: الغنى عن الخلق

قال الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة ومواصلة لكلامه السابق بشأن وجود العالم وعدمه:

«وإِنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ، يَعُودُ بَعْدَ فَناءِ الدُّنْيا وَحْدَهُ لاشَىءَ مَعَهُ. كَما كانَ قَبْلَ ابْتِدائِها، كَذلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنائِها، بِلا وَقْت وَلا مَكان، وَلا حِين وَلا زَمان».

ثم واصل كلامه فقال:

«عُدِمَتْ عِنْدَ ذلِكَ الآجالُ وَالأَوْقاتُ، وزالَتِ السِّنُونَ والسّاعاتُ».

ثم استنتج من ذلك:

«فَلا شَىءَ إِلَّا اللّهُ الْواحِدُ الْقَهّارُ الَّذِى إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۷۰

الْامُورِ. بِلا قُدْرَة مِنْها كانَ ابْتِداءُ خَلْقِها، وبِغَيْرِ امْتِناعٍ مِنْها كانَ فَناؤُها، ولوقَدَرتْ عَلَى الْامْتِناعِ لَدامَ بَقاؤُها».

إشارة إلى تسليم جميع عالم الخلقة لإرادة اللّه سبحانه وتعالى، فليس له من اختيار فى بداية خلقه ولا حين زواله ونهاية حياته، فلو كان خلقه وفناؤه بيده لعاش الخلود، فمما لا شك فيه كلّ كائن يسعى لبقائه.

طبعاً هذا الكلام لا يتنافى مع كون الإنسان مختاراً فى أفعاله، لأنّ مراد الإمام عليه السلام بيان بداية الخلقة وختامه الخارج عن الإرادة والاختيار والذى يتم وفق الحكمة والمصلحة.

ثم أشار عليه السلام إلى هذه النقطة فقال:

«لَمْ يَتَكاءَدْهُ [۲۸۷] صُنْعُ شَىء مِنْها إذْ صَنَعَهُ، ولَمْ يَؤُدْهُ [۲۸۸] مِنْها خَلْقُ ما خَلَقَهُ وَبَرَأَهُ».

لأنّ التعب والضعف والعجز من خصائص الإنسان المحدود القدرة، فإنّ أراد القيام بعمل يفوق طاقته فإنّه يعجز، وإن كان بمستوى طاقته فإنّه يشعر بالتعب أمّا بالنسبة لمن كانت قدرته مطلقة فحمل القشة من الأرض والجبل العظيم لديه على حد سواء فهو ليس بحاجة لوسيلة أو أداة ليستعين بها وإرادته تكفى فى ذلك: «اذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»[۲۸۹].

وينسجم كلام الإمام عليه السلام هذا مع ما ورد فى جانب من آية الكرسى: «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَا يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا»[۲۹۰]: وقال فى موضع آخر بعد الإشارة إلى خلق السماء والأرض «وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ»[۲۹۱].

ثم خاض عليه السلام فى بيان هذه النقطة المهمّة فى أن خلقه لعالم الخلقة لم يكن لجلب

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۷۱

نفع أو دفع ضرر لأنّه غنى بالذات ولا فناءه بعد خلقه لتعب منه، وهكذا ينفى أى حاجة تحتاجها الذات القدسيّة فى خلق العالم ومن ثم فى فنائه.

فقد أشار عليه السلام فى القسم الأوّل إلى الأهداف السبعة التى يتطلع إليها الإنسان عادة فى قيامه بأعماله ثم نفاها جميعاً عن اللَّه تعالى كونها دلالات على الضعف والعجز والنقص فقال إنّه لم يخلق الموجودات لتوطيد حكومته كونه وجوداً لا متناهى وغنى من جميع الجهات:

«ولَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَان».

كما أنّه واجب الوجود الذى ليس للزوال والنقصان من سبيل إليه

«وَلَا لِخَوْف مِنْ زَوَال ونُقْصَان».

كما ليس له مثيل:

«وَلَا لِلْاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نِدٍّ مُكَاثِر[۲۹۲]».

وبما أنّه لا ضد له ولا عدو والكلّ خاضع لسيطرته

«وَلَا لِلْاحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدٍّ مُثَاوِر[۲۹۳]».

كما أنّه ليس بحاجة لمخلوقاته ليقضى بها حاجته

«وَلَا لِلْازْدِيَادِ بِهَا فِى مُلْكِهِ».

وحيث له شريك ولا قرين

«وَلَا لِمُكَاثَرَةِ شَرِيك فِى شِرْكِهِ».

وكذلك:

«وَلَا لِوَحْشَة كَانَتْ مِنْهُ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا».

لأنّ الوحشة حيث الشعور بالخطر من جانب العدو أو بروز المشاكل والمصائب ولا عدوله ولا مشكلة تجرى عليه، ومن الطبيعى أنّ هذه الأهداف السبعة إنّما تعود لجلب المنفعة ودفع الضرر، لكن الإمام عليه السلام شرحها بأسلوب رائع وركز على جميع المصاديق بما لا يتصور أبلغ وأفصح منه ومن الواضح حين تنتفى كلّ هذه الأهداف يثبت أنّ اللَّه خلق الخلق إفاضة ولطفاً بالمخلوقات لا لجلب منفعة، لأنّ جلب المنفعة ودفع الضرر من لوازم الممكنات وهو واجب الوجود.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۷۲

## تأمّل

### هل هناک زمان دون مخلوق

ما ذكره الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة حول فناء الدنيا فى البداية والنهاية حيث إنّ اللَّه واحدٌ أزليٌّ أبديٌّ ليس له بداية ولا نهاية، آثار سؤالًا لدى شرّاح نهج البلاغة وهو كيف مرت مدّة لم يظهر فيها الفيض من الذات الإلهيّة الفياضة على الدوام وأجابوا بأنّ المراد ليس إنعدام وجود الأشياء بصورة مطلقة بل فى مرحلة الذات الإلهيّة، أى كانت هنالك موجودات لكنها ليست مستقلة عنه (طبعاً هذا الجواب لا يبدو مقنعاً).

إن السؤال الأهم الذى نطرحه هنا هو: كيف ينسجم ما طرحه الإمام عليه السلام بشأن فناء العالم مع ظاهر الآيات القرآنيّة؟ فقد صرّح القرآن فى عدّة آيات أنّ هذا العالم سيتعرض إلى الدمار فى خاتمة المطاف لا أنّه يعدم بالمرّة إذ قال: «اذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ* وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ* وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ* وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ* وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ* وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ»[۲۹۴].

وقال فى موضع آخر: «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ»[۲۹۵].

كما قال: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفاً* فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً* لَّا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً»[۲۹۶].

إضافة إلى ذلك يقول إنّ الموتى يخرجون من قبورهم، ويعتقد أغلب العلماء أنّ الجنّة والنار موجودتان الآن طبق ظاهر الآيات والروايات وأعمالنا هى التى تبلورهما، فكيف والحال هذه يصرّح بانعدام جميع الأشياء بنهاية العالم ولا يبقى سوى اللَّه فيزول حتى الزمان والمكان؟ كما ورد فى الخطبة المذكورة، والذى يقال

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۷۳

فى جواب السؤال الأوّل: كما أنّ اللَّه فياض فهو حكيم على الاطلاق وفاعل ليس بمجبر فممكن أن تقتضى حكمته أن لا يكون شىء فى البداية ثم يوجد، وعليه فإنّ فيضه لا يمنع من انعدام الإشياء قبل خلقها.

ويقال فى الجواب على السؤال الثانى، إنّ العالم يتحطم فى البداية كما ورد فى الآيات المذكورة، لكنه يعدم بعد ذلك بصورة كلية بحيث لا يبقى سوى الذات القدسيّة ثم يكتسب كلّ ما فُنِى- بطريقة إعادة المعدوم وبالطبع بشكلها المعقول ۲۹۷]- حلة الحياة وكما كان فى السابق بالضبط من تلك الجنّة والنار والإنسان والقبور وهذا أمر معقول وسنشير إلى هذا المطلب فى القسم القادم من الخطبة أيضاً.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۷۵

## القسم السابع

### اشارة

ثُمَّ هو يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا، لَالِسَأَمٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِى تَصْرِيفِهَا وتَدْبِيرهَا، وَلَا لِرَاحَة وَاصِلَة إِلَيْهِ، وَلَا لِثِقَلِ شَىء مِنْهَا عَلَيْهِ. لَا يُمِلُّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوَهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا، ولكِنَّهُ سُبْحانَهُ دَبَّرَهَا بلُطْفِه، وأَمْسَكَهَا بِأَمْرِه، وأَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ، ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَة مِنْهُ إِلَيْهَا، وَلَا اسْتِعَانَة بَشَىء مِنْهَا عَلَيْهَا، وَلَا لِانْصِرَاف مِنْ حَالِ وَحْشَة إِلَى حَالِ اسْتِئْنَاس، وَلَا مِنْ حَالِ جَهْل وعَمىً إِلَى حَالِ عِلْم وَالْتِمَاس، وَلَا مِنْ فَقْر وحَاجَة إِلَى غِنىً وكَثْرَة، وَلَا مِنْ ذُلٍّ وَضَعَة إِلَى عِزٍّ وقُدْرَة.

### الشرح والتفسير: دوام الخلقة والفناء

لما فرغ الإمام عليه السلام من بيانه لأهداف عالم الخلق تحدّث فى هذا الجانب من الخطبة عن فناء العالم والهدف من ذلك فقال:

«ثُمَّ هُويُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا، لَالِسَأَم ۲۹۸]

دَخَلَ عَلَيْهِ فِى تَصْرِيفِهَا وتَدْبِيرهَا، وَلَا لِرَاحَة وَاصِلَة إِلَيْهِ، وَلَا لِثِقْلِ شَىء مِنْهَا عَلَيْه.

لَا يُمِلُّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوَهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا».

فجميع هذه الأمور كالتعب والعجز والملالة وطلب الراحة، ناشئة من محدودية القوّة وقدرة الفاعل وليس لهذه الحوادث من سبيل إلى صاحب القدرة المطلق، فهذه كلّها صفات الممكنات ومن توهم مثل هذه الصفات على اللَّه فقد وقع فى هوة

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۷۶

التشبيه (الواجب بالممكن).

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا أو هنالك من يحتمل هذه الأمور على اللَّه لينفيها الإمام عليه السلام؟

لا شك فى أنّ أصحاب العقول السليمة لا يتصورون مثل هذا الاحتمال، إلّاأنّ هذه الوسوسة قد تساور أذهان بعض الأفراد العاديين، أولئك الذين يرون اللَّه جسماً ويرون له أذناً وعيناً ويداً ورجلًا وظفيرة ويا له من وهم ساذج! والسؤال الآخر الذى يرد هنا أنّ الإمام

عليه السلام يذكر هذه الأهداف لنفى فناء الدنيا إلّاأنّه لم يذكر بدل ذلك أى هدف ايجابى والجواب على هذا السؤال واضح: أنّ اللّه حكيم وكلّ أفعاله تستند إلى الحكمة والتى تعود آثارها وفوائدها على الإنسان وسائر الموجودات، لا إلى ذاته القدسيّة الغنية عن كلّ شىء، ولعل الهدف الأصلى من هذا الفناء حتى لا يشتبه الإنسان فيتصور وجوده من نفسه ويعتقد بأزليّة وأبديّة السماء والأرض وليعلم أنّ كلّ شىء متوقف على إرادة اللّه.

ثم قال عليه السلام فى مواصلته لكلامه وفى خلاصة للأبحاث السابقة:

«ولكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ، وأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ، وأَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ، ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَة مِنْهُ إِلَيْهَا، وَلَا اسْتِعَانَهٔ بَشَىء مِنْهَا عَلَيْهَا، وَلَا لِانْصِرَافٍ مِنْ حَالِ وَحْشَة إِلَى حَالِ اسْتِئْنَاس، وَلَا مِنْ حَالِ جَهْلٍ وعَمىً إِلَى حَالِ عِلْم وَالْتِمَاس ۲۹۹]، وَلَا مِنْ فَقْر وحَاجَة إِلَى غِنىً وكَثْرَة، وَلَا مِنْ ذُلٍّ وَضَعَة[۳۰۰] إِلَى عِزٍّ وقُدْرَة».

فما بيّنه الإمام عليه السلام فى ختام هذه الخطبة وضمن ست عبارات نفى الأهداف التى لا تليق بذاته الطاهرة بالنسبة لخلق العالم؛ باختلاف طفيف مع الأهداف السبعة التى مضت فى الأقسام السابقة فذكرها الإمام عليه السلام هنا بصيغة خلاصة وبعبارات جديدة وخلاصتها أنّه لم تكن لديه من حاجة لإيجاد عالم الخلق ولا فى فنائه ولا فى

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۷۷

الخلق الجديد بعد الفناء.

وهنا يطرا هذا السؤال أيضاً: إن كان خلق اللّه للعالم ثم إفناؤه ثم الخلق الجديد لا لنفعٍ ولا حاجة ودفع نقص فماذا كان هدفه من ذلك ولماذا لم يشر الإمام عليه السلام إلى ذلك الهدف؟

والجواب على عن هذا السؤال هو ما ذكرناه سابقاً فهو وجود كامل من جميع الجهات، وليس هنالك لقيامه بأفعاله ما يعود إليه، بل يعود عادة على المخلوقات والممكنات دون أن يعود عليه بشىء، وبعبارة أخرى كلّ ما لدى مخلوقاته منه وليس لديهم من شىء فيهبوه للّه: «وَإِنْ مِّنْ شَىء إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُوم»[۳۰۱].

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۱۷۹

## الخطبة ۱۸۷

### اشارة

وَهِىَ فِى ذِكْرِ المَلَاحِمِ ۳۰۲]

### نظرة إلى الخطبة

تتكون هذه الخطبة فى الواقع من قسمين، تطرق الإمام عليه السلام فى القسم الأوّل إلى قوم سيتصدون فى المستقبل للدفاع عن الحقّ والقيام من أجل بسط القسط والعدل فى عصر يُملأ فيه العالم بالمفاسد ويضيق فيه الناس والذى يتناسب مع ظهور المهدى عليه السلام وصحبه.

وفى القسم الثانى وعظ أصحابه وأهل زمانه فى اجتناب الفتن وعدم التفرق عن إمامهم.

وجدير ذكره أنّ المدائنى- كما ورد فى سند الخطبة- ذكر فى كتابه (صفين) أقسام أخرى من هذه الخطبة التى لم يذكرها المرحوم السيد الرضى وقال فى

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۸۰

آخرها: إنّ رجلًا من أهل البصرة قال لرجل من أهل الكوفة إلى جانبه: أشهد أنّه كاذب على اللّه ورسوله. قال الكوفى: وما يدريك؟ (فلم يجبه) ثم أضاف، قال الكوفى: واللّه ما نزل من المنبر حتى شلت يد الرجل البصرى ورجله فحملوه إلى بيته ومات فى تلك الليلة[۳۰۳].

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۸۱

## القسم الأوّل

### اشارة

أَلَا بِأَبِى وأُمِّى، هُمْ مِنْ عِدَّة أَسْمَاؤُهُمْ فِى السَّماءِ مَعْرُوفَةٌ وفِى الأَرْضِ مَجْهُولَةٌ. أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ، وَانْقِطَاعِ وُصَلِكُمْ، وَاسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ. ذاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدِّرْهَم مِنْ حِلِّهِ. ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَعْظَمَ أَجْراً مِنَ الْمُعْطِى. ذَاكَ حَيْثُ تَسْكَرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَاب، بَلْ مِنَ النِّعْمَةِ والنَّعِيم، وتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَار، وتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاج. ذَاكَ إِذَا عَضَّكُمُ الْبَلَاءُ كَمَا يَعَضُّ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعِيرِ. مَا أَطْوَلَ هذَا الْعَنَاء، وأَبْعَدَ هذَا الرَّجَاءَ!

### الشرح والتفسير: الحوادث المرعبة

استهل الإمام عليه السلام هذه الخطبة بالحديث عن طائفة من خواص اللّه تعالى الذين ينهضون بمهمّة خاصة فقال:

«أَلَا بِأَبِى وأُمِّى ۳۰۴]، هُمْ مِنْ عِدَّة أَسْمَاؤُهُمْ فِى السَّماءِ
مَعْرُوفَةٌ وفِى الأَرْضِ مَجْهُولَةٌ».

والسؤال من هى هذه الطائفة وما مهمتها؟ مرّ ذلك مجملًا فى متن الخطبة ومن هنا كان هنالك اختلاف بين شرّاح نهج البلاغة، فالبعض يعتقد أنّهم الأحد عشر معصوماً من ولد على عليه السلام الذين هم أسماؤهم فى السماء معروفة، بينما لا يعرفهم فى الأرض سوى طائفة معينة.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۸۲

وذكر بعض علماء أهل السنّة أنّ المراد بهم طائفة من المؤمنين والأولياء الذين عبّر عنهم بالقطب والأبدال، وهى العبارات التى عادة ما يستخدمها المتصوفة فى كلماتهم، إلّاأنّ العديد من القرائن تشير إلى أنّ المراد بهم الإمام المهدى عليه السلام وخواص أصحابه لأنّ الإمام عليه السلام، أخبر بعد هذه العبارة عن حوادث خطيرة تذكر الإنسان بعلامات آخر الزمان وظهور المهدى عليه السلام. أضف إلى ذلك فقد ورد فى جانب من الخطبة التى رواها المدائنى فى كتاب (صفين)[۳۰۵] إشارة إلى الخسف فى البيداء وهروب طائفة منها وأننا لنعلم أنّ الخسف فى البيداء من علامات الظهور التى أشارت إليها الروايات ۳۰۶].

ويتّضح منها أنّ مهمتهم هى تلك المهمّة التى أشارت من الروايات فى مصادر الفريقين ومنها

«يَمْلَا الأَرْضَ عَدْلا وقِسْطاً كَما مُلِئَتْ ظُلْماً وجَوْراً»[۳۰۷].

وطرح البعض هذا السؤال: كيف يقول الإمام عليه السلام (بأبى أنتم وأمى) والحال أنّ المهدى أحدهم بينما البقية هم أصحابه؟ والجواب على هذا السؤال أنّه صدرت مثل هذه العبارات من الأئمّة عليهم السلام بشأن من لهم مهمّات خاصة، ومن ذلك ما ورد ذيل زيارة وارث

«بِأبى أنْتُم وأُمّى طِبْتُمْ وطابَتِ الأَرْضُ الَّتى فيها دُفِنْتُمْ»

التی وردت عن بعض الأئمة علیهم السلام حین قرأوا هذه الزیارة علی قبور شهداء کربلاء.

ونقل المرحوم الأربلی فی کشف الغمة عن النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله أنّه قال: رأیت عمی الحمزة وأخی جعفر بن أبی طالب فی المنام فقلت لهما:

«بِابی وأُمّی أنْتُما أَیُّ الأعْمالِ وَجَدْتُما أَفْضَلُ؟»

فقالا: فدیناک بآبائنا وأمهاتنا:

«وَجَدْنا أَفْضَلَ الأَعْمالِ الصَّلاةُ عَلَیْکَ وسَقْیَ الْماءِ وحُبّ عَلیّ بنِ أَبی طالب»[۳۰۸].

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۱۸۳

ثم تنبأ الإمام علیه السلام بالحوادث الخطیرة مُستقبلًا والتی تنتظر الناس، وهی الحوادث التی تشبه العلامات التی ذکرت فی الظهور فقال علیه السلام:

«أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا یَکُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِکُمْ، وَانْقِطَاعِ وُصَلِکُمْ، وَاسْتِعْمَالِ صِغَارِکُمْ».

ومن الطبیعی أن تبدأ مسیرة التخلف وتقطع الأواصر الاجتماعیّة حین یتزعم بعض الأفراد قلیلی الخبرة والسذج والذین یفتقرون إلی الکفاءة، لکن لماذا تتجه طائفة منالزعامات إلی الصغار وقلیلی التجربة فی الإدارة والتدبیر؟ لا شک فی کونهم فئة من المهزوزین والآذان الصاغیة لکلّ أمر وهذا من أکبر عوامل البؤس والشقاء.

ثم خاض علیه السلام فی شرح هذه الحوادث الألیمة فقال:

«ذاکَ حَیْثُ تَکُونُ ضَرْبَةُ السَّیفِ عَلَی الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدِّرْهَمِ مِنْ حِلِّهِ. ذَاکَ حَیْثُ یَکُونُ الْمُعْطَی أَعْظَمَ أَجْراً مِنَ الْمُعْطِی».

فقد ذکر الإمام علیه السلام بادئ ذی بدئ فی هذا الجانب من الخطبة مسألة حلیة وحرمة الأموال وذلک لتوقف المصیر المادی والمعنوی للمجتمعات علیها حیث أشار علیه السلام إلی أنّ جمع الأموال الملوثة بالحرام والغصب والرشوة والغش إنّما یبلغ درجة فی المجتمع بحیث یکون تحصیل الدرهم من الحلال أعقد من تحمل ضربة السیف فی المعرکة، ومن هنا قلّما یتعرض من ینفق أمواله فی سبیل اللّه آنذاک إلی الأجر والثواب لأنّهم یعلمون أنّ أموالهم لیست طاهرة، إلّاأنّ الآخذین لا یعلمون ذلک، أو أنّهم یعلمون لکنهم یضطرون لأخذ تلک الأموال المشکوکة أو المحرمة، وعلیه فلا مسؤولیة علیهم أمام اللّه وأجرهم وثوابهم ثابت عنده بینما تبدو القضیة معکوسة لو کان المجتمع سلیماً وعلی ضوء الحدیث النبوی المعروف:

«انَّ الْیَدَ الْعُلْیا خَیْرُ مِنَ الْیَدِ السُّفْلی»[۳۰۹]

فیکون أجر المعطی أعظم من المعطی له.

علی کلّ حال فما ورد فی کلام الإمام علیه السلام بشأن کثرة الأموال الحرام فی آخر الزمان صرحت بها بعض الروایات ومن ذلک ما ورد فی الحدیث النبوی الشریف:

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۱۸۴

«أَقلُّ ما یَکُونُ فی آخِرِ الزَّمانِ أَخٌ یُوثَقُ بِهِ اودِرْهَمٌ مِنْ حَلال»[۳۱۰].

ویتّضح ممّا ذکرنا آنفا أنّ العبارة لا تنطوی علی مفهوم معقد ومجهول کما ذهب إلی ذلک بعض شرّاح نهج البلاغة فقدموا عدّة احتمالات مستبعدة وضعیفة.

ثم خاض علیه السلام فی سائر المشکلات التی یعانی منها ذلک المجتمع الفاسد والذی ینتظره الناس بحکم الإجبار فقال:

«ذَاکَ حَیْثُ تَسْکَرُونَ مِنْ غَیْرِ شَرَاب، بَلْ مِنَ النِّعْمَةِ والنَّعِیم، وتَحْلِفُونَ مِنْ غَیْرِ اضْطِرَار، وتَکْذِبُونَ مِنْ غَیْرِ إِحْرَاج».

فأیّ مجتمع إنّما یؤول إلی الإنهیار إن شهد هذه البلایا الثلاث، الأثریاء یسکرون بالثروة فینسون اللّه وخلقه، وبالطبع فإنّ سکر النعمة أخطر من سکر الشراب، فسکر الشراب قد ینتهی بعد مرور لیلة بینما قد یستمر سکر النعمة طیلة العمر، کذلک القسم من غیر اضطرار

والذى یوهن من شأن اللّه تعالى، والکذب من دون احراج الذى یزیل الثقة والاطمئنان وبالتالى تتعقد الحیاة فى ظلّ هذا المجتمع.

وقال علیه السلام فى اختتامه لهذا التکهن:

«ذَاکَ إِذَا عَضَّکُمُ ٣١١] الْبَلَاءُ کَمَا یَعَضُّ الْقَتَبُ ٣١٢]

غَارِبَ ٣١٣] الْبَعِیرِ مَا أَطْوَلَ هذَا الْعَنَاءَ، وأَبْعَدَ هذَا الرَّجَاءَ!».

یعتقد أغلب الشرّاح أن هذه العبارة منفصلة عن العبارات السابقة فإنّ السید الرضى- طبق عادته- أسقط بعض العبارات حین اقتطافه لبعض العبارات الرائعة لخطب الإمام علیه السلام.

ولا یبدو هذا الکلام مستبعداً، لأنّ

«ذاکَ»

تشیر ظاهراً إلى النجاة والفرج الذى سیحصل للمؤمنین بعد کلّ ذلک البلاء، والعبارة

«ما أَطْوَلَ هذَا الْعَنَاءَ وأَبْعَدَ هذَا الرَّجاءَ»

شاهد متین على هذا المعنى حیث قال علیه السلام: هنالک أمل فى النجاة بعد کلّ هذا البلاء.

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۱۸۵

کما تشیر العبارة

«ألا بِأَبی وأُمّی»

أنّ الإمام علیه السلام کان ینتظر تلک الفئة التى تنتشل المجتمع الإسلامى من الشر والفساد، وعلى کلّ حال فإنّ أنسب تفسیر لمجموع هذا البحث ما ذکر سابقاً وقلنا إنّه ناظر لحوادث آخرالزمان المریرة ونجاة المجتمع البشرى منها بواسطة الإمام المهدى علیه السلام.

وهنا لابدّ من الإشارة إلى نقطتین ضروریتین: الأُولى أنّه لماذا شبّه الإمام علیه السلام البلاء بالقتب (خشبة توضع على الناقة لحل مشکلة سنامها الذى یؤذى ظهر الناقة)؟ لا یستبعد أنّ هذا التشبیه على أساس أنّ القتب یوضع لانقاذ الناقة من مشکلة بروز السنام، لکنه یخلق مشکلة أخرى فى أنّه یؤذى ظهر الناقة ورقبتها ویجرحها أحیاناً، والبلاء فى ذلک الزمان والحوادث هکذا فى أنّ التفکیر بالسبیل للخلاص منها یخلق مشکلة أخرى للناس.

والسؤال الذى یطرح نفسه کیف یصرح علیه السلام باستبعاد الأمل بالنجاة بینما تورد الروایات قرب ذلک الأمل؟

والجواب أنّ ظهور الإمام علیه السلام مشروط بشرائط إن تحققت کان الفرج قریباً وإن لم تتحقق فهو بعید؛ وبعبارة أخرى یمکن للمؤمنین بتوفیرهم لشرائط الظهور من قبیل التزکیة والتهذیب والاستعداد الکامل والأدعیة المتواصلة أن یقربوا ظهور الإمام علیه السلام بینما إن ترکت هذه الأمور تأخر الظهور، وعلیه فالظهور قریب من جهة وبعید من جهة والذى نأمل أن یکون قریباً بلطف اللّه ورحمته.

## تأمّل

## الحوادث الألیمة آخر الزمان

وردت فى هذه الخطبة وبعض خطب نهج البلاغة وروایات النّبى الأکرم صلى الله علیه و آله وأهل بیته علیهم السلام بعض الأخبار عن المستقبل المظلم والمعقد الذى ینتظر المؤمنین.

ومن خصائص ذلک الزمان عدم إکتراث أغلب الناس بالحلال والحرام. فیرون

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۱۸۶

کلّ ما یقع فى أیدیهم حلالًا کیفما حصلوا علیه ومن أى شخص اقتنصوه وهذه القذارة تلوث جمیع حیاتهم.

الخاصية الأخرى سكر النعمة الذى يؤدّى إلى نسيان المبدأ والمعاد فيعيش الإنسان فى عالم من الجهل على غرار من يسكر من الشراب، كما أنّ الإبتعاد عن الأحكام والتمسك بالحجج الواهية لممارسة الأفعال غير المباحة والتعويل على الحيل الشرعيّة من الخصائص الأخرى لذلك الزمان وبالتالى تتحول البدع إلى سنن وتلبس السنن ثوب البدع.

جاء فى الحديث النبوى الشريف:

«يَأْتى عَلَى النّاسِ زَمانٌ لا يَبْقى أحَدٌ إلَّا أكلَ الرِّبا فَإنْ لَمْ يَأْكُله أَصابَهُ مِنْ غُبارِهِ»[۳۱۴].

كما ورد فى حديث آخر فى وصايا الرسول صلى الله عليه و آله إلى ابن مسعود أنّه يأتى على الناس زمان يتناولون فيه الأطعمة اللذيذة ويركبون المراكب الفارهة ويتزين الرجال لنسائهم وتخرج النساء دون حجاب ويشاركن فى التجمعات حتى وصفهم النّبى صلى الله عليه و آله بأنّهم منافقو الأُمّة فى آخر الزمان ثم قال:

«يَاابْنَ مَسْعُودُ يَأْتى عَلَى الناسِ زَمانٌ الصّابِرُ عَلى دينِهِ مِثْلُ الْقابِضِ عَلَى الْجَمْرَةِ بِكَفِّهِ»[۳۱۵]

، وسائر الحوادث الأليمة التى يطول ذكرها.

هذه النبوءات وبالإضافة إلى جانبها الاعجازى هى تحذير للمسلمين المخلصين للإسلام فى ضبط أنفسهم ويعلم أنّ هذا العصر سينتهى بظهور المهدى الموعود (أرواحنا فداه).

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۸۷

## القسم الثانى

### اشارة

أَيُّهَا النَّاسُ، أَلْقُوا هـذِهِ الأَزِمَّةَ الَّتِى تَحمِلُ ظُهُورُهَا الأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ، ولَا تَصَدَّعُوا عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَذُمُّوا غِبَّ فِعَالِكُمْ. وَلَا تَقْتَحِمُوا مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ نَارِ الْفِتْنَةِ، وأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا، وخَلُّوا قَصْدَ السَّبِيلِ لَهَا: فَقَدْ لَعَمْرِى يَهْلِكُ فِى لَهَبِهَا الْمُؤْمِنُ، ويَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ. إِنَّمَا مَثَلِى بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السِّرَاجِ فِى الظُّلْمَةِ، يَسْتَضِىءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا.

فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا، وأَحْضِرُوا آذَانَ قُلوبِكُم تَفْهَمُوا.

### الشرح والتفسير: وصايا للنجاة من الفتنة

ما أن فرغ الإمام عليه السلام من كلامه عن الحوادث الأليمة فى المستقبل فى الجانب السابق من هذه الخطبة حتى ذكّر أصحابه هنا ببعض الوصايا التى تنجيهم من أخطار تلك الأحداث فقال عليه السلام:

«أَيُّهَا النَّاسُ، أَلْقُوا هذِهِ الأَزِمَّةَ[۳۱۶] الَّتِى تَحْمِلُ

ظُهُورُهَا الأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ».

هذه العبارة كناية عن أنّ الحوادث ستقع حولكم وتحمل آثار الفتنة والفساد فعليكم أن لا تتزعموها ولا تسهموا فى تطورها، فالواقع أنّه يذكّرهم بما أمر به القرآن الكريم حين يقول: «وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْاثْمِ وَالْعُدْوَانِ»[۳۱۷].

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۸۸

ثم أضاف:

«وَلَا تَصَدَّعُوا[۳۱۸] عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَذُمُّوا غِبَّ ۳۱۹] فِعَالِكُمْ. وَلَا تَقْتَحِمُوا[۳۲۰] مَا

اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ[۳۲۱] نَارِ الْفِتْنَةِ، وأَمِيطُوا[۳۲۲] عَنْ سَنَنِهَا[۳۲۳]، وخَلُّوا قَصْدَ السَّبِيلِ ۳۲۴] لَهَا».

هذا الكلام إشارة إلى أنّ الناس إن لم يسهموا فى استفحال الفتن ولم يلجوها وابتعدوا عنها وقطعوا دابرها فسوف لن تتنامى مخلفاتها والقضية بالضبط أشبه بسيل الماء العظيم الذى يعجز الناس عن السيطرة عليه، لكنهم إن فسحوا المجال لكى ينحدروا إلى الوديان والسهول فإنّ الاضرار التى تصيبهم ستكون أقل ممّا لو ولجوه وكانوا فى وسطه.

ثم ذكر عليه السلام علّة ذلك فقال:

«فَقَدْ لَعَمْرِى يَهْلِكُ فِى لَهَبِهَا الْمُؤْمِنُ، ويَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ».

إشارة إلى أنّ موج الفتنة على درجة من القوّة بحيث لو انبرى المؤمنون لمواجهته لهلكوا ولسلم غيرهم من نحّى نفسه عنها، وعليه لا ينبغى تبديد الطاقات عبثاً فى مثل هذه الموارد، بل لابدّ من الحفاظ عليها والتربص حتى تحين الفرصة المناسبة وهذا بالضبط الفلسفة الأصليّة للتقية فى المسائل الدينيّة والاجتماعيّة والسياسيّة والتى تعنى ببساطة حفظ الطاقات وانتظار الفرصة.

ثم اختتم الإمام عليه السلام الخطبة بالإشارة إلى موقعه بغية فواق الغافلين والانتفاع بفيوضاته عليه السلام فقال:

«انَّمَا مَثَلِى بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السِّرَاجِ فِى الظُّلْمَةِ، يَسْتَضِىءُ بِهِ مَنْ

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۸۹

وَلَجَهَا. فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا[۳۲۵]، وأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا».

نعم، فالإمام عليه السلام حين يتكهن بحوادث المستقبل المريرة وظلمات الفتن يشير إلى سبيل النجاة فيقول: إنّكم إنّما تنجون من شر الأشرار والفتن التى يثيرها المفسدون إن سمعتم ما أقول لكم وحفظتموه وفكرتم فيه كما ينبغى.

وقد شبّه الإمام عليه السلام نفسه هنا بالسراج المنير فى أمواج الظلمة ثم أمر الناس بالاستضاءة بنور هذا السراج، فقد أمر أولًا بسماع كلامه وحفظه ثم أردفه بالأمر للتعمق به وإدراك حقيقته (وهذا هو الفارق بين مفهوم العبارة

«فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا»

، والعبارة

«وأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا»

حيث الأولى سماع وإدراك وحفظ والأخرى دقّة وتعمق).

## تأمّل

### الانسحاب من الفتن

أحياناً تظهر فى المجتمعات البشريّة بعض الفتن التى لا يقوى الأفراد المؤمنون على مواجهتها، كما لا يستطيعون تشكيل خلية للوقوف بوجهها وليس للأفراد الذين يقفون مباشرة إزاء هذه الفتن ويقتحمونها من مصير سوى الهزيمة والانكسار.

فأفضل سبيل فى ظلّ هذه الظروف هو الانسحاب من أمام سيول الفتنة والتربص بالفرصة المناسبة بغية مواجهتها، وبالطبع فإنّ الاجراءات المتهورة لا تنطوى على نتيجة سوى التضحية بالطاقات والقضاء على الفرص المستقبلية، وهذه هى فلسفة النهى عن النهضات فى عصر أئمّة العصمة عليهم السلام وهذا فى الواقع فرع من فروع التقية التى تهدف إلى حفظ القوى واستغلالها فى الوقت المناسب.

فقد أكّد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فى هذه الخطبة على هذه النقطة وأكّد عليها مع أنّه أشجع فرد فى الأمّة ومن ابطال مواجهة أعداء الإسلام وخصوم الدعوة.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۹۱

# الخطبة ۱۸۸

## اشارة

فِی الْوَصِیَّةِ بِأُمُور[۳۲۶]

## نظرة إلى الخطبة

أشار الإمام علیه السلام فی هذه الخطبة إلى ثلاثة أمور مهمّة: أوصى أولًا بالورع والتقوى واجتناب المعصیة وذکرهم بنعم اللَّه لتکون لهم دافعاً نحوالتقوى والطاعة.

ثم ذکرهم بالموت والانتقال من الدنیا وکیفیة هذا الانتقال بعبارات تهز النفس لتکون عاملًا نحوالطاعة وترک المعصیة.

وأخیراً حذّر من سرعة انقضاء الأیّام واللیالی والساعات ولابدّ من الجد والمثابرة للتزود للدار الآخرة.

نفحات الولایه، ج۷، ص: ۱۹۳

## القسم الأوّل

### اشارة

أُوصِیکُمْ، أَیُّهَا النَّاسُ، بِتَقْوَى اللَّهِ وکَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَى آلَائِهِ إِلَیْکُم، ونَعْمَائِهِ عَلَیْکُم، وبَلَائِهِ لَدَیْکُمْ. فَکَمْ خَصَّکُمْ بِنِعْمَة، وتَدَارَکَکُمْ بِرَحْمَة! أَعْوَرْتُمْ لَهُ فَسَتَرَکُمْ، وتَعَرَّضْتُمْ لِاخْذِهِ فَأَمْهَلَکُمْ!

### الشرح والتفسیر: التوصیة بالتقوى والحمد

دعا الإمام علیه السلام جمیع مخاطبیه فی هذا القسم من الخطبة کما أشرنا سابقاً إلى التقوى وشکر اللَّه على نعمه فقال:

«أُوصِیکُمْ، أَیُّهَا النَّاسُ، بِتَقْوَى اللَّهِ وکَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَى آلَائِهِ إِلَیْکُم، ونَعْمَائِهِ عَلَیْکُم، وبَلَائِهِ [۳۲۷] لَدَیْکُمْ».

رغم أنّ

«آلاء» و «نعماء»

تستعمل فی أغلب الموارد بمعنى واحد هو النعمة، إلّا أنّ البعض یعتقد أن آلاء إشارة إلى النعم المعنویّة ونعماء إشارة إلى النعم المادیّة؛ سیما إن وردت المفردتان مع بعضهما.

وتستعمل کلمة

«البلاء»

بمعنى الامتحان والاختبار أو بمعنى الحوادث السارّة والألیمة وفی العبارة السابقة وبالنظر إلى تناسق العبارات فهی بمعنى الحوادث السارّة، وقال البعض: المقصود هو الحوادث الألیمة التی یختبر اللَّه الإنسان بها وتسبب ارتقاء رتبته وزیادة ثوابه عند اللَّه وتعتبر نعمة بالنظر إلى هذا الأمر.

نفحات الولایه، ج۷، ص: ۱۹۴

على کلّ حال فکلام الإمام علیه السلام هذا شبیه ما إستند إلیه علماء الکلام فی بحث معرفة اللَّه، وقالوا: الدافع الرئیسی لهذا البحث هو

مسألـة شـكر المنعم، لأنّ الإنسـان يرى نفسه غارقـاً فى النعم وحيث إنّ شـكر منعم النعمـة كامن فى فطرة الإنسان فإنّه يفكر فى واهب النعمة فيتجه إليه ليتعرف عليه ومن شأن هذا الأمر أن يكون سبباً لطاعته وتركه للمعصية.

ثم خاض الإمام عليه السلام فى شرح بعض هذه النعم فقال:

«فَكَمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَة، وتَدارَكَكُمْ بِرَحْمَة! أَعْوَرْتُمْ ۳۲۸] لَهُ فَسَتَرَكُمْ، وتَعَرَّضْتُمْ لِاَخْذِهِ ۳۲۹] فَأَمْهَلَكُمْ!».

فقـد أشار الإمام عليه السـلام بادئ الأمر إلى النعم والرحمـة المختصة بهذه الأمّة مثل خاتمية النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله وكونها خير أمّـة وعـدم نزول البلاء على الأمّـة ما دام النّبى فيهم أو هم يسـتغفرون، ثم خاض عليه السلام بعـد ذلك إلى مسألة ستر اللّه تعالى مقابل خرق هذا الستر من قبل العصاة وكذلك إعطاء المهلة الكافية من أجل التوبة والعودة إلى النفس وعدم العجلة فى معاقبتهم وكل واحدة منها نعمة عظيمة للغاية.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۱۹۵

## القسم الثانى

### اشارة

وأُوصِيكُم بِذِكْرِ الْمَوْتِ وإِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ. وكَيْفَ غَفْلَتُكُم عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُم، وطَمَعُكُم فِيمَنْ لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ! فَكَفَى واعِظاً بِمَوْتَى عَايَنْتُمُوهُمْ، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ، وأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ، فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّاراً، وكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَاراً. أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ، وأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ، وَاشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا، وأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا. لَاعَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالاً، وَلَا فِى حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ ازْدِيَاداً. أَنِسُوا بِالدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ، ووَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ.

### الشرح والتفسير: أفضل الوعظ

أشار الإمام عليه السـلام فى هـذا الجانب من الخطبة إلى نقطة مهمّة من شأنها أن تكون دافعاً قوياً للتقوى آنفة الذكر؛ والتى تكمن فى ذكر الموت، فأوصى بصورة عامة إلى ذكر الموت فقال:

«وأُوصِيكُم بِذِكْرِ الْمَوْتِ وإِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ. وكَيْفَ غَفْلَتُكُم عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُم، وطَمَعُكُم فِيمَنْ لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ!».

نعم! فليس هنالك من عقل يسوغ للإنسان الغفلـة عن حادثـة لابدّ له من الوصول إليها، وعدم الإكتراث للشـىء الذى لا أمل فى الفرار منه، فالعاقل مَن يقرّ بهذه الحقيقة فى أنّ الموت مصير حتمى لجميع الناس، بل الموجودات كافّة، وما أعظم ما قال الشاعر:

كُلُّ ابنُ انثى وإنْ طَالَتْ سَلامَتُهُ‌يوماً عَلى آلةِ حَدباءِ مَحمُولُ

ثم خاض الإمام عليه السلام فى شرح دقيق يهزّ الأعماق فى تفاصيل لحظات الموت خلال ۱۲ عبارة صغيرة وعميقة المعنى فقال:

«فَكَفَى واعِظاً بِمَوْتَى عَايَنْتُمُوهُمْ، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ، وأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ».

نعم! فقد حملوا على أكتاف الناس ليتجهوا بهم صوب موطنهم الأبدى دون رغبتهم وأوردوهم حفرة القبر دون إرادتهم.

ثم كشف عليه السلام عن مصيرهم ببيانه لصفتين فقال:

«فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّاراً[۳۳۰]، وكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَاراً».

إشارة إلى أنّ كلّ شـىء ينتهى فى لحظـة فيبلغ بهم البعـد عن الدنيا درجة كأنّهم لم يعيشوا فيها ويقتربوا من الآخرة وكأنّهم عاشوا فيها منذ الأزل.

ثم قال عليه السلام:

«أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ، وأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ».

أجل! كانوا يشعرون بالوحشة حين يمرون بتلك القبور الهامدة فيشيحون عنها بوجوههم، سيما إن كان مرورهم بالليل، بينما أصبحت الآن وطنهم ولو عادوا اليوم بهذه الحال إلى بيوتهم ومساكنهم لاستوحش منهم الناس وبالعكس سيعيشون هم أيضاً تلك الوحشة- إن كان لهم إدراك وشعور-.

من جانب آخر فإنّ مشكلتهم الرئيسيّة أنّهم لم يعمروا دار الآخرة واستفرغوا كلّ طاقاتهم فى عمران الدنيا حيث وصف ذلك الأمم عليه السلام فى مواصلته لكلامه فقال:

«وَاشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا، وأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا».

والأسوأ من ذلك لا مجال هنا لتلافى ما فرط منهم وهذا ما أكّده الإمام عليه السلام بقوله:

«لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالا، وَلَا فِى حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ ازْدِيَاداً».

فهل لثمار الشجرة إن انفصلت عنها من عودة إليها ومواصلة حياتها ناضجة كانت أم فاسدة؟ وهل الوليد الذى يخرج من بطن أُمه سواء كان جنيناً كاملًا أم ناقصاً يستطيع العودة إلى رحمها ويواصل نموه؟ كلا، نعم هذا هو حال أصحاب الدار

نفحات الولايهٔ، ج۷، ص: ۱۹۷

الآخرة ليس لهم من سبيل إلى العودة ولذلك تغلق صحيفة أعمالهم وإلى الأبد، فلا يسعهم تلافى سيئة ولا إضافة حسنة، ولعل هذه أعظم مصيبة يفجع بها أصحاب الدنيا الآثمين، وإلّا فإنّ اقترن الموت بالأعمال الصالحة فلا يعدّ مصيبة فحسب بل سعادة ورحمة فهو لا يعنى سوى تحطيم القفص وانطلاق الروح الإنسانيّة وتحليقها فى الفضاء العلوى، ومن هنا حين نزلت ضربة أشقى الأولين والآخرين عبد الرحمن بن ملجم على رأس مولى المتّقين على عليه السلام قال:

«فُزْتُ ورَبِّ الْكَعْبَةِ».

ثم تناول عليه السلام سبب ذلك البؤس والشقاء فقال:

«أَنِسُوا بِالدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ، ووَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ [۳۳۱]».

نعم! فالوثوق بالدنيا كالوثوق بالسراب الذى يدعو الإنسان فى الصحراء المحرقة نحوه فلا يزيده إلّاعطشاً ويحيل أمله يأساً، أو كالاعتماد على الجدار الرخو الذى ينهار عاجلًا أم أجلًا فيبقى الإنسان تحت أنقاضه.

## تأمّل

### ذكر الموت

لم يقتصر التأكيد على ذكر الموت ونهاية الحياة على أمير المؤمنين عليه السلام بل هذا ما أكّده اساتذة الأخلاق والهداة إلى الصراط وفى مقدمتهم جميعاً القرآن الكريم بغية إيقاظ الغافلين الموتى فى أنّ هذه الحياة زائلة وليست خالدة، فأطفال الأمس هم شباب اليوم وشباب اليوم هم كهول الغد وكهول الغد كأوراق الخريف التى تتساقط برياح الأجل لتلتحق بصفوف الأسلاف.

ويبدو الإلتفات إلى هذه الحقيقة مدعاة لليقظة والاعتبار، فأغلب الناس يجدّون فى العمل وكأنّهم مخلدون فى هذه الدنيا، والحال ليس هنالكم من طمأنينة لاستمرار هذه الحياة ولولساعة أخرى ويكفى الإلتفات إلى هذه النقطة فى انزال

نفحات الولايهٔ، ج۷، ص: ۱۹۸

الإنسان من مركب الغرور وفتح عينه على الحقائق وإنارة الطريق أمامه.

ويبدو ذكر الموت وختام الحياة مفيداً نافعاً حين يتأمّل الإنسان تلك الأحداث التى تواجهه حين الموت والانفتاح على العبارات

والأمور التی رکز علیها أمیر المؤمنین فی هذه الخطبة؛ فالانفصال عن الأعزة، ومغادرة الثروة والقصور والمقامات، والإبتعاد عن الأحبّة، ونزول تلک الحفرة تحت التراب، والأهم من کلّ ذلک غلق صحیفة الأعمال واستحالة تلافی الأخطاء کلّ هذه الأمور تعدّ أعظم واعظ وأفضل ناصح.

ومن هنا جاء فی الحدیث النبوی الشریف:

«إنّ أَکْیَسَ الْمُؤْمِنینَ، أَکْثَرُهُم ذِکْراً لِلْمَوْتِ وأَشَدُّهُمْ لَهُ اسْتِعْداداً»[۳۳۲].

وفی حدیث آخر أنّه صلی الله علیه و آله سئل:

«هَلْ یَحْشُر مَعَ الشُّهَداءِ أَحَدٌ»

فقال:

«نَعَمْ مَنْ یَذْکُر الْمَوْتَ فِی الْیَوْمِ واللَّیْلَةِ عِشْرینَ مَرَّةً»[۳۳۳].

ونختتم هذا البحث بحدیث ینطوی علی الدروس والعبر ورد بهذا الشأن عن أمیرالمؤمنین علیه السلام حیث قال:

«إنّ ابنَ آدَم إذا کَانَ فِی آخِرِ یَوم مِنْ أیّام الدُّنیا وَأَوَّلِ یوم مِنْ أیّام الآخرةِ مَثّلَ لَهُ مَالُهُ وَعَملُهُ وَوُلدُهُ، فَیلتفت إلی مَالِهِ وَیقولُ: واللَّهِ إنّی کُنتُ عَلَیکَ حَریصاً شَحِیحاً فَما لِی عِندَکَ؟ فَیقُول: خُذْ مِنّی کَفَنَکَ، قَالَ: فَیلتَفِت إلی وُلدِهِ فَیقول: وَاللَّهِ إنِّی کُنتُ لُکم مُحبّاً وَعَلَیکم مُحامِیاً فَماذا لِی عِندَکُم، فَیقُولُون:

نُؤدِّیکَ إلی حُفرتِکَ وَنُوارِیکَ فِیها، قَالَ فَیلتَفِت إلی عَمِلِهِ فَیقُول: إنِّی وَاللَّهِ کُنتُ فِیکَ لَزاهِداً وإنْ کُنتَ علیَّ لَثقِیلًا فَماذا عِندَکَ؟ فَیقُول: أنا قَرِینُکَ فِی قَبرِکَ وَیومَ نَشرِکَ حَتّی أعرض أنا وأنتَ عَلیَ رَبِّکَ»[۳۳۴].

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۱۹۹

## القسم الثالث

### اشارة

فَسَابِقُوا رَحِمَکُمُ اللَّهُ إلَی مَنَازِلِکُمْ الَّتِی أُمِرْتُمْ أنْ تَعْمُرُوهَا، والَّتِی رَغِبْتُمْ فِیهَا، ودُعِیتُمْ إلَیْهَا. وَاسْتَتِمُّوا نِعَمَ اللَّهِ عَلَیْکُمْ بِالصَّبْرِ عَلَی طَاعَتِهِ، والْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِیَتِهِ، فَإِنَّ غَداً مِنَ الْیَوْمِ قَرِیبٌ. مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِی الْیَوْمِ، وأَسْرَعَ الأَیَّامَ فِی الشَّهْرِ، وأَسْرَعَ الشُّهُورَ فِی السَّنَةِ، وأَسْرَعَ السِّنِینَ فِی الْعُمُرِ!

### الشرح والتفسیر: سبیل النجاة

کشف الإمام علیه السلام فی هذا الجانب من الخطبة سبیل النجاة بعد أن فرغ من التذکیر بالموت ونهایة الحیاة الدنیا والانتقال السریع إلی عالم الآخرة والحسرة علی ما بدر من تقصیر واسراف فقال علیه السلام:

«فَسَابِقُوا رَحِمَکُمُ اللَّهُ إلَی مَنَازِلِکُمْ الَّتِی أُمِرْتُمْ أنْ تَعْمُرُوهَا، والَّتِی رَغِبْتُمْ فِیهَا، ودُعِیتُمْ إلَیْهَا».

قطعاً المراد من المنازل منازل الآخرة التی ورد الحث فی الآیات والروایات علی إعمارها کما ورد الحض علی الرغبة فیها والدعوة إلیها، حیث قال اللَّه تعالی فی کتابه الکریم: «وَسَارِعُوا إِلَی مَغْفِرَة مِّنْ رَّبِّکُمْ وَجَنَّة عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِینَ»[۳۳۵].

وقال فی موضع آخر: «وَاللَّهُ یَدْعُوا إِلَی دَارِ السَّلَامِ وَیَهْدِی مَنْ یَشَآءُ إِلی صِرَاط

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۲۰۰

مُسْتَقِیم».[۳۳۶] وقال فی سورة البقرة: «وَاللَّهُ یَدْعُوا إِلَی الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ»[۳۳۷].

ثم أشار علیه السلام إلی سبیل آخر من سبل النجاة فقال:

«وَاسْتَتِمُّوا نِعَمَ اللّهِ عَلَیْکُمْ بِالصَّبْرِ عَلَی طَاعَتِهِ، والْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِیَتِهِ».

ویمکن أن یکون هذا الکلام إشارة إلی إکمال النعم المادیّة الدنیویّة أو إتمام هذه النعم مع زیادة نعم اللّه الکبری فی القیامة، لأنّ الصبر علی الطاعة والإبتعاد عن المعصیة بمقتضی الآیة الشریفة: «لَئِنْ شَکَرْتُمْ لَأَزِیدَنَّکُمْ»[۳۳۸] سبب زیادة النعم المادیّة والمعنویّة الدنیویّة والأخرویّة، ونعلم أنّ الشکر الحقیقی فی أن یستعین الإنسان بنعم اللّه علی طاعته ولا یستغلها أبداً ویتقوی بها علی معصیته.

ونقرأ فی حدیث عن علی علیه السلام أنّه قال:

«أَقَلُّ ما یَلْزِمُکُم اللّهِ أنْ لا تَسْتَعینُوا بِنِعْمَتِهِ عَلی مَعاصیهِ»[۳۳۹].

ثم قال فی الختام کدلیل علی ما ذکر:

«فَإِنَّ غَداً مِنَ الْیَوْمِ قَرِیبٌ. مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِی الْیَوْمِ، وأَسْرَعَ الأَیَّامَ فِی الشَّهْرِ، وأَسْرَعَ الشُّهُورَ فِی السَّنَةِ، وأَسْرَعَ السِّنِینَ فِی الْعُمُرِ![۳۴۰]».

والمراد من الغد فی هذه العبارة إمّا الموت کما قال الشاعر:

عَلَی المَوْتِ إعْدادُ النُّفُوسِ ولا أری بَعیداً غَدَاً ما أَقْرَبَ الْیَوْمَ مِن غَدِ

أو المراد یوم القیامة کما ورد فی الخطبة ۲۸:

«ألا وإنَّ الْیَوْمَ الْمِضمارُ وغَداً السِّباقُ».

ولکن بالإلتفات إلی أنّ جانباً مهمّاً من هذه الخطبة رکز علی الموت ونهایة

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۲۰۱

الحیاة الدنیا وغلق صحیفة الأعمال؛ فالمعنی الأوّل هو الأمثل والعبارات الواردة بشأن سرعة مضی الأیّام والشهور والسنوات والعمر شاهد آخر علی هذا المعنی.

والطریف فی الأمر أنّ الإمام علیه السلام ولتوضیح سرعة مضی العمر انطلق من أجزائه الصغیرة فأشار فی البدایة إلی سرعة مضی الساعات فی الیوم ثم مضی الأیّام فی الشهر والشهور فی السنة والسنوات فی العمر لیتّضح تماماً هذا المرور السریع والحقّ أنّ الأمر کذلک. فأغلب الکهول حین یسألون: کیف مضی عمرکم؟ یجیبون:

أسرع من البرق أو کطرفة العین، کأننا بالأمس کنّا نلعب مع الصبیة فی الأزقة ونسرح ونمرح مع الشباب، ولم نکد ننظر فی المرآة حتی طالعتنا علامات الکهولة وبدت واضحة علی رؤوسنا ووجوهنا، فضعف البدن وشلت الأعضاء عن الحرکة وانحنت القامة وتقطعت الأنفاس.

والحقّ أنّ الخطبة برمتها سیما الجانب الأخیر منها تحذیر غایة فی التأثیر لإیقاظ العقول النائمة، قال ابن أبی الحدید فی ختام هذه الخطبة:

«کَلامٌ شَریفٌ وَجیزٌ بالِغٌ فی مَعْناه والْفَصْلُ کُلُّه نادِرٌ لا نَظیرَ لَهُ»[۳۴۱].

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۲۰۳

## الخطبة ۱۸۹

### اشارة

فِی الإیمانِ ووُجُوبِ الْهِجْرَةِ[۳۴۲]

## نظرة إلی الخطبة

رغم قصر هذه الخطبة إلّاأنّها عظیمة المضامین ومؤلفة من أربعة أقسام، خاض القسم الأوّل فی أقسام الإیمان (الإیمان الراسخ والمتقلب) وتطرق الثانی إلی مفهوم الهجرة فی الإسلام علی أنّها من المفاهیم المستمرة والدائمة، وأشار فی القسم الثالث إلی صعوبة إدراک بعض أحادیث المعصومین أو تعذر تحملها، وأخیراً أشار القسم الرابع إلی سعة علمه علیه السلام داعیاً الجمیع للانتهال من منبعه الفیاض قبل فقده.

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۲۰۵

## القسم الأوّل

### اشارة

فَمِنَ الْایمَانِ مَا یَکُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرّاً فِی الْقُلُوبِ، ومِنْهُ مَا یَکُونُ عَوَارِیَ بَیْنَ الْقُلُوبِ والصُّدُورِ، إِلَی أَجَل مَعْلُوم، فَإِذَا کَانَتْ لَکُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَد فَقِفُوهُ حَتَّی یَحْضُرَهُ الْمَوْتُ، فَعِنْدَ ذلِکَ یَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ.

### الشرح والتفسیر: الإیمان الثابت والأجوف

کما أشیر سابقاً فقد أشار الإمام علیه السلام فی هذا القسم من الخطبة إلی أقسام الإیمان الثابت منه وغیر الثابت، فقال:

«فَمِنَ الْایمَانِ مَا یَکُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرّاً فِی الْقُلُوبِ، ومِنْهُ مَا یَکُونُ عَوَارِیَ بَیْنَ الْقُلُوبِ والصُّدُورِ، إِلَی أَجَل مَعْلُوم».

فتقسیم الإیمان إلی ثابت ومستقر وأجوف ومتزلزل وبعبارة أخری عارٍ ممّا وردت الإشارة إلیه فی الأخبار والروایات.

فقد جاء عن الإمام الصادق علیه السلام فی تفسیر الآیة الشریفة: «وَهُوالَّذِی أَنشَأَکُمْ مِّنْ نَّفْس وَاحِدَة فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ»[۳۴۳]:

«فَالْمُسْتَقَرّ الإیمانُ الثابِتُ والْمُسْتَوْدَعُ

الْمُعارُ»[۳۴۴].

وفی حدیث آخر عن أبی الحسن علیه السلام فی تفسیر الآیة السابقة:

«ما کانَ مِنَ الإیمانِ الْمُسْتَقَرِّ فَمُسْتَقَرٌّ إلی یَوْمِ الْقِیامَةِ وأبداً وما کانَ مُسْتَوَدَعاً سَلَبَهُ اللَّهُ قَبْلَ الْمَماتِ»[۳۴۵].

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۲۰۶

ورغم الاختلاف فی تفسیر الآیة المذکورة؛ ومن ذلک ما قیل أنّ المراد من المستقر أولئک الذین قرّوا فی الدنیا من الرحم والمستودع أولئک الذین ما زالوا فی الأرحام، إلّاأنّ ذلک لا یمنع من أن یکون للآیة عدّة تفاسیر.

علی کلّ حال فإن کان للإنسان نفس مطمئنة ورسخ الإیمان فی أعماقه کان إیمانه مستقراً ولا یتزلزل مهما تغیرت الظروف وتعرض للترغیب والترهیب؛ بینما یمکن زواله بسهولة إزاء المغریات ما لم یکن راسخاً.

وأسباب تزلزل الإیمان متعددة؛ منها عدم الانفتاح علی الأدلة المحکمة واتباع الهوی وضعف النفس ومقارفة الذنوب والمعاصی، فکلّ من هذه الأمور قد یزلزل الإنسان آواخر عمره لیغادر الدنیا فی خاتمة المطاف بلا إیمان.

والعبارة:

«عَوَارِیَ بَیْنَ الْقُلُوبِ والصُّدُورِ»

كناية عن أنّ الإيمان لم يتسلل لحدّ إلى قلب الإنسان وروحه ولذلك لم يستقر، أشبه بالإنسان الذى يبلغ جدار منزل ولا يدخله، فبالطبع ليس لهذا الشخص من استقرار.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه فحذر من البراءة من الأفراد قبل اختتام عمرهم، ذلك لأنّ مصير الإنسان يتّضح آخر عمره؛ فقال عليه السلام:

«فَإذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَد فَقِفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ، فَعِنْدَ ذلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ».

وعلى هذا الضوء فلا يمكن إصدار الأحكام القطعيّة بحقّ أى شخص، لا بشأن الفرد المؤمن ولا غير المؤمن، لإمكانيّة عودة كلّ منهما آخر الطريق بفعل بعض العوامل المختلفة، وإن كان هنالك من حكم فهو حكم مرحلى ومؤقت.

## تأمّل

### عناصر ثبات الإيمان

أشار الإمام عليه السلام فى القسم الأوّل من هذه الخطبة المذكورة آنفاً إلى تصنيف الإيمان إلى صنفين مستقر ومتزلزل، والسؤال الذى يطرح نفسه هنا: ما هى العناصر

نفحات الولايه، ج٧، ص: ٢٠٧

التى تقف وراء زعزعة الإيمان وثباته؟

وتبدو الإجابة عن هذا السؤال واضحة إجمالًا، فالكبائر والاستخفاف بالوظائف الشرعيّة لمن دواعى زعزعة الإيمان وسوء العاقبة؛ إلّاأنّ الآيات والروايات أكّدت على أمور معينة، منها:

مجالسة رفاق السوء والمنافقين؛ ففى الآية ٢٨ و ٢٩ من سورة الفرقان يُعرب بعض أصحاب النار يوم القيامة عن أسفهم لاتخاذهم بعض الأصدقاء فيقولون: «يَا وَيْلَتى لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلًا* لَقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى».

وفى الآية ٥٦ و ٥٧ من سورة الصافات ينادى أحد أصحاب الجنّة صاحبه الضال فى جهنم: «تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَّ لَتُرْدِينِ* وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ».

وسئل الإمام الصادق عليه السلام عمّا يثبت الإيمان فى قلب الإنسان؟ فقال:

«الَّذى يُثْبِتُهُ فيهِ الْوَرَعُ، والَّذى يُخْرِجُهُ مِنْهُ الطَّمَعُ»[٣٤۶].

وروى عنه عليه السلام أنّه قال:

«مَنْ كانَ فِعْلُهُ لِقَوْلِهِ مُوافِقاً فَاثْبَتْ لَهُ الشَّهادَةُ بِالنَّجاةِ ومَنْ لَمْ يَكُنْ فِعْلُهُ لِقَوْلِهِ مُوافِقاً فَإنَّما ذلِكَ مُسْتَوْدَعٌ»[٣۴٧].

كما بين أميرالمؤمنين على عليه السلام لكميل سبيل ثبات الإيمان فقال:

«يا كُمَيلَ! إنَّما تَسْتَحِقّ أنْ تَكُونَ مُسْتَقَراً إذا لَزِمْتَ الْجادَّةَ الْواضِحَةَ الَّتى لا تُخْرِجُكَ إلى عِوَجَ ولا تُزيلُكَ عَنْ مِنْهَج ما حَمَلْناكَ عَلَيْهِ وهَدَيْناكَ إلَيْهِ»[٣۴٨].

طبعاً لا تقتصر عناصر ثبات وزعزعة الإيمان على ما ذكر سالفاً، غير أنّها تمثّل أهم تلك العناصر.

نفحات الولايه، ج٧، ص: ٢٠٩

## القسم الثانى

### اشارة

وَالْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ. مَا كَانَ لِلَّهِ فِى أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ الْاُمَّةِ ومُعْلِنِهَا. لَايَقَعُ اسْمُ الْهِجْرَةِ عَلَى أَحَد بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِى الْأَرْضِ. فَمَنْ عَرَفَهَا وأَقَرَّ بِهَا فَهُومُهَاجِرٌ. وَلَا يَقَعُ اسْمُ الْاسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ ووَعَاهَا قَلْبُهُ.

إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لَايَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ، وَلَا يَعِى حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وأَحْلَامٌ رَزِينَةٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُونِى قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِى، فَلَانَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّى بِطُرُقِ الْأَرْضِ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِى خِطَامِهَا، وتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا.

## الشرح والتفسير: سلونی قبل أن تفقدونی

أشار الإمام علیه السلام فی هذا الجانب من الخطبة إلی ثلاثة أمور مهمّة: الأوّل تفسیر واضح لمفهوم الهجرة، فنحن نعلم أنّ الهجرة کانت من علامات الإیمان أوائل الدعوة؛ أی أنّ من آمن وکان فی سائر المناطق غیر المدینة ومنها مکة وجب علیه الإلتحاق بالنّبی صلی الله علیه و آله فی المدینة؛ لینهل من تعالیم الإسلام ویشد بحضوره شوکة المؤمنین، إلّاأنّ الهجرة فقدت مفهومها کما یبدو بعد بسط الإسلام لنفوذه علی الجزیرة العربیة، وعلیه فلم یعد من ضرورة لأنّ یلتحق بالنّبی من آمن فی سائر المناطق، غیر أنّ الهجرة بمفهومها الواقعی أی جوهر الهجرة وروحها ما زال باقیاً

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۲۱۰

فقد أشار الإمام علیه السلام إلی هذا المعنی من الهجرة فقال:

«وَالْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ. مَا كَانَ لِلَّهِ فِى أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ[۳۴۹] الْاُمَّةِ ومُعْلِنِهَا»[۳۵۰].

«إمّة»:

بکسر الهمزة فی العبارة المذکورة بمعنی (الحالة) وتشیر هنا إلی الإیمان، أی الشخص الذی یکتم إیمانه، إلّاأنّ البعض قرأها بضم الهمزة لیصبح معنی العبارة، أولئک الأفراد من الأمّة الإسلامیّة الذین کتموا إیمانهم وأولئک الذین أعلنوه.

ثم تطرق الإمام علیه السلام بعد هذا البیان الإجمالی إلی شرح معنی الهجرة بکلام رقیق فقال:

«لَا يَقَعُ اسْمُ الْهِجْرَةِ عَلَى أَحَد بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِى الْأَرْضِ. فَمَنْ عَرَفَهَا وأَقَرَّ بِهَا فَهُومُهَاجِرٌ. وَلَا يَقَعُ اسْمُ الْاسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ ووَعَاهَا قَلْبُهُ»[۳۵۱].

وزبدة کلام الإمام علیه السلام أنّ الهجرة باقیة فی کلّ زمان ومکان علی غرار عصر النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله، لکن لیس بمعنی انتقال المؤمن من مکان إلی آخر، بل بمعنی معرفة حجّة اللّه أی خلیفة رسول اللّه الحقّ، وحسب تعبیر الحدیث النبوی الشریف معرفة إمام الزمان والإیمان به، سواء حصل هذا الأمر عن طریق الهجرة المکانیّة أو بدونها، فالمهاجر الحقّ من عرف إمام زمانه، لأنّ الهدف من الهجرة الذی یتمثل فی معرفة حجّة اللّه فی الأرض قد حصل علیه، ومن لم یکن کذلک فهو مستضعف قد یکون معذوراً وقد لا یکون کذلک.

فأولئک الذین تعذر علیهم السبیل إلی المعرفة هم من الطائفة الأُولی (معذورون) وأولئک الذین اتیح لهم سبیل المعرفة ولم یغتنموه فهم من الطائفة الثانیة (غیر معذورین).

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۲۱۱

ویطلق «المستضعف» فی القرآن والروایات الإسلامیّة علی معنیین: الأوّل:

الأفراد الذین یعانون من الضیق فی الحیاة المادیّة کما ورد فی الآیة ۵ من سورة القصص: «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ». هذه الآیة إشارة إلی قصة بنی اسرائیل والفراعنة وتشیر إلی أصل کلّی فی باب المستضعفین.

الثانی: الأفراد الذین یعانون من الضیق من الناحیة الدینیّة ولا یستطیعون الهجرة من مناطقهم وقد قال القرآن الکریم فیهم: «وَمَا لَكُمْ

لَاتُقَاتِلونَ فِی سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَّدُنْكَ نَصِيراً»[۳۵۲]. فهذه الآية تتحدّث عن مسلمى مكة الذين تعذرت عليهم الهجرة وضيّق عليهم المشركون فی أداء مناسكهم الدينيّة بحرية وقد شجع القرآن مسلمى المدينة على إنقاذهم من مخالب المشركين واطلق عليهم اسم الاستضعاف.

ولهذه المفردة معنى ثالث فی الروايات حيث يراد بها الشخص العاجز عن تحرى الحقّ ومعرفته؛ سواء بسبب الضعف الفكرى أو بعده عن مصادر التحقيق.

ففی الخبر سئل الإمام الباقر عليه السلام عن المستضعف فقال:

«هُو الَّذی لا يَهْتَدی حيلَةً إلَى الْكُفْرِ فَيَكْفُرُ ولا يَهْتَدی سَبيلًا إلى الإيمانِ، لا يَسْتَطيعُ أنْ يُؤْمِنَ ولا يَسْتَطيعُ أنْ يَكْفُرَ»[۳۵۳].

ومراد الإمام عليه السلام فی الخطبة هو المعنى الثالث.

وسنقدم شرحاً وافياً فی بحث التأملات بشأن حقيقة الهجرة.

ثم أشار عليه السلام إلى الأمر الثانی فقال:

«انَّ أَمْرَنا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ ۳۵۴]، لَايَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۱۲

مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ، وَلَا يَعِی ۳۵۵] حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وأَحْلَامٌ رَزِينَةٌ[۳۵۶]».

لقد ورد مثل هذا التعبير فی سائر الروايات عن الأئمة المعصومين عليهم السلام وربّما يكون إشارة إلى الروايات التوحيدية العميقة المتعلقة بصفات اللَّه الجماليّة والجلاليّة ومقامات النّبی الأكرم صلى الله عليه و آله والأئمة المعصومين عليهم السلام وأفعالهم فی عالم التكوين بإذن اللَّه وشفاعتهم الواسعة لمذنبی الأمّة وعلمهم بالغيب وحوادث المستقبل بتعليم اللَّه تعالى والتی لا يحتملها كلّ شخص؛ ذلك لأنّ أغلب الجهّال يرون صفات اللَّه على غرار صفات المخلوق ويرون النّبی والإمام المعصوم كسائر الناس العاديين، فمن الطبيعی أن لا يتحمل أمثال هؤلاء الأفراد استيعاب تلك الأحاديث، على غرار ما جاء فی بعض خطب نهج البلاغة حيث إنّ أمير المؤمنين عليه السلام حين أشار إلى جانب من الأخبار الغيبيّة اتّهمه بعض الجهّال الذين ضاق عليهم قبول ذلك الكلام بالكذب والعياذ باللَّه.

وسنتطرق إلى جانب من هذه المقامات فی آخر هذه الخطبة وبالتأكيد سوف لن يتحمله الجميع.

والعلاقة بين هذا القسم من الخطبة وما ذكره الإمام عليه السلام بشأن الهجرة أنّ من يهاجر لمعرفة إمام زمانه عليه أن يتحلى بصدر رحب وروح واسعة وفكر رصين ليتسنى له الانتهال من فيض هذه العيون الربانيّة الجياشة.

ثم قال عليه السلام فی الأمر الثالث:

«أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُونِی قَبْلَ أنْ تَفْقِدُونی، فَلَانَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّی بِطُرُقِ الأَرْضِ، قَبْلَ أنْ تَشْغَرَ[۳۵۷] بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِی خِطَامِهَا[۳۵۸]،

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۱۳

وتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ ۳۵۹] قَوْمِهَا».

هذا الكلام هو الآخر من الأحاديث الصعبة والمستصعبة بشأن مقامات المعصومين التی لا يتحملها الجهّال؛ إلّاأنّ عليّاً عليه السلام قالها كراراً وأجاب كلّ شخص بما سأل.

والجدير بالذكر أنّ هذا الكلام لم يقتصر على مصادر الشيعة بل رواه علماء العامّة أيضاً، قال يحيی بن سعيد بن المسيب حسب نقل الاستيعاب:

«ما كانَ أَحَدٌ مِنَ النّاسِ يَقُولُ سَلُونى غَيْرَ عَلىِّ بن أبى طالِب رَضِىَ اللَّهُ تَعالى عَنْهُ»[۳۶۰].

كما روى فى ذلك الكتاب عن أبى الطفيل قال: رأيت عليّاً عليه السلام خطب وقال:

«سَلُونى فَوَاللَّهِ لا تَسْأَلُوننى عَنْ شَئْ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ؛ وسَلُونى عَنْ كِتابِ اللَّهِ فَوَاللَّهِ ما مِن آيَةً إِلَّا وأنَا أَعْلَم أَبِليل نُزِّلَتْ أَمْ بِنَهار أَمْ فى سَهْل أَمْ فى جَبَل»[۳۶۱].

كما ورد عن عبد اللَّه بن عباس فى كتاب الاستيعاب أنّه قال:

«وَاللَّهِ لَقد اعْطِىَ عَلىُّ بْنُ أبى طالِب تِسْعَةُ أعْشارِ الْعِلْمِ وأيْمُ اللَّهِ لَقَدْ شارَكَكُمْ فِى الْعُشْرِ الْعاشِرِ»[۳۶۲].

ونختتم هذا الكلام بحديث آخر ذكره محمدبن يوسف البلخى فى كتابه، فقد روى:

نفحات الولاية ؛ ج۷ ؛ ص۲۱۳

ّ عليّاً عليه السلام خطب الناس فقال:

«سَلُونى قَبَلَ أنْ تَفْقِدُونى ...»

سلونى عن طرق السماوات فإنى أعرف بها من طرق الأرض، فقام إليه رجل من وسط القوم وقال له:

أين جبرئيل فى هذه الساعة. فرمق بطرفه إلى السماء ثم رمق بطرفه إلى المشرق ثم رمق بطرفه إلى المغرب فلم يجد موطناً فالتفت إليه وقال: يا هذا الشيخ أنت جبرئيل. فقال الرجل: بخ بخ لك يا على بن أبى طالب إنّ اللَّه يباهى بك ملائكته.

قال ذلك ثم صفق طائراً من بين الناس ۳۶۳].

وضمنياً فإنّ أعلميّته عليه السلام بطرق السماء بالنظر لأهميّتها بالنسبة للأرض.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۱۴

### تأمّل

### الهجرة فى الإسلام

نعلم أنّ التاريخ الإسلامى كتب على أساس الهجرة أى أنّ المسلمين لم يعتمدوا ميلاد النّبى صلى الله عليه و آله كمبدأ للتاريخ ولا بعثته، بل جعلوا المبدأ عام الهجرة وهذا يدل على أنّ أهم فصل فى حياة المسلمين كان الهجرة، والواقع أنّ الهجرة هى التى فتحت صفحة جديدة فى تاريخ الإسلام لتكون انطلاقة للحكومة الإسلاميّة وتقدم المسلمين فى جميع المجالات.

فالوسط المكى لم يستطع استيعاب الرسالة بصورة تامة رغم الدعوة النبويّة التى استمرت ثلاث عشرة سنة، لأنّ زعماء قريش الطغاة سعوا للقضاء على كلّ حركة تهدد كيانهم فى مهدها؛ حيث كانوا يرون الوثنية راعية لمصالحهم والتوحيد خطراً عليها؛ إلّاأنّ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أعدّ خلال هذه الفترة طائفة من الفتية المخلصين فأوفدهم إلى المدينة قبل أن يهاجر إليها ثم التحقت بهم صفوة من أهل المدينة فاتفقوا وتعاهدوا حتى قدم رسول اللَّه فاستقبل هنالك وأخذ ينشر الإسلام بكلّ حرية وتمكن من بناء مسجد.

واستمرت الهجرة كفريضة إلهية؛ أى أنّ كلّ فرد كان يعتنق الإسلام وأينما كان فى الجزيرة العربية ينبغى عليه الإلتحاق بالمدينة وشد ظهور المسلمين، أمّا أولئك الذين لم يهاجروا فلم يشملوا بالولاية الإسلاميّة حسب النص القرآنى الصريح «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلَايَتِهِم مِنْ شَىء حَتَّى يُهَاجِرُوا»[۳۶۴].

ويبدو أنّ موضوع الهجرة قد انتهى إبان فتح مكة وبسط نفوذ الإسلام على جميع المنطقة، ولم يُعتبر الأفراد الذين قدموا إلى المدينة من مكة بعد ذلك التاريخ من المهاجرين حيث ورد فى الحديث النبوى الشريف:

«لا هِجرَةَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّة»[۳۶۵].

نفحات الولايهْ، ج٧، ص: ٢١٥

ثم اتسع مفهوم الهجرهْ فأصبح المهاجر مَن يغادر بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، كما يعتبر من زمرهْ المهاجرين مَن يهجر منطقهْ إلى أخرى لدفع شر خصوم الدعوهْ، لذلك جاء فى الحديث النبوى الشريف:

«أيُّها النّاسُ هاجِرُوا وتَمَسَّكُوا بِالْاسْلام فَإنَّ الْهِجْرَةَ لا تَنْقَطِعُ مادامَ الْجِهادُ»[٣٦٦].

ثم تجاوزت الهجرهْ هذا المعنى لتشمل الهجرهْ الباطنيّهْ والمعنويّهْ بالإضافهْ إلى الهجرهْ المكانيّهْ والخارجيّهْ، فقد ورد فى الحديث النبوى الشريف:

«وَالْمُهاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطايا والذُّنُوبَ»[٣٦٧].

كما ورد عن على عليه السلام أنّه قال:

«يَقُولُ الرّجلُ هاجَرْتُ ولَمْ يُهاجِرْ إنّما الْمُهاجِرُونَ الَّذينَ يَهْجُرُونَ السَّيِّئاتِ ولَمْ يَأْتُوا بِها»[٣٦٨].

وعلى هذا الضوء فمن يهاجر من مكان إلى آخر دون أن تكون له هجرهْ معنويهْ وباطنيّهْ، أى لا يبتعد عن الذنوب والمعاصى، فهو ليس فى زمرهْ المهاجرين الواقعيين.

ويبدو دليل هذا الاتساع فى مفهوم الهجرهْ واضحاً، لأنّ روح الهجرهْ وجوهرها الانتقال من الكفر إلى الإيمان ومن المعصيهْ إلى الطاعهْ.

ومن هنا يدخل فى دائرهْ الهجرهْ مَن عرف إمام كلّ زمانه ثم سارع إلى الإلتحاق به لنيل المعارف الدينيّهْ كما ورد فى الخطبهْ.

نفحات الولايهْ، ج٧، ص: ٢١٧

## الخطبهْ ١٩٠

### اشارهْ

يَحْمَدُ اللَّهَ ويُثْنى عَلى نَبِيِّهِ ويَعِظُ بِالتَّقْوى ٣٦٩]

### نظرهْ إلى الخطبهْ

تعدّ هذه الخطبهْ من أبلغ خطب أمير المؤمنين عليه السلام وتتكون من عدّهْ أقسام:

القسم الأوّل: فى حمد اللَّه والثناء عليه والشهادهْ للنبى صلى الله عليه و آله بالنبوهْ والرسالهْ وتطرق فيها لنصره صلى الله عليه و آله على أعدائه بلطف اللَّه.

القسم الثانى: تضمّن التأكيد على مسألهْ التقوى، فقد دعى الجميع إلى الاستعداد لسفر الآخرهْ والحديث عن نهايهْ الحياهْ وخطورهْ الموت والحوادث التى تعقبه.

القسم الثالث: الحديث عن المصير المشرق للصالحين فى الدار الآخرهْ ونعم الجنّهْ العظيمهْ والسكينهْ التامهْ والثواب الأُخروى العظيم الخالد ضمن التأكيد على

نفحات الولايهْ، ج٧، ص: ٢١٨

تقلب الدنيا وشرح العذاب الأخروى الذى ينتظر المجرمين فى الآخرهْ.

القسم الرابع: عاد الإمام عليه السلام إلى ما بيّنه فى القسم الثانى من الخطبهْ ليحث الجميع بعبارات جديدهْ على التأهب للرحيل إلى عالم الآخرهْ.

القسم الخامس وهو القسم الأخير من الخطبة: خاطب فيه الإمام عليه السلام أصحابه وحذرهم من التسرع والقيام بالنهضات غير المجدية والقرارات الساذجة بغية نيل الشهادة وأمثال ذلك، وصرّح بأنّ الشهادة ستكون من نصيب من سار على الطريق المستقيم وإن مات على فراشه.

***

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۱۹

## القسم الأوّل

### اشارة

أَحْمَدُهُ شُكْراً لِإنْعامِهِ، وأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ، عَزِيزَ الْجُنْدِ، عَظِيمَ الْمَجْدِ.

وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ، وقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَاداً عَنْ دِينِهِ؛ لَايَثْنِيهِ عَنْ ذلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ، والْتِمَاسٌ لِإطْفَاءِ نُورِهِ.

### الشرح والتفسير: نبی الرحمة والجهاد

استهل الإمام عليه السلام هذا الجانب من الخطبة بحمد اللّه والثناء عليه فقال:

«أَحْمَدُهُ شُكْراً لِإنْعامِهِ، وأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ؛ عَزِيزَ الْجُنْدِ، عَظِيمَ الْمَجْدِ[۳۷۰]».

التعبير ب

«الوظائف والحقوق»

لعله إشارة إلى الواجبات الدينيّة كالصوم والصلاة والخمس والزكاة التی لا تتمّ بصورة كاملة إلّابتوفيق اللّه، ويمكن أن تكون إشارة إلى حقوق اللّه التی تفرزها نعمه كنعمة الأذن والعين والعقل والفتوة والمعافاة والتی يتطلب كل واحدة منها شكراً.

ثم خاض فی الشهادة للنبی الأكرم صلى الله عليه و آله بالرسالة وبعض صفاته فقال:

«وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ، وقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَاداً عَنْ دِينِهِ؛ لَايَثْنِيهِ [۳۷۱] عَنْ ذلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ، والْتِمَاسٌ لِإطْفَاءِ نُورِهِ».

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۲۰

فقد أشار الإمام عليه السلام فی هذا الجانب من خطبته إلى نقطتين مهمتين فی سيرة النّبی الأكرم صلى الله عليه و آله؛ الأولى أنّه منتصر دائماً فی قتاله لأعدائه، وهذا دليل واضح على زعامته صلى الله عليه و آله وخططه فی مواجهة الأعداء وخصوم الدعوة، إلى جانب الإمداد الغيبی والعناية الإلهيّة.

والأخرى أنّ اتحاد الأعداء ووقوفهم بوجهه لم يؤثر على عزمه وإرادته صلى الله عليه و آله ويصرفه عن دعوته، فكان يحث الخطى- بصبرٍ على المصاعب- نحو هدفه حتى بلغه.

ومن الحوادث التاريخية المعروفة عندما جاء رؤوساء قريش إلى أبی طالب وأرادوا أن يكلّموا النبی صلى الله عليه و آله وقالوا له: يا محمّد إنا قد بعثنا إليك لنكلّمك، وإنا واللّه ما نعلم رجلًا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وشتمت الآلهة، وسفهّت الأحلام، وفرّقت الجماعة .. فإن كنت إنّما جئت بهذا الحديث تطلب به مالًا جمعنا لك من

أموالنا حتى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت إنّما تطلب به الشرف فينا فنحن نسوّدک علينا، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناک علينا، وإن كان هذا التى يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك- وكان يسمّون التابع من الجن رئياً- فربّما كان ذلک بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لک حتى نبرئک منه، فقال لهم:

«ما جِئتُ بما جِئتُكم بِهِ أطلبُ أموالَكُم ولا الشّرف فِيكُم، ولا المُلك عليكُم، ولكنّ اللّه بَعَثِنِى إِلَيكُم رَسُولًا، وَأَنزَلَ عَلىَّ كِتابَاً، وَأَمِرنِى أنْ أكُونَ لَكُم بَشِيراً ونَذِيراً، مُبَلِّغُكم رِسالاتِ رَبّى ونَصحتُ لَكُم، فإنْ تَقبلُوا مِنّى ما جِئتُكُم بِهِ فَهو حَظّكُم فِى الدُّنيا وَالآخرةِ، وإنْ تَردُّوهُ عَلىَّ أصبِر لأمرِ اللّهِ حَتّى يَحكُمَ اللّهُ بَينى وَبَينَكُم»[۳۷۲].

وكذلك عندما جاء روءساء قريش إلى أبىطالب وقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا وقد آتيناک تقضى بيننا وبين ابن أخيك، فإنّه سفّه أحلامنا، وشتم آلهتنا، فدعا أبو طالب

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۲۱

رسول اللّه صلى الله عليه و آله وقال: يا ابن أخى هؤلاء قومک يسألونک، فقال:

«مَاذا يَسألُونَنى؟»

، قالوا: دعنا وآلهتنا ندعک وآلهک، فقال:

«أتُعطُونِنى كلِمةً واحدَةً تَملِكُونَ بِها العربَ والعَجمَ؟»

، فقال له أبوجهل: للّهأبوک نعطيک ذلک عشر أمثالها، فقال:

«قُولُوا: لاإله إلّا اللّه»

، فقاموا وقالوا: «أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ»[۳۷۳].

وروى أنّ النبى صلى الله عليه و آله استعبر ثم قال:

«يا عَمّاهُ لَو وُضِعَتِ الشَّمْسُ فى يَمينى والْقَمَرُ فى شِمالى ما تُركَ هذَا الْقَوْلُ حَتّى أنْفَذَهُ أو أُقْتَلَ دُونَهُ»

، فقال له أبوطالب:

امض لأمرک فواللّه لا أخذلك أبداً[۳۷۴].

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۲۳

## القسم الثانى

### اشارة

فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللّهِ، فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، ومَعْقِلًا مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ.

وبَادِرُوا الْمَوْتَ وغَمَرَاتِهِ، وامْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ، وأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ فانَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةُ؛ وكَفَى بِذلِكَ وَاعِظاً لِمَنْ عَقَلَ، ومُعْتَبراً لِمَنْ جَهِلَ! وقَبْلَ بُلوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ الأَرْماسِ، وشِدَّةِ الْابْلَاسِ، وهَوْلِ الْمُطَّلَعِ، ورَوْعَاتِ الْفَزَعِ، واخْتِلَافِ الأَضْلَاعِ، واسْتِكَاكِ الأَسْمَاعِ، وظُلْمَةِ اللَّحْدِ، وخِيفَةِ الْوَعْدِ، وغَمِّ الضَّرِيحِ، ورَدْمِ الصَّفِيحِ.

### الشرح والتفسير: الأهوال القادمة

خاض الإمام عليه السلام بعد حمد اللّه والثناء عليه والشهادة للنبى صلى الله عليه و آله بالرسالة، فى موضوع مهم ومصيرى فى حياة الإنسان ألا وهو التقوى فقال:

«فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، ومَعْقِلًا[۳۷۵] مَنِيعاً[۳۷۶] ذِرْوَتُهُ ۳۷۷]».

فالواقع أنّ عالم الدنيا بمنزلة البئر الذى يتعذر الخلاص من مخاطره سوى من خلال التمسك بحبل متين ألا وهو التقوى، ثم شبّه التقوى بالحصن الحصين حيث ينجو مَن تحصّنَ فيه من الأخطار أو كقمة الجبل المنيعة وعلى هذا الأساس فإنّ التقوى وسيلة للنجاة من حضيض الذلّة إلى ذروة السعادة والعزّة كما أنّها الدرع الذى يقى الإنسان عواصف الشهوات والهوى والهوس.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۲۴

ثم تعرض الإمام عليه السلام إلى أهم وسائل العبرة والعظة فرسمها بصورة دقيقة ومعبرة فقال:

«وبَادِرُوا الْمَوْتَ وغَمَرَاتِهِ،[۳۷۸] وامْهَدُوا لَهُ قَبلَ حُلولِهِ، وأَعِدُّوا لَهُ قبْلَ نُزُولِهِ:

فانَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةُ؛ وكَفَى بِذلِكَ وَاعِظاً لِمَنْ عَقلَ، ومُعْتَبَراً لِمَنْ جَهلَ!».

فمن الطبيعى أنّه ينبغى للشخص المقبل على سفر مليىء بالأخطار والذى لا عودة فيه، من التأهب التام له وتوفير جميع السبل التى تلزم للمسير إليه وهو السفر المعروف بسفر الآخرة الشاق، وممّا لا شك فيه أنّه ليس هنالك أى خشية أو قلق إن اتجه الإنسان إليه بصحيفة أعمال مليئة بالحسنات وخالية من السيئات، وهنا خاض الإمام عليه السلام فى ذكر جانب من الحوادث المريرة للموت والقبر فقال:

«وقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ الْأَرْمَاسِ ۳۷۹]، وشِدَّةِ الإِبْلَاسِ ۳۸۰]، وهَوْلِ الْمُطَّلَعِ ۳۸۱]،

ورَوْعَاتِ ۳۸۲] الْفَزَعِ، واخْتِلَافِ الأَضْلَاعِ ۳۸۳]، واسْتِكَاكِ ۳۸۴] الأَسْمَاعِ، وظُلْمَةِ اللَّحْدِ، وخيفَةِ

الْوَعْدِ، وغمِّ الضَّرِيحِ ۳۸۵]، ورَدْمِ ۳۸۶] الصَّفِيحِ ۳۸۷]».

بالإلتفات إلى أنّ الموت لا يعنى لنا انتهاء كلّ شىء حيث تبقى الروح بعد الموت تعيش الحياة الأخرى الخالدة، فإنّ القبور الضيقة والمظلمة مقارنة بالبيوت الواسعة والجميلة تبدو غاية فى الوحشة إلى جانب القلق المتعلق بضغطة القبر والخوف من

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۲۵

المستقبل وفقد الأعزّة والأحبّة والشعور بالوحدة المطلقة وتآكل أعضاء الجسم تحت التراب وبالتالى الانتقال من الوسط الهادىء والمرفه إلى الوسط المرعب، كلّ ذلك من الأمور التى يهتز لها الإنسان لمجرّد التفكير بها فيحذر الإمام عليه السلام من ضرورة التأهب لمثل هذا السفر الشاق والمليىء بالأخطار.

جدير ذكره أنّ الإمام عليه السلام جسّد لمخاطبيه بهذه العبارات العشر الفصيحة والبليغة كلّ الأمور ذات الصلة بالموت والقبر وكأنّهم يرونها عياناً؛ وهى الأمور التى ينتظرها الجميع دون استثناء والتفكير فيها ينتشل الإنسان من نوم الغفلة مهما كانت عميقة فيوقظه ويجبره على إصلاح أعماله وأقواله.

ولعل هذا هو السبب فى ما ورد من الوصايا الإسلاميّة التى توصى بوضع الميت على الأرض قبل وضعه فى قبره حين يحمل إليه والتريث مدّة ثم التقدم ووضعه ثانية على الأرض والصبر مدّة أخرى وهكذا حتى يرد ذاك الموضع الموحش ۳۸۸].

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۲۷

## القسم الثالث

### اشارة

فَاللَّهَ اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ! فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَن، وأَنْتُمْ والسَّاعَةُ فِى قَرَن. وكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا، وأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا، ووَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا. وكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَازِلِهَا، وأَنَاخَتْ بِكَلاكِلِهَا، وانْصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا، فَكَانَتْ كَيَوْم مَضَى، أَوْشَهْر انْقَضَى، وصَارَ جَدِيدُهَا رَثّاً، وسَمِينُهَا غَثّاً. فِى مَوْقِف ضَنْكِ الْمَقَامِ، وأُمُور مُشْتَبِهَة عِظَام، ونَار شَدِيد كَلَبُهَا، عَال لَجَبُهَا، سَاطِع

لَهَبُهَا، مُتَغَيِّظ زَفِيرُهَا، مُتَأَجِّج سَعِيرُهَا، بَعِيد خُمُودُهَا، ذَاكٍ وُقُودُهَا، مَخُوف وَعِيدُهَا، عَم قَرَارُهَا، مُظْلِمَة أَقْطَارُهَا، حَامِيَة قُدُورُهَا، فَظِيعَة أُمُورُهَا. (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً) قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ، وانْقَطَعَ الْعِتَابُ؛ وَزُحْزِحُوا عَنِ النَّارِ، واطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدَّارُ، ورَضُوا الْمَثْوَى والْقَرَارَ. الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِى الدُّنْيَا زَاكِيَةً، وأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً، وكَانَ لَيْلُهُمْ فِى دُنْيَاهُمْ نَهَاراً، تَخَشُّعاً واسْتِغْفَاراً؛ وكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا، تَوَحُّشاً وانْقِطَاعاً. فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَآباً، والْجَزَاءَ ثَوَاباً، (وكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وأَهْلَهَا) فِى مُلْكٍ دَائِم، ونَعِيم قَائِم.

## الشرح والتفسير: أهوال المحشر!

مـا أن فرغ الإمام عليه السلام من التذكير بالموت وشدائده حتى حث الجميع على الاستعداد والتأهب لهذا السفر الخطير والمرعب فتحدث بعبارات رائعة عن بداية القيامة واختتام الدنيا فقال:

«فَاللَّهَ اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ! فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۲۸

سَنَن ۳۸۹]، وأَنْتُمْ والسَّاعَةُ فِى قَرَن ۳۹۰]. وكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا[۳۹۱]، وأَزِفَتْ ۳۹۲] بِأَفْرَاطِهَا[۳۹۳]، ووَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا. وكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلازِلِهَا، وأَنَاخَتْ ۳۹۴] بِكَلَاكِلِهَا[۳۹۵]».

العبارة:

«وأَنْتُمْ والسَّاعَةُ فِى قَرَن»

وبالإلتفات إلى أنّ القرن هو الحبل الذى يربط به البعيران، إشارة إلى أنّ المسافة بينكم وبين القيامة ليست بعيدة، كما يمكن أن تكون العبارة إشارة إلى القيامة الصغرى أى الموت أو القيامة الكبرى بمعنى يوم القيامة، ذلك لأنّ عمر الدنيا مهما كان فهوقليل ولابدّ أن تحل القيامة، والفارق بين العبارة

«وكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا»

والعبارة

«وأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا»

هو أنّه قال فى العبارة الاُولى قد جاءت علامات الآخرة بينما تطرق فى العبارة الأخرى إلى توفر مقدماتها.

وذهب البعض إلى أنّ العبارة

«وأَنَاخَتْ بِكَلَاكِلِهَا»

إشارة إلى مصاعب القيامة، فالبعير حين ينام ويلصق صدره بالأرض يقذف بثقله على الأرض، لكن لا يبعد أن تكون إشارة قضية الموت والقيامة كالناقة التى تنام على عتبة أبواب الجميع. كناية عن أنّ أحداً؛ لا ينجو منه.

ثم قال بشأن أوضاع الدنيا:

«وانْصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا[۳۹۶]،

فَكَانَتْ كَيَوْم مَضَى أَوشَهْر انْقَضَى، وصَارَ جَدِيدُهَا رَثّاً[۳۹۷]، وسَمِينُهَا غَثّاً[۳۹۸]».

نعم، فأولئك الذين كانت أعمارهم قصيرة كأنّها بمثابة يوم ومن عمّر طويلًا

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۲۹

فكأنّه عاش شهراً.

العبارة:

«أَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا»

إشارة إلی أنّ الدنیا أخذتهم مدّة بأحضانها ثم رمتهم إلی الموت وتشیر العبارات

«صَارَ جَدِیدُهَا رَثّاً، وسَمِینُهَا غَثّاً»

إشارة إلی تقلب جمیع نعم الدنیا فالجدید یصبح قدیماً ویزول والسمان یضعفون ویودعون هذا العالم.

ثم واصل علیه السلام کلامه عن وضع الإنسان فی نهایة الدنیا لیخوض فی مواقف القیامة وکان هنا کلام مقدر وربّما لم یورد السید الرضی بعض العبارات علی طریقته فی الاقتطاف لیصف العصاة الظلمة حین یردون المحشر ویرون ذلک المشهد المرعب فقال:

«فِی مَوْقِف ضَنْک ۳۹۹] الْمَقَام، وأُمُور مُشْتَبِهَة عِظَام، ونَار شَدِید کَلَبُهَا[۴۰۰]، عَال

لَجَبُهَا[۴۰۱]، سَاطِع لَهَبُهَا، مُتَغَیِّظ زَفِیرُهَا، مُتَأَجِّج ۴۰۲] سَعِیرُهَا، بَعِید خُمُودُهَا، ذَاک ۴۰۳] وُقُودُهَا،

مَخُوف وَعِیدُهَا، عَم ۴۰۴] قَرَارُهَا، مُظْلِمَة أَقْطَارُهَا، حَامِیَة قُدُورُهَا، فَظِیعَة أُمُورُهَا».

یشیر التعبیر بالموقف إلی مشهد القیامة أو مشهد جهنّم، بقرینة الصفة التی جاءت بعد ذلک وجدیر ذکره أنّ الإمام علیه السلام بیّن بهذه العبارات والصفات الاثنتی عشرة التی وصف بها نار جهنم جمیع هذه الاعجازات الإلهیّة بدقّة متناهیة وفصاحة تامة بحیث یقضّ مضاجع الآثمین.

النار المحرقة والخطیرة، النار الشدیدة اللهیب والتی تتداعی منها تلک الأصوات الرهیبة بفعل ما یحدث فیها من انفجارات، فهی لا تخمد أبداً ودخانها کثیف وقاتل تلتهم کلّ ما حولها بحیث تحیل النهار الواضح إلی ظلمة مطلقة.

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۲۳۰

فالإمام علیه السلام یشیر إلی هذه الصفات وکأنّه یراها بأُم عینیه خلف حجب الغیب.

ثم خاض علیه السلام فی أوضاع أهل الجنّة فرسم لها صورة دقیقة بما یؤجج نیراناً من الشوق فی قلوب المؤمنین فقال مستشهداً بالآیة الکریمة: « «وَسِیقَ الَّذِینَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَی الْجَنَّةِ زُمَراً[۴۰۵]»

: قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ، وَانْقَطَعَ الْعِتَابُ؛ وزُحْزِحُوا[۴۰۶] عَنِ النَّارِ، واطْمَأَنَّتْ

بِهِمُ الدَّارُ، ورَضُوا الْمَثْوَی والْقَرَارَ».

حیث أشار الإمام علیه السلام بهذه العبارة القصیرة إلی خمسة امتیازات عظیمة لهذه الطائفة الورعة من أصحاب الجنّة والتی یمکن خلاصتها فی السکینة والطمأنینة المطلقة حیث الأمان من العذاب وغیاب العتاب وابتعاد عن النار والاستقرار التام فی الجنّة والرضا بهذه العاقبة.

آنذاک خاض الإمام علیه السلام فی شرح جانب من أعمال هذه الفئة فقال:

«الَّذِینَ کَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِی الدُّنْیا زَاکِیَةً، وأَعْیُنُهُمْ بَاکِیَةً، وکَانَ لَیْلُهُمْ فِی دُنْیَاهُمْ نَهَاراً، تَخَشُّعاً واسْتِغْفَاراً؛ وکَانَ نَهَارُهُمْ لَیْلًا، تَوَحُّشاً وانْقِطَاعاً».

حیث رسم الإمام علیه السلام بهذه الصفات الأربع مقامهم الرفیع بأجمل الصور لیعتبره العنصر الذی جعلهم من أصحاب الجنّة.

فمن جانب کانت أعمالهم فی الدنیا طاهرة ونقیة عن الریاء والعجب والفخر، وکانت أعینهم باکیة من خشیة اللَّه وعلی مصاب المظلومین من عباد اللَّه، ومن جانب آخر کانوا ینقطعون فی اللیل للتهجد والعبادة والخشوع والخضوع والاستغفار کما کان نهارهم لیلًا بسبب ابتعادهم عن أهل الدنیا والتنازع علی المتع المادیّة فلا یعیشون سوی الانقطاع إلی اللَّه، نعم هذه هی صفات أصحاب الجنّة من ذوی المقامات الرفیعة والسعداء من أصحاب النجاة فاستحقوا بذلک تلک الدرجات، ومن هنا اختتم الإمام علیه السلام کلامه بالقول:

«فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَآباً، والْجَزَاءَ ثَوَاباً،

«وکَانُوا

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۲۳۱

أَحَقَّ بِهَا وأَهْلَهَا»[۴۰۷]
فِى مُلْك دَائِم، ونَعِيم قَائِم».
وعلى هذا الضوء فقد أشار الإمام عليه السلام إلى أهليتهم واستعدادهم بالإضافة إلى أجرهم وثوابهم العظيم، فقد حاربوا هوى أنفسهم مدّة قليلة وأثبتوا أهليتهم ورفعة مقامهم من خلال عبادتهم لربهم وخشيتهم منه وسهرهم الليالى بالعبادة وإخلاصهم للّه تعالى فأفاض اللّه الجواد الكريم عليهم عظيم أجره وثوابه الذى يفوق تلك الأعمال والذى لا يعرف من معنى للزوال والفناء.
نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۳۳

## القسم الرابع

### اشارة

فَارْعَوْا عِبادَ اللّهِما بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ، وبِإِضَاعَتِهِ يَخْسَرُ مُبْطِلُكُمْ.
وبَادِرُوا آجَالَكُم بِأَعْمَالِكُم؛ فَإِنَّكُم مُرْتَهَنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ، ومَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ. وكَأَنْ قَدْ نَزَلَ بِكُمُ الْمَخُوفُ، فَلَا رَجْعَةً تَنالُونَ، وَلَا عَثْرَةً تُقَالُونَ.
اسْتَعْمَلَنَا اللّهُ وإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وطَاعَةِ رَسُولِه، وعَفَا عَنَّا وعَنْكُم بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ.

### الشرح والتفسير: الاستعداد للرحيل

تابع الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة فى بيانه لمصير الطالحين والصالحين حين الموت وفى القيامة، مطلباً يؤدّى إلى النجاة والتوفيق حين الموت والعرض على اللّه فقال:
«فَارْعَوْا عِبَادَ اللّهِ مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُم، وبِإِضَاعَتِهِ يَخْسَرُ مُبْطِلُكُمْ ۴۰۸]».
من الواضح أنّ عبارة الإمام عليه السلام البليغة هذه إشارة إلى التقوى والعمل الصالح الذى يدعو إلى الفلاح بينما يدعو التولى عنه إلى الفشل والخسران كما صرح القرآن الكريم بهذا الشأن قائلا: «وَمَنْ يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللّهَ وَيَتَّقِيهِ فَأُوْلئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ»[۴۰۹].
ثم واصل كلامه فى الحديث عن قصر عمر الإنسان وذمّ التعويل على ما بقى منه
نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۳۴
والإبهام الذى يحيط بلحظة الموت فدعى الجميع لادّخار العمل الصالح والمسارعة للخيرات فقال:
«وبَادِرُوا آجَالَكُم بِأَعْمَالِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ مُرْتَهَنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ، ومَدِينُونَ ۴۱۰] بِمَا قَدَّمْتُمْ».
يا له من تعبير رائع (التعبير بالرهن والدين) بالنسبة للذنوب السالفة وكأنّ الذنوب تطوق عنق الإنسان كدين ليكون بمنزلة المرهون بكلّ كيانه إزاء هذا الدين فلا ينفكك عنه ما لم يتب ويبادر إلى تلافى ما فرط منه بالعمل الصالح، الأمر الذى أكّده القرآن الكريم:
«كُلُّ نَفْس بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ»[۴۱۱].
ورد فى الحديث النبوى الشريف (الخطبة الشعبانيّة فى أهميّة شهر رمضان):
«أَيُّهَا النّاسُ إنَّ أَنْفُسَكُمْ مَرْهُونَةُ بِأَعْمالِكُمْ فَفُكُّوها بِاسْتِغْفارِكُمْ»[۴۱۲].
ثم حذر الجميع فقال:
«وكَأَنْ قَدْ نَزَلَ بِكُمُ الْمَخُوفُ، فَلَا رَجْعَةً تَنالُونَ، وَلَا عَثْرَةً تُقَالُونَ ۴۱۳]».

فالحقيقة هى أنّ الإمام عليه السلام يشير إلى هذه النقطة وهى أنّ الموت يمكن أن يأتى‌الإنسان فى كلّ حادثة لا سيما أننا نرى موت الفجأة أثر السكتة القلبيّة أو سائر حوادث الموت الذى لا عودة فيه والتى تعجز أمامه جميع الأسباب الظاهريّة، ثم اختتم الإمام عليه السلام هذا الجانب من الخطبة بدعاء قصير وجامع فقال:

«اسْتَعْمَلَنَا اللَّهُ وإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وطَاعَةِ رَسُولِهِ، وعَفَا عَنَّا وعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ».

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۳۵

## القسم الخامس

### اشارة

إِلْزَمُوا الأَرْضَ، واصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ. وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِما لَمْ يُعَجِّلْهُ اللَّهُ لَكُمْ. فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وهُوعَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وحَقِّ رَسُولِهِ وأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً، ووَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، واسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ، وقَامَتِ النِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلَاتِهِ لِسَيْفِهِ؛ فانَّ لِكُلِّ شَىءٍ مُدَّةً وأَجَلًا.

### الشرح والتفسير: لكلّ شىء أجل ومدّة

خاطب الإمام عليه السلام فى القسم الأخير من هذه الخطبة أولئك الذين يتطلعون إلى الشهادة بفارغ الصبرودون تروٍ ويتعجلون فى مواجهة العدو بعيداً عن تخطيط الإمام عليه السلام فقال:

«إِلْزَمُوا[۴۱۴] الأَرْضَ، واصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ. وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ
وسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِما لَمْ يُعَجِّلْهُ اللَّهُ لَكُمْ».

فكما أنّ هنالك من يتهرب من الجهاد فى سبيل اللّه، هنالك من يتعجل ويبغى الشهادة قبيل أوانها، ورغم أنّ نيّات هؤلاء الأفراد مقدسة لكن الأعمال التى لا تخضع للتخطيط وتسبق أوانها تنطوى على العديد من الأخطاء والانعكاسات السلبيّة.

ومن هنا نهى الإمام عليه السلام عن مثل هذه الأفعال ثم قال بصيغة دليل لما ذكر:

«فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وهُوعَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وحَقِّ رَسُولِهِ وأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۳۶

شَهِيداً، ووَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، واسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ، وقَامَتِ النِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلَاتِهِ [۴۱۵] لِسَيْفِهِ».

واختتمها بالعبارة:

«فانَّ لِكُلِّ شَىءٍ مُدَّةً وأَجَلًا».

وتبدو هذه العبارة مجدية فى كلّ عصر وزمان وتشكل رداً حاسماً على المتسرعين من الأفراد من ذوى النيات الطاهرة الذين ربّما يعشقون الجهاد والشهادة لكنهم لا يميزون الوقت المناسب من غير المناسب فهم يتحرقون على الدوام ويمارسون بعض الضغوط على زعامتهم إلّاأنّ الزعيم الحكيم من لا يستجيب للضغوط ولا يتعجل النتائج، لكنه يبشرهم بأنّ اللّه سيثيبهم على تلك النيات إن كانوا صادقين فى دعواهم وإيمانهم بالمبدأ والمعاد والنّبى صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام فسيحصلون لا شك على ثواب المجاهدين فى سبل اللّه والشهداء ولا- يصدق هذا الكلام على الجهاد والشهادة فحسب بل يشمل جميع أفعال الخير التى ينبغى ممارستها فى وقتها المناسب، وقد وردت مثل هذه العبارة فى الخطبة الخامسة من نهج البلاغة بتعبير آخر إذ قال:

«ومُجْتَنِى الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ ايناعِها كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ».

ويصدق هذا الكلام على عصرنا وزماننا إذ إنّ هنالك طائفة تسعى لمواجهة المنافقين فى الداخل والأعداء فى الخارج دون التطلع إلى الفرصة المناسبة والتخطط الدقيق، أو تعيش حالة من الانتظار الممل لظهور الإمام المهدى عليه السلام والقتال بين يديه والذى يقال لجميع هؤلاء إنّ اللّه سيعطيكم أجر المجاهدين والشهداء إن صدقتم فى إيمانكم وأخلصتم فى نيّاتكم.

## تأمّل

## الثورات المتعجلة

قد يضيق البعض ذرعاً فى المجتمعات التى تعيش حالة من المعاناة بفعل العدو

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۳۷

الداخلى أو الخارجى فيعمد إلى القيام بالثورة فى غير وقتها، الأمر الذى لا يؤدّى إلى فشل تلك الثورة فحسب بل يوقظ العدو ويسلب زمام المبادرة فى المستقبل، وهذه إحدى المعضلات التى تواجه القيادات الحكيمة.

وقد حفل تاريخ التشيع بالعديد من هذه الثورات المتعجلة عقب واقعة كربلاء والتى جوبهت بالنهى من جانب الأئمّة عليهم السلام، مع ذلك فقد التحق بها بعض من اشياعهم المخلصين.

والقضية المهمّة هى أنّ الثورة ضد العدوبغية القضاء عليه تتطلب العديد من الشروط التى يسعى القائد الحكيم لتوفرها جميعاً لتفضى الثورة إلى نتائجها المتوخاة منها.

فالقائد عادة يرى ما لا يراه الفرد العادى ويتمتع بسعة افق تجعله يرى ويفكر فى ما خلف هذا الواقع، والذى تفيده هذه الخطبة أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام ورغم كونه أعظم بطل ومجاهد فى الإسلام قد عانى من مثل هؤلاء الأفراد إلى جانب أولئك المتقاعسين عن الجهاد.

فقد عانى فى الواقع من افراط وتفريط هاتين الطائفتين.

فبعض الأفراد لا يكاد يسمع الآيات والروايات الواردة فى مقام الشهداء وثواب الشهادة ودعوة الناس لهذا المضمار حتى يعيشوا حالة عجيبة من عشق الشهادة، إلّا أنّ الإمام عليه السلام يريهم أفضل سبيل والذى تلخص فى نصحهم عدم الاستعجال واليقين بأنّ اللّه سيعطيهم أعظم الأجر والثواب إن صدقوا فى إيمانهم وأخلصوا فى نيّاتهم.

***

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۳۹

## الخطبة ۱۹۱

## اشارة

يَحْمَدُاللّهَ ويُثْنى عَلى نَبِيِّهِ ويُوصى بِالزُّهْدِ والتَّقْوى ۴۱۶]

## نظرة إلى الخطبة

تتألف هذه الخطبة فی الواقع من ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل: فی حمد اللَّه والثناء علیه المقرون بذکر النعم وجانب من صفات الجلال والجمال، ثم الشهادة للنّبی صلی الله علیه و آله بالرسالة وتوضیح الظروف التی بعث فیها النّبی وهدایة الأمّة.

القسم الثانی: الحدیث عن التقوی وبرکاتها والوصیّة بالتمسک بهذه العروة الإلهیّة فی جمیع شؤون الحیاة.

القسم الثالث: تحذیر أصحاب الدنیا من الغرور بها والکشف عن الدنیا وعیوبها لیعتبر بذلک الآخرون.

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۲۴۱

## القسم الأوّل

### اشارة

ألْحَمْـدُ للَّهِ الْفَاشِـی فِی الْخَلْقِ حَمْـدُهُ، والْغَـالِبِ جُنْدُهُ، والْمُتَعَـالِی جَـدُّهُ أَحْمَـدُهُ عَلَی نِعَمِهِ التُّؤَام، وآلَائِهِ الْعِظَام. الَّذِی عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا، وعَدَلَ فِی کُلِّ مَا قَضَـی، وعَلِمَ مَا یَمْضِـی ومَا مَضَی، مُبْتَدِعِ الْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ، ومُنْشِئِهِمْ بِحُکْمِهِ، بِلَا اقْتِدَاء وَلَا تَعْلِیم، وَلَا احْتِذَاء لِمِثَالِ صَانِع حَکِیم، وَلَا إِصَابَةِ خَطَأ، وَلَا حَضْرَةِ مَلَا.

وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، ابْتَعَثَهُ والنَّاسُ یَضْرِبُونَ فِی غَمْرَة، ویَمُوجُونَ فِی حَیْرَة. قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ الْحَیْنِ، واسْتَغْلَقَتْ عَلَی أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّیْنِ.

### الشرح والتفسیر: بدیع خلق اللَّه

استهل الإمام علیه السلام هذه الخطبة التی تعدّ من أفصح خطبه علیه السلام بحمد اللَّه والثناء علیه ووصفه بثلاث صفات فقال:

«ألْحَمْدُ للَّهِ الْفَاشِی [۴۱۷] فِی الْخَلْقِ حَمْدُهُ، والْغَالِبِ جُنْدُهُ،

والْمُتَعَالِی جَدُّهُ».

التعبیر

«الْفَاشِی فِی الْخَلْقِ حَمْدُهُ»

التی تفید سعة حمد اللَّه فی جمیع مخلوقاته یمکن أن تشیر إلی حمده من قِبل الأقوام المؤمنة والثناء علیه، أو إشارة إلی الحمد والثناء التی تعیشه موجودات العالم کافّة ولا سیما إزاء نعم اللَّه بلسان الحال والقال فتسبح اللَّه وتقدسه وتحمده، وغلبة جند اللَّه تستند إلی أنّ جند اللَّه تعالی لا

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۲۴۲

یقتصرون علی ملائکته سبحانه بل کلّ ما فی العالم، ولیس لأحد مقاومته والوقوف بوجهه: «وَللَّهِ جُنُودُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ»[۴۱۸].

والعبارة:

«وَالْمُتَعَالِی جَدُّهُ»

اقتباس من الآیة الشریفة: «وَأَنَّهُ تَعَالَی جَدُّ رَبِّنَا»[۴۱۹] وبالإلتفات إلی أنّ الجَدّ هنا تعنی العظمة فإنّها إشارة لعظمة الذات الإلهیّة المقدّسة[۴۲۰].

ثم رکز الإمام علیه السلام علی النعم المادیّة والمعنویّة لیحمد اللَّه ویثنی علیه إزاء تلک النعم فقال:

«أَحْمَدُهُ عَلَی نِعَمِهِ التُّؤَامِ [۴۲۱]، وآلَائِهِ الْعِظَامِ».

بالنظر إلى أنّ (تؤام) على وزن (غلام) جمع (توأم) على وزن (جوهر) بمعنى الأشياء المقترنة مع بعضها فإنّها تشير إلى النعم الإلهيّة التى تكون عادة متصلة ومتتالية، فمثلًا نعمة اللسان هى وسيلة للتكلّم وكذلك عنصر لدفع الطعام تحت الأسنان بغية مضغه من جانب كونه وسيلة مهمّة لابتلاع الطعام وتذوق الأطعمة وللاطلاع على سلامة الطعام من فساده وهكذا سائر النعم التى لا تعدّ ولا تحصى، وهل يطيق الإنسان احصاء نعم اللّه وأفضاله؟

ويمكن أن تكون «آلاء» مقابل «نعم» إشارة إلى النعم المعنويّة فى مقابل النعم الماديّة، ثم خاض فى معرفة اللّه فحمده واثنى عليه وذكره بخمس صفات من شأن كلّ واحدة منها أن تكون دافعاً لحمد اللّه والثناء عليه فقال عليه السلام:

«الَّذِى عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا، وعَدَلَ فِى كُلِّ مَا قَضَى، وعَلِمَ مَا يَمْضِى ومَا مَضَى، مُبْتَدِعِ الْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ، ومُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ».

فهذه الصفات الخمس التى تنطلق من سعة حلم اللّه تعالى وتنتهى بخلق الخلائق

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۴۳

وابداع الكائنات تعدّ أهم صفات اللّه التى تشمل العلم والقدرة والعدالة واللطف والرحمة.

ثم أشار إلى هذه الحقيقة أن خلق اللّه تعالى دون أدنى سابقة تعلم وتجربة ومشورة فقال عليه السلام:

«بِلَا اقْتِدَاء وَلَا تَعْلِيم، وَلَا احْتِذَاء[۴۲۲] لِمِثَالِ صَانِع حَكِيم، وَلَا إِصَابَةَ

خَطَاء، ولَا حَضْرَةِ مَلَا».

فالواقع إنّ الشخص الذى يستلهم من الآخرين فى صناعته إنّما يستند إلى ذلك فى واحدة من طرق خمسة:

الأوّل: أن يقلد غيره، والثانى: أن يتعلم، والثالث: أن يرى صناعة عالم غيره فيستفيد منها فى تحقيق غرضه، والرابع: الاستفادة من أخطائه السابقة والخروج بتجربة، والخامس: أن يستشير جماعة معينة ويتعاون معها، أمّا اللّه الصانع الحكيم فخلقه لا يستند إلى سابقة وغنى عن كلّ ما قيل سابقاً ومن هنا يطلق على خلقه الابداع (الخلق دون سابقة).

وتبدو هذه المسألة فى غاية الأهميّة إذ إنّ الإنسان مهما صنع ومهما ابدع وابتكر إنّما شاهد نماذج ذلك فى عالم الخلق؛ فمثلًا الذين اخترعوا الطائرة فممّا لا شك فيه أنّهم استفادوا واستلهموا تصميمها من الطيور، ومن هنا كان هنالك شبه كبير بين أنواع الطائرات وأنواع الطيور، وفى نفس الوقت وبغية تحقيق أهدافهم عليهم أن يستفيدوا من علوم السابقين وتجاربهم ويقوموا باختباراتهم الواسعة والمتكررة ليتمكنوا من تلافى أخطائهم عن طريق الاختبار والتجربة، وعادة ما يعمدون إلى تشكيل بعض المجالس وعقد المؤتمرات والندوات لهذا الغرض والحال فإنّ الصانع الحكيم ليس بحاجة إلى أى من هذه الأمور فى خلقه الواسع والأنواع الخارجة عن الحدود من مخلوقاته.

ولما فرغ الإمام عليه السلام من حمد اللّه والثناء عليه خاض فى الشهادة للنبى صلى الله عليه و آله

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۴۴

بالرسالة والأوضاع على عهد بعثته ليشرحها بعبارات قصيرة وعظيمة المعنى وليكشف النقاب عن مضمون تلك الدعوة فتبدو واضحة وجلية وملموسة، فقال:

«وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ؛ ابْتَعَثَهُ والنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِى غَمْرَةٍ[۴۲۳]، ويَمُوجُونَ

فِى حَيْرَةٍ. قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ الْحَيْنِ ۴۲۴]، واسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ ۴۲۵]».

فقد استعار الإمام عليه السلام عدة تشبيهات لرسم صورة واضحة لِما كانت عليه الناس فى العصر الجاهلى؛ فقد شبههم أحياناً بالشخص الذى وقع فى ورطة مرعبة فهو لا ينفك عن الصراخ وطلب النجدة، وأحياناً أخرى شبههم بأنّ أزِمَّهم انيطت بأيدى أفراد فاسدين مفسدين لا يقودونهم سوى إلى الهاوية، وأخيراً شبه قلوبهم بالمخازن المقفلة بحيث لم يلجها أى علم ومعرفة وفضيلة.

حقّاً، إنّ الإنسان ما لم يقف على وضع الناس فى العصر الجاهلى من الناحية الفكريّة والعقائديّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة والسياسيّة لا

يسعه إدراك عظمة النّبى صلى الله عليه و آله وعظمة الدعوة الإسلاميّة، ومن هنا يذكر الإمام عليه السلام فى العديد من خطب نهج البلاغة وبعبارات غاية فى الروعة والجمال الوضع آنذاك للأجيال الذين لم يدركوا ذلك العصر أو أنّهم أدركوا واقعه ولكنهم نسوه ومن ذلك ما قاله فى الخطبة الثانية من النهج:

«أرْسَلَهُ بِالدّينِ الْمَشْهُورِ ... والنّاسُ فى فِتَن انْجَزَمَ فيها جَعْلُ الدّينِ ...».

ووقال عليه السلام فى الخطبة ۲۶:

«إنّ اللّهَ بَعَثَ مُحَمّداً ... وأنْتُمْ مَعْشَرُ الْعَرَب فى شَرِّ دين وفى شَرِّ دار ...».

والخطبة ۵۹:

«بَعَثَهُ والنّاسُ ضُلّالٌ فى حيرَة وحاطِبُونَ فى فِتْنَة ...».

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۴۵

والخطبة ۱۹۵:

«أَرْسَلَهُ وأعْلامُ الْهُدى دارِسَةٌ ومَناهِجُ الدّينِ طامِسَةٌ ...».

حقّا لونظرنا إلى عبارات الإمام عليه السلام فى هذه الخطب مع بعضها البعض الآخر لتجسدت أمامنا صورة غاية فى الروعة عن الاوضاع فى العصر الجاهلى والمشاكل التى كان يعانى الناس منها آنذاك على الصعيد العقائدى والاجتماعى والأخلاقى وبالتالى سنقف على مدى أهميّة الإسلام والجهود التى بذلها رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى الإرتقاء بذلك المجتمع وتحويله من مجتمع جاهلى ذى تقاليد متوحشة إلى مجتمع إسلامى ذى مبادىء إنسانيّة عاليّة.

***

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۴۷

## القسم الثانى

### اشارة

عِبَادَ اللّهِ! أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللّهِفَإنَّهَا حَقُّ اللّهِ عَلَيْكُمْ، والْمُوجِبَةُ عَلَى اللّهِ حَقَّكُمْ، وأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللّهِ، وتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللّهِ: فَإنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحِرْزُ والْجُنَّةُ، وفِى غَد الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ. مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ، وسَالِكُهَا رَابِحٌ، ومُسْتَوْدَعُهَا حافِظٌ. لَمْ تَبْرَحْ عارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الْامَمِ الْمَاضِينَ مِنْكُمْ والْغَابِرِينَ، لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَداً، إِذَا أَعَادَ اللّهُ مَا أَبْدَى، وأَخَذَ مَا أَعْطَى، وسَأَلَ عَمَّا أَسْدَى. فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا، وحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا! أُولئِكَ الْأَقَلُّونَ عَدَداً، وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللّهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ: (وقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِىَ الشَّكُورُ).

### الشرح والتفسير: التقوى كهف فى الدنيا ونور فى الآخرة

يشكل هذا الجانب من خطبة الإمام عليه السلام هدفها الأصلى وما مضى فى القسم الأوّل يمثّل فى الواقع مقدمة وتمهيداً لهذا القسم، ذلك لأنّه لا موضوعيّة للحديث عن الورع والتقوى ما لم يكن هناك إيمان باللّه وإيمان بنبوّة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فقال عليه السلام:

«عِبَادَاللّهِ! أُوصِيكُم بِتَقْوَى اللّهِ فَإنّهَا حَقُّ اللّهِ عَلَيْكُم، والْمُوجِبَةُ عَلَى اللّهِ حَقَّكُمْ».

وهذا التعبير بشأن التقوى بديع، فهو يمثل حقّ اللّه من جانب على عباده ومن جانب آخر يجعل للعباد حقّاً على اللّه تعالى، أمّا حقّ اللّه

فدليل ذلك أنّ نتيجة الورع والتقوى هو طاعة جميع أوامر اللَّه ونواهيه وطاعة حقّ اللَّه لدى عباده، وأمّا حقّ العباد على اللَّه فكونهم يستحقون على أثرها الأجر والثواب.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۴۸

وقد ذهب العديد من شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ التقوى هنا تعنى الطاعة التامة لأوامر اللَّه تعالى، والحال أنّ التقوى هى خشية اللَّه الباطنيّة والالتزام بالمبادئ التى يكون أثرها طاعة أوامر اللَّه.

فالتقوى تظهر فى مراحلها الابتدائيّة بصورة العدالة وفى مراحل أروع بصورة العصمة وكل ذلك من الصفات الباطنيّة.

والشخص الذى يستخف بالطاعة ولا يكترث للذنب هوشخص عديم التقوى وذلك الشخص الملتزم بتعاليم الدين والعامل بها هو المتقى وتظهر آثار كلّ من الحالتين على الأعمال.

ثم قال عليه السلام فى تحصيل هذه الجوهرة الثمينة:

«وأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللَّهِ، وتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ».

نعم، فسلوك سبيل التقوى، التقوى التى تحيط بحياة الإنسان، ليست ميسرة إلّا بتوفيق اللَّه، حتى أنبياء اللَّه وأولياءه يفوّضون أمورهم إلى اللَّه ويسألونه الأخذ بأيديهم ويقولون: «وَمَا تَوْفِيقِى إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ»[۴۲۶].

وورد فى الدعاء الذى ورد الحث عليه عقب زيارة الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام:

«كُلَّما وَفَّقْتَنى بِخَيْرٍ فَأَنْتَ دَليلى عَلَيْهِ وطَريقى إِلَيْهِ»[۴۲۷].

ثم أشار عليه السلام إلى معطيين مهمين من معطيات التقوى كدليل عليها فقال:

«فَإِنَّ التَّقْوَى فِى الْيَوْمِ الْحِرْزُ والْجُنَّةُ».

نعم! فمعظم الحوادث المريرة الفرديّة والاجتماعيّة التى تعكر صفو حياة الإنسان فى هذا العالم معلولة للمعصية والخروج عن جادة العدل والانصاف؛ فالتقوى تنقذ الإنسان فى هذا العالم من السقوط فى مستنقع الذنب وعواقبه الخطيرة وتجعله يعيش حياة هانئة مقرونة بالسكينة والسعادة وفخير زاد يتزوّد به الإنسان

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۴۹

هى التقوى كما تقول الآية الشريفة: «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى»[۴۲۸].

التى تعنى دخول الجنّة والتلذذ بنعمها الخالدة، فهل هناك من جوهرة ثمينة أثمن من التقوى بحيث تحفظ الإنسان فى الدنيا وتنجيه فى الآخرة.

ثم أشار فى مواصلته لحديثه إلى ثلاثة أمور مهمّة بشأن التقوى فقال عليه السلام فى الأمر الأوّل:

«وَفِى غَدٍ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ. مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ، وسَالِكُهَا رَابِحٌ، ومُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ».

إلّا أنّ وضوح جادة التقوى ومسلكها كونها من جانب منسجمة بصورة تامة مع فطرة الإنسان، ومن جانب آخر قد بين مسار هذه الجادة فى عالم التشريع فى الكتاب والسنّة النبويّة المطهرة.

وأمّا ربح السالك لهذا الطريق كونها تسوق المتّقين إلى الجنّة وفق الآية القرآنيّة:

«تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيّاً»[۴۲۹] هذا من جانب، ومن جانب آخر تنقذ صاحبها فى الدنيا من الدنس والدنائة والحياة المظلمة وتجعله سعيداً ذا عزّة لدى الجميع، أمّا حفظها لمستودعها (إذا اعتبرنا مستودع بمعنى اسم المفعول) فسبب ذلك أنّ اللَّه تعالى تعهد بمثوبة المتّقين والورعين، وعليه فأمانة هؤلاء محفوظة لدى اللَّه وملائكة اللَّه حفظت أعمال المتّقين، وإن اعتبرنا مستودع بمعنى اسم المكان فإنّ موضع التقوى هو القلب الذى يحفظها بعناء ويصونها من كلّ شىء، واعتبر البعض (حافظ) بمعنى المحفوظ وعليه يصبح معنى الجملة، المتّقون محفوظون فى ظلّ التقوى.

الأمر الثانى الذى أشار إليه الإمام عليه السلام هى أنّ التقوى حقيقة خالدة لا تتأثر بالزمان والمكان فقال:

«لَمْ تَبْرَحْ ۴۳۰] عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الْامَمِ الْمَاضِينَ مِنْكُمْ

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۵۰

والْغَابِرِينَ ۴۳۱]، لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غداً، إِذَا أَعَادَ اللَّهُ مَا أَبْدَى وأَخَذَ مَا أَعْطوسَأَلَ عَمَّا

أَسْدَى ۴۳۲]».

نعم فالتقوى كالقصر الجميل الفخم والهادئ الذى يدعو إليه الجميع والذى كان وما زال ماثلًا أمام أعين جميع الناس وقد دعى إليه الجميع من جانب الكتب السماوية وأنبياء اللَّه وأوليائه، فقد صرح القرآن الكريم قائلًا: «وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ»[۴۳۳].

وقال الإمام عليه السلام فى الأمر الثالث:

«فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا، وحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا! أُولئِكَ الْأَقَلُّونَ عَدَداً، وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ:

«وقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ»[۴۳۴]».

والسؤال الذى يرد: لم كان طلاب التقوى قلائل مع ما لها من الأهميّة؟ ولا يبدو الجواب على هذا السؤال صعباً، ذلك لأنّ التقوى تعنى مخالفة هوى النفس ومخالفة هوى النفس ليس بالأمر الهيّن، فسبيل التقوى ينطوى على الكثير من المطبات والصعوبات وإن كانت عاقبته حلوة هنيئة، ذلك لأنّ جادة هوى النفس معبدة وللسائرين ولكنّ عاقبتها فى غاية الخطورة.

إنّ اللَّه تعالى لما خلق الجنّة قال لجبرئيل: انظر إليها. فلما نظر إليها قال:

«يا ربِّ لا يَتْرُكها أحَدٌ إلَّا دَخَلَها»

فلما حفّها بالمكاره قال: انظر إليها. فلما نظر إليها قال:

«يا ربّ أخْشى أنْ لا يَدْخُلَها أَحَدٌ»

ولما خلق النار قال: انظر إليها. فلما نظر إليها قال:

«يا رَبِّ لا يَدْخُلُها أحَدٌ»

فلما حفّها بالشهوات قال: انظر إليها، فلما نظر إليها قال:

«يا رَبِّ أخْشى أنْ يَدْخُلَها كُلُّ أحَد»[۴۳۵]

. فهذا الحديث فى الواقع شرح لما ورد عن النّبى

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۵۱

الأكرم صلى الله عليه و آله وعن وعلى عليه السلام:

«حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكارِهِ وحُفَّتِ النّارُ بِالشَّهَواتِ»[۴۳۶].

## القسم الثالث

### اشارة

فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا، وأَلِظُّوا بِجِدِّكُم عَلَيْهَا، واعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلَف خَلَفاً، ومِنْ كُلِّ مُخَالِف مُوَافِقاً. أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ، واقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُم، وأَشْعِرُوهَا قُلُوبَكُم، وارْحَضُوا بِهَا ذُنُوبَكُم، ودَاوُوا بِهَا الأَسْقَامَ، وبَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ، واعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا، وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا. أَلَا فَصُونُوهَا وتَصَوَّنُوا بِهَا، وكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَّاهاً، وإِلَى الْاخِرَةِ وُلَّاهاً. وَلَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ التَّقْوَى، وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ

الـدُّنْیا. وَلَـا تَشِـیمُوا بَارِقَهَـا، وَلَـا تَسْـمَعُوا نَاطِقَهَـا، وَلَا تُجِیبُوا نَاعِقَهَا وَلَا تَسْتَضِـیئُوا بِإِشْـرَاقِهَا، وَلَا تُفْتَنُوا بِأَعْلَاقِهَا، فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ، ونُطْقَهَا کَاذِبٌ، وأَمْوَالَهَا مَحْرُوبَةٌ، وأَعْلَاقَهَا مَسْـلُوبَةٌ. أَلَا وهِیَ الْمُتَصَدِّیَـةُ الْعَنُونُ، والْجَامِحَةُ الْحَرُونُ، والْمَائِنَةُ الْخَؤُونُ، والْجَحُودُ الْکَنُودُ، والْعَنُودُ الصَّدُودُ، والْحَیُودُ الْمَیُودُ.

## الشرح والتفسیر: سماع نداء التقوی

خاض الإمام علی علیه السلام فی هذا الجانب من الخطبة فی بحث واسع وعمیق عن آثار التقوی علی الإنسان صاحب البصیرة وتطرق إلی أبعادها المختلفة باثنتی عشرة عبارة قصیرة وعمیقة المعنی فقال علیه السلام:

«فَأَهْطِعُوا[۴۳۷] إِلَیْهَا، وأَلِظُّوا[۴۳۸] بِجِدِّکُمْ

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۲۵۲

عَلَیْهَا، واعْتَاضُوهَا مِنْ کُلِّ سَلَف خَلَفاً، ومِنْ کُلِّ مُخَالِف مُوَافِقاً».

وکانت التقوی قـد دعت إلی نفسـها جمیع الناس وقـد بیّنت للجمیع آثارها الطیبـة والمحمودة ولـذلک قال الإمام علیه السـلام سارعوا إلیها بآذانکم لسـماعها ثم انهضوا وجدوا واجتهدوا فی تحصـیل مقدماتها فإن کانت لکم تقوی فسوف لن تحزنوا علی ما یفوتکم من حطام الدنیا واعلموا أنّ التقوی حافظتکم من مخالفیکم.

ویمکن أن تکون

«مُخالِف»

فی العبارة إشارة إلی الذنوب السالفة التی تزول آثارها بالتقوی، أو المراد اعداءُ الإنسان ومخالفوه، لأنّ اللَّه وعد المتّقین بالنصر والغلبة إذ قـال تعـالی فی کتـابه العزیز: «انَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِیـنَ اتَّقَـواْ وَالَّذِینَ هُمْ مُّحْسِـنُونَ»[۴۳۹]، وقـال: «وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَـا یَضُـرُّکُمْ کَیْـدُهُمْ شَیْئاً»[۴۴۰].

ثم نصحنا بست عبارات أخری فقال:

«ایْقِظُوا بِهَا نَوْمَکُمْ واقْطَعُوا بِهَا یَوْمَکُمْ، وأَشْعِرُوهَا قُلُوبَکُمْ، وارْحَضُوا[۴۴۱] بِهَا ذُنُوبَکُمْ، ودَاوُوا بِهَا الأَسْقَامَ».

وعبارة

«أَیْقِظُوا بِها نَوْمَکُمْ»

یمکن أن تکون إشارة إلی النوم العادی، أی ینبغی فی ظلّ التقوی قضاء جانبٍ من اللیل فی العبادة والتفرغ لمناجاة اللَّه تعالی:

«فی مقابل واقْطَعُوا بِها یَوْمَکُمْ

» کما یُحتمل أن یکون المراد، الیقظة من نوم الغفلة بالتقوی، والعبارة

«اشْعِرُوها قُلُوبکم»

بـالنظر إلی أنّ (شـعار هی الثیـاب الملاصـقة للبـدن) فیمکـن أن تکون إشـارة إلی تنـویر القلب بـالتقوی أو اجعلوا التقـوی شعارکم وعلامتکم أو ایقظوا قلوبکم بالتقوی (حیث إنّ أشعروا من مادة شعور).

والعبارة:

«دَاوُوا بِهَا الأَسْقَامَ»

إشارة إلی الأسقام الباطنیّة التی تعالج بواسطة التقوی.

وقال فی العبارة التاسعة حتی الثانیة عشرة:

«وبَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ ۴۴۲]، وَاعْتَبِرُوا

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۲۵۳
بِمَنْ أَضَاعَهَا، وَلَا یَعْتَبِرَنَّ بِکُمْ مَنْ أَطَاعَهَا. أَلَا فَصُونُوهَا وتَصَوَّنُوا[۴۴۳] بها».
وقد جاء فی القرآن الکریم قوله تعالی: «سَابِقُوا إِلَی مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّکُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا کَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ».[۴۴۴] وقال تعالی فی موضع آخر: «وَلِبَاسُ التَّقْوَی ذَلِکَ خَیْرٌ»[۴۴۵].
والعبارة
«واعتبروا ...»
إشارة إلی أنّ عاقبة عدم التقوی واضحة لکم فی هذه الحیاة الدنیا وترونها بأُم أعینکم کما تقرأونها فی التاریخ بشأن الأفراد والمجتمعات التی سارت إلی ذلک المصیر المشؤوم والأسود فما علیکم إلّاالاعتبار بهم ولا تکونوا ممن یعتبر بهم الآخرون، وقد أشار القرآن فی قصة یوسف وإخوته وامرأة عزیز مصر إلی النتائج السلبیّة التی عمت البعض بسبب انعدام التقوی والبرکات التی ساقتها التقوی لیوسف فقال تعالی «لَقَدْ کَانَ فِی قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِی الأَلْبَابِ»[۴۴۶].
ثم أشار الإمام علیه السلام إلی عواقب الانغماس فی الدنیا التی یفرزها انعدام التقوی فحذر من هذه الدنیا الغرور بتسع عبارات قال فیها:
«وکُونُوا عَنِ الدُّنْیَا نُزَّاهاً[۴۴۷]، وإِلَی
الْاخِرَةِ وُلَّاهاً[۴۴۸]. وَلَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ التَّقْوَی، وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ الدُّنْیا. وَلَا
تَشِیمُوا[۴۴۹] بَارِقَهَا[۴۵۰] ولَا تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا، وَلَا تُجِیبُوا نَاعِقَهَا[۴۵۱]. وَلَا تَسْتَضِیئُوا بِإِشْرَاقِهَا،
نفحات الولایة، ج۷، ص: ۲۵۴
وَلَا تُفْتَنُو بِأَعْلَاقِهَا[۴۵۲]».
ففی الواقع إنّ الإمام علیه السلام لفت الانتباه فی هذه العبارات العمیقة المعنی إلی طرق نفوذ الدنیا إلی فکر الإنسان وروحه لیحذر منها جمیعاً وضرورة الإبتعاد عن زخارف الدنیا وزبرجها والتوجه إلی الآخرة واسناد المتّقین وعدم الإکتراث لمقامات أصحاب الدنیا وغض الطرف عن الأموال والثروات والقصور والزینة الظاهریّة وصم الاسماع عن وساوس المتهافتین علی الدنیا وتنحیتهم جانباً وعدم الانخداع بمظاهر الدنیا البراقة والانقطاع عن جمیع الأمور التی تذل صاحبها.
والحقّ أن کلّ من امتثل هذه التحذیرات وسار علی الدرب سوف لن یقع فی شباک الشیطان وفخ طلاب الدنیا.
ثم تطرق علیه السلام إلی أدلة تحذیراته السابقة فقال:
«فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ ۴۵۳]، ونُطْقَهَا کاذِبٌ،
وأَمْوَالَهَا مَحْرُوبَةٌ[۴۵۴]، وأَعْلَاقَهَا مَسْلُوبَةٌ».
فالواقع إنّ کلّ دلیل من هذه الأدلة الأربعة إشارة إلی جانب من التعبیرات السابقة:
فبرق الدنیا خادع لا حقیقة له ولیس وراءه مظر وکلامها کاذب بدلیل أنّها لم تف لأحد من الناس فی أی وقت من الأوقات، وأموالها منهوبة من قِبل أصحاب الدنیا ینهبونها من غیرهم، وکونها مسروقة من غیرهم فی أنّ کلّ شخص یمتلک مالًا نفیساً علی الظاهر یجعل صاحب الدنیا یتطلع إلیه فیسلبه إیّاه فی الوقت المناسب.
ثم عاد الإمام علیه السلام ثانیة لیحذر مخاطبیه من الوقوع فی ورطة الدنیا من خلال ذکره لست رذائل من رذائلها فقال علیه السلام:
«أَلَا وهِیَ الْمُتَصَدِّیَةُ[۴۵۵] الْعَنُونُ ۴۵۶]، والْجَامِحَةُ[۴۵۷]
نفحات الولایة، ج۷، ص: ۲۵۵
الْحَرُونُ ۴۵۸]، والْمَائِنَةُ[۴۵۹] الْخَؤُونُ ۴۶۰]، والْجَحُودُ الْکَنُودُ[۴۶۱]، والْعَنُودُ الصَّدُودُ[۴۶۲]، والْحَیُودُ[۴۶۳]

الْمَيُودُ[۴۶۴]».

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۵۷

## القسم الرابع

### اشارة

حَالُهَا انْتِقَالٌ، ووَطْأَتُها زِلْزَالٌ، وعِزُّهَا ذُلٌّ، وَجِدُّهَا هَزْلٌ، وعُلْوُهَا سُفْلٌ. دَارُ حَرَب وسَلَب، ونَهْب وعَطَب. أَهْلُهَا عَلَى سَاق وسِيَاق، ولَحَاق وفِرَاق. قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا، وأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا، وخَابَتْ مَطَالِبُهَا؛ فَأَسْلَمَتْهُمُ الْمَعَاقِلُ، ولَفَظَتْهُمُ الْمَنَازِلُ، وأَعْيَتْهُمُ الْمَحَاوِلُ: فَمِنْ نَاج مَعْقُور، ولَحْم مَجْزُور، وشِلْومَذْبُوح، ودَم مَسْفُوح، وعَاضٍّ عَلَى يَدَيْهِ، وصَافِق بِكَفَّيْهِ، ومُرْتَفِق بِخَدَّيْهِ، وزَار عَلَى رَأْيِهِ، ورَاجِع عَنْ عَزْمِهِ؛ وقَدْ أَدْبَرَتِ الْحِيلَةُ، وأَقْبَلَتِ الْغِيلَةُ، (وَلاتَ حِينَ مَنَاص) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ، وذَهَبَ مَا ذَهَبَ، ومَضَتِ الدُّنْيَا لِحَالِ بَالِهَا، (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ والأَرْضُ ومَا كَانُوا مُنْظَرِينَ).

### الشرح والتفسير: عاقبة أصحاب الدنيا

بالنظر إلى أنّ حبّ الدنيا والتعلق الشديد بالأمور المادّيّة هوأساس أنواع الذنوب والمعاصى والجنايات، وبالنظر إلى أنّ عصر الإمام عليه السلام شهد بسبب الفتوحات الإسلاميّة سعة الثروات التى عمّت البلاد الإسلاميّة وانغمس بعض الناس فى حالة من الدعة والرفاهية وبطر النعمة، فقد نهى الإمام عليه السلام فى خطبته الناس عن التكالب على الدنيا والانغماس فى لذاتها فكشف بعبارات قلّما يرى نظيرها آثار السوء للتعلق بهذه الدنيا، ولذلك أكّد الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة بخمس عبارات قصيرة على تفاهة النعم المادّيّة فقال:

«حَالُهَا انْتِقَالٌ، ووَطْأَتُهَا زِلْزَالٌ، وعِزُّهَا ذُلٌّ،

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۵۸

وَجِدُّهَا هَزْلٌ، وعُلْوُهَا سُفْلٌ ۴۶۵]».

أمّا تغير حال الدنيا فليس بخافٍ على أحد؛ فما أكثر أولئك الذين تربعوا على عرش السلطة ليلًا ويفكرون فى الاستيلاء على البلدان، فلم يطلع عليهم الفجر حتى زالت عروشهم وفارقوا الحياة فبين لحظة وأخرى تتهاوى عروش الأقوياء ويحل محلهم الضعفاء فيصبح أعزّة الأمس أذلّة اليوم.

وأمّا زلزلة وطأتها وخطواتها فذلك لأنّ مقر الإنسان فى هذا العالم متزلزل على الدوام، فعلى أى شىء إستند من قبيل المال والثروة والفتوة والصحة والسلامة فهى‌متقلبة وليست ثابتة، وأمّا أنّ عزّتها عين ذلّتها، فقد فسّر ذلك بعض الشرّاح أنّ العزّة المادّيّة واللامشروعة سبب الذلّة فى الآخرة، وقال البعض الآخر إنّه سبب الإبتعاد عن اللّه فى هذه الدنيا؛ إلّاأنّ التفسير الأنسب هو أنّ العزّة المادّيّة تؤدّى إلى التعلق الشديد وهو التعلق الذى يسوقه إلى الذلّة ويجعله يعيش الخنوع مقابل كائن من كان بغية حفظها، وأمّا أنّ جدّها هزل فسبب ذلك التقلب وسرعة الزوال وعدم الاستقرار، وأمّا علوها تسافل فلأنّ الأفراد من ذوى المقامات الرفيعة يخضعون للعديد من المطبات بغية حفظ مناصبهم ومواقعهم ويستعينون من أجل حفظ تلك القدرة بالأفراد الفاسدين والطالحين.

ثم أكمل هذا الموضوع بذكره لصفتين أُخريين فى وصف الدنيا فقال:

«دَارُ حَرَب وسَلَب، ونَهْب وعَطَب. أَهْلُهَا عَلَى سَاق وسِيَاق ۴۶۶]، ولَحَاق وفِرَاق ۴۶۷]».

المفردات

«حَرَب وسَلَب، ونَهْب»

وإن كانت جميعها تشير إلى معنى أخذ أموال الآخرين؛ لكن يبدو هنالك اختلاف دقيق بينها،

«حَرَب»

أخذ جميع أمواله لأنّها

نفحات الولايه، ج٧، ص: ٢٥٩

فسّرت لغوياً بهذه العبارة

«اخذُ جَميعِ مالِهِ».

لكن

«سلب»

غالباً فسّرت بمعنى أخذ ثياب الأفراد وما في أيديهم ولذلك ورد في الحديث:

«مَنْ قَتَلَ قَتيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ»[٤٦٨].

وأمّا

«نَهْب»

التي وردت لغوياً بمعنى الغنيمة فربّما تكون إشارة إلى الاغتنام الجماعي، وعليه يصبح معنى كلام الإمام عليه السلام أنّ الدنيا تسلب الإنسان جميع وجوده أو جانباً منه أو قد تأتي جماعة من السلّابين ليتحكموا بالأمور فيسلبوا الناس أموالهم.

نعم، فالدنيا لو نظرنا إليها بإمعان لوجدناها ميداناً لصراع السلّابين والناهبين الذين يمارسون فيها السلب والنهب بصور مختلفة وهذا العمل لا ينتهي سوى إلى الهلكة والزوال، والحال يستعد جميع الناس إلى السفر نحو العالم الآخر وليس هنالك من يعلم بما يصيبه غداً، ثم أشار الإمام عليه السلام بثلاث عبارات أخرى إلى جانب آخر من مصائب الدنيا وعيوبها فقال:

«قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذاهِبُها، وأَعْجَزَتْ مَهارِبُهَا[٤٦٩]،

وخابَتْ مَطَالِبُهَا».

إشارة إلى أنّ الإنسان اليقظ كلّما حاول النجاة من مصائبها لم يكن الأمر عليه سهلًا فتشخيص سبيل الفرار منها يبدو متعذراً والأعقد منه الظفر بموضع الهروب.

وقد جربنا هذه المسألة عند الأفراد الذين يتعلقون بالدنيا ثم يصحون من غفلتهم وينوون الهروب فإنّ العديد من المشاكل تعرقل حركتهم وعليهم بذل قصارى جهدهم بغية الوصول إلى سبيل الخلاص، ثم أشار عليه السلام إلى مصير أصحاب الدنيا حين يقفون على أعتاب الموت فقال:

«فَأَسْلَمَتْهُمُ الْمَعَاقِلُ ٤٧٠]، ولَفَظَتْهُمُ ٤٧١] الْمَنَازِلُ،

وأَعْيَتْهُمُ الْمَحَاوِلُ ٤٧٢]».

نفحات الولايه، ج٧، ص: ٢٦٠

نعم! حين يطفح بهم الكيل ويتخلى عنهم كلّ شيء ويجعلهم وحيدين أمام الحوادث فلا يسع أقوى الأقوياء الدفاع عنهم حيث النتائج العكسية التي تنتهي بهم إلى الموت وحالهم كما يضرب به المثل: «إذا حل الموت أعيي الطبيب».

وبالتالي سوف لن يكون مصير من اغتروا بالدنيا إلّاكما قال الإمام عليه السلام::

«فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُور[٤٧٣]، ولَحْم مَجْزُور[٤٧٤]، وشِلْو[٤٧٥] مَذْبُوح، ودَم مَسْفُوح ٤٧٦]، وعَاضٍ ٤٧٧] عَلَى يَدَيْهِ،

وصَافِق ٤٧٨] بِكَفَّيْهِ، ومُرْتَفِق ٤٧٩] بِخَدَّيْهِ ٤٨٠]، وزَار[٤٨١] عَلَى رَأْيِهِ، وراجِع عَنْ عَزْمِهِ».

فقد بين الإمام عليه السلام عاقبة ومصير المغرورين بالدنيا فالصور التسع الواردة فى الفقرة المذكورة لا تُبقى مجالًا لما هو أفصح وأبلغ وأدق منها فهذه الأصناف التسعة يُشعر كلّ منها بنوع من ضربات الدنيا التى تهز كيان المغرورين بها والقدر الجامع بينهم جميعاً مصيرهم البؤس والشقاء والحسرة والندم؛ سواء أولئك الذى تلقّوا ضربات ثقيلة وسيقوا نحو الموت أو أولئك الذين بقوا ولم تعدّ أمامهم سوى الحسرة.

وقد عكس التاريخ نماذج كثيرة لكلّ من هذه الأصناف التسعة ولعل الكثير منّا

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۶۱

قد رآها خلال مدّة عمره القصيرة.

ثم اختتم الخطبة بالإشارة إلى هذه الحقيقة أنّه حين حلول الحوادث الشاقة والموت الحتمى تغلق جميع السبل فقال:

«وقَدْ أَدْبَرَتِ الْحِيلَةُ، وأَقْبَلَتِ الْغِيلَةُ[۴۸۲]،

«وَلَاتَ ۴۸۳] حِينَ مَنَاص ۴۸۴]»».

وأضاف عليه السلام:

«هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ، وذَهَبَ مَا ذَهَبَ، ومَضَتِ الدُّنْيَا لِحَالِ بَالِهَا[۴۸۵]،

«فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ والأَرْضُ ومَا كَانُوا مُنْظَرِينَ»».

نعم! فأولئك الذى ركبوا يوماً موجة الغرور وعاشوا فى تلك القصور الفارهة وضنوا أنفسهم من امراء الأرض والسماء لم يجدوا بداً حين أتاهم القضاء ونزل بهم المقدور سوى الاستسلام بكلّ ذلّة ومغادرة الدنيا وكأنّهم لم يكونوا فيها، فلم تبكهم عينٌ ولم يصدع عليهم خاطر، ثم واصلت الدنيا من بعدهم مسيرتها وأعقبهم مجيئ الأقوام والأمم المقتدرة والقوية الذين حلوا وفنوا فطواهم غبار النسيان ومحوا من صفحة التاريخ.

والعبارة: «وَلَاتَ حِينَ مَنَاص» المقتبسة من القرآن المجيد[۴۸۶] أوردها الإمام عليه السلام بشأن طائفة من الأقوام السابقة التى عاشت غرور الاختلاف وظنت الخلود فى الحياة الدنيا وحين حلّ بها عذاب اللَّه تعالت أصواتها طالبة النجدة إلّاأنّ وقت النجاة قد ولّى ومضى.

والعبارة: «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ» آية قرآنيّة أخرى ۴۸۷] أشارت إلى حال الفراعنة حين غرقوا جميعاً فى البحر وخلّفوا تلك القصور والعيون والنعم للآخرين وغادروها دون أن يبكيهم أحد.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۶۲

ولعلّ التعبير بعدم بكاء السماء عليهم والأرض كناية عن حقارة ودناءة قرنائهم وأصحابهم فى الحياة الدنيا، ذلك لأنّ المعروف عند العرب أنّهم حين يريدون الإشارة إلى علو منزلة شخص بعد أن فقدوه يقولون: لقد بكته السماوات والأرض وأظلم لفقده الشمس والقمر.

كما قيل إنّه قد يكون المراد من بكاء أهل السماء والأرض ذلك لأنّ الملائكة أحياناً تبكى على المؤمنين والمقرّبين من اللَّه تعالى، بينما لا تبكى على الظلمة والجبارين.

***

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۶۳

## الخطبة ۱۹۲

## اشارة

تُسَمّى الْقاصِعَةُ

وهِيَ تَتَضَمَّنُ ذَمَّ إبليسَ لَعَنَهُ اللّهُ، عَلَى اسْتِكْبارِهِ وتَرْكِه السُّجُودَ لِآدَمَ عليه السلام، وأنَّه أوّلُ مَنْ أَظْهَرَ الْعَصَبِيَّةَ وتَبِعَ الْحَمِيَّةَ، وتَحْذيرَ النَّاسِ مِنْ سُلُوكِ طَرِيقَتِهِ ۴۸۸]

## نظرة إلى الخطبة

قيل فى شأن هذه الخطبة أنّ أهل الكوفة عاشوا حالة كبيرة من الفساد آواخر خلافة الإمام عليه السلام إثر ازدياد الثروات وانتقال الثقافة الفاسدة من بعض البلدان المجاورة للبلاد الإسلاميّة والمشاكل التى خلفتها فترة الخلافة فى المجتمع

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۶۴

الإسلامى، وفى مقدمتها التفاخر والتعصب القبلى والنعرات الجاهلية حتى بلغ الأمر ببعض الفتية الطائشين إلى التنازع فيما بينهم فإذا جرح أحدهم أو ضرب استعان بقبيلته فتهب دون أدنى تريث وتمحيص لنجدته ويراق المزيد من الدماء، فانبرى الإمام عليه السلام بهذه الخطبة بغية إطفاء الفتنة فعرض بالذم للكبر والعصبيّة القبليّة الجاهليّة، فأدّى حقّ الكلام وبالغ فى النصح والوعظ، فهى خطبة غاية فى الفصاحة والبلاغة والإثارة ومن هنا سُمّيت بالقاصعة وإن لم ترد مفردة (القاصعة) فى هذه الخطبة.

وذكر بعض شرّاح نهج البلاغة وجوهاً أخرى لسبب التسمية على ضوء تعدد معانى مفردة القاصعة؛ فقد ذكر المرحوم الشارح الخوئى سبعة وجوه فى تسمية هذه الخطبة بالقاصعة إستند كلّ واحد منها إلى أحد معانى (القصع) لغوياً ويبدو ما ذكرناه هو أنسب الجميع.

على كلّ حال تتألف هذه الخطبة من عدّة أقسام صنفها كلّ من شرّاح نهج البلاغة حسب ذوقه وطريقته فقسمها البعض إلى خمسة أقسام وآخر إلى أحد عشر قسماً وثالث إلى تسعة عشر قسماً.

ومن الواضح أنّ جميع أقسام هذه الخطبة تدور حول محور واحد هو ذمّ التعصب الجاهلى والتكبر والفخر، ولا سيما التعصبيات القبليّة والعرقيّة التى تعدّ مصدراً للعديد من الاختلافات والإرباكات والمفاسد الاجتماعيّة وتتضح هذه الحقيقة من خلال التمعن فى عموم الخطبة إلى جانب سبب ايرادها من قبل الإمام عليه السلام ونحن بدورنا نقسمها إلى عشرين قسماً:

القسم الأوّل: بعد حمد اللّه والثناء عليه أشار إلى طرد الشيطان لتعصبه وتكبره على آدم عليه السلام.

القسم الثانى: إشارة لخلق الإنسان من الطين والذى يبعث فيه روح التواضع، والتذكير ثانية بسوء عاقبة الشيطان بسبب كبره وتعصبه.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۶۵

القسم الثالث: تحذير الجميع من الوقوع فى فخ الشيطان والسير فى طريقه.

القسم الرابع: ذم الأفراد الذين سقطوا فى شباك التكبر والفخر الجاهلى الموهوم.

القسم الخامس: تحذير الجميع من اجتناب طاعة وإتباع الحكّام المتكبرين والمتعصبين.

نفحات الولاية ؛ ج۷ ؛ ص۲۶۵

قسم السادس: الوصية بالاعتبار بالأقوام السابقة والعاقبة السيئة التى كانت بانتظار المتكبرين منهم والسعادة التى نالها المتواضعون وفى مقدمتهم أنبياؤهم عليهم السلام.

القسم السابع: الحديث عن الحياة المتواضعة لموسى بن عمران وأخيه هارون عليهما السلام وما كانا يرتديان من ثياب بسيطة حين

دخولهما على فرعون المتكبر المغرور وبالتالى تواضع أولياء اللّه فى جميع شؤون حياتهم.

القسم الثامن: الإشارة إلى اختيار الأرض الجافة والمحرقة لبناء الكعبة بمواد البناء البسيطة ليطرد عنهم الكبر والغرور وتصوير الشعائر التى ترمز إلى البساطة والتواضع التام.

القسم التاسع: أشار فيه الإمام عليه السلام إلى مختلف شباك الشيطان ولا سيما الظلم والجور واعتبر إمتثال الفرائض الدينيّة كالصوم والصلاة والزكاة وسيلة لمقاومة الشيطان.

القسم العاشر: يشير إلى مصادر التعصب والغرور.

القسم الحادى عشر: إشارة إلى التعصب الإيجابى وعلاماته وآثاره.

القسم الثانى عشر: اعتبر مصير الأُمم السابقة درساً وعبرة ودعى الجميع للنظر فى سيرة تلك الأقوام.

القسم الثالث عشر: الحديث عن الآثار المباركة للوحدة والألفة وعواقب السوء للفرقة والتشتت والاختلاف.

القسم الرابع عشر: أعاد مخاطبيه ثانية إلى التاريخ الماضى والتذكير بالآثار السلبيّة لاختلاف أبناء اسماعيل واسحاق وبنى اسرائيل.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۶۶

القسم الخامس عشر: أشار عليه السلام إلى النعمة العظيمة فى وجود النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله وآثارها على المجتمع الإسلامى.

القسم السادس عشر: عرض فيه بالذم لتلك الطائفة من الناس التى عادت القهقرى بعد الدعوة إلى عادات الجاهليّة.

القسم السابع عشر: ركز فيه على الأفعال المشينة للناكثين والقاسطين.

القسم الثامن عشر: أشار فيه الإمام عليه السلام إلى منزلته من النّبى بصفته أوّل من آمن به من الرجال ولازمه تلك المدّة.

القسم التاسع عشر: تحدّث فيه الإمام عليه السلام عن معجزة الشجرة التى تحركت من مكانها نحو النّبى بأمره صلى الله عليه و آله.

القسم العشرون: تحدّث فيه عن مناقب أهل البيت عليهم السلام واختتم به الخطبة بعنوانه «مسك الختام».

***

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۶۷

## القسم الأوّل

### اشارة

أَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى لَبِسَ الْعِزَّ والْكِبْرِيَاءَ؛ واخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وجَعَلَهُمَا حِمىً وحَرَماً عَلَى غَيْرِهِ، واصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ. وجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ. ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ، لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وهُوالْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ، ومَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ: (إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِّنْ طِينٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ونَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ* فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ* إِلَّا إِبْلِيسَ) اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَى آدمَ بِخَلْقِهِ، وتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِاَصْلِهِ. فَعَدُوا للّهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ، وسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِى وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ، ونَازَعَ اللّهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ، وادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ.

أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللّهُ بِتَكَبُّرِهِ، ووَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ، فَجَعَلَهُ فِى الدُّنْيَا مَدْحُوراً، وأَعَدَّ لَهُ فِى الْاخِرَةِ سَعِيراً؟!

### الشرح والتفسير: الشيطان رأس العصبية

كما أشير فى سبب الخطبة أنّ الهدف الأصلى من هذه الخطبة الطويلة والمفعمة بالمواعظ والإرشادات الساميّة التى تهذب الإنسان،

مواجهة الكبر والغرور والعصبيّة الجاهليّة والطائفيّة التى كانت مصدر النزاعات القبليّة الدمويّة على عهد الإمام عليه السلام، وعلى هذا الضوء استهل الإمام عليه السلام خطبته بحمد اللّه والثناء عليه، اللّه المتجلبب

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۶۸

بالعظمة والكبرياء التى لا تليق إلّابذاته القدسيّة فقال:

«أَلْحَمْدُ للّهِ الَّذِى لَبِسَ الْعِزَّ والْكِبْرِيَاءَ، واخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وجَعَلَهُمَا حِمىً ۴۸۹] وحَرَماً عَلَى غَيْرِهِ، واصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ. وجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ».

لا شك فى أنّ العزّة والعظمة مختصة بالذات الإلهيّة المقدّسة، ذلك لأنّ كلّ ما سواه كائنات ضعيفة وعاجزة أمامه، إضافة إلى أنّ كلّ ما لديها منه، متى ما شاء أفاضه عليها ومتى شاء سلبه منها.

والعبارات الخمس الواردة فى هذه الخطبة من قبيل قوله عليه السلام: لبس العز والكبرياء والتى لا تليق بغيره وأنّهما صفتان مختصتان باللّه تعالى ويعبر عنهما أحياناً بالحمى والحرم (المنطقة المحظورة التى لا ـ يحق للغير الدخول فيها) كما يعبر عنها بأنّ اللّه تعالى اختارهما لنفسه وخص باللعن من سلك سبيل التكبر والفخر، كلّ هذه العبارات المختلفة تهدف إلى إيضاح حقيقة واحدة حيث تشير جميعها إلى أن لا سبيل لعباد اللّه أمام الذات الإلهيّة القدسيّة سوى التواضع تجاهها وتجاه بعضهم البعض الآخر.

والواقع هو إنّ اللّه سبحانه وتعالى ليس بحاجة إلى الكبر ولا ـ بحاجة إلى أن يمدحه الآخرون به، فذاته القدسيّة عظيمة من جميع الجهات، ولكن لما كان الكبر والفخر لدى العباد مصدراً للبؤس والشقاء وظلم الناس لبعضهم البعض الآخر، فقد ورد هذا التحذير فى‌العبارات السابقة من هذا الأمر ودعى الجميع للبساطة والتواضع.

وعلى هذا الأساس أشار الإمام عليه السلام فى مواصلته لكلامه إلى أول امتحان للتواضع حين خلق اللّه آدم عليه السلام فقال:

«ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ، لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وهُوالْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ، ومَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ:

«إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِّنْ طِين* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ونَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۶۹

سَاجِدِينَ* فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ* إِلَّا إِبْلِيسَ»».

وبالطبع فإنّ اختبار اللّه يختلف عن اختبار العباد؛ فإننا حين نختبر أحداً نريد أن نبدل جهلنا به إلى علم ولذلك يعبر عن هذا الامتحان بالاختبار؛ أمّا اللّه تعالى طبق ما ورد سالفاً، العالِم بمكنونات القلوب ومحجوبات الغيوب لا يريد قط بهذه الاختبارات إضافة شىء لعلمه، بل اختباره لتظهر النيات الباطنيّة والخلقيّة والأسرار الخفية لعباده بلباس الأفعال فيستحقوا الثواب والعقاب، ذلك لأنّ النية لوحدها ليست كافية فى هذا الأمر، والثواب والعقاب إنّما يترتب على الأعمال.

وهذا ما ذكره الإمام عليه السلام فى موضع آخر من نهج البلاغة إذ قال:

«إنّهُ يَخْتَبِرُهُمْ بِالْأَمْوالِ والْأَوْلادِ لِيَتَبَيَّنَ السّاخِطُ لِرِزْقِهِ والرّاضى بِقِسْمِهِ وإنْ كانَ سُبْحانَهُ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لكِنْ لِتُظْهَرَ الْأَفْعالُ الَّتى بِها يَسْتَحِقُّ الثَّوابَ والْعِقابَ»[۴۹۰].

ثم خاض عليه السلام فى شرح قضية إبليس وسبب تمرده على أمر اللّه تعالى فقال:

«اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ، وتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِاصْلِهِ. فَعَدُوا للّهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ، وسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِى وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّهِ، ونَازَعَ اللّهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّهِ، وادَّرَعَ ۴۹۱] لِبَاسَ التَّعَزُّزِ[۴۹۲]، وخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ».

فالواقع أنّ السبب الرئيسى لتمرد إبليس عملياً على أمر اللّه تعالى هو تعصبه وغروره الذى أفرزه حسابه الخاطئ والذى يستند إلى الفخر والأنانيّة حيث لم يرَ فى خلق آدم سوى حيثية التراب ولذلك عد نفسه أفضل منه فقال: «خَلَقْتَنِى مِنْ نَّار وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِين»[۴۹۳] بينما

أغفل تماماً الجانب المهم فى وجود آدم إلّاوهو الروح الإلهيّة: «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ»[۴۹۴].

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۷۰

نعم! فالعجب والأنانيّة أسوأ حجاب يصد الإنسان عن إدراك أوضح الحقائق.

وقد التبس الأمر على إبليس حتى فى تقييمه لأفضليّة النار على التراب، لأنّ التراب هو المصدر الأساس للحياة ونمو النباتات وتفتح الأزهار والثمار وأنواع البركات، وبينما تقتصر فاعليتها على بعض جانب من حياة الإنسان.

على كلّ حال فإنّ تعبير الإمام عليه السلام إبليس بأنّه عدواللّه إشارة إلى أنّه لم يكن عدواً لآدم فحسب، بل كان عدواً لخالق آدم ومتمرداً على أوامره فقد أرسى أُولى لبنات العصبية ومنهج التكبر والاستكبار، العمل الذى يعتبر فى الواقع محاربة للّه تبارك وتعالى؛ ذلك لأنّ العزّة والعظمة لا تليق إلّابذاته المقدّسة وجمال عباد اللّه فى تواضعهم فالتكبر والغرور حسب ما ذكر علماء الأخلاق من أُمّهات الرذائل.

روى أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام أنّه سأله عن أدنى مراحل الكفر والإلحاد؟ فقال عليه السلام:

«إنَّ الْكِبْرَ أَدْنَاهُ»[۴۹۵]

. كما ورد فى الخبر عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام أنهما قالا:

«لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فى قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»[۴۹۶].

ثم اتّجه الإمام عليه السلام إلى مخاطبيه ليحذّرهم من عاقبة الشيطان السيئة فقال:

«ألا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَكَبُّرِهِ، ووَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ، فَجَعَلَهُ فِى الدُّنْيا مَدْحُوراً[۴۹۷]، وأَعَدَّ لَهُ فِى الْاخِرَةِ سَعِيراً؟».

فالعبارة إشارة لآيات القرآن الكريم حيث قال تعالى: «فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ* وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ»[۴۹۸].

وقال تعالى فى موضع آخر: «قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ لَامْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۷۱

تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ»[۴۹۹].

## القسم الثانى

### اشارة

ولَوأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الأَبْصارَ ضِيَاؤُهُ، ويَبْهَرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُهُ، وطِيب يَأْخُذُ الأَنْفاسَ عَرْفُهُ، لَفَعَلَ. ولَوفَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الأَعْنَاقُ خَاضِعَةً، ولَخَفَّتِ الْبَلْوَى فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ. ولكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِى خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ، تَمْيِيزاً بِالاخْتِبَارِ لَهُمْ، ونَفْياً لِلِاسْتِكْبارِ عَنْهُمْ، وإِبْعاداً لِلْخُيَلاءِ مِنْهُمْ.

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِبِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ، وكَانَ قَدْ عَبَدَاللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ، لَايُدْرَى أَمِنْ سِنِى الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِى الْاخِرَةِ، عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ. فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ؟ كَلَّا، مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَراً بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً. إِنَّ حُكْمَهُ فِى أَهْلِ السَّمَاءِ وأَهْلِ الأَرْضِ لَوَاحِدٌ. ومَا بَيْنَ اللَّهِ وبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِى إِبَاحَةِ حِمىً حَرَّمَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ.

### الشرح والتفسير: الاعتبار بعاقبة إبليس

قال الإمام عليه السلام فى هذا القسم من الخطبة فى مواصلته لاختبار إبليس الذى ذكر سابقاً بعد أن أشار إلى قضية مهمّة وهى أنّ اللّه تبارك وتعالى يختبر عباده بأمور تخفى فلسفتها عليهم وربّما يشق عليهم تحملها:

«ولَو أَرادَاللّهُ أَنْيَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُور يَخْطَفُ ۵۰۰]

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۷۲

الأَبْصارَ ضِيَاؤُهُ، ويَبْهَرُ[۵۰۱] الْعُقُولَ رُوَاؤُهُ ۵۰۲] وَطِيب يَأْخُذُ الأَنْفَاسَ عَرْفُهُ ۵۰۳] لَفَعَلَ ولَوفَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الأَعْنَاقُ خَاضِعَةً، ولَخَفَّتِ الْبَلْوَى فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ».

إشارة إلى أنّ الامتحان الإلهى إنّما يفقد أثره إذا كان منسجماً مع رغبات العباد وميولهم؛ ذلك لأنّ الجميع سوف يعملون على أساسه؛ سواءً كانوا من عباد اللّه أو من عبدة الأهواء ولا ينطوى مثل هذا الامتحان على أية نتيجة، أما إن كان على خلاف رغباتهم فآنذاك تمتاز صفوف المؤمنين المخلصين من العاصين المتكبرين.

فامتحان أصحاب الغرور والتكبر ينبغى أن يكون فى الأمور التى تستهدف غرورهم وتكبّرهم على غرار الامتحان الذى حصل للملائكة وإبليس.

ومن هنا قال الإمام عليه السلام فى مواصلته لكلامه:

«ولكِنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِى خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ، تَمْيِيزاً بِالاخْتِبَارِ لَهُمْ، ونَفْياً لِلاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وإِبْعَاداً لِلْخُيَلَاءِ[۵۰۴] مِنْهُمْ».

وعلى هذا الضوء تتضح علية خفاء فلسفة الأحكام الشرعيّة، طبعاً تبدو واضحة لدينا فلسفة العديد من هذه الأحكام بحكم العقل والآيات والروايات الواردة بهذا الشأن، إلّاأنّ جانباً مهماً من هذه الأحكام ما زال مبهماً، وذلك لمعرفة المطيع المخلص من المتمرد العاصى. جدير ذكره إنّ هنالك أدلة أخرى غير ما ذكر فى خفاء أسرار هذه الأحكام.

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى عاقبة فعل إبليس المتكبر والمتعصب ليعتبر بها الجميع فحذرهم من مغبة اتباع خطواته حتى لا يبتلوا بما ابتلى به من عاقبة سيئة فقال:

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۷۳

«فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللّهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وجَهْدَهُ ۵۰۵] الْجَهِيدَ، وكَانَ قَدْ عَبَدَاللّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَة، لَايُدْرَى أَمِنْ سِنِى ۵۰۶] الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِى الْآخِرَةِ، عَنْ كِبْرِ سَاعَة وَاحِدَة».

والعبارة

«لا يُدرى أَمِنْ سِنِى الدُّنْيا أَمْ مِنْ سِنى الْآخِرَةِ»

لا تعنى عدم علم الإمام بهذا الأمر، بل إشارة إلى أنّ الناس لا يعلمون بذلك، والمراد من سنوات الدنيا هذه السنوات التى نعيشها والمعلومة المقدار، كما أنّ سنوات الآخرة ما أشير إليه كراراً فى القرآن الكريم ومن ذلك: «وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَة مِّمَّا تَعُدُّونَ»[۵۰۷].

وهنا يرد هذا السؤال: كيف يمكن زوال ستة آلاف سنة من العبادة بساعة من التكبر؟ والجواب واضح؛ فالبناء عمل شاق وطويل، أمّا الهدم فعمل بسيط وسريع، فقد يستغرق بناء بيت عدّة سنوات إلّاأنّ حريقاً يحيله خراباً خلال لحظات، كما يبنى السد العظيم فى عدّة سنوات بينما ينهار بطرفة عين بفعل الزلزال أو تفجيره بالديناميت والمواد المفجرة، ومسألة إحباط الأعمال بفعل بعض الذنوب لمن المطالب المهمّة التى سنتعرض إليها فى مبحث التأمّلات.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه فأشار إلى أنّ مصير المتكبرين من البشر هوذات مصير إبليس فقال:

«فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ؟ كَلَّا، مَا كَانَ اللّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَراً بِأَمْر أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً».

ثم قال عليه السلام فى التأكيد على هذا المعنى:

«انَّ حُكْمَهُ فِى أَهْلِ السَّمَاءِ وأَهْلِ الأَرْضِ لَوَاحِدٌ. ومَا بَيْنَ اللَّهِ وبَيْنَ أَحَد مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ[۵۰۸] فِى إِبَاحَةِ حِمىً [۵۰۹] حَرَّمَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ».

إشارة إلى أنّ جميع المكلفين سواسية أمام اللَّه تعالى وليس لأىأحد أى امتياز على آخر، فليس للَّهمع أحد من قرابة، والمعصية من أى عبدٍ صدرت هى معصية،

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۷۴

والطاعة هى الطاعة فلا ينبغى أن يتصور البعض أنّ العقاب الأليم الذى شمل إبليس على تكبره يختص به والآخرون بمعزل عن ذلك إن إرتكبوا نفس الفعل.

## تأمّلات

### ۱. حبط الأعمال

جاء فى هذا الجانب من الخطبة أنّ عبادة ستة آلاف سنة قد ذهبت هدراً بفعل ساعة من الكبر ومسألة الاحباط والتكفير، وبعبارة أخرى زوال الأعمال الحسنة أو تدارك الأعمال السيئة بالتوبة والطاعة، لمن المسائل المهمة التى حظيت باهتمام المتكلمين والمفسرين وأرباب الحديث.

فالذى يستفاد من بعض الآيات القرآنيّة أنّ هناك سلسلة من الأعمال السيئة التى من شأنها القضاء على الأعمال الصالحة ومنها الكفر باللَّه ورسوله واليوم الآخر الذى ورد فى الآية ۸۸ من سورة الأنعام: «وَلَوأَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» والآية ۱۴۷ من سورة الأعراف: «وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِايَاتِنَا وَلِقَاءِ الْاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ» وصرحت الآية ۷ من سورة العنكبوت بشأن التكفير قائلة: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ».

طبعاً هذا لا يعنى جعل السيئات والحسنات أمام بعضهما البعض الآخر يوم القيامة بحيث لوكانت الحسنات أكثر لما اكترث للسيئات أو لوكانت السيئات أكثر أهملت الحسنات بصورة كليّة، فليس هنالك هذا النوع من الاحباط والتكفير وهولا ينسجم مع الآيات القرآنيّة أيضاً فقد جاء فى الآيتين ۷ و ۸ من سورة الزلزال: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ».

وزبدة الكلام إنّ لكلّ عمل صالح وطالح آثاره الخاصّة عند اللَّه يوم القيامة، ولكن لهذا المطلب استثناءات فهنالك بعض الأعمال الصالحة التى تغطى الأخطاء، وبعض الأعمال القبيحة التى تزيل الحسنات [۵۱۰].

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۷۵

### ۲. هل إبليس من الملائكة؟

جاء فى هذا القسم من الخطبة أنّ إبليس كان من الملائكة وقد طرده اللَّه من الجنّة ومن حضيرة الحقّ لتلك المعصية الكبيرة.

ولعل هذه العبارة توحى بأنّ إبليس كان حقّاً من الملائكة بينما يصرّح القرآن علانيّة: «كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ»[۵۱۱].

كما جاء فى القرآن من جانب آخر أنّ الملائكة معصومون ولا يقارفون المعصية قط: «بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ* لَايَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ»[۵۱۲]. فكيف لملك معصوم أن يتمرد على أوامر اللَّه ويسلك طريق الكفر ومخالفة اللَّه تعالى؟!

ومن هنا يتّضح أنّ إبليس كان فى مصاف الملائكة بفعل عبادته الكثيرة ولم يكن حقّاً من الملائكة فهذه العبارة وإن كانت مجازية إلّاأنّ القرائن الكثيرة والواضحة تزيل أىّ إبهام.

### ۳. كبر إبليس أساس كفره

يستفاد من الآيات القرآنيّة والروايات الإسلاميّة وهذه الخطبة أن كبر إبليس أدّى بالتالى إلى كفره، أقصى درجات الكفر، ذلك لأنّه اعترض على حكمة اللّه وعدّ أمره بالسجود لآدم منافياً للحكمة ولذلك عوقب بأشدّ العذاب وهو الطرد من حضيرة القدس وحبطت أعماله وعبادته التى استغرقت ستة آلاف سنة.

فالكلام يحمل رسالة واضحة للجميع هى عدم الاستخفاف بالكبر والعصبية، التى قد تقود أحياناً إلى الكفر واحباط الأعمال والطرد من القرب الإلهى، طبعاً كان بإمكان إبليس أن يرجع ويتوب، ولكن كان أوّل شرط فى توبته طاعة أمر اللّه فى

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۷۶

السجود لآدم عليه السلام، فقد جاء فى الحديث المروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«وَاللّهِ لَو أنّ إبْليسَ سَجَدَ للّهِ بَعْدَ الْمَعْصِيَةِ والتَّكَبُّرِ عُمْرَ الدُّنْيا، ما نَفَعَهُ ذلِكَ ولا قَبِلَهُ اللّهُ مِنْهُ ما لَمْ يَسْجُدْ لِادَمَ كَما أمَرَ اللّهُ أنْ يَسْجُدَ لَهُ»[۵۱۳].

### ۴. وحدة حكم اللّه فى الجميع

إنّ أحد الدروس المهمّة فى هذا الجانب من الخطبة هى أنّ علاقة الخلق بالخالق علاقة الطاعة والعبودية وأنّ جميع مخلوقات اللّه سواسية فى الأحكام فى الشرائط المتساوية أو المتشابهة وما يعتقده طائفة من اليهود والنصارى أنّهم أبناء اللّه وخواصه وسوف لن ينالهم سوى جانب من العقاب على أعمالهم: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ»[۵۱۴] إنّما هى عقيدة خاطئة وفكرة باطلة.

وعليه فإنّ كلّ كبر وعصبية وعصيان سيؤدى إلى الطرد من رحمة اللّه وسوف لن يكون مصير كلّ من ارتكب هذه المعصية سوى مصير إبليس، وهذه القاعدة سارية على جميع العباد على اختلاف مراتبهم.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۷۷

## القسم الثالث

### اشارة

فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللّهِ عَدُواللّهِ أنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ، وأنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِهِ، وأنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ ورَجِلِهِ. فَلَعَمْرِى لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ، وأغْرَقَ إلَيْكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ، ورَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، فَقَالَ: (رَبِّ بِما أغْوَيْتَنِى لَازَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الأرْضِ ولَاغْوِيَنَّهُمْ أجْمَعِينَ)، قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ، ورَجْماً بِظَنٍّ غَيْرِ مُصِيبٍ، صَدَّقَهُ بِهِ أبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ، وإخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ، وفُرْسَانُ الْكِبْرِ والْجَاهِلِيَّةِ. حَتَّى إذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ، واسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ مِنْهُ فِيكُمْ، فَنَجَمَتِ الْحَالُ مِنَ السِّرِّ الْخَفِيِّ إلَى الأمْرِ الْجَلِيِّ، اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ، ودَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ، فَأَقْحَمُوكُمْ ولَجَاتِ الذُّلِّ، وأَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ، وأوْطَؤُوكُمْ إثْخَانَ الْجِرَاحَةِ، طَعْناً فِى عُيُونِكُمْ، وحَزّاً فِى حُلُوقِكُمْ، ودَقّاً لِمَنَاخِرِكُمْ، وقَصْداً لِمَقَاتِلِكُمْ، وسَوْقاً بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ إلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ. فَأَصْبَحَ أعْظَمَ فِى دِينِكُمْ حَرْجاً، وأوْرَى فِى دُنْيَاكُمْ قَدْحاً مِنَ الَّذِينَ أصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ، وعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ. فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ، ولَهُ جَدَّكُمْ.

### الشرح والتفسير: أعدى أعداء الإنسان

خاض الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة فى الاستنتاج من قصة ضلال الشيطان وطرده من الرحمة إثر كبره وعصبيته ليحذر الجميع من سوء العاقبة والمصير فقال:

«فَاحْذَرُوا عِبادَ اللَّهِ عَدُو اللَّهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ ۵۱۵] بِدَائِهِ، وأَنْ

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۷۸

يَسْتَفِزَّكُمْ ۵۱۶] بِنِدَائِهِ، وأَنْ يُجْلِبَ ۵۱۷] عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ ورَجِلِهِ ۵۱۸]»

. وعبارة الإمام عليه السلام هذه اقتباس من القرآن الكريم حيث قال تعالى «وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ»[۵۱۹].

وخيل تعنى الفرس وكذلك الفرسان وأريد بها هنا المعنى الثانى ورجل تعنى المشاة وهى إشارة إلى كثرة الأعوان الذين يقفون إلى جانب الشيطان سواء من نوعه أو من البشر والذين يعينونه على إضلال الآخرين؛ فبعضهم سريع كالفرسان والآخر بطيئ كالمشاة.

وبالطبع فإنّ الصفات الرذيلة وعوامل المعصية ومراكز الفحشاء والدعايات السامة والمضلّة ووسائل الذنوب تعدّ من أعوان الشيطان وجنوده حيث حذّر الإمام عليه السلام الناس من كلّ هذه الأمور.

ثم أقسم الإمام عليه السلام بعمره لتأكيد هذا الكلام فقال عليه السلام:

«فَلَعَمْرِى لَقَدْ فَوَّقَ ۵۲۰] لَكُمْ

سَهْمَ الْوَعِيدِ، وأَغْرَقَ ۵۲۱] إِلَيْكُمْ بِالنَّزْعِ ۵۲۲] الشَّدِيدِ، ورَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ».

ثم استشهد الإمام عليه السلام بقوله تعالى عن إبليس:

«فَقَالَ:

«رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الْأَرْضِ ولَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ»».

أمّا قسم الإمام عليه السلام بعمره فيشير إلى أنّ القضية غاية فى الجدية؛ وليت شعرى أى

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۷۹

شيء أشرف من عمر الإمام وقوله عليه السلام إنّ الشيطان فوّق لكم سهم الوعيد واغرق إليكم بالنزع الشديد إشارة إلى أنّ خطر الشيطان قد أحاط بكم بأخدع صوره التى قلّما تخطئ وقد دلكم على سبله وذلك من خلال المظاهر الماديّة للدنيا وتزيين نعمها الماديّة والغرق فى مستنقع الشهوات واللذات.

وتعبير الإمام عليه السلام بأنّ الشيطان جند طاقاته وقواه كافّة واستعد للهجوم عليكم وقد استهدفكم من مكان قريب فكنتم فى مرماه من كلّ جانب، إشارة إلى كثرة عناصر الوساوس الشيطانيّة فى باطن الإنسان وخارجه، فهوى النفس من جهة والعوامل الخارجية للمعصية من جهة أخرى

والعبارة «لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ» التى تبدأ بلام القسم ونون التوكيد الثقيلة وتنتهى بالمفردة أجمعين، شاهد على أنّه بمنتهى الجد فى تحقيق اهدافه المشؤومة، ومن هنا لابدّ أن يعيش الناس اليقظة والحذر حتى لا يقعوا فى شباك فخّه ومصائده.

جدير ذكره أنّ العبارة:

«رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى ...»

من أكاذيب الشيطان وافترائاته على اللَّه تعالى والتى تشير إلى مدى تمرده ووقاحته بحيث يفترى على اللَّه مثل هذا الكذب، اللَّه الذى يهدى الجميع ويزودهم بعناصر الهدى، ولما كان كلام الشيطان واضح البطلان فالقرآن لا يرد عليه، فكيف يضلّه اللَّه سبحانه وتعالى وهو الذى أمره والملائكة بقوله: «فَاذا نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» فالشرف الذى حظى به آدم عليه السلام على أساس روح اللَّه التى نفخت فيه، إلّاأنّ الشيطان الحسود والأنانى تجاهل ذلك واكتفى بالنظر إلى خلقه من الطين! فهل الضلال كان من

جانب اللّه أم من نفس الشيطان؟!

ثم قال عليه السلام فى مواصلته لكلامه:

«قَذْفاً بِغَيْب بَعِيد، ورَجْماً بِظَنٍّ غَيْرِ مُصِيب».

فقد وردت العبارة

«رَجْماً بِظَنٍّ غَيْرِ مُصِيب»

بهذه الصيغة فى أغلب نسخ نهج‌البلاغة والتى يظن أحياناً أنّها لا تنسجم مع الآية الشريفة: «وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۸۰

إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ»[۵۲۳] والحال إنّ الآية الشريفة نازلة بشأن قوم سبأ لا بشأن جميع الناس وإلّا فالمؤمنون ليسوا بقلّة فى أمم الأنبياء.

ورجّحت طائفة من شرّاح نهج البلاغة النسخة الأخرى التى لا تتضمن كلمة «غير» وبصيغة:

«رَجْماً بِظَنٍّ مُصِيب»

لأنّهم قالوا إنّ ظن الشيطان بشأن الناس مطابق للواقع حيث لم ينج من وساوسه سوى قلّة قليلة من الناس وهذا ما صرح به القرآن الكريم إذ قال: «وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ»[۵۲۴] وقال فى موضع آخر: «الَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ»[۵۲۵].

أضف إلى ذلك بأنّها أكثر انسجاما مع العبارة التالية فى هذه الخطبة التى قال فيها:

«صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ، وإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ، وفُرْسَانُ الْكِبْرِ والْجَاهِلِيَّةِ».

فالعبارة:

«أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ»

كناية عن أنّهم عجنوا بالكبر على درجة وكأنّهم أصبحوا أبناءه كما أنّ التعبير إخوان العصبيّة كناية عن علاقتهم الوثيقة بالعصبيات القبليّة والقوميّة وما شابه ذلك.

والعبارة

«وفُرْسَانُ الْكِبْرِ والْجَاهِلِيَّةِ»

كناية عن أنّهم بلغوا درجة من الكبر والجهل والغرور وكأنّهم اعتلوا مركباً من الجهل والكبر اندفعوا به إلى الأمام.

ثم قال الإمام عليه السلام:

«حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ[۵۲۶] مِنْكُمْ، واسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ[۵۲۷]

مِنْهُ فِيكُمْ، فَنَجَمَتِ ۵۲۸] الْحَالُ مِنَ السِّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الأَمْرِ الْجَلِيِّ. اسْتَفْحَلَ ۵۲۹] سُلْطَانُهُ

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۸۱

عَلَيْكُمْ، ودَلَفَ ۵۳۰] بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ».

إشارة إلى أنّ إبليس يسعى بادئ الأمر إلى الهيمنة على الأفراد الذين يتمردون عليه ثم يرسخ قاعدته لديهم ثم يبسط نفوذه عليهم فيهجم عليهم بجنوده والحال فهم فقدوا قدرتهم الدفاعيّة وعانوا من أنواع المصائب الماديّة والمعنويّة، كما أشار الإمام عليه السلام بثمان عبارات قصيرة عميقة المعنى إلى آثار ذلك الهجوم الشيطانى الواسع فقال:

«فَأَقْحَمُوكُمْ ۵۳۱] وَلَجَاتِ ۵۳۲] الذُّلِّ، وأَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ ۵۳۳] الْقَتْلِ، وأَوْطَؤُوكُمْ ۵۳۴] إِثْخَانَ ۵۳۵]

الْجِرَاحَةِ، طَعْناً فِى عُيُونِكُمْ، وحَزًّا[۵۳۶] فِى حُلُوقِكُمْ، ودَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ ۵۳۷]، وَقَصْداً

لِمَقَاتِلِكُمْ، وسَوْقاً بِخَزَائِمِ ۵۳۸] الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ».

فهذه العبارات الغاية فى الدقة والبيان والمقرونة بمنتهى البلاغة والفصاحة تجسد عظم بؤس المهزومين أمام الشيطان، الذين إن هربوا من جنده وأعوانه ولجأوا إلى كهف فسوف لن يكون سوى كهف الذل والهوان وإن قاوموا فليس لهم من مصير سوى الموت والفناء كما أنّ موتهم سوف لن يكون هيناً بل ممزوج بالضرب والجرح وغرز السهام فى العيون وقطع الحناجر وتحطيم الأنوف وبالتالى سوف يجرون إلى نار الغضب الإلهيّة.

ثم خلص عليه السلام إلى استنتاج قاطع فقال:

«فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِى دِينِكُمْ حَرْجاً[۵۳۹]،

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۸۲

وأَوْرَى ۵۴۰] فِى دُنْيَاكُمْ قَدْحاً[۵۴۱] مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ ۵۴۲]، وعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ ۵۴۳].

فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ ۵۴۴]، ولَهُ جِدَّكُمْ ۵۴۵]».

إشارة إلى أنّ إبليس أعدى أعدائكم فى الدين والدنيا وخطره أعظم من خطر كلّ عدو فلابد من تجنيد طاقاتكم لمواجهته.

وقد عبّر الإمام عليه السلام عن الفساد بالحرج يعنى الصعوبة والمشقّة (وورد فى بعض النسخ جرح والتى تبدوانسب للعبارة) وعن وساوس الشيطان المضلّة بالقدح (ما يشعل به النار)، لأنّ قداحة صغيرة يمكن لها أن تحرق بيتاً أو حياً، ووساوس الشيطان قد تقود أحياناً إلى تصدع مجتمعات وإنهيارها، ولا سيما العصبيات العمياء والكبر والغرور كما ذُكر فى الخطبة حيث تأجيج نيران القبليّة التى تدعو إلى مزيد من سفكك الدماء واغراق الأرض بها من الأفراد الأبرياء.

والتعبير بالجد بفتح الجيم بمعنى القطع تشير إلى قطع العلاقة مع إبليس وعدم طاعة أوامره (وقد ورد الجد فى بعض النسخ بكسر الجيم والذى يعنى السعى والمثابرة والذى يبدو أنسب للعبارات السالفة) فالبعض يبذل قصارى جهده وسعيه فى مجاهدته لإبليس وجنده.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۸۳

## القسم الرابع

### اشارة

فَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ، ووَقَعَ فِى حَسَبِكُمْ، ودَفَعَ فِى نَسَبِكُمْ، وأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ، وقَصَدَ بِرَجِلِهِ سَبِيلَكُمْ، يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ، ويَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ. لَاتَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ، ولَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ، فِى حَوْمَةِ ذُلٍّ، وحَلْقَةِ ضِيقٍ، وعَرْصَةِ مَوْتٍ، وجَوْلَةِ بَلَاءٍ. فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِى قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ واحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِى الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ ونَخَوَاتِهِ، ونَزَغَاتِهِ ونَفَثَاتِهِ. واعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَى رُؤُوسِكُمْ، وإِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وخَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ، واتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً بَيْنَكُمْ وبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وجُنُودِهِ؛ فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وأَعْوَاناً، ورَجِلًا وفُرْسَاناً، وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ، وقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِى قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ، ونَفَخَ الشَّيْطَانُ فِى أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ الَّذِى أَعْقَبَهُ اللَّهُ بِهِ النَّدَامَةَ، وأَلْزَمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

### الشرح والتفسير: التحذير من التشبه بالشيطان أو قابيل

عبأ الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة الجميع للوقوف بوجه الشيطان ووساوسه وأشار إلى سوابقه السيئة وعداوته بعبارات تفيض فصاحة وبلاغة فقال:

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۸۴

«فَلَعَمْرُ اللّهِ ۵۴۶] لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ، ووَقَعَ فِى حَسَبِكُمْ ۵۴۷]، ودَفَعَ فِى نَسَبِكُمْ، وأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْوقَصَدَ بِرَجِلِهِ سَبِيلَكُمْ».

وهذه العبارات العميقة المعنى هى اقتباس من الآيات القرآنيّة الشريفة؛ فالآية ۳۳ من سورة الحجر تشير إلى أنّ الشيطان حقر آدم بهذه الصيغة قائلًا: «لَمْ أَكُنْ لِّأَسْجُدَ لِبَشَر خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَال مِّنْ حَمَإ مَّسْنُون» فغروره وحسده وتكبره جعله يتناسى العبارة: «نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِى» من كلام اللّه والتى تعدّ من أعظم مفاخر آدم عليه السلام، كما قال تعالى عن إبليس فى الآية ۱۲ من سورة الأعراف «أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِنْ نَّار وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِين» والحال لو تخلى عن كبره وغروره لأيقن أنّ التراب هو مصدر أنواع البركات وأساس حياة الموجودات وهو أفضل من النار، وصرّحت الآية ۶۴ من سورة الإسراء أنّ اللّه تعالى قال له: «وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ» كما قال تعالى عن الشيطان فى الآية ۱۶ من سورة الأعراف: «لَاَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ».

وهنا تكمن خطورة هذا العدو الذى ينبغى الحذر منه فهو لا يقرّ بشخصية آدم الرفيعة ولا يسلم بنسبه وقد جند طاقاته كافّة من أجل اغوائه واضلاله.

ثم قال عليه السلام فى مواصلته لكلامه:

«يَقْتَنِصُونَكُمْ ۵۴۸] بِكُلِّ مَكَان، ويَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَان ۵۴۹]. لَاتَمْتَنِعُونَ بِحِيلَة، وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَة. فِى حَوْمَةِ[ ۵۵۰] ذُلٍّ، وحَلْقَةِ ضِيق، وعَرْصَةِ مَوْت، وجَوْلَةِ بَلَاء».

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۸۵

والعبارة:

«ويَضْرِبُونَ مِنْكُم كُلَّ بَنَان»

تشبه ما ورد فى القرآن الكريم بشأن هجوم الملائكة على الكفار يوم بدر: «وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَان»[۵۵۱]. فإنّ قطع كلّ بنان إن كان بشأن الأيدى يؤدّى بالإنسان إلى العجز عن الإتيان بأغلب الأعمال، ذلك لأنّ لكلّ عمل وسيلة ووسائل الأعمال عادة الأصابع والأيدى، وإن كان المراد بنان الأرجل فذلك يؤدّى إلى اختلال توازن الإنسان حين المشى والعبارة الواردة فى الخطبة إشارة إلى أنّ الشياطين يهجمون عليكم ويعيقونكم عن العمل بحيث يسلبونكم زمام التفكير والقدرة على اتخاذ القرار.

ثم ركز الإمام عليه السلام على لب الموضوع فاستعار تشبيهات غاية فى الجمال وبمنتهى الفصاحة والبلاغة ليحذر الجميع من الآثار السيئة للعصبية العمياء والكبر الأجوف فقال عليه السلام:

«فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِى قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ واحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِى الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ ونَخَوَاتِهِ ۵۵۲]، ونَزَغَاتِهِ ۵۵۳] ونَفَثَاتِهِ ۵۵۴]».

فقد شبه الإمام عليه السلام بهذه العبارات العصبيات الطائشة والأحقاد الجاهلية بالنار الكامنة فى أعماق القلوب التى تقتدح فجأة وتلتهم جميع كيان الإنسان فتسرى إلى الخارج لتعم وتحرق أمم بأسرها، ويعدّ الإمام عليه السلام هذه الصفة الرذيلة من وساوس الشيطان والتى تنتقل من الخارج إلى بواطن المسلمين أى هى قريبة من المسلم الحقّ.

ثم واصل عليه السلام كلامه قائلًا:

«واعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَى رُؤُوسِكُمْ، وإِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۸۶

تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وخَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ؛ وَاتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً[۵۵۵] بَيْنَكُمْ وبَيْنَ

عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وجُنُودِهِ».

فقد شبّه الإمام عليه السلام فى هذه العبارات التواضع بالتاج والتعزز بما يلقى تحت الأقدام ممّا لا قيمة له وشبّه التكبر بالغل الذى يوضع على العنق والبساطة بالمسلحة أو بالموضع الذى يحفظ الإنسان من مكائد العدو وكلّ منها يحمل رسالة واضحة للناس ولا سيما الأفراد المؤمنين منهم.

ثم بين الإمام عليه السلام دليلًا واضحاً لهذه الوصايا فقال:

«فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وأَعْوَاناً، ورَجِلًا وفُرْسَاناً».

طبعاً ليس جميع هؤلاء من الجن بل بعضهم من الناس الشياطين من الضالّين والمضلّين أعوان الشيطان وأنصاره وقد قال القرآن الكريم: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْانسِ وَالْجِنِّ»[۵۵۶].

وهنا تطرق الإمام عليه السلام بعبارة قصيرة وعميقة المعنى إلى قصّة قابيل الشخص الثانى بعد الشيطان الذى إعتراه الكبر والعصبيّة فارتكب جناية عظيمة وغاص فى وحل الندم والشقاء فقال عليه السلام:

«وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضْل جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ».

العبارة

«ابن أُمّه»

بدلًا من أخ إشارة إلى البعد العاطفى للموضوع، أى أنّ التكبر فعل فِعله رغم تلك العلاقة العاطفيّة بينهما فدفعه لقتل أخيه ولعلنا نلمس شبيه هذا المعنى فى قصة موسى وهارون حين نقم على عبادة بنى إسرائيل للعجل وقد أخذ برأس أخيه هارون فناداه على سبيل آثارة عواطفه: «يَبْنَؤُمَّ لَاتَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِى»[۵۵۷].

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۸۷

والعبارة:

«سِوى ما أَلْحَقَتِ»

من قبيل ما يصطلح عليه بالاستثناء المنقطع وقد وردت هنا لشدة الذم كأن نقول: «ليس لفلان من فضل سوى الكذب والخيانة».

والعبارة:

«عَداوَةُ الْحَسَد»

إشارة إلى أنّ الحسد يؤدّى بالإنسان إلى العداوة والخصومة؛ العداء الذى من شأنه أن يكون مدعاة لقتل الأخ لأخيه.

ثم خاض الإمام عليه السلام فى توضيح هذا الأمر فقال:

«وقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِى قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ، ونَفَخَ الشَّيْطَانُ فِى أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ الَّذِى أَعْقَبَهُ اللَّهُ بِهِ النَّدَامَةَ، وأَلْزَمَهُ آثَامَ [۵۵۸] الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ».

ويستفاد من هذه العبارات أنّ الانحرافات إنّما تنطلق بادئ الأمر من باطن الإنسان ثم يعمقها الشيطان لتطال آثارها المشؤومة الإنسان وعليه فكلّ ما هنالك يعزى إلى باطن الإنسان الملوث وهذا رد حاسم على أولئك الذين يقولون لماذا يفعل الشيطان كل هذا ولماذا يبتلينا اللّه تعالى بكلّ تلك المصائب.

وقد نقل ابن أبى الحديد عند هذه العبارة حديثاً عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله رواه المؤرخ المعروف الطبرى أنّه قال:

«ما مِنْ نَفْس تُقْتَلُ ظُلْماً إلّاكانَ عَلى ابْنِ آدَمَ الأوّلِ كِفْلٌ مِنها وذلِكَ بِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ».

وأضاف ابن أبى الحديد: إنّ كلام أمير المؤمنين عليه السلام فى هذه الخطبة يؤيد ذلك [۵۵۹].

وقد وردت عدّة أبحاث مطولة فى الروايات الإسلاميّة بشأن إقامة السنة الحسنة والسنة السيئة وآثارهما سنتطرق إلى ذلك إن شاء اللّه

فی محله والذی یمکن قوله علی نحو الخلاصة: إنّ کلّ من سن فعل خیر وحثّ الناس علی القیام به فهو شریک لهم فی الأجر والثواب ومن سن سنة سیئة فهو شریک لهم فی الذنب والمعصیة بسبب انتهاکه للحرمات وتشجیعه الناس من ضعاف الإیمان علی المعصیة.

نفحات الولایه، ج۷، ص: ۲۸۹

## القسم الخامس

### اشارة

أَلَا وقَدْ أَمْعَنْتُمْ فِی الْبَغْیِ، وأَفْسَدْتُمْ فِی الأَرْضِ مُصَارَحَةً لِلَّهِ بِالْمُنَاصَبَةِ، ومُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِینَ بِالْمُحَارَبَةِ. فَاللَّهَ اللَّهَ فِی کِبْرِ الْحَمِیَّةِ وفَخْرِ الْجَاهِلِیَّةِ! فَإِنَّهُ مَلَاقِحُ الشَّنَآنِ، ومَنَافِخُ الشَّیْطَانِ، الَّتِی خَدَعَ بِهَا الْأُمَمَ الْمَاضِیَةَ، والْقُرُونَ الْخَالِیَةَ. حَتَّی أَعْنَقُوا فِی حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ، ومَهَاوِی ضَلَالَتِهِ، ذُلُلًا عَنْ سِیَاقِهِ، سُلُساً فِی قِیَادِهِ. أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِیهِ، وتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَیْهِ، وکِبْراً تَضَایَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ.

أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِکُمْ وکُبَرَائِکُمْ! الَّذِینَ تَکَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وأَلْقَوُا الْهَجِینَةَ عَلَی رَبِّهِمْ، وجَاحَدُوا اللَّهَ عَلَی مَا صَنَعَ بِهِمْ، مُکَابَرَةً لِقَضَائِهِ، ومُغَالَبَةً لِآلَائِهِ. فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِیَّةِ، ودَعَائِمُ أَرْکَانِ الْفِتْنَةِ، وسُیُوفُ اعْتِزَاءِ الْجَاهِلِیَّةِ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَکُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَیْکُمْ أَضْدَاداً، وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَکُمْ حُسَّاداً. وَلَا تُطِیعُوا الْأَدْعِیَاءَ الَّذِینَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِکُمْ کَدَرَهُمْ، وخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِکُمْ مَرَضَهُمْ، وأَدْخَلْتُمْ فِی حَقِّکُمْ بَاطِلَهُمْ، وهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ، وأَحْلَاسُ الْعُقُوقِ. اتَّخَذَهُمْ إِبْلِیسُ مَطَایَا ضَلَالٍ. وجُنْداً بِهِمْ یَصُولُ عَلَی النَّاسِ، وتَرَاجِمَةً یَنْطِقُ عَلَی أَلْسِنَتِهِمْ، اسْتِرَاقاً لِعُقُولِکُمْ ودُخُولًا فِی عُیُونِکُمْ، ونَفْثاً فِی أَسْمَاعِکُمْ.

فَجَعَلَکُمْ مَرْمَی نَبْلِهِ، ومَوْطِئَ قَدَمِهِ، ومَأْخَذَ یَدِهِ.

### الشرح والتفسیر: اجتناب تبعیة المتکبرین

لما فرغ الإمام علیه السلام من تلک المقدمات فی المقاطع السابقة بشأن مخاطر الکبر

نفحات الولایه، ج۷، ص: ۲۹۰

والغرور والعصبیة حذر مخاطبیه مباشرة من سوء عاقبة السیر علی هذا المسار الشیطانی وألقی باللائمة علی أولئک الذین یثیرون الخلافات والنزاعات ویؤججون نیران الصراعات تحت ذرائع واهیة تستند إلی العصبیة القبلیة والتفاخر الذی تقوم به جماعة علی أخری فقال علیه السلام:

«أَلَا وقَدْ أَمْعَنْتُمْ ۵۶۰] فِی الْبَغْیِ، وأَفْسَدْتُمْ فِی الْأَرْضِ

مُصَارَحَةً[ ۵۶۱] لِلَّهِ بِالْمُنَاصَبَةِ[ ۵۶۲]، ومُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِینَ بِالْمُحَارَبَةِ».

ذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلی أنّ المخاطب بهذه العبارات هم جند الشام واتباع معاویة ولعلهم إستندوا فی ذلک إلی خطاب الإمام علیه السلام اللاذع والشدید الذی لم یکن مناسباً لما علیه أهل الکوفة والعراق، فی حین یفهم من سبب هذه الخطبة وسائر الخطب أنّ مخاطبی الإمام علیه السلام هم طغاة الکوفة والعراق الذین کانوا یثیرون الصراعات بین القبائل وأدّوا إلی المزید من الفساد وإراقة الدماء انطلاقاً من التعصبات الجاهلیّة والقبلیّة؛ الأمر الذی یعتبر عداءً صریحاً للَّهمن جانب وحرباً شعواء علی المؤمنین من جانب آخر.

ثم اشتد کلام الإمام علیه السلام فخاطبهم قائلًا:

«اللَّهَ فِی کِبْرِ الْحَمِیَّةِ وفَخْرِ الْجَاهِلِیَّةِ! فَإِنَّهُ مَلَاقِحُ الشَّنَآنِ، ومَنَافِخُ الشَّیْطَانِ».

وبالنظر إلی أنّ

«ملاقح»

جمع

«ملقح»

على وزن مجرم، فإنّ مفهوم العبارة أنّ الكبر والتعصب سبب ايجاد البغض والعداوة وكذلك

«منافخ»

جمع

«منفخ»

على وزن «مصرف» وسيلة ينفخ بواسطتها ومفهومها أنّ الشيطان يوسوس فى القلوب عن هذا الطريق ويسوقهم إلى الفساد.

ثم أشار عليه السلام إلى آثار ومخاطر هذه الوساوس والنفخات الشيطانيّة فقال:

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۹۱

«الَّتِی خَدَعَ بِهَا الْاُمَمَ الْمَاضِیَةَ، والْقُرُونَ الْخَالِیَةَ. حَتَّی أَعْنَقُوا[۵۶۳] فِی حَنَادِسِ ۵۶۴]

جَهَالَتِهِ، ومَهَاوِی ۵۶۵] ضَلَالَتِهِ، ذُلُلًا[۵۶۶] عَنْ سِیَاقِهِ، سُلُساً[۵۶۷] فِی قِیَادِهِ».

ثم أضاف عليه السلام قائلًا:

«أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِیهِ، وتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَیْهِ، وکِبْراً تَضَایَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ».

فى إشارة إلى أنّ مسألة الكبر والغرور وآثارها ومخاطرها الجمة أمر متجذر فى جميع الأمم والشعوب والذى كان مصدر الحروب الدموية والنزاعات الواسعة ومختلف أنواع الجرائم والجنايات والحماقات.

فالتكبر والتعصب صفتان سودتا وجه التاريخ البشرى واللتان تعتبران من أهم شباك الشيطان فى العصور الماضية والحاضرة والقادمة.

نقل أحد شرّاح نهج البلاغة (المرحوم محمد جواد مغنية) فى شرحه أنّ الفيلسوف الانجليزى المعروف (راسل) قال: إنّ كلّ إنسان يحب أن يكون إلهاً والغريب قلّ من يعتقد أنّ هذا الأمر محال، ثم يضيف هذا الشارح العالم أنّ هذا الكلام صحيح إلّاأنّ أولئك الذى يتمنون أن يكونوا آلهة ولا يبلغون ذلك يعمدون لاشباع رغباتهم الباطنيّة إلى التكبر والفخر بالعظام البالية لآبائهم أو ما هم عليه من مقام أو ذكر أسمائهم فى الصحف.

ثم ركز الإمام عليه السلام على الموضع الأصلى للقضية والذى يكمن فى الطاعة العمياء لزعماء القبائل والمفسدين والمتكبرين الأنانيين الذين يدعون الناس إلى أهوائهم وملذّاتهم ويثيرون الفتن والمفاسد فقال عليه السلام:

«أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِکُمْ

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۹۲

وکُبَرَائِکُمْ! الَّذِینَ تَکَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وأَلْقَوُا الْهَجِینَةَ[۵۶۸] عَلَی

رَبِّهِمْ، وجَاحَدُوا اللَّهَ عَلَی مَا صَنَعَ بِهِمْ، مُکَابَرَةً لِقَضَائِهِ، ومُغَالَبَةً لِالائِهِ ۵۶۹]».

فهذا الكلام فى الواقع اقتباس من الآية القرآنيّة الشريفة التى يظهر فيها الناس ندمهم يوم القيامة على طاعتهم لكبرائهم وزعمائهم فيقولون: «رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَکُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِیلَا* رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَیْنِ مِنْ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً کَبِیراً»[۵۷۰].

وإننا كلّما تأمّلنا تاريخ البشريّة الماضى نرى أنّ أحد العناصر الرئيسيّة فى الحروب والصراعات وإراقة الدماء كان يكمن فى التكبر والعصبيات القبلية والقوميّة والتى ما زالت قائمة لحد الآن، وهى أحد العوامل المهمّة فى نشوب الحرب العالمية الأُولى والثانية التى حطمت دولًا من العالم وأودت بحياة الملايين من الناس، والحال لو أمعن الإنسان النظر لأدرك أنّ أصله من التراب وأصله الآخر نطفة لا قيمة لها ونهايته جثة متعفنة، فقد نهى الإسلام عن الافتخار بالآباء والمناصب والتمسك ببعض الألقاب التى تفرز الغرور والغفلة، فقد

جاء فى الحديث النبوى الشريف:

«حُبُّ الرَّجُلِ دِينُهُ، ومُرُوَّتُهُ، خُلْقُهُ، وأصْلُهُ عَقْلُهُ»[۵۷۱].

فقد قاله النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله حين حاول البعض الاستخفاف بسلمان الفارسى حين سألوه عن نسبه، فرد عليهم بأنّ نسبه عتقه من العبودية بواسطة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله.

والعبارة:

«أَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلى رَبِّهِمْ»

إشارة إلى أنّ هؤلاء رأوا أنّ نسبهم هو الأفضل ونسب الآخرين أدنى ثم نسبوا دناءة نسب الآخرين إلى اللَّه تعالى، واعتقدوا أنّ اللَّه تعالى خلق خلقاً فاضلًا وكانوا هم من ذلك الخلق، وخلق تعالى خلقاً أدنى هم الآخرون كما نسبوا لأنفسهم ما نالوا من النعم الإلهيّة على أنّها تستند

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۹۳

إلى كفائتهم وجدارتهم وتنكروا لنعم اللَّه وآلائه وألطافه.

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى ذكر السبب الذى يقف وراء ضرورة عدم تبعية مثل هؤلاء الأفراد فقال:

«فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ، ودَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ، وسُيُوفُ اعْتِزَاءِ[۵۷۲] الْجَاهِلِيَّةِ».

فقد شبّه الإمام عليه السلام العصبية والفتنة بالبيت، وأعمدته دعاة الفساد، وأركانه المتكبرون الأنانيّون، وقد نهى الجميع عن السكن فى هذا البيت، كما شبه عليه السلام الشعارات السائدة فى زمان الجاهليّة لإثارة القبائل وتأليبها على بعضها البعض الآخر، بالسيوف الحادة، ثم شبه زعماء الفساد بهذه السيوف.

فقد كان السائد فى العصر الجاهلى أنّ أية قبيلة من القبائل إذا ما تعرّضت لتهديد من الطرف الآخر عمد زعماؤها بدلًا من اعتماد الفكر والمنطق فى إصلاح الأمور وإرساء الصلح والسلام إلى تأليب الآخرين على اطلاق شعارات الحرب مستغلين جميع الوسائل من أجل إثارة عواطف الأفراد الجهّال بغية تأجيج نار الحرب، سيما أنّ كل قبيلة كانت تنادى الأخرى بأسماء آبائها وأجدادها السابقين فزعماء القبائل فى الواقع هنا بمنزلة السيوف.

ويشير التاريخ إلى أنّ الزعماء المتهافتين على المناصب والمقامات فى العصور السابقة كانوا يعبئون الجماهير بمختلف الشعارات ويزجون بالجهّال فى أتون الحرب بغية الحفاظ على مصالحهم ومقاماتهم ولعلنا نلمس اليوم ما عليه وسائل الإعلام العالميّة التى تعتمد شتى الأساليب وبصورة واسعة بغية الحفاظ على الحكومات الاستكبارية ومصالح كبار رؤساء الأموال، وكما قال القرآن الكريم: «انَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً»[۵۷۳]، وهذه هى الفئة التى وقفت على الدوام بوجه الأنبياء الذين بعثوا لتنوير عقول الناس وهدايتهم إلى

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۹۴

الصراط المستقيم وبسط القسط والعدالة الاجتماعيّة، فهبت لمعاداتهم ومواجهتهم:

«وَمَا أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ الَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ»[۵۷۴].

ثم أضاف عليه السلام:

«فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَاداً، وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَّاداً».

فى الواقع إنّ هؤلاء الذين يكفرون بنعم اللَّه ويسلكون سبيل الكبر والغرور بدلًا من توظيف هذه النعم فى خدمة الخلق إنّما يهبون لمناجزة نعمهم ويحسدون أنفسهم فى ما أفاض اللَّه عليهم ذلك لأنّ فعل هؤلاء بالنتيجة يتفق مع ما عليه الحساد والأعداء، فكلاهما ينشد سلب النعمة والفضل الإلهى من الآخرين.

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى نقطة أخرى فقال:

«وَلَا تُطِيعُوا الْأَدْعِيَاءَ[۵۷۵]».

ذهب بعض الشرّاح إلى أنّ المراد بالأدعياء ذلك المعنى الأصلى (الأفراد الذين لا حسب لهم ولا نسب، أبناء الحرام) بينما فسّرها البعض الآخر بأنّ المراد بها المنافقين، ذلك لأنّ النفاق إنّما هو نتيجة دناءة النسب وخسة الجوهر، وأخيراً هناك من فسّرها بالوضيعين. جدير ذكره أنّ التكبر الذى يعدّ الموضوع الأصلى لهذه الخطبة إنّما يستند إلى عقدة الحقارة، وهذا ما صرحت به الرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال:

«ما مِنْ رَجُل تَكَبَّرَ او تَجَبَّرَ إلّا لِذِلَّة وَجَدَها فى نَفْسِهِ»[۵۷۶].

ثم خاض عليه السلام فى شرح أوصاف طائفة الأدعياء فقال:

«الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ، وخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ، وأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ».

إشارة إلى أنّ هؤلاء المنافقين المستكبرين إنّما استغلوا حسن نياتكم وأنفذوا

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۹۵

إليكم نياتهم السيئة وأمراضهم النفسيّة وأعمالهم المريضة والمطالب الباطلة ورسخوها فى أوساطكم؛ وعليه فما عليكم إلّاالتعرف عليهم والانسحاب من تبعيتهم وطرح أفكارهم الفاسدة وخططهم الشيطانيّة من أوساطكم.

ثم أفصح الإمام عليه السلام عن التعريف بهم فقال:

«وهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ، وأَحْلَاسُ ۵۷۷]

الْعُقُوقِ ۵۷۸]».

بالنظر إلى معنى الفسوق وهو الخروج عن الطاعة والعقوق الذى يطلق على مطلق العصيان، فإنّ المراد بالعبارة السابقة أنّ جميع المعاصى والمفاسد الاجتماعيّة إنّما تنبع من المفسدين والمستكبرين حيث يقوم هؤلاء الأفراد باستقطاب الناس وشدهم إليهم كونهم مصداق للعبارة:

«النّاسُ عَلى دينِ مُلوكِهِمْ».

ثم تحدّث الإمام عليه السلام عن العلاقة القائمة بين هذه الفئة وإبليس ومدى ارتباط افكارهم وخططهم بوساوسه فقال:

«اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَال. وجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ ۵۷۹] عَلَى النَّاسِ، وتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، اسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ ودُخُولًا[ ۵۸۰] فِي عُيُونِكُمْ، ونَفْثاً[ ۵۸۱] فِي أَسْمَاعِكُمْ».

فالواقع، إنّما يمتطى إبليس هذه الفئة بالدرجة الأُولى لإضلال الناس وإغوائهم، ثم يستعين بها فى هجومه عليهم فإن استسلموا لقنهم مطالبه بلسان زعماء هذه الفئة الضالة فيعطل لديهم جميع مصادر الفهم والإدراك بما فيها العقل والعين والاذن؛ فيسلبهم عقلهم بأمانيه البعيدة وأهوائه ورغباته ويزين لهم الدنيا، فيصادر بصيرتهم ويقرأ فى آذانهم كلمات الخداع ويوسوس إليهم فلا تكون عاقبتهم إلّاتلك التى

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۹۶

أشار الإمام عليه السلام إليها فى خطبته وعلى هذا الأساس فقد جعلكم أهدافاً لسهامه ووطأكم بقدمه واستحوذ عليكم:

«فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِهِ ۵۸۲]، ومَوْطِئَ قَدَمِهِ، ومَأْخَذَ

يَدِهِ».

فمن الطبيعى أن يتيه الإنسان تحت أرجل الشيطان ويكون بدنه عرضة لسهامه ويحكم عليه قبضته إذا ما فقد عقله وبصيرته وإدراكه. وقد ذهب أغلب شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ العبارة «ومَأْخَذَ» إشارة إلى الأسر فى مخالب الشيطان، وعليه يكون مفهوم العبارات الثلاث

أنّ الشيطان يقضى عليكم أو يذلكم أو يأسركم، إلّاأنّ التفسير الذى أوردناه يبدو أنسب مع العبارات السابقة.

والواقع أنّ هذه الكلمات العميقة للإمام عليه السلام بشأن نفوذ الشيطان فى الإنسان اقتباس من القرآن الكريم إذ قال تعالى: «وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ»[۵۸۳].

وقال تعالى فى الآية ۱۱۲ من سورة الأنعام: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْانسِ وَالْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْض زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً» وقد مر شبيه ما ورد فى هذه العبارة فى الخطبة السابعة حين قال:

«اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِامْرِهِمْ مِلَاكاً واتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً ... فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ، ونَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ، وزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطَلَ».

## تأمّل

### التكبر والعصبية

«التكبر»

يعنى الشعور بالأفضلية من الآخرين، و

«التعصب»

يعنى التعلق غير المنطقى بشخص والتفانى فى الدفاع عنه بصورة عمياء، أو الغلو فى الحب للقبيلة

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۲۹۷

وتمجيدها بحقّ وبغير حقّ، وتعصب من مادة عصب على وزن غضب بمعنى الأوعية الخاصّة التى تربط عضلات الإنسان بدماغه وتشكل سلسلة الأعصاب.

ثم اطلقت على الفئة والجماعة المنسجمة فكرياً والمتعاضدة فيما بينها، ويطلق على هذه الجماعة

«عُصبة»

على وزن

«سُفرة»

وتطلق مفردة

«تعصّب»

عادة على التبعية الهمجية المطلقة والتى يفرزها عادة الجهل وضيق التفكير والكبر؛ لأنّ الشخص الذى يريد أن يلصق بنفسه قيمة معينة يسعى لإكبار من يتعلق به أو يتعلق بهم، فيتجاهل نقط ضعفهم ويبالغ فى تضخيم نقاط قوتهم إن وجدت فيهم.

وهذه الرذيلة الأخلاقيّة الجاهليّة إذا انطلقت من التعصب العرقى والقبلى فإنّها تؤدّى إلى اندلاع النزاعات والحروب والعنف والصراعات الدمويّة التى حدثت فى التاريخ القديم والتاريخ المعاصر.

ولعل أحداً لم يأمن مخاطر الكبر والعصبيّة منذ التاريخ الجاهلى حتى تاريخنا الراهن. فقد نشب فى العصر الجاهلى قتالان عنيفان بين القبائل العربية باسم الفجار المعروفة فى التاريخ. حيث حدثت فجار الأُولى حين كان لفرد من قبيلة بنى كنانة دين بذمة رجل من قبيلة هوازن الذى ما كان يستطيع تسديد دينه؛ فشاهد الرجل الهوازنى قرداً فى سوق عكاظ (السوق الذى كان يعقد كلّ سنة قرب الطائف) وقال:

هل مِن رجل يبيعنى هذا القرد مقابل دينى من فلان الكنانى ومراده من هذا الكلام تحقير الرجل الكنانى الذى عجز عن تسديد دينه، وهنا قام رجل من كنانة فقتل القرد، فصرخ الهوازنى بوجه الرجل واستنجد الكنانى بقبيلته فاقتتلت القبيلتان قتالًا شديداً.

وفجار الثانيـة التى حـدثت بعد وفاة عبد المطلب، وسـببها أنّ فتى من قبيلة بنى غفار جلس فى زاوية من سوق عكاظ ومد رجليه وكان يقول: أنـا أفضـل العرب ومن لم يقبـل ذلـك فليقطع رجلىّ، فـانبرى له فتى جاهل من قبيلـة بنى قيس وسل سـيفه وضـربه على رجليه، فاقتتلت قبيلتيهما قتالًا شديداً حتى تصالحا بعد مدّة من

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۹۸

العداوة والخصومة[۵۸۴]، وما شـهده القرن العشـرين متمثلًا فى الحرب العالميـة الثانيـة وكان سـببها كما نعلم العصبيـة الألمانيّـة النازيّة والتى خلفت عشـرات الملا-يين من القتلى وعشـرات الملا-يين من الجرحى والعديـد من المفقودين وذلك الخراب العظيم الـذى حلّ بأوروبا وسائر دول العالم، وحتى اليوم فإنّ العوامل الرئيسيّة التى تقف وراء اعتـداءات المسـتكبرين والجناة الاسـرائيليين لا تسـتند إلى شىء سوى إلى الكبر والتعصب.

وبالنظر لما ذكرناه سابقاً نقف على عمق كلام الإمام عليه السـلام فى إظهاره لكلّ هـذا القلق من النتائج الوخيمة للكبر والعصبيّة، وفى ذلك ورد عن النّبى صلى الله عليه و آله:

«مَنْ كانَ فى قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَل مِنْ عَصَبِيَّة، بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ مَعَ أعْرابِ الْجاهِلِيَّةِ»[۵۸۵].

كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«مَنْ تَعصَّبَ او تُعصِّبَ لَهُ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَ الإيمانِ»[۵۸۶].

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۲۹۹

## القسم السادس

### اشارة

فَـاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْامَمَ الْمُسْـتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلَاتِهِ، ووَقَائِعِهِ ومَثُلَاتِهِ، واتَّعِظُوا بِمَثَاوِى خُـدُودِهِمْ، ومَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ، واسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ، كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ.

فَلورَخَّصَ اللَّهُ فِى الْكِبْرِ لِاحَـد مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وأَوْلِيَائِهِ؛ ولكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ، ورَضِىَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ، فَأَلْصَقُوا بِالْـارْضِ خُـدُودَهُمْ، وعَفَّرُوا فِى التُّرابِ وُجُوهَهُمْ. وخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وكَانُوا قَوْماً مُسْتَضْعَفِينَ. قَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَخْمَصَةِ، وابْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ، وامْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ، ومَخَضَهُمْ بِالْمَكَارِهِ. فَلَا تَعْتَبِرُوا الرِّضَى والسُّخْطَ بِالْمَالِ والْوَلَدِ جَهْلًا بِمَواقِعِ الْفِتْنَةِ، والْاخْتِبَارِ فِى مَوْضِعِ الْغِنَى والْاقْتِدَارِ، فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى:

(أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّال وبَنِينَ* نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الْخَيْرَاتِ بَلْ لَّا يَشْعُرُونَ). فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِى أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِى أَعْيُنِهِمْ.

### الشرح والتفسير: آفة التكبّر

لما فرغ الإمام عليه السـلام من تحـذيراته فى المقطع السابق من هـذه الخطبـة من تبعيـة المسـتكبرين والعصاة المتعصبين، أخذ فى هذا الجانب من الخطبة بيد مخاطبيه ليغوص بهم فى أعماق التاريخ ويوقفهم على مصير الأمم المستكبرة وأئمة الكبر

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۰۰

والغرور فى التاريخ القديم فقال:

«فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْامَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلَاتِهِ،[۵۸۷] ووَقَائِعِهِ ومَثُلَاتِهِ ۵۸۸]».

فقد عرض لنا القرآن الكريم كيف كانت عاقبة الطغاة سيئة ومصيرهم أسود كفرعون وجنوده حيث هلكوا غرقاً فى أمواج البحر وكانت أجسامهم طعمة لحيتان البحار، وطغاة مع أقوامهم هلكوا تحت الزلازل الشديدة ومنهم مَن أُمطروا بالحجارة أو خسف بهم الأرض ومنهم مَن قلبَ اللّه بهم مدنهم فجعل عاليها سافلها كقوم لوط، وطائفة أخذهم بالطوفان والعواصف التى جعلتهم كأعجاز النخل الخاوية كقوم عاد، بينما أخذ البعض الآخر بالصاعقة ليحيلهم أجساداً خاوية بطرفة عين كما قال تعالى فى محكم كتابه العزيز: «فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»[۵۸۹].

ثم قال عليه السلام:

«واتَّعِظُوا بِمَثَاوِى ۵۹۰] خُدُودِهِمْ، ومَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ،[۵۹۱] واسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ

مِنْ لَوَاقِحِ ۵۹۲] الْكِبْرِ، كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ».

يبدو أنّ الوصايا الثلاث التى ذكرها الإمام عليه السلام:

«اعتبروا» و «اتَّعِظُوا» و «اسْتَعِيذُوا»

إشارة إلى المراحل الثلاث التى تنتظر الإنسان اليقظ فى مسيرته نحو الحقّ حين تأمّله لسيرة الماضين: وأهمها مصير الأمم السابقة بما كانت تمتلكه من نعم وما كانت عليه من عزة وقدرة ثم الت إلى الزوال أثر الكبر والغرور، لكى يتعلم الدروس والعبر من تاريخ حياتهم ومماتهم فيستعيذ باللّه فى خاتمة المطاف حتى لا

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۰۱

يُصاب بالكبر والغرور.

وتشير العبارة

«كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ»

إلى آثار الكبر المشؤومة والتى تعد من الحوادث المريرة التى لا تقل عن الزلازل والعواصف والحوادث الطبيعية المفجعة الأخرى

ثم طرق هذا المعلم الربّانى العظيم سبيلًا آخر بغية خلق النفرة فى قلوبهم إزاء الكبر والغرور فقال عليه السلام:

«فَلَوْرَخَّصَ اللَّهُ فِي الْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وأَوْلِيَائِهِ؛ ولكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ، ورَضِىَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ، فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ، وعَفَّرُوا[۵۹۳] فِى التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ. وخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ،

وكَانُوا قَوْماً مُسْتَضْعَفِينَ».

لعل بعض المتكبرين يعتقدون أنّ التكبر يكشف عن الشخصية وأنّها بالتالى نعمة من نعم اللّه تعالى، فالإمام عليه السلام يشير إلى أنّ هذا العمل لوكان نعمة وكرامة لأنعم به تعالى على أنبيائه وأوليائه قبل كلّ شخص آخر؛ بينما نرى القضية معكوسة تماماً حيث كرَّهَ تعالى إليهم الكبر والغرور، والتواضع بمثابة تاج وضع على رؤوسهم، وعلى هذا الأساس عاشوا الخضوع للّه تعالى فكانوا يعفرون وجوههم بالتراب، كما عاشوا البساطة والتواضع للمؤمنين.

والعبارة:

«وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ»

كناية لطيفة عن التواضع، لأنّ الطيور حين تريد أن تحنو على فراخها تضمها تحت أجنحتها بعد أن تفتحها لها.

والعبارة:

«وَكانُوا قَوْماً مُسْتَضْعَفِينَ»

لا تفيد هنا معنى الضعف والعجز، بل تعنى أنّهم كانوا لا يتكبرون على أبناء مجتمعهم فهم عباد بُسطاء وأنّهم يشاطرون الآخرين

حياتهم.

ثم هم الإمام عليه السلام برفع الخطأ واللبس الذى شاب بعض المستكبرين الذين اعتقدوا بأنّ المال والأولاد علامات على القرب من اللَّه تعالى، فخاض فى بعض

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۰۲

التفاصيل من سيرة وحياة خاصة أولياء اللَّه وأنبيائه وما تعرضوا له من امتحانات واختبارات بعبارات فصيحة وبليغة ليركز على أربعة أنواع من الاختبارات فقال:

«قَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَخْمَصَةِ[۵۹۴]، وابْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ[۵۹۵]، وامْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ،

ومَخَضَهُمْ ۵۹۶] بِالْمَكَارِهِ».

فطرق اللَّه تعالى الامتحانيّة لا تحصى، فأحياناً بالنعمة وكذلك بالنقمة، وتارة بالمرض والسقم وأخرى بالصحة والعافية وثالثة بالعزّة وأخرى بسلبها؛ لكن يمكن تقسيم هذه الاختبارات إلى أقسام متعددة؛ الضيق فى المعيشة والجوع والعطش، الحوادث الشاقة والأليمة من قبيل المصائب التى تحملها المسلمون الأوائل فى شعب أبى طالب حتى مختلف الغزوات وحالة اللاأمن التى كان يفرضها عليهم خصوم الدعوة، إلى جانب الأمراض والمعاناة التى سادت حياة جميع أنبياء اللَّه، إنّما تعدّ دليلًا على هذه الامتحانات ومن ذلك حياة موسى بن عمران عليه السلام منذ ولادته حتى لجوئه إلى بيت النبى شعيب عليه السلام، وحين انبرى لدعوة الفراعنة وما أعقبها من حوادث أليمة والمصائب التى عاشها فى بنى اسرائيل، وكذلك مختلف المراحل التى شهدها نبى اللَّه إبراهيم عليه السلام فى حياته من بابل حتى أرض مصر ثم مكة ولا سيما سيرة النّبى الأكرم محمد صلى الله عليه و آله والغنية عن التوضيح، كلّها شواهد حية على هذا الأمر.

ثم خاض عليه السلام فى دفع خطأ مهم بعد ذكره لهذه المقدمة والذى أصيب به العديد من الناس فى الماضى والحاضر والذى يتمثل فى ظنهم بأنّ كثرة الأموال والأولاد دليل على التوفيق والسعادة والقرب من اللَّه تبارك وتعالى فقال عليه السلام:

«فَلَا تَعْتَبِرُوا

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۰۳

الرِّضَى والسُّخْطَ بِالْمَالِ والْوَلَدِ جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ، والْاخْتِبَارِ فِى مَوْضِعِ الْغِنَى والْاقْتِدَارِ».

ثم استدل عليه السلام بآية قرآنيّة أشارت صراحة إلى هذا الأمر فقال:

«فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى:

«أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وبَنِينَ* نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الْخَيْرَاتِ بَلْ لَّا يَشْعُرُونَ ۵۹۷]»».

ثم خلص من الآية الشريفة إلى هذه النتيجة فقال:

«فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِى أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِى أَعْيُنِهِمْ».

فالعبارة

«فِى أَنْفُسِهِمْ»

بشأن المستكبرين إشارة إلى أنّهم ليسوا على شىء من الفضيلة، بل هم عباد ضعاف وعاجزون يرون أنفسهم كباراً. والعبارة

«فِى أَعْيُنِهِمْ»

(استناداً لعودة الضمير للمستكبرين) تشير إلى أنّ عباد اللَّه ليسوا ضعافاً وعاجزين قط، بل المستكبرون يظنونهم مستضعفين بفعل زهدهم وورعهم وتقواهم وطاعتهم لأوامر اللَّه، ومن هنا يتّضح اختلاف مفردة المستضعف هنا مع ما وردت فى العبارة السابقة حيث قال عليه السلام الأنبياء مستضعفون إشارة إلى تواضعهم ووزهدهم وبساطة حياتهم، وقوله أولياء اللَّه المستضعفين فى عين المستكبرين

إشارة إلى الضعف والعجز والذلّة التى يظنونها.

### تأمّل

### تصحيح خطأ

أشارت العديد من الآيات القرآنيّة إلى هذا الموضوع حيث إنّه كان فى الأقوام السابقة بعض الأفراد الذين يعتقدون بأنّ كثرة الاموال والأولاد دليل على القرب من اللَّه تعالى، وقد دفع بهم هذا التصور الخاطئ لأنّ يعتقدوا لأنفسهم ببعض المقامات المعنويّة بموازاة تلك الإمكانات الماديّة الضخمة ليوردوا هذا الأمر بصيغة مغالطة

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۰۴

فيزعموا أنّ هذه نعم اللَّه فمن شمله اللَّه بهذه النعم فقد أحبّه، ومن أحبّه اللَّه كان مقرّباً منه، وعلى هذا الأساس كانوا ينظرون باستخفاف إلى المؤمنين على المستوى المادى والمعنوى.

وقد غفلوا عن أنّ إفاضة الإمكانات الماديّة إنّما يستند إلى عدة عوامل، فقد تكون نعمة من نعم اللَّه، كما قد تكون للامتحان والاختبار أو الاستدراج للعذاب، أى أنّ اللَّه سبحانه وتعالى إنّما يتابع نعمه على بعض الأفراد الذين لا يمكن إصلاحهم فيسلبها تعالى منهم بغتة ليكون ذلك أشد وقعاً على قلوبهم وأكثر إيلاماً. والقضية أشبه بالضبط بذلك المعتدى الذى يتسلق شجرة مثمرة ثم يأخذ بالتسلق شيئاً فشيئاً حتى يسقط فجأة فتتحطم جميع عظامه.

***

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۰۵

## القسم السابع

### اشارة

ولَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ ومَعَهُ أَخُوهُ هَارُونَ (عليهما السلام) عَلَى فِرْعَوْنَ، وعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ، وبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ، فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ، ودَوَامَ عِزِّهِ؛ فَقَالَ:

«أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِى دَوَامَ الْعِزِّ، وبَقَاءَالْمُلْكِ؛ وهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ والذُّلِّ، فَهَلَّا أُلْقِىَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَب»؟ إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وجَمْعِهِ، واحْتِقَاراً لِلصُّوفِ ولُبْسِهِ! ولَوأَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ، ومَعَادِنَ الْعِقْيَانِ، ومَغَارِسَ الْجِنَانِ، وأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّماءِ ووُحُوشَ الْأَرَضِينَ لَفَعَلَ، ولَوفَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ، وبَطَلَ الْجَزَاءُ، واضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ، ولَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلِينَ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحسِنِينَ، وَلَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا. ولكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِى قُوَّة فِى عَزَائِمِهِمْ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَة تَمْلَا الْقُلُوبَ والْعُيُونَ غِنىً، وخَصَاصَة تَمْلَا الْأَبْصَارَ والْأَسْمَاعَ أَذىً.

### الشرح والتفسير: درس وعبرة فى قصة موسى عليه السلام

تابع الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة من خلال طريق آخر ينطوى على الدروس والعبر ذم الكبر والغرور والعصبية التى تشكل المحور الأصلى لهذه الخطبة، فأشار إلى قصّة موسى بن عمران عليه السلام حين دخل مع أخيه هارون على

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۰۶

فرعون وكانا يرتديان تلك الثياب البسيطة فتعرضا إثر ذلك لاستخفاف فرعون المتكبر فقال عليه السلام:

«وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونَ عليهما السلام عَلَى فِرْعَوْنَ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ [۵۹۸] الصُّوفِ، وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ،[۵۹۹] فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ

مُلْكِهِ، وَدَوَامَ عِزِّهِ».

فقد دخل موسى وهارون عليهما السلام بذلك اللباس البسيط وعصا الرعى على فرعون ليحطما كبرياءه وطغيانه ويبيّنا له ولحاشيته أنّ العزّة ليست فى الأموال والكنوز وكثرة الخدم ليعلنا نهاية ذلك النوع من العيش وانطلاقة العهد الجديد فى الحكومة الإلهيّة بواسطة المستضعفين.

ثم واصل عليه السلام حديثه فتطرق إلى ردود الفعل التى ابداها فرعون إزاء دعوة موسى وهارون فقال عليه السلام:

«فَقَالَ: «أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِى دَوَامَ الْعِزِّ، وَبَقَاءَ الْمُلْكِ؛ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ[۶۰۰] مِنْ ذَهَب»؟

إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ، وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ!».

نعم! فالنظام المادى للجهاز الفرعونى يدور حول هذا المحور فى أنّ من كانت إمكاناته فى الذهب والجواهر أكثر كانت شخصيته أسمى، وثياب الصوف البسيطة إنّما هى لباس الشخصيات الوضيعة فى المجتمع؛ أى لم يكن هنالك أى دور للقيم الإنسانيّة فى بيان شخصية الإنسان فى ظلّ ذلك النظام، والقيم الاعتبارية والخيالية هى التى تحدد معيار الشخصية.

وقد تعرض الإمام عليه السلام لشرح هذه الحقيقة بعبارات غاية فى الروعة والبيان والتى لم تكن لها آنذاك قيمة واقعية بينما كان يحسبها كذلك فرعون وحاشيته فقال:

«وَلَوْأَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِانْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ [۶۰۱]، وَمَعَادِنَ

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۰۷

الْعِقْيَانِ [۶۰۲]، وَمَغَارِسَ [۶۰۳] الْجِنَانِ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرَضِينَ

لَفَعَلَ، وَلَوفَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلِينَ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا».

إشارة إلى أنّ الحكيم تبارك وتعالى يستطيع أن يمد أنبياءه بجميع أسباب القوّة ويزينهم بمختلف صنوف الذهب والمجوهرات والثروات ويغدق عليهم القصور ووسائل الراحة، بل يجعل أنبياءه أغنى الملوك والسلاطين- لأنّه خالق السماوات والأرض ومالك كلّ شيء- لكنه حكيم فإن فعل ذلك سيزول الهدف الأصلى لبعث الأنبياء والدعوة إلى اللّه تعالى، بل ستكون النتيجة معكوسة وتتحول القيم والمثل إلى ما يضادها ويفسد الإيمان وتسوء الأخلاق والتربية.

ولذلك خاض الإمام عليه السلام فى تفاصيل ست مفاسد فى بيان الآثار السيئة لمثل هذا الأمر وهى:

۱. انعدام معطيات الامتحان الإلهى للعباد فى ظلّ هذه الظروف، ذلك لأنّ الأفراد غير المؤمنين وبسبب ما عليه الأنبياء من إمكانات وزينة سيندفعون إليهم دون الاقتناع بمنهجهم ودعوتهم.

۲. زوال ثواب المحسنين، ذلك لأنّ إيمانهم لا يكون خالصاً فى ظلّ تلك الشرائط.

۳. لا يعدّ الوعد الإلهى وأخبار الوحى بشأن الحلال والحرام دافعاً لطاعة الناس، بل الدوافع الماديّة هى التى تحركهم، كما أنّ سيرتهم سوف لن تعدّ أسوة ونموذجاً للعباد.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۰۸

۴. سوف لن يحصل المؤمنون بالأنبياء على الأجر الجزيل الذى يناله المجاهدون فى سبيل اللّه.

۵. لا يستحق المؤمنون المخلصون ثواب المحسنين ذلك لأنهم لم يتحملوا عناءً.

۶. بعض الصفات المقدّسة والأسماء من قبيل المؤمن والصالح والمجاهد والمخلص سوف تفقد مصاديقها الواقعية كما ستفقد بعض الصفات التى تنسب إلى الأنبياء من قبيل الزهد والورع والتقوى وعدم التعلق بالدنيا مفهومها ومعناها.

ثم قال الإمام عليه السلام فى توضيحه لهذا المعنى:

«ولكِنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِى قُوَّة فِى عَزائِمِهِمْ، وَضَعَفَةً فِيما تَرَى الأَعْيُنُ مِنْ حالاتِهِمْ، مَعَ قَناعَة تَمْلَا الْقُلُوبَ والْعُيُونَ غِنىً، وخَصاصَة[۶۰۴] تَمْلَا الأَبْصارَ والأَسْماعَ أذىً».

فالواقع إنّهم كانوا رجالًا أشداء باستطاعتهم اقتناء الذهب والمجوهرات ووسائل الزينة، إلّاأنّهم جعلوا كلّ أسباب الترف ومباهج الدنيا التى تعدّ مصدراً للكبر والغرور والفخر والعجب والأنانيّة وراء ظهورهم، وجعلوا الهدف الرسالى أمام عيونهم.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۰۹

## القسم الثامن

### اشارة

ولَوْكانَتِ الأَنْبِياءُ أَهْلَ قُوَّة لَاتُرَامُ، وعِزَّة لَاتُضامُ، ومُلْك تُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْناقُ الرِّجالِ، وتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحالِ، لَكانَ ذلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِى الإِعْتِبارِ، وأَبْعَدَ لَهُمْ فِى الإِسْتِكْبارِ، ولَامَنُوا عَنْ رَهْبَة قاهِرَة لَهُمْ، أَورَغْبَة مائِلَة بِهِمْ، فَكانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً، وَالْحَسَناتُ مُقْتَسَمَةً. ولكِنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ أَرادَ أَنْ يَكُونَ الاتِّباعُ لِرُسُلِهِ، والتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ، والْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ، والاسْتِكانَةُ لِامْرِهِ، والاسْتِسْلامُ لِطاعَتِهِ، أُمُوراً لَهُ خاصَّةً لَاتَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ. وكُلَّما كانَتِ الْبَلْوَى والاخْتِبارُ أَعْظَمَ كانَتِ الْمَثُوبَةُ والْجَزاءُ أَجْزَلَ.

### الشرح والتفسير: زهد الأنبياء

أشار الإمام عليه السلام فى القسم السابق من الخطبة بوضوح إلى الحياة المتواضعة للأنبياء ومنهم موسى بن عمران عليه السلام، ثم واصل كلامه فى هذا الجانب من الخطبة لبيان الآثار المعنويّة والتربويّة للبساطة والتواضع فقال:

«ولَوْكانَتِ الأَنْبِياءُ أَهْلَ قُوَّة لَا تُرامُ ۶۰۵]، وعِزَّة لَاتُضامُ ۶۰۶]، ومُلْك تُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْناقُ الرِّجالِ، وتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ[۶۰۷] الرِّحالِ ۶۰۸]، لَكانَ ذلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِى الإِعْتِبارِ، وأَبْعَدَ لَهُمْ فِى الإِسْتِكْبارِ،

نفحات الولاية ؛ ج۷ ؛ ص۳۰۹

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۱۰

ولَامَنُوا عَنْ رَهْبَة قاهِرَة لَهُمْ، أَورَغْبَة مائِلَة بِهِمْ، فَكانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً، وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً».

نعم، فالمحور الأصلى الذى حظى باهتمام الأنبياء هو الإخلاص وطهارة النيّة، والحقّ أنّ الأنبياء عليهم السلام لو كانوا ذوى قوّة قاهرة وملكوا كنوز الأرض وعاشوا حياتهم فى القصور مترفين كالسلاطين لما اعتبر بهم الناس، وإذا آمن بهم البعض فإمّا عن خوف من سلطانهم، وإمّا عن طمع فى ملكهم، حيث

«النّاسُ عَبيدُ الدّنيا».

ثم قال عليه السلام مؤكدا هذا الكلام:

«ولكِنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ أَرادَ أَنْ يَكُونَ الاتِّباعُ لِرُسُلِهِ، والتَّصْديقُ بِكُتُبِهِ، والْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ، والاسْتِكانَةُ[۶۰۹] لِامْرِهِ، والاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ،

أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً لَاتَشُوبُهَا[٦١٠] مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ».

فقد أشار الإمام عليه السلام فى الواقع إلى خمسة أشياء ينبغى أن تتم جميعها على أساس الإخلاص فى النيّة وهى: ١. قبول دعوة الأنبياء، ٢. التصديق بالكتب السماوية، ٣. الخشوع العملى للذّات الإلهيّة القدسيّة، ۴. التسليم القلبى لأوامر اللَّه، ۵. التسليم العملى وإمتثال الأوامر، وعلى هذا الأساس ينبغى أن ينطلق الإيمان والعمل والأخلاق من قاعدة الإخلاص؛ فقد قال تعالى فى القرآن الكريم: «أَلَا اللَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ»[٦١١] وقال تعالى فى موضع آخر: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ»[٦١٢].

ثم أشار عليه السلام فى مواصلته لكلامه إلى هذه النتيجة فقال:

«وكُلَّمَا كانَتِ الْبَلْوَى والاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كانَتِ الْمَثُوبَةُ والْجَزَاءُ أَجْزَلَ».

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٣١١

إشارة إلى أنّ بساطة حياة الأنبياء وانصرافهم عن زخارف الدنيا وزبرجها جعل المؤمنين إزاء امتحان أشدّ صعوبة، وبالطبع كلّ ما كان الامتحان أشق وأصعب كان الأجر والثواب أعظم وأبلغ وهذا فى الواقع درس عظيم فى الإخلاص لجميع الأفراد الذين يسعون إلى السير على خط الأنبياء حيث ينبغى أن يسيروا على نفس النهج ليستطيعوا إعداد الأتباع المخلصين.

***

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٣١٣

## القسم التاسع

### اشارة

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ، سُبْحَانَهُ، اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هذَا الْعَالَمِ؛ بِأَحْجَار لَاتَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ.

فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ «الَّذِى جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِياماً». ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الْأَرْضِ حَجَراً، وأَقَلِّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدَراً، وأَضْيَقِ بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ قُطْراً. بَيْنَ جِبَال خَشِنَة، ورِمَال دَمِثَة، وعُيُون وَشِلَة، وقُرًى مُنْقَطِعَة؛ لَايَزْكُوبِهَا خُفٌّ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ. ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ووَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ، وغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ. تَهْوِى إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَار سَحِيقَة ومَهَاوِى فِجَاج عَمِيقَة، وجَزَائِرِ بِحَار مُنْقَطِعَة، حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلًا يُهَلِّلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ، ويَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَهُ. قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ، ابْتِلَاءً عَظِيماً، وامْتِحَاناً شَدِيداً، واخْتِبَاراً مُبِيناً، وتَمْحِيصاً بَلِيغاً، جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ، ووُصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ.

### الشرح والتفسير: الدروس والعبر فى بيت اللَّه

سلك الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة سبيلًا آخر لمتابعة الغاية الأصلية التى تتمثل فى القضاء على التكبر والدعوة للبساطة والتواضع ليشرحه بعبارات غاية فى الروعة والجمال والبلاغة بحيث عجز البلغاء والفصحاء أن يأتوا بمثلها فقال:

«أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ، سُبْحَانَهُ، اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٣١۴

هذَا الْعَالَمِ؛ بِأَحْجَار لَاتَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ. فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ

«الَّذِى جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِياماً»».

فالذى يستفاد من هذه العبارة أنّ الكعبة التى هى أقدم معبد فى العالم قد بنيت لأوّل مرّة فى زمن آدم عليه السلام (ثم جدد بناؤها على عهد إبراهيم الخليل عليه السلام) كما يفهم أنّ بساطتها ومواد بنائها البدائيّة تهدف إلى عدم لفت انتباه الآخرين إلى جانبها وبعدها المادى، بل الاستغراق فى أبعادها المعنويّة حيث بيّن عليه السلام: أنّ الكعبة تحظى بمركزية يتوجه إليها الجميع ليأتوا كلّ سنة لأداء شعائر الحجّ ومناسكه بما يؤدّى إلى تنامى شوكة المسلمين وقوّتهم وعزّتهم ووحدتهم وسمّوهم وعلوّ شأنهم ومبادئهم فى مختلف الاتجاهات.

فالعبارة الواردة فى كلام الإمام عليه السلام اقتباس من الآية الشريفة: ۹۷ من سورة المائدة التى تقول: «جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِياماً لِّلنَّاسِ».

وقد ورد

«القيام»

هنا كمصدر بمعنى اسم الفاعل أى تقويم حياة الناس من الناحية الماديّة والمعنويّة، على غرار الدعائم القوية التى يقوم عليها البيت والخيمة.

فبيت اللّه هو رمز الوحدة وقوّة المسلمين ورفعتهم وعظمتهم من جانب ومن جانب آخر فإنّه ينطوى على المناسك التى تطهر القلب من دنس المعصية وتفيض عليه نور الهدى وتغمره بالرحمة الإلهيّة.

ولما فرغ الإمام عليه السلام من ذكر بساطة الكعبة، عرج على التعرض لخصائص الأرض التى تضم البيت وهى مكة فقال:

«ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ[۶۱۳] بِقَاعِ الْأَرْضِ حَجَراً،

وأَقَلِّ نَتَائِقِ ۶۱۴] الدُّنْيا مَدَراً[۶۱۵]. وأَضْيَقِ بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ قُطْراً[۶۱۶]. بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَة، ورِمَالٍ

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۱۵

دَمِثَةٍ[۶۱۷]، وعُيُونٍ وَشِلَةٍ[۶۱۸]، وقُرًى مُنْقَطِعَةٍ؛ لَايَزْكُو[۶۱۹] بِهَا خُفٌّ ۶۲۰]، وَلَا حَافِرٌ[۶۲۱] وَلَا ظِلْفٌ ۶۲۲]».

فقد كشف الإمام عليه السلام بهذه الصفات الثمان لأرض مكة عن محروميّة هذه الأرض من مختلف الجهات؛ فقد تحدّث بادئ الأمر عن وعورتها وصعوبتها بحيث يرى كلّ من تشرف بها أنّ بيت اللّه واقع فى واد ضيق بين الجبال الشامخة والقاحلة والتى يصعب تسلقها، حتى استطاعوا اليوم حفر العديد من الأنفاق والمنعطفات لشقّ الشوارع التى يمكنها اختراق تلك الجبال بغية مرور الناس عليها.

ثم أشار عليه السلام إلى قلة التربة الصالحة للزراعة؛ والحقّ أن كذلك، حيث يضطرون اليوم لحمل التربة من المناطق القريبة والنائية إليها بغية غرس بعض الأشجار، ثم تطرق عليه السلام إلى ضيق وديانها، فنحن نعلم أنّ الوديان الواسعة التى تضم الأراضى الزراعيّة الصالحة للزراعة تعدّ من أفضل البقاع لمعيشة الإنسان، والعديد من المدن الكبيرة إنّما تقع فى مثل هذه الوديان، بينما تتعذر الحياة والعيش بأى شكل من الأشكال فى الوديان الضيقة.

ثم أشار عليه السلام إلى جبال مكة الوعرة التى قلما ينموفيها نبات والرمال الناعمة التى يصعب السير عليها، وتنقلها الرياح من مكان إلى آخر وعيونها قليلة المياه، والمناطق المعمورة المتفرقة على تلك الصحارى الجرداء والتى تتوسطها، ليتطرق بالتالى إلى عدم صلاحية تلك الأرض لتربية الحيوانات الأليفة كالجمل والبقر والشاة. حقّاً لولم يكن بيت اللّه وسط تلك الجبال فإنّ أحداً سوف لن يفكر أن تكون مكة موضع سكناه إلّا أنّ اللّه تبارك وتعالى اختار هذه المنطقة كأفضل موضع للعبادة

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۱۶

ودعى المستطيعين كافّة إلى التوجه إليها للإتيان بمناسك الحج بهدف تهذيب النفوس والقضاء على آثار الكبر والغرور.

وهذه هى الحقيقة التى أذعن لها خليل اللّه إبراهيم عليه السلام الذى أمر بإعادة بناء الكعبة حيث قال: «رَبَّنا إِنّى أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَاد غَيْرِ ذِى زَرْع عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ»[۶۲۳].

وحين فرغ الإمام عليه السلام من ذكر موضع البيت وخصائص أرض مكة، تطرق إلى شعيرة الحج وزيارة بيت اللّه الحرام الذى بدأ منذ خلق آدم وسيستمر حتى نهاية الخليقة فقال:

«ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا[۶۲۴] أَعْطَافَهُمْ ۶۲۵] نَحْوَهُ، فَصَارَ مَثَابَةً[۶۲۶] لِمُنْتَجَعِ ۶۲۷] أَسْفَارِهِمْ، وَغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ ۶۲۸]. تَهْوِى إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ[۶۲۹] قِفَار[ ۶۳۰] سَحِيقَة[۶۳۱] وَمَهَاوِى ۶۳۲] فِجَاج ۶۳۳] عَمِيقَة، وَجَزَائِرِ بِحَار مُنْقَطِعَة».

فهذه العبارات الرائعة للإمام عليه السلام اقتباس من الآيات القرآنيّة الشريفة، حيث اعتبر الإمام عليه السلام مكة بصفتها «مثابة» على غرار ما صرح به القرآن الكريم: «وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا»[۶۳۴]. كما عبّر عنها بالمنتجع (الموضع الذى يقصد لتحقيق المنافع) كما جاء فى الآية القرآنيّة الشريفة: «لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ»[۶۳۵]. والعبارة

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۱۷

«تهوى إليه ثمار الأفئدة»

اقتباس من الآية الشريفة: «فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ»[۶۳۶].

وتنسجم العبارة

«من مفاوز قفار»

مع الآية الشريفة: «وَأَذِّنْ فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالا وَعَلَى كُلِّ ضامِر يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجّ عَمِيق»[۶۳۷].

وهكذا تحدّث عن توجّه مختلف الأقوام من مناطق العالم إلى مكة وأردفها بالإشارة إلى مناسك الحج والأعمال التى تختزن الدروس والعبر فقال:

«حَتَّى يَهُزُّوا[۶۳۸] مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلًا يُهَلِّلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ، وَيَرْمُلُونَ ۶۳۹] عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً[ ۶۴۰] غُبْراً[ ۶۴۱] لَهُ. قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ ۶۴۲] وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَشَوَّهُوا[۶۴۳] بِإِعْفَاءِ[۶۴۴] الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ».

فقد أشار الإمام عليه السلام بهذه العبارة القصيرة إلى جانب من مناسك الحج من قبيل ارتداء ملابس الإحرام وترك ما يحرم على المحرم من الزينة، وكذلك الطواف حول البيت والسعى بين الصفا والمروة وفق آداب معينة ينطوى كلّ واحد منها على تعليمات تربوية من دروس الحج، والحقّ لا يسع الإنسان الوقوف على عمق تأثير هذه التعليمات ما لم يؤدّى الإنسان تلك المناسك ويطلع عن كثب على هذا المشروع التهذيبى. ثم قال عليه السلام فى مواصلته لكلامه:

«ابْتِلَاءً عَظِيماً، وَامْتِحَاناً شَدِيداً، وَاخْتِبَاراً مُبِيناً، وَتَمْحِيصاً بَلِيغاً، جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ، وَوُصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ».

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۱۸

فالتعبير بالابتلاء والامتحان والاختبار يدل جميعاً على الامتحان، إلّاأنّها ذكرت مرّة بوصف عظيم وأخرى شديد وثالثة مبين، والمراد الامتحان المهم للغاية الذى يكون كبيراً وشديداً وواضحاً، وامتحان الحج ينطوى على هذه الصفات الثلاث.

والعبارة

«تَمْحِيصاً بَلِيغاً»

إشارة إلى نتيجة هذا الامتحان الذى يترك بصماته العميقة فى تطهير القلوب واخلاص النيات، حيث ورد فى الخبر أنّ زائر بيت اللّه بعد إتيانه بتلك المناسك العظيمة يعود كما ولدته امّه، حيث قال الإمام الصادق عليه السلام: قال أبى:

«مَنْ أَمَّ هذَا الْبَيْتَ حاجّاً أومُعْتَمِراً مبِرأً مِنَ الْكِبْرِ، رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَهيئَةِ يَوْمَ وَلَدَتْه أُمُّهُ»[۶۴۵].

وبالطبع فإنّ كلّ هـذه الكلمات فى إطار تحقيق هـدف الخطبـة المتمثل بمكافحـة الكبر والغرور والعجب والأنانيّة، لأنّ الحج يخلع عن الإنسان ثوب الغرور والكبر ويلقنه درس التواضع والإخلاص.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۱۹

## القسم العاشر

### اشارة

ولَوأَرَادَ سُبْحَانَهُ أنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ، ومَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَّات وأَنْهَار، وسَهْل وقَرَار، جَمَّ الأَشْجَارِ، دَانِىَ الثِّمَارِ، مُلْتَفَّ الْبُنَى، مُتَّصِلَ الْقُرَى، بَيْنَ بُرَّة سَمْرَاءَ، ورَوْضَة خَضْرَاءَ، وأَرْيَاف مُحْدِقَة، وعِرَاص مُغْدِقَة، ورِيَاض نَاضِرَة، وطُرُق عَامِرَة، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ. ولَوكَانَ الْاسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا، والأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا، بَيْنَ زُمُرُّدَة خَضْرَاءَ، ويَاقُوتَة حَمْرَاءَ، ونُور وضِيَاء، لَخَفَّفَ ذلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِى الصُّدُورِ، ولَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، ولَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ، ولكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، ويَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ، ويَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِى نُفُوسِهِمْ، ولِيَجْعَلَ ذلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَى فَضْلِهِ، وأَسْبَاباً ذُلُلًا لِعَفْوِهِ.

### الشرح والتفسير: الكعبة المقدّسة

واصل الإمام عليه السلام هنا ماذكره فى المقطع السابق من الخطبة، فأشار إلى هذه النقطة وهى أنّ اللَّه كان قادراً على أن يجعل البيت فى أروع البقاع مناخاً، ويشيدها ويزينها بالأحجار الكريمة؛ إلّا أنّه لم يفعل ذلك خشية إلتفات الناس وتركيزهم على الجوانب الماديّة فيقلّ أجرهم وثوابهم، فأشار عليه السلام لهذا الأمر بعبارات بمنتهى الروعة والجمال بما يعجز الآخرون عن الإتيان بمثله فقال عليه السلام:

«ولَوأَرَادَ سُبْحَانَهُ أنْ يَضَعَ

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۲۰

بَيْتَهُ الْحَرَامَ، ومَشَاعِرَهُ ۶۴۶] الْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَّات وأَنْهَار، وسَهْل وقَرَار، جَم ۶۴۷] الأَشْجَارِ،
دَانِىَ الثِّمَارِ، مُلْتَفَ ۶۴۸] الْبُنَى،[۶۴۹] مُتَّصِلَ الْقُرَى، بَيْنَ بُرَّة[۶۵۰] سَمْرَاءَ،[۶۵۱] ورَوْضَة خَضْرَاءَ،
وأَرْيَاف ۶۵۲] مُحْدِقَة[۶۵۳]، وعِرَاص ۶۵۴] مُغْدِقَة[۶۵۵]، ورِيَاض نَاضِرَة[۶۵۶]، وطُرُق عَامِرَة، لَكَانَ قَدْ
صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ».

فقد رسم الإمام عليه السلام صورة رائعة ودقيقة لمنطقة نضرة من خلال اثنتى عشرة صفة مختلفة.

فذكر الإمام عليه السلام كلّما ينبغى ذكره بهذا الخصوص فأشار عليه السلام بدقّة متناهية إلى جميع مواضع الجمال التى تتصف بها الأرض الجميلة والمعمورة فبلغ بها منتهى الفصاحة والبلاغة والبديع والبيان، فالواقع لو كان البيت فى منطقة نظرة حسنة جميلة المناخ، لتبدل إلى مُتنزَّه لطيف يقصده الناس من أجل الاستجمام والرفاهية، ولزالت الدروس التربوية والأخلاقيّة للحج.

ثم قال عليه السلام بشأن بنيان الكعبة:

«ولَوكَانَ الْاسَاسُ ۶۵۷] الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا، والأَحْجَارُ
الْمَرْفُوعُ بِهَا، بَيْنَ زُمُرُّدَة خَضْرَاءَ، ويَاقُوتَة حَمْرَاءَ، ونُور وضِيَاء، لَخَفَّفَ ذلِكَ

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۲۱

مُصَارَعَةَ[۶۵۸] الشَّكِّ فِى الصُّدُورِ، ولِوَضْعِ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، ولِنَفْىِ مُعْتَلَجَ ۶۵۹]

الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ».

قطعاً أنّ فلسفة الحج تهدف إلى دفع الإنسان إلى مقاومة هوى النفس والوساوس الشيطانيّة، وتصبح هذه المقاومة ضعيفة إن كانت لهذه المناسك مسحة جماليّة، بينما تصبح مقاومة الوساوس الشيطانيّة والأهواء النفسيّة أقوى حين تقام هذه المناسك بنوع من الصعوبة والمشقّة فى ذلك الوسط الجاف والبسيط؛ وعلى هذا الأساس تشتد مقاومة عباد اللّه ويصبح إيمانهم أقوى وأرسخ وتنفعهم الآثار التربويّة للحج.

والمراد من

«مُصَارَعَةَ الشَّكِّ»

مبارزة وساوس الشك والهواجس التى تخطر على قلب المؤمن وهى الوساوس الباطنيّة، والمراد من «مجاهدة إبليس» وساوسه الخارجيّة، ومفهوم العبارة

«مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ»

تلاطم أمواج الشكوك التى تطغى على المؤمنين فى التكاليف الدينيّة الشاقة، و

«شكّ» و «ريب»

وإن فسّرت بمعنى واحد إلّا أنّ بعض أرباب اللغة ذهب إلى أنّ الريب بمعنى الشك والترديد الذى يرفع عنه الغطاء لاحقاً، بينما يمكن أن يكون الشك باقياً.

ثم خلص الإمام عليه السلام إلى نتيجة كلّية فقال:

«ولكِنَّ اللّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، ويَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ، ويَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِى نُفُوسِهِمْ، ولِيَجْعَلَ ذلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً[ ۶۶۰] إِلَى فَضْلِهِ، وأَسْبَاباً

ذُلُلًا[ ۶۶۱] لِعَفْوِهِ».

إشارة إلى أنّ الواجبات الشرعيّة كالصوم والصلاة والحج والزكاة والخمس

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۲۲

والجهاد فى سبيل اللّه وكذلك بعض النواهى وترك الأهواء والرغبات غالباً ما تكون ثقيلة وشاقة، لتتميز صفوف المطيعين والمتواضعين إزاء أوامر اللّه من العصاة والمتكبرين عبدة الأهواء، ولولا ذاك لما إمتازت هذه الصفوف عن بعضها البعض الآخر.

والمفردات

«شدائد» و «مجاهد» و «مكاره»

وإن كانت متقاربة المفهوم والمعنى وأنّها تشير جميعاً إلى الأعمال الشاقّة والصعبة، لكنها تستند إلى ثلاث رؤى؛ الشدّة التى تتطلب الصبر والمشقّة التى تستلزم التحمل والحلم والكراهية التى تقتضى الصبر والاستقامة.

جدير ذكره أنّ الإمام عليه السلام قد بين أربع نتائج من قبيل اللازم والملزوم لهذا الأمر وهى: ۱. إزالة الكبر من القلوب. ۲. استبداله بالتواضع الذى يمثل الهدف الأصلى للخطبة. ۳. فتح أبواب الجنّة. ۴. شمول العفو والرحمة.

### تأمّل

### «أفْضَلُ الْاعْمالِ أحْمَزُها»!

ما ورد آنفاً فی کلام الإمام علیه السلام هوعین ما صرحت به الروایات

«أَفْضَلُ الْاعْمالِ أَحْمَزُها»[۶۶۲]

ویشیر هـذا الحـدیث المروی عن النّبی الأکرم صـلی الله علیه و آله إلی أنّ الطاعـة وأعمال الخیر تختزن أجراً وثواباً أعظم کلّما کانت الطاعة وأعمال الخیر شاقة علی الجسم عند الإمتثال.

«احْمَزَ»

من مادة

«حَمْز»

تعنی لغویاً الشدّة والصعوبة والمشقّة، ویفید هذا التعبیر أنّ للأعمال الشاقّة والثقیلة والمجهدة قیمة عظیمة عند اللَّه تعالی. وسبب ذلک واضح فهی تتطلب قوّة وطاقة أکبر علی مستوی الروح والجسم بغیة الإتیان بها، ونعلم جمیعاً أنّ أجر الأعمال وثوابها علی قدر مشقّتها والقوّة اللازمة للإتیان بها.

نفحات الولایه، ج۷، ص: ۳۲۳

ولا تقتصر هـذه القوّة علی الجانب البـدنی (مثل حـج بیت اللَّه مشیاً علی الأقدام فی ظلّ ظروف تشیر إلی عظمة هذه السنة) فغالباً ما تتعداها إلی الجانب الروحی والمعنوی؛ فمثلًا «إخلاص النیّة» بحیث لا یقارفها أی شائبة فی التوجه لغیر اللَّه لا تبدو عملیة سهلة وبالأمر الهیّن، وکذلک یبدو التواضع والخشوع الذی لا ینسجم مع روحیة الإنسان المتمردة أمراً فی غایة الصعوبة، ومن هنا شق علی إبلیس تحمله فشق علی نفسه عصی الطاعة والعبودیة وإلی الأبد.

فکلّ مشقّة من هذه المشقات توجب عظیم الثواب والأجر من جهة وتهذب النفس البشریّة وعلی هذا الضوء کانت الریاضات مدعاة لصفاء النفس وقوتها واقتدارها.

وبالطبع فإنّ مکافحة الکبر والعصبیة التی تعدّ الموضوع الأصلی لهذه الخطبة لمن أبرز مصادیق الحدیث الشریف

«أَفْضَلُ الْاعْمالِ أَحْمَزُها»

کما أنّ حج بیت اللَّه الحرام فی تلک البقعة الصعبة والوعرة والمحرقة وطبق آدابها المعروفة لتشق علی النفس البشریّة؛ من قبیل الإحرام والسعی بین الصفا والمروة وطواف بیت اللَّه والوقوف بصحراء عرفة والمشعر ومنی وحلق الرأس وهی من المصادیق الأخری الواضحة للحدیث الشریف.

***

نفحات الولایه، ج۷، ص: ۳۲۵

## القسم الحادی عشر

### اشارة

فَاللَّهَ اللَّهَ فِی عَاجِلِ الْبَغْیِ، وآجِلِ وَخَامَهِٔ الظُّلْم، وسُوءِ عَاقِبَهِٔ الْکِبْرِ، فَإِنَّهَا مَصْیَدَهُٔ إِبْلِیسَ الْعُظْمَی، ومَکِیدَتُهُ الْکُبْرَی، الَّتِی تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَهَٔ السُّمُوم الْقَاتِلَهِٔ، فَما تُکْدِی أَبَداً، وَلَا تُشْوِی أَحَداً، لَا عَالِماً لِعِلْمِهِ، ولَا مُقِلًّا فِی طِمْرِهِ. وعَنْ ذلِکَ مَا حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِینَ بِالصَّلَوَاتِ والزَّکَوَاتِ، ومُجَاهَدَهِٔ الصِّیَام فِی الْأَیَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ، تَسْکِیناً لِاطْرَافِهِمْ، وتَخْشِیعاً لِابْصَارِهِمْ، وتَذْلِیلًا لِنُفُوسِهِمْ، وتَخْفِیضاً لِقُلُوبِهِمْ، وإِذْهَاباً لِلْخُیَلَاءِ عَنْهُمْ، ولِمَا فِی ذلِکَ مِنْ تَعْفِیرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً، والْتِصَاقِ کَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالْارْضِ

تَصَاغُراً، ولُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلًا؛ مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الأَرْضِ وغَيْرِ ذلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ والْفَقْرِ.

انْظُرُوا إِلَى مَا فِي هذِهِ الأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ الْفَخْرِ، وقَدْعِ طَوَالِعِ الْكِبْرِ.

## الشرح والتفسير: آفة الكبر والغرور

واصل الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الخطبة متابعة الهدف الأصلي لهذه الخطبة والذي يتمثل بذم الكبر والغرور واستعراض سوء آثاره، غير أنّه سلك طريقاً رائعاً بهذا الخصوص فاتجه صوب الفرائض والعبادات والواجبات ليبين مدى تأثيرها في القضاء على آثار الكبر والغرور.

فحذر بادئ الأمر وبصورة كلية من العواقب السيئة للبغي والظلم فقال:

«فَاللَّهَ اللَّهَ

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۲۶

فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ، وآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ، وسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ».

ثم تطرق عليه السلام إلى السبب الجلي على هذا التحذير فقال:

«فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ[۶۶۳] إِبْلِيسَ

الْعُظْمَى، ومَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى، الَّتِي تُسَاوِرُ[۶۶۴] قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ،

فَمَا تُكْدِي ۶۶۵] أَبَداً، وَلَا تُشْوِي ۶۶۶] أَحَداً، لَا عَالِماً لِعِلْمِهِ، وَلَا مُقِلًّا[۶۶۷] فِي طِمْرِهِ ۶۶۸]».

فالأمور الثلاثة التي حذر منها الإمام عليه السلام في بداية كلامه والتي تتمثل بالبغي والظلم والكبر من قبيل اللازم والملزوم لبعضها البعض الآخر.

فالأفراد المتكبرون لا يرون سوى أنفسهم ولذلك فهم لا يرون من أهميّة لحقوق الآخرين فيرتكبون أنواع الظلم والجور والذي يعد من الشباك الخبيثة والخطيرة للشيطان والتي لا ينجومنها سوى أولياء اللّه والصالحين من الأفراد المؤمنين.

والعبارة:

«فَمَا تُكْدِي أَبَداً ...»

إشارة إلى عموميّة هذا التحذير؛ فلا يتصور العالم أنّ بإمكانه النجاة من هذه المصيدة بما لديه من علم ومعرفة فقط، أو ينجو من آثاره شخص فقير بفقره، فكلّ شخص بدون استثناء معرض للتلوث بالبغي والظلم والكبر ستكون عاقبته سيئة ومريرة.

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى العبادات الإسلاميّة ليركز على جانب مهم منها فشرح الانعكاسات الإيجابية لهذه العبادات في القضاء على آثار الكبر والغرور وإحياء روح التواضع والبساطة فقال:

«وعَنْ ذلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ ۶۶۹] عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۲۷

والزَّكَوَاتِ، ومُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ، تَسْكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ ۶۷۰]،

وتَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ، وتَذْلِيلًا لِنُفُوسِهِمْ، وتَخْفِيضاً[۶۷۱] لِقُلُوبِهِمْ، وإِذْهَاباً لِلْخُيَلَاءِ[۶۷۲]

عَنْهُمْ».

إشارة إلى أنّ أحد الجوانب الفلسفية المهمّة لهذه العبادات تحطيم دوافع الكبر والغرور الذي يفضي إلى البغي والظلم، فآداب الصلاة وأركانها تدعو الإنسان بصورة كاملة إلى التواضع من قبيل الوقوف كالعبد الخاضع للّهومن ثم الركوع والأهم من كلّ ذلك السجود يربي في الإنسان روح التواضع من جهة ومن جهة أخرى يصده عن الذنب والمعصية: «انَّ الصَّلَوةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ»[۶۷۳].

کما أنّ الزکاة تعدّ فی الواقع نوعاً من التقدیر والاحترام للمحتاجین، فتعمل بدورها علی إزالة الکبر والغرور عن روح الاثریاء والمتمکنین، وهکذا الصوم الذی یجعل الإنسان فی مصاف الفقراء والمحتاجین بما یشعر به الإنسان من جوع وعطش والذی یحطم بالتالی کبره وغروره؛ طبعاً لا تنحصر فلسفة هذه العبادات بما ذکرناه آنفاً، إلّاأنّ ما مضی کان جانباً من فلسفتها والتی أشار إلیها الإمام علیه السلام فی هذه الخطبة.

وقد أشیر إلی هذا المعنی فی عدد من الروایات والأحادیث؛ فقد جاء فی الحدیث المروی عن الإمام علی بن موسی الرضا علیه السلام أنّه قال:

«إِنَّ عِلَّةَ الصَّلاةِ أَنَّها إِقْرارٌ بِالرُّبُوبِیَّةِ لِلّهِ تَعالی وخَلْعُ الأَنْدادِ وقِیامٌ بَیْنَ یَدَیِ الْجَبّارِ جَلَّ جَلالُهُ بِالذُّلِ والْمَسْکَنَةِ والْخُضُوعِ والإعتراف ...»[۶۷۴].

نفحات الولایه، ج۷، ص: ۳۲۸

کما قال علیه السلام فی فلسفة الزکاة:

«وهُوَمَوْعِظَةٌ لِاهْلِ الْغِنی وعِبْرَةٌ لَهُمْ لِیَسْتَدَلُّوا عَلی فُقَراءِ الْاخِرَةِ بِهِمْ»[۶۷۵].

کما روی عنه علیه السلام فی فلسفة الصوم:

«عِلَّةُ الصَّوْمِ عِرْفانُ مَسِّ الْجُوعِ والْعَطَشِ لِیَکُونَ ذَلیلًا مُسْتَکیناً ...»[۶۷۶].

ثم خاض الإمام علیه السلام فی شرح ما ذکره فی العبارات السابقة بصورة إجمالیة حول فلسفة الصوم والصلاة والزکاة فقال:

«ولِمَا فِی ذلِکَ مِنْ تَعْفِیرِ[۶۷۷] عِتَاقِ ۶۷۸] الْوُجُوهِ

بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً، والْتِصَاقِ کَرَائِمِ ۶۷۹] الْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُراً[۶۸۰]، ولُحُوقِ الْبُطُونِ

بِالْمُتُونِ ۶۸۱] مِنَ الصِّیَامِ تَذَلُّلًا؛ مَعَ مَا فِی الزَّکَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ وغَیْرِ ذلِکَ

إِلَی أَهْلِ الْمَسْکَنَةِ وَالْفَقْرِ».

حقّاً إنّ ما ورد هنا، هوجانب من الجوانب الفلسفیة لهذه العبادات الإسلامیّة المهمّة، ذلک لأنّ العبادات تنطوی علی العدید من الجوانب ذات الأهمیّة وفی مقدمتها تفعیل روح التواضع والبساطة ومناهضة الکبر والغرور، وفلسفة النهی عن الفحشاء والمنکر للصلاة وکونها معراج المؤمن إلی جانب تربیة روح التقوی والإخلاص فی ظلّ الصوم ونبذ آفة التمایز الطبقی فی الزکاة وغیرها من العبادات ممّا لا یسع الإنسان التنکر لدوره وجدواه.

نفحات الولایه، ج۷، ص: ۳۲۹

وقد وردت إشارات واضحة فی الأخبار والروایات إلی هذه الأمور، من ذلک ما ورد عن الإمام الباقر علیه السلام:

«إنّ اللّهَ أوحی إلی مُوسی علیه السلام أتعلَم لِمَ اخترتُکَ مِنْ بَین خَلقِی؟ قَالَ مُوسی علیه السلام: لا، فَقَالَ تَعالی «یا مُوسی إنّی قَلَّبْتُ عِبادِی ظَهْراً وبَطْناً فَلَمْ أَجِدْ أَحداً أذلَّ لِی نَفْساً مِنْکَ یا مُوسی انَّکَ إذا صَلَّیْتَ وَضَعْتَ خَدَّیْکَ عَلَی التُّرابِ»[۶۸۲].

ثم خلص علیه السلام إلی هذه النتیجة فقال:

«انْظُرُوا إِلَی مَا فِی هذِهِ الْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ ۶۸۳]

نَوَاجِمِ ۶۸۴] الْفَخْرِ وقَدْعِ ۶۸۵] طَوَالِعِ الْکِبْرِ»

. جدیر ذکره أنّ بعض هذه العبادات تتکرر کلّ یوم حتی لا یشهد الإنسان یوماً یخلوفیه من مفهوم نبذ الکبر.

## تأمّل

### فلسفه العبادات

لاشک فی أنّ اللّه تبارک وتعالی غنی عن عباداتنا وعبادة الملائکة ولوسلک جمیع من فی السموات والأرض طریق الإیمان أو الکفر لما أضاف ذلک إلی جلاله شیئاً أو انتقص منه: «انْ تَکْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِی الأَرْضِ جَمِیعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِیٌّ حَمِیدٌ»[۶۸۶].

وکذلک قال: «وَمَنْ کَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِیٌّ عَنِ الْعَالَمِینَ»[۶۸۷].

وکل إنسان مهما کان له من شیء فمن اللّه تعالی ونفحة من نفحاته سبحانه، وعلیه فلا یستطیع هذا المخلوق أن یقوم بفعل من شأنه زیادة عظمة اللّه، ومن هنا یمکن الاستنتاج أنّ فلسفة الأحکام وفائدتها ولا سیما العبادات إنّما تعود علی الإنسان نفسه، وللعبادات فلسفة مشترکة وفلسفة خاصّة؛ فالفلسفة المشترکة للعبادات تتمثّل فی الخضوع والتواضع للّهوتحطیم صنم الکبر والغرور والطغوی والعصیان، أضف إلی ذلک فإنّ العبادة تذکر الإنسان باللّه وتبث الروح فی قلبه ونفسه

نفحات الولایه، ج۷، ص: ۳۳۰

وتزیل عنه آثار الغفلة، وهکذا فإنّ العبادات تأخذ بالانسان دائماً إلی مسیر العبودیّة والطاعة.

ناهیک عن أنّ لکلّ عبادة فلسفتها المختصة بها؛ فالصلاة تنهی عن الفحشاء والمنکر والصوم یشد من عزم الإنسان فی مواجهة هوی النفس، والزکاة تحد أو تقضی علی التمایز الطبقی، والحج یؤدّی إلی وحدة المسلمین وتنامی قدرة الإسلام وشوکته، وقد وردت الإشارات لکلّ هذه الأمور فی الروایات الإسلامیّة بشأن فلسفة الأحکام ۶۸۸].

نفحات الولایه، ج۷، ص: ۳۳۱

## القسم الثانی عشر

### اشارة

ولَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِینَ یَتَعَصَّبُ لِشَیْ مِنَ الأَشْیَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِیهَ الْجُهَلَاءِ، أوحُجَّةٍ تَلِیطُ بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ غَیْرَکُمْ. فَإِنَّکُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِامْرٍ مَا یُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ وَلَا عِلَّةٌ. أَمَّا إِبْلِیسُ فَتَعَصَّبَ عَلَی آدَمَ لِاصْلِهِ، وطَعَنَ عَلَیْهِ فِی خِلْقَتِهِ، فَقَالَ: أَنَا نَارِیٌّ وأَنْتَ طِینِیٌّ.

وأَمَّا الأَغْنِیَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الامَمِ، فَتَعَصَّبُوا لِاثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ، فَقَالُوا: (نَحْنُ أَکْثَرُ أَمْوَالًا وأَوْلَاداً ومَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِینَ).

### الشرح والتفسیر: العصبیة الطائشة

خاض الإمام علیه السلام هنا فی بیان نقطة أخری لمواجهة الکبر والغرور والعصبیة الجاهلیة وخلاصتها أنّ للأفراد المتعصبین أدلتهم علی ذلک وإن کانت ضعیفة وواهیة وخاطئة؛ إلّاأنّ تعصبکم القبیح أدّی إلی هذه النزاعات وسفک الدماء بما لیس له مبرر، وهذا یعنی أنّ تعصبکم أسوأ واقبح من ذلک التعصب.

فقال علیه السلام:

«ولَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِینَ یَتَعَصَّبُ لِشَیْ مِنَ الأَشْیَاءِ إِلَّا عن عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِیهَ ۶۸۹] الْجُهَلَاءِ، أوحُجَّةٍ تَلِیطُ[۶۹۰] بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ غَیْرَکُمْ. فَإِنَّکُمْ

تَتَعَصَّبُونَ لِامْرٍ مَا یُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ وَلَا عِلَّةٌ».

نفحات الولایه، ج۷، ص: ۳۳۲

إشارة إلی أنّه کلّما تأمّلنا تاریخ الأسلاف والأقوام المعاصرة نخلص إلی هذه النتیجة أنّهم کانوا یمتلکون ذریعة لتعصبهم من قبیل إخفاء الحقیقة علی الجهّال أو اختراق أفکار السفهاء والسذج وبالنتیجة تحقیق سلسلة من المنافع المادیّة، بینما لیس لتعصبکم أی أثر

أو فائدة ويفتقر إلى أىّ دليل، سوى الكلمات البذيئة والجنونيّة والاقتتال الطائش الذى ينتهى إلى سفك الدماء، والفارق بين الجهّال والسفهاء هو أنّ الجهّال يفتقرون إلى أدنى علم بينما للسفهاء حض من علم، ومن شأن بعض الأسباب الواهيّة أن تسوق الطائفتين لتحقيق أهداف ومنافع المتعصبين والمستكبرين.

طبعاً ليس مراد الإمام عليه السلام أنّ تعصبكم معلول لعدم وجود علّة، ذلك لأنّ لكلّ شىء فى العالم على ضوء النظرة الفلسفية علّة، بل المراد أنّه كان لمن سبقكم من المتعصبين بعض الذرائع الظاهريّة الخادعة، وأنّكم لتفتقرون حتى إلى هذه الذرائع، فالمتعصبين الذين خاطبهم الإمام عليه السلام كانوا يتصفون بضحالة ثقافتهم وعقائدهم الجاهليّة التى أفرزت ذلك التعصب والتى لا تصلح أن تكون ذريعة أبداً.

ثم أشار عليه السلام إلى نموذجين من التعصبات التى يبدو أنها كانت معززة ظاهرياً ببعض الأدلة وإن لم تكن صائبة؛ أحدهما تعصب إبليس واستكباره والآخر تعصب الأثرياء المستكبرين أصحاب الثروة فقال:

«أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِاصْلِهِ، وطَعَنَ عَلَيْهِ فِى خِلْقَتِهِ، فَقَالَ: أَنَا نارِىٌّ وأَنْتَ طِينِىٌّ».

لا شك فى أنّ إبليس خلق من النار، حيث كان ينحدر من الجن الذين خلقوا من النار بينما خلق آدم من الطين والتراب، وللنار ظاهرياً نور وشعاع، بينما يمتاز الطين بالظلمة، الأمر الذى يمكن أن يكون ذريعة لإبليس فى الكبر، والحال تمتاز النار بأنّها محرقة والطين باعث الحياة، أضف إلى ذلك فإنّ فضيلة آدم بفعل الروح الإلهيّة التى ولجت فيه حيث قال تعالى: «فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۳۳

سَاجِدِينَ»[۶۹۱] لكن إبليس وبفعل أنانيّته وتعصبه لم يشأ إدراك تلك الحقيقة.

ثم خاض عليه السلام فى الطائفة الثانية وهم الأثرياء المتكبرون من الأمم السابقة الذين ابطرتهم النعمة وكثرة عددهم حيث كانوا يتباهون بذلك والحال ليست لديكم حتى هذه الذرائع فى تعصبكم فقال:

«وأَمَّا الْأَغْنِيَاءَ مِنْ مُتْرَفَةِ[۶۹۲] الْامَمِ، فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ

مَوَاقِعِ ۶۹۳] النِّعَمِ، فَقَالُوا:

«نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وأَوْلَاداً ومَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ»[۶۹۴]».

إشارة إلى أنّهم جعلوا نعم اللّه فى الجوانب الماديّة التى تشمل القوّة البشريّة والأموال الطائلة وسيلة للكبر والتعصب وتمردوا على دعوة الأنبياء حتى شملهم العقاب الإلهى، أمّا تعصب مخاطبى الإمام عليه السلام فقد دفعهم إلى الاقتتال والنزاع تحت طائلة ذراع واهيّة وطفوليّة، فهى لا تشبه تعصب الشيطان ولا تعصب المترفين المستكبرين السابقين، بل تدور حول محور بعض الأمور التى لا تصلح لأنّ تكون حجة قط، وهذا أسوأ أنواع التعصب.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۳۵

## القسم الثالث عشر

### اشارة

فَإِنْ كَانَ لَابُدَّ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ، ومَحَامِدِ الْأَفْعَالِ، ومَحَاسِنِ الْامُورِ، الَّتى تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَاءُ والنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ ويَعَاسِيبِ الْقَبَائِلِ؛ بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيبَةِ، وَالْأَحْلَامِ الْعَظِيمَةِ، والْأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ، والْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ. فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ، والْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ، وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ، والْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ، والْأَخْذِ بِالْفَضْلِ، والْكَفِّ عَنِ الْبَغْىِ، والْاعْظَامِ لِلْقَتْلِ، والْانْصَافِ لِلْخَلْقِ،

والْكَظْمِ لِلْغَيْظِ، واجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِی الأرْضِ.

## الشرح والتفسير: العصبية الممدوحة

التعصّب كما ذكرنا سابقاً بمعنى التعلق الشديد بالشیء والذی يظهر بصورتين؛ بصورة سلبيّة ويراد بها التعلق الشديد الهمجی البعيد عن المنطق بالمسائل ذات القيمة الدنيئة وربّما العديمة القيمة والوهميّة والتی تفضی إلى العديد من الخلافات والنزاعات الدمويّة.

والصورة الإيجابية والمراد بها الصمود والإصرار على الأمور ذات المثل والقيم الإنسانيّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة الرفيعة، وهذا التعصب ليس فقط منزّه عن العيب والذنب، بل يعتبر من نقاط القوّة والإيجابية، من قبيل من يصمد لحفظ الدين والإيمان أو حفظ الوطن والعرض والشرف.

ومن هنا سعى الإمام عليه السلام لدفع مخاطبيه المتعصبين للنجاة من تعصباتهم السلبيّة

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۳۶

والقبيحة فاقترح عليهم العصبية الإيجابيّة ليشبع تطلعهم العاطفی ويسوق قواهم الباطنيّة نحو المشروع الإيجابی، وهذه هی الخطة التی ينبغی أن يمارسها جميع الزعماء الحكماء فی مجتمعاتهم بغية إصلاح المفاسد الاجتماعيّة، فبدلًا من الوقوف بوجه الأمواج العاتية للدوافع السلبيّة لابدّ من السعی إلى تغيير مسارها ودفعها باتجاه القنوات الإيجابية ولذلک قال عليه السلام:

«فَإِنْ كانَ لَابُدَّ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ، ومَحَامِدِ الأَفْعَالِ، ومَحَاسِنِ الْامُورِ، الَّتی تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَاءُ[۶۹۵] والنُّجَدَاءُ[۶۹۶] مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ ويَعَاسِيبِ ۶۹۷] الْقَبَائِلِ».

أی لا ينبغی أن يكون مثلكم فی هذه الأمور الجهّال الذين يفتقرون إلى المنطق، بل عليكم الإقتداء والتأسی بالعقلاء والأفراد الواعين الذين يتسابقون فی كسب الفضائل ونيل مكارم‌الأخلاق ويوظفون إمكاناتهم كافّة فی ميدان هذا السباق الإنسانی.

ثم خاض عليه السلام فی شرح ذلک ببضع عبارات قصيرة فقال:

«بِالْاخْلَاقِ الرَّغِيبَةِ، وَالأَحْلَامِ الْعَظِيمَةِ، والأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ، والْاثَارِ الْمَحْمُودَةِ».

فالواقع إنّ هذه الصفات الأربع التی وردت فی كلام الإمام عليه السلام تبيّن أبعاد شخصية الإنسان، التی تتمثّل فی الأخلاق الكريمة والفكر الحر والمقام الرفيع والآثار الحميدة (كالآثار العلميّة والخدمات الاجتماعيّة) وبالطبع فإنّ الشخص الذی ينال هذه الصفات هوإنسان فاضل يسعه أن يكون قدوة وأسوة للآخرين.

ثم ركز الإمام عليه السلام فی مواصلته لكلامه على جزئيات وتفاصيل المسائل الأخلاقيّة ليشير إلى عشرة نماذج من مكارم الأخلاق والصفات الإنسانيّة البارزة داعياً الجميع إلى التمسک بها فقال:

«فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ، والْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ،[۶۹۸] وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ، والْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ، والأَخْذِ بِالْفَضْلِ، والْكَفِّ عَنِ

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۳۷

الْبَغْیِ، والْاعْظَامِ لِلْقَتْلِ، والْانْصَافِ لِلْخَلْقِ، والْكَظْمِ لِلْغَيْظِ، واجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِی الأَرْضِ».

وممّا لا شک فيه أنّ الإنسان الجامع لهذه الصفات العشر هوإنسان ماجد كما أنّ المجتمع الذی تسوده هذه الخصال هو مجتمع سليم وسعيد ومتطور من جميع الجهات.

جدير ذكره أنّ الصفات المذكورة على صنفين؛ فبعضها تشير إلى اجتناب المفاسد الفرديّة والاجتماعيّة مثل اجتناب القتل ومخالفة الكبر والإبتعاد عن الفساد فی الأرض، والبعض الآخر يشير إلى الأفعال النافعة والبناءة مثل حفظ الحقوق والوفاء بالعهد والإتيان بالخيرات والبذل والجود.

أمّا حفظ الجوار فيعنی رعاية حقوق الجار التی ورد التأكيد عليها فی الشريعة الإسلاميّة، فقد روی عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه

قال:

«حُسْنُ الْجَوارِ یَعْمُرُ الدِّیارِ ویَزیدُ فِی الأعْمارِ»[۶۹۹].

وبالطبع فإنّ

«حُسْنُ الْجَوارِ»

لا يقتصر على كف الأذى عن الجار فحسب، بل لابدّ من نجدته ومدّ يد العون إليه، وإن تعرض للأذى منه جابهه بكلّ رفق وود، والحقّ لو التزم الجميع بهذه التعاليم الإسلاميّة لسادت المحبّة جميع ربوع العالم.

والوفاء بالذمام إشارة إلى الالتزام بالعهود التى تحظى بفائق الأهميّة فى الشريعة السمحاء. وانصاف الخلق إشارة إلى عدم التفريط بحقوق النفس والآخرين والنظر بعين واحدة، فينبغى أن يريد للآخرين ما يريده لنفسه ويرفض للآخرين ما يرفضه لنفسه.

## تأمّل

### العصبيّة الإيجابيّة والسلبيّة

يختزن الإنسان العديد من الدوافع المعقدة التى لو ترك لها العنان وانطلقت من

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۳۳۸

مصادر الجهل لأدّت إلى نتائج سلبيّة للغاية وأحياناً تكون قاتلة، ويتوجب على قادة المجتمع فى مثل هذه الحالات أن لا ينبروا لمواجهة هذه الدوافع بغية القضاء عليها فحسب، بل لابدّ من تصحيح مسيرتها وإعادتها إلى الطريق الصحيح، وبعبارة أخرى لابدّ من توظيفها من خلال اختيار البدائل الإيجابية دون الاقتصار على مواجهتها.

فالسيل العظيم ربّما يؤدّى إلى القضاء على أموال الناس وهدر طاقاتهم ما لم تتمّ السيطرة عليه، غير أنّه يكون سبباً للعمران والبناء من قبيل انتاج الطاقة الكهربائيّة وتشغيل المصانع الكبيرة وخزن المياه طيلة السنة وانعاش قطاع الزراعة لو بوشر ببناء سد عظيم بغية السيطرة على ذلك السيل.

ويبدو هذا المطلب واضحاً جلياً فى النصوص الدينيّة؛ فقد ورد على سبيل المثال فى خطبة النكاح:

«الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذی أَحَلَّ النِّكاحَ وحَرَّمَ الزّنا والسِّفاحِ»

فاللّه تبارك وتعالى لم يأمر قط بقمع وكبت الغريزة الجنسية، بل طرح موضوع النكاح الشرعى كى لا يؤدّى الأمر إلى الأعمال التى تتنافى مع العفة، وحين نصح نبى اللّه لوط عليه السلام قومه ونهاهم عن إتيان الفاحشة اقترح عليهم الزواج من بناته فقال: «هَؤُلَاءِ بَنَاتِی هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ»[۷۰۰].

وجاء فى سورة النور بشأن حدّ الزنا: «الزَّانِیَةُ وَالزَّانِی فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ»[۷۰۱] ثم رافقته دعوة عامّة لأبناء المجتمع إلى الزواج والتكافل الاجتماعى بهذا الشأن فقال: «وَأَنكِحُوا الْأَیَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِینَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ یَكُونُوا فُقَرَاءَ یُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِیمٌ»[۷۰۲].

كما صرّحت بعض الروايات الإسلاميّة:

«فأمّا شُؤمُ الْمَرْأَةِ فكَثْرَةُ مَهْرِها ...»[۷۰۳].

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۳۳۹

كما ورد فى البعض الآخر:

«وَمِن شُؤمُها شِدَّةُ مَؤُونَتِها»[۷۰۴].

فقد تعارف بين الناس وجود بعض الأمور من قبيل الشؤم والتفائل ولكن بصورة خرافية وغاية فى الضرر؛ فما كان من الإسلام إلّاأنّ كساها ثوب المنطق دون أن ينبرى لاقتلاعها.

والقضية هذه جارية عينها على التعصب؛ فهنالك بعض الدوافع الباطنيّة للإنسان التى تسوقه نحوالتعصب فإن خلى بينه وبينها ساقته إلى الجوانب السلبيّة التى تؤدّى إلى الكبر والغرور وربّما الاختلاف والنزاعات الدموية؛ إلّاأنّ الإمام عليه السلام سعى توجيهه باتجاه الجوانب الإيجابية فصرح أنّه إن كان ولابدّ لهؤلاء الأفراد والقبائل من التعصب فليكن هذا التعصب فى مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال والدفاع عن المظلومين ومواجهة الظالمين ومدّ يد العون إلى المعوزين والمحتاجين.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۴۱

## القسم الرابع عشر

### اشارة

واحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْاُمَم قَبْلَكُمْ مِنَ الْمُثُلَاتِ بِسُوءِ الأَفْعَالِ، وذَمِيم الأَعْمَالِ.

فَتَذَكَّرُوا فِى الْخَيْرِ والشَّرِّ أَحْوالَهُمْ، واحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ.

فَإذَا تَفَكَّرْتُمْ فِى تَفَاوُتِ حَالَيهِمْ، فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْر لَزِمَتِ الْعِزَّةُ بِهِ شَأْنَهُمْ، وزَاحَتِ الأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ، ومُدَّتِ الْعَافِيَةُ بِهِ عَلَيْهِمْ، وانْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ، ووَصَلَتِ الْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ مِنَ الْاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ، واللُّزُوم لِلْاُلْفَةِ، والتَّحَاضِّ عَلَيْهَا، والتَّوَاصِى بِهَا، واجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْر كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ، وأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ؛ مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ، وتَشَاحُنِ الصُّدُورِ، وتَدَابُرِ النُّفُوسِ، وتَخَاذُلِ الأَيْدِى.

### الشرح والتفسير: الاعتبار بالماضين

دعا الإمام عليه السلام فى هذا القسم وبعض الأقسام القادمة مخاطبيه إلى تأمّل أحوال الأمم السابقة فاستعرض عناصر ضعفهم وقوتهم وعرفهم بالأسباب التى تقف وراء نجاحهم وفشلهم فى مختلف زوايا حياتهم، حتى ينفتحوا على تجاربهم ويشقوا طريقهم الصائب فى حياتهم فى ظلّ الاستفادة من التاريخ، وهذا النوع من التعليم والتعلّم عن طريق النظر فى تاريخ الأمم السالفة) ممّا أكّده القرآن الكريم فى أكثر السور القرآنيّة والذى لا يخفى مدى تأثيره ودوره.

فقال عليه السلام:

«واحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْاُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثُلَاتِ بِسُوءِ الأَفْعَالِ، وذَمِيمِ الأَعْمَالِ. فَتَذَكَّرُوا فِى الْخَيْرِ والشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ، واحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ».

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۴۲

فقد أشار الإمام عليه السلام بهذه العبارة إلى مصير بعض الأقوام مثل قوم عاد، وثمود وقوم نوح وقوم لوط وعاقبة الفراعنة وأمثال نمرود وما أصابهم من العذاب بفعل أعمالهم القبيحة فحذّرهم من مغبّة الإبتلاء بذات المصير.

والعبارة:

«سُوءِ الأَفْعَالِ وذَمِيمِ الأَعْمَالِ»

يمكن أن تكون تأكيداً لمعنى معين هو الأفعال القبيحة والذميمة، وهنالك احتمال آخر أنّ سوء الأفعال إشارة إلى الأعمال السيئة وذميم الأعمال، الأفعال المستهجنة وإن لم تبلغ مرحلة الذنب مثل الغفلة عن المحرومين وترك الانصاف والبذل والعطاء والأثرة.

ولما فرغ الإمام عليه السلام من هذا البيان الإجمالى خاض فى التفاصيل ليستفيد من ذات الأسلوب القرآنى الذى طرح كراراً بغية بيان

المسائل المهمّة فقال:

«فَإذَا تَفَكَّرْتُم فِی تَفَاوُتِ حَالَيْهِم، فَالْزَمُوا کُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ بِهِ شَأْنَهُمْ، وزَاحَتِ الأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ، ومُدَّتِ الْعَافِيَةُ بِهِ عَلَيْهِمْ، وانْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ، ووَصَلَتِ الْکَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ».

ثم تطرق عليه السلام إلی بيان العناصر التی تقف وراء هذه الأمور الخمسة (العزّة ودحر العدووالعافية والنعمة والکرامة) فقال:

«مِنَ الْاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ، واللُّزُومِ لِلْأُلْفَةِ، والتَّحَاضِّ عَلَيْهَا، والتَّوَاصِی بِهَا».

ورغم أنّ هذه العناصر الأربعة تعود جميعاً إلی مسألة الاتحاد والوحدة، غير أنّ کلّ واحد يعالج نقطة معينة: فاجتناب الفرقة ناظر لنفی عناصر التفرقة والاختلاف ولزوم الإلفة لترسيخ عوامل الوحدة، والتحاض إشارة إلی الحض والتشجيع (ربّما التشجيع العلمی) والتواصی المراد به عن طريق البيان والحوار.

ثم أشار عليه السلام إلی الجانب السلبی لهذه المسألة؛ أی التفرقة وعناصرها فحذرهم بعبارات عميقة المعنی من ضرورة نبذ عوامل الفرقة والاختلاف فقال:

«واجْتَنِبُوا کُلَّ أَمْرٍ کَسَرَ فِقْرَتَهُمْ ۷۰۵]، وأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ ۷۰۶]».

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۴۳

آنذاک رکز الإمام عليه السلام علی العوامل الخاصّة بعد ذکره لهذا المبدأ الکلّی فقال:

«مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ، وتَشَاحُنِ الصُّدُورِ، وتَدَابُرِ النُّفُوسِ، وتَخَاذُلِ الأَيْدِی».

فهذه العناصر الأربعة هی العوامل الرئيسيّة للاختلاف والتی لبعضها جانب باطنی من قبيل الأحقاد الکامنة فی الصدور والحسد والبخل بينما لبعضها الآخر جانب ظاهری من قبيل تولی البعض عن البعض الآخر وترک الأخوة والمؤمنين عند الحوادث والشدائد، نعم! لوسادت هذه الأمور أية أمّة لکسرت فقرتها وسلبتها قوتها وقدرتها.

***

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۴۵

## القسم الخامس عشر

### اشارة

وتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَکُمْ، کَيْفَ کَانُوا فِی حَالِ التَّمْحِيصِ والْبَلَاءِ. أَلَمْ يَکُونُوا أَثْقَلَ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءً، وأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلَاءً، وأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالًا. اتَّخَذَتْهُمُ الْفَرَاعِنَةُ عَبِيداً فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، وَجَرَّعُوهُمُ الْمُرَارَ، فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِی ذُلِّ الْهَلَکَةِ وقَهْرِ الْغَلَبَةِ، لَايَجِدُونَ حِيلَةً فِی امْتِنَاعٍ، وَلَا سَبِيلًا إِلَی دِفَاعٍ. حَتَّی إِذَا رَأَی اللَّهُ سُبْحَانَهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَی الأَذَی فِی مَحَبَّتِهِ، والْاحْتِمَالَ لِلْمَکْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ، جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ الْبَلَاءِ فَرَجاً، فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَکَانَ الذُّلِّ، والأَمْنَ مَکَانَ الْخَوْفِ، فَصَارُوا مُلُوکاً حُکَّاماً، وأَئِمَّةً أَعْلَاماً، وقَدْ بَلَغَتِ الْکَرَامَةُ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ الآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ.

### الشرح والتفسير: عناصر انتصار المؤمنين الأوائل

بالنظر إلی أنّ الموضوع الأصلی لهذه الخطبة يتمثّل فی مواجهة الکبر والغرور والعصبيات السلبيّة وقد بيّن الإمام عليه السلام ذلک فی الفصل السابق ولفت انتباه مخاطبيه إلی أحوال الأمم السالفة وانتصاراتهم ونجاحهم فی ظلّ وحدتهم وإلفتهم، وعاد ثانية ليلفت

أنظارهم إلى التأمّل فی سيرة الأمم السابقة وما عانوه من امتحانات شاقة وعسيرة ليستعرض لهم كيفية نجاحهم فی تلك الامتحانات وتسلطهم على العدو، فأفاض اللّه عليهم العزّة والعظمة ومنحهم الأمن فقال:

«وتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ، كَيْفَ كَانُوا فِی حَالِ التَّمْحِيصِ والْبَلَاءِ».

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۴۶

ثم تطرق عليه السلام إلى توضيح تلك الامتحانات الصعبة فقال:

«أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءً[۷۰۷]، وأَجْهَدَ العِبَادِ بَلَاءً، وأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالًا».

ثم غاص أكثر فی التوضيح بهذا الشأن ليركز على ما واجهتهم من صعوبات فی حياتهم فقال:

«اتَّخَذَتْهُمُ الْفَرَاعِنَةُ عَبِيداً فَسَامُوهُمْ ۷۰۸] سُوءَ الْعَذَابِ، وَجَرَّعُوهُمُ الْمُرَارَ[۷۰۹]، فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِی ذُلِّ الْهَلَكَةِ وقَهْرِ الْغَلَبَةِ، لَايَجِدُونَ حِيلَةً فِی امْتِنَاعٍ، وَلَا سَبِيلًا إِلَى دِفَاعٍ».

ورغم أنّ خطوب حياة الأقوام السابقة وامتحاناتهم الصعبة والشاقّة لا تقتصر على زمان الفراعنة، ولكن بما أنّ القرآن أشار كراراً إلى المصائب التی عانى منها بنو إسرائيل فی زمان فرعون والتی يعرفها جميع المسلمين، فقد أشار الإمام عليه السلام على وجه الخصوص إلى تلك الحقبة حيث تحول فيها الجميع إلى عبيد من جانب وكانوا يضطرونهم إلى أعقد الأعمال ويزودونهم بأدنى الإمكانات وحين يشعرون بالخطر يعمدون إلى قتل رجالهم واستحياء نسائهم واستعمالهن للخدمة، وقد مضت عليهم عدّة سنين ولم يكن لهم من سبيل للنجاة حتى تلطف اللّه عليهم فكانت معجزة اللّه فی انتصارهم على عدوهم بهلاك الفراعنة وأعوانهم، حيث قال عليه السلام فی مواصلته لكلامه

«حَتَّى إِذَا رَأَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى فِی مَحَبَّتِهِ، والْاحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ، جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ الْبَلَاءِ فَرَجاً».

نعم! فحين يجتاز الإنسان الامتحان يبعث اللّه عليه ما يفرج عنه مشكلاته وتُشرق عليه شمس النصر والغلبة، الأمر الذی لمسناه فی موسى عليه السلام وقومه.

فقد أشار الإمام عليه السلام فی هذه العبارة إلى نصرهم بصورة كليّة، ثم خاض فی التفاصيل فقال:

«فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ، والأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ، فَصَارُوا مُلُوكاً

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۴۷

حُكَّاماً، وأَئِمَّةً أَعْلَاماً، وقَدْ بَلَغَتِ الْكَرَامَةُ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ الْآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ».

وقد ورد المزيد من التوضيح فی القرآن المجيد بشأن بنی إسرائيل والفراعنة بهذا الخصوص والذی يكشف النقاب عن دقائق هذا النصر فقال تعالى «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ* وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ* كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ»[۷۱۰].

وقال تعالى فی موضع آخر: «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِی الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ»[۷۱۱].

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۴۹

## القسم السادس عشر

### اشارة

فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الْأَمْلَاءُ مُجْتَمِعَةً، والْأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً، والْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً، والأَيْدِی مُتَرَادِفَةً، والسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً، والْبَصَائِرُ

نَافِذَةً، والْعَزَائِمُ وَاحِدَةً. أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِى أَقْطَارِ الأَرَضِينَ، ومُلُوكاً عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ! فَانْظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِى آخِرِ أُمُورِهِمْ، حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ، وتَشَتَّتِ الْاُلفَةُ، واخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالأَفْئِدَةُ، وتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ، وتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ، قَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ، وسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ، وبَقِىَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبَراً لِلْمُعْتَبِرِينَ.

## الشرح والتفسير: الوحدة والفرقة، والنصر والهزيمة

بعد أن فرغ الإمام عليه السلام من كلامه السابق بشأن الأقوام السابقة ومصيرهم الذى يختزن الدروس والعبر، خلص فى هذا المقطع من الخطبة إلى نتيجة ليركز على العنصر الرئيسى للنصر المتمثّل باتحاد الصفوف والعنصر الرئيسى للفشل المتمثّل بتفرّق الصفوف ليشير إلى أبعاد وحدة الكلمة من خلال عدّة عبارات بسبع جمل فقال:

«فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الأَمْلَاءُ[۷۱۲] مُجْتَمِعَةً، والأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً، والْقُلُوبُ

مُعْتَدِلَةً، والأَيْدِى مُتَرَادِفَةً، والسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً، والْبَصَائِرُ نَافِذَةً، والْعَزَائِمُ وَاحِدَةً.

أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِى أَقْطَارِ الأَرَضِينَ، ومُلُوكاً عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ».

فالإمام عليه السلام أشار بهذه العبارات الغاية فى الروعة والعميقة المعنى إلى الاتحاد

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۵۰

والاتفاق فى جميع مظاهره ليعده عنصر الإقتدار والرفعة، الاتفاق فى التطلعات والرغبات والخطط والمشاريع والاتفاق فى العمل والاتفاق عند الصلح والقتال وبالتالى وحدة الصفوف فى جميع مظاهر الحياة.

ويبدو الدليل على هذا الكلام واضحاً تماماً؛ ذلك لأنّه ليس للأفراد بمفردهم من قدرة كبيرة وكل واحد منهم كالقطرة بحيث لو كانت فى صحراء وأشرقت عليها أشعة الشمس أو هبت عليها الريح لحولتها إلى بخار، غير أنّ هذه القطرات أن اجتمعت مع بعضها البعض شكلت تلك البحار العظيمة التى من شأنها أن تكون مصدر لكلّ خير وبركة، فخيط العنكبوت بمفرده ضعيف وايل للزوال ولايسعه الصمود أمام أدنى نسيم، غير أنّهم اليوم يلفونها مع بعضها ليصنعوا منها بدلة مضادة للرصاص والتى تفوق مقاومتها جميع المقاومات وهذا هو دور الاتحاد والاتفاق.

ولعل هذه العبارات واردة بشأن بنى إسرائيل حين نهض موسى بن عمران عليه السلام بالأمر ووحّد صفوفهم فشملتهم العناية الإلهيّة والألطاف الربّانيّة فورثوا حكومة مصر والبلدان المجاورة لها، حتى تشكلت بعد موسى عليه السلام حكومات مقتدرة كحكومة داود وسليمان عليهما السلام، وربّما يكون أصلًا كلياً وعاماً حصل كراراً فى تاريخ الأمم السابقة، وكلّما كان هنالك اتحاد واتفاق ووحدة قرار وخطة حكيمة كان هنالك الانتصار والغلبة، على كلّ حال فإنّ شرح الإمام عليه السلام يكشف النقاب عن هذه الحقيقة أنّه وإن كانت عدّة عوامل ضرورية للنصر والتقدم إلّاأنّ أهمها مسألة الاتحاد والاتفاق.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه فذكر العنصر الرئيسى فى الفشل والهزيمة وهو الاختلاف؛ الاختلاف فى وجهات النظر وتشتت الصفوف، ثم أشار إلى أبعاده المختلفة بخمس عبارات فقال:

«فَانْظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِى آخِرِ أُمُورِهِمْ، حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ، وتَشَتَّتِ الْاُلفَةُ، واخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالأَفْئِدَةُ، وتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ،

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۵۱

وتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ، قَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ، وسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ[۷۱۳] نِعْمَتِهِ، وبَقِىَ

قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبَراً لِلْمُعْتَبِرِينَ».

نعم، فحين تتجه طاقات أمّة نحو الاختلاف، وتستبدل الإلفة والمحبّة بالنفرة والعداوة وتتصاعد فيها ألسنة لهيب اختلاف الكلمة وتفرق الأفكار إنّما تخوض حربها ضد نفسها وتهدر طاقاتها بدلًا من تصديها لعدوها الذى ينوى القضاء عليها، واللَّه سبحانه وتعالى ينزع عنها

لباس العزّة ويكسيها لباس الذل والهوان.

ويمكن أن يكون هذا الجانب من كلام الإمام عليه السلام إشارة إلى قصّة بنى إسرائيل بعد تلك الانتصارات المتتالية حين فقدوا مجدهم وعزّتهم إثر الاختلاف والتشتت فتفرقوا فى الأرض، وربّما يكون إشارة إلى جميع الأقوام التى تعيش حالة السقوط بسبب كفران النعمة والاختلاف والتشتت عقب الانتصارات الباهرة التى تحققها فى ظلّ الاتحاد ووحدة الكلمة.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۵۳

## القسم السابع عشر

### اشارة

فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وبَنِى إِسْحَاقَ وبَنِى إِسْرَائِيلَ (عليهم السلام). فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الْأَحْوَالِ، وأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الْأَمْثَالِ! تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِى حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وتَفَرُّقِهِمْ، لَيَالِيَ كَانَتِ الْأَكَاسِرَةُ والْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ، يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الْآفَاقِ، وبَحْرِ الْعِرَاقِ، وخُضْرَةِ الدُّنْيَا، إِلَى مَنَابِتِ الشِّيحِ، ومَهَافِى الرِّيحِ، ونَكَدِ الْمَعَاشِ، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَرٍ ووَبَرٍ، أَذَلَّ الْأُمَمِ دَاراً، وأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً، لَايَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِها، وَلَا إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا. فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، والْأَيْدِى مُخْتَلِفَةٌ، والْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ؛ فِى بَلَاءِ أَزْلٍ، وأَطْبَاقِ جَهْلٍ! مِنْ بَنَاتٍ مَوْؤُودَةٍ، وأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ، وأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ، وغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ.

### الشرح والتفسير: الاعتبار بولد إسماعيل وإسحاق

تابع الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة ما ذكره فى المقاطع السابقة بشأن العناصر التى تقف وراء انتصار وفشل الأمم السابقة فركز على المصاديق العينية لهذا الموضوع وأخذ بيد مخاطبيه ليغوص بهم فى أعماق التاريخ فيكشف لهم النقاب عن قصة ولد إسماعيل وإسحاق عليهما السلام وبنى إسرائيل ليعتبروا بهم فقال:

«فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وبَنِى إِسْحَاقَ وبَنِى إِسْرَائِيلَ عليهم السلام. فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ [۷۱۴] الْأَحْوَالِ،

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۵۴

وأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ [۷۱۵] الْأَمْثَالِ!».

وعلى هذا الضوء فقد دعاهم الإمام عليه السلام لمقارنة أنفسهم بمن سبقهم ليتعرفوا على عناصر نجاحهم وإخفاقهم لكى لا يقعوا فى شباك الشيطان ويعيشوا هوى النفس والغرور والتعصب.

وهنا لابدّ من الإلتفات إلى أنّ ولد إبراهيم عليه السلام ينقسمون إلى ثلاث طوائف؛ طائفة هم بنو إسماعيل الذين يعدون أجداد النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله، وبنو إسحاق الذين يتفرعون إلى فرعين؛ فرع هم بنو يعقوب الذين يشكلون قوم بنى اسرائيل وفرع آخر هم بنو «عيسو» ومن نسلهم «الأدوميون» (قوم من أولى القوّة كانوا يقطنون فى منطقة «أدوم» التى تمتد من جنوب البحر الميت إلى شمال الحجاز).

ويحتمل أن يكون المراد بالعبارات السابقة قد أشار إلى قانون كلّى فى أنّ التاريخ يعيد نفسه باستمرار وعادة ما تعيش الشعوب والأمم ظروفاً متشابهة تستطيع من خلالها كلّ أمّة أن تحدد معالم مصيرها.

ثم تطرق عليه السلام إلى شرح هذا الكلام بأسلوب الاجمال والتفصيل الذى يلعب دوراً فى بيان الحقيقة فقال:

«تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِى حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وتَفَرُّقِهِمْ، لَيَالِيَ كَانَتِ الْأَكَاسِرَةُ[۷۱۶] والْقَيَاصِرَةُ[۷۱۷] أَرْبَاباً لَهُمْ، يَحْتَازُونَهُمْ [۷۱۸] عَنْ رِيفِ [۷۱۹] الْآفَاقِ، وبَحْرِ الْعِرَاقِ،

وخُضْرَةِ الدُّنْيا، إِلَى مَنَابِتِ الشِّيحِ ۷۲۰]، ومَهَافِى ۷۲۱] الرِّيحِ، ونَكَدِ[۷۲۲] الْمَعَاشِ».

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۵۵

إشارة إلى أنّهم سلبوهم حياة القرى والمدن المباركة وهجّروهم إلى الصحارى والمناطق الجرداء القاحلة.

ثم قال عليه السلام:

«فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً[۷۲۳] مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبر[۷۲۴] ووَبر[۷۲۵]، أَذَلَّ الْامَمِ دَاراً،

وأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً لَايَأْوُونَ ۷۲۶] إِلَى جَنَاحِ دَعْوَة يَعْتَصِمُونَ بِها، وَلَا إِلَى ظِلِّ أُلْفَة يَعْتَمِدُونَ

عَلَى عِزِّهَا».

انذاك خاض عليه السلام فى شرح معطيات هذا الوضع فقال:

«فَالْاحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، والأَيْدِى مُخْتَلِفَةٌ، والْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، فِى بَلَاءِ أَزْل ۷۲۷]، وأَطْبَاقِ جَهْل! مِنْ بَنَات

مَوْؤُودَة[۷۲۸]، وأَصْنَام مَعْبُودَة، وأَرْحَام مَقْطُوعَة، وغَارَات ۷۲۹] مَشْنُونَة[۷۳۰]».

إشارة إلى أنّ اختلاف الآراء وتشتت الأفكار، إنّما تفرز على الدوام المحن والخطوب التى تصيب المجتمعات البشريّة فتطمرها فى وادى الجهل، كما يشير تاريخ الجاهلية إلى أنّهم كانوا يمارسون الأعمال الهمجيّة والبربريّة، وقد أشار الإمام عليه السلام إلى أربعة نماذج منها؛ فكانوا يعمدون إلى وأد بناتهم أحياءً تحت ذريعة حفظ الحرمة وابراز الغيرة والنجاة من الفضيحة والعار، ويعبدون الأحجار التى كانوا يصنعونها بأيديهم فكان لكلّ قبيلة صنمها ووثنها، فقريش وبنو كنانة والأوس

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۵۶

والخزرج كانوا يعبدون «مناة»، وبنو ثقيف «اللاة والعزى» وهذيل «سواع» وبنو كلب «ود» وسائر الطوائف كانت تعبد سائر الأصنام، وقد نصب «هبل» كأعظم صنم لهم فى الكعبة بينما كان «اساف» و «نائلة» على الصفا والمروة فكان الجميع يعظم هذه الأصنام الثلاثة فتحولت الكعبة مركز التوحيد والعبودية إلى أكبر معبد وثنى للأصنام.

وقطع الرحم الوارد فى كلام الإمام عليه السلام يمكن أن يكون إشارة إلى قتلهم أولادهم خشية الفقر أو بصفته عبادة يتقربون بها لأصنامهم، وتشير «الغارات المشنونة» الحروب المتعددة التى كانت تنشب بين القبائل العربية فى العصر الجاهلى تحت مختلف الذرائع، حتى ذهب بعض المؤرخين إلى أنّ نار تلك الحروب لم تكن تطفأ حتى ظهر الإسلام فوضع حداً للاقتتال القبلى وقتل الأولاد ووأد البنات وعبادة الأوثان.

وهذا هو مصير من يقطع أواصر الوحدة ويقبل على الاختلاف والتشتت والنفاق والذى يتجلى بصيغة معينة فى كلّ أمّة ولا يقتصر على العصر الجاهلى.

## تأمّل

### القطرة والبحر

لعلنا سمعنا كراراً هذا الكلام فى أنّ قطرات الأمطار ليس لها من قيمة تذكر بمفردها، غير أنّها إن اتصلت بسائر القطرات وشكلت نهراً عظيماً وتراكمت مع بعضها البعض الآخر ألفت كتلة عظيمة من شأنها القيام ببعض الأعمال الكبيرة ومن ذلك إنتاجها للقوّة الكهربائية التى تشغل المصانع والمعامل الضخمة، وتضيئ المدن والقرى وتسقى قطاعات واسعة من المزارع والحقول، وبالتالى يمكنها إضفاء الحياة والحيويّة.

ويبدو أنّ الناس كذلك، فكلّ إنسان مهما كانت قدرته وطاقته لا يمكنه القيام ببعض الأعمال بمفرده، على غرار قطرة المطر، ولكن ما

أن تتظافر هذه الجهود الصغيرة حتى يكون لها تأثيراتها الواضحة فى هذا العالم، فهى لا تشكل درعاً

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۵۷

حصيناً العدو فحسب، بل تلعب دورها فى عالم الاقتصاد والعلم والمعرفة فتؤدى إلى كلّ ذلك الرقى والتقدم والإزدهار، والحقّ لولا تلاقح قطرات علم العلماء طيلة التاريخ وفى المجتمعات البشريّة لما شهدنا ليوم كلّ هذا التقدم العلمى الهائل ولما كان التمدن يفوق مدنية العصور الحجرية.

وفإذا دبّ الاختلاف فى صفوف المجتمعات البشريّة فلا تتوقف عجلة الرقى والتقدم فحسب، بل تنعدم كلّ القدرات والقوى فى اتون الاقتتال الداخلى والذى لا يفضى سوى إلى الدمار والخراب والتخلف.

وقد أكّد الإمام عليه السلام مراراً فى هذه الخطبة الشريفة على هذا المعنى، فأخذ بيد مخاطبيه إلى أعماق التاريخ البشرى ليريهم عن كثب نتائج الاتحاد والفرقة.

من جانب آخر فقد ورد مثل هذا التأكيد فى الآيات القرآنيّة والروايات الإسلاميّة؛ ولكن ما تجدر الإشارة إليه أنّ الظفر بوحدة الصفوف لا يبدو بالأمر الهَيّن بل يحاط بالعديد من الصعوبات والعوائق، ومنها التعصب والكبر والفخر وترجيح المصالح الذاتية الضيقة والقصيرة الأمد على المنافع العامّة والبعيدة الأمد، وقد عدّها الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة من العقبات التى تعترض سبيل الوحدة.

وقد أكّد الإمام عليه السلام هذا المعنى فى سائر خطب نهج البلاغة أيضاً؛ ومن ذلك ما ورد فى الخطبة ۱۲۷ أنّه قال:

«وإيّاكُم والْفُرْقَةَ فَإنَّ الشّاذَّ مِنَ النّاسِ لِلشَّيْطانِ كَما أنّ الشّاذّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ».

كما وردت إشارة رائعة إلى هذا المعنى فى الخطبة ۸۶:

«ولا تَباغَضُوا فَإنّها الْحالِقَةُ».

ونختتم هذا الكلام بالرسالة المهمّة التى صرح بها القرآن الكريم فى قوله تعالى

«وَلَا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ»[۷۳۱].

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۵۹

## القسم الثامن عشر

### اشارة

فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ، وجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ: كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا، والْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا، فَأَصْبَحُوا فِى نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ، وفِى خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ. قَدْ تَرَبَّعَتِ الْامُورُ بِهِمْ، فِى ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ، وآوَتْهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ، وتَعَطَّفَتِ الْامُورُ عَلَيْهِمْ فِى ذُرَى مُلْكٍ ثَابت. فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ، ومُلُوكٌ فِى أَطْرَافِ الْأَرَضِينَ. يَمْلِكُونَ الْامُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، ويُمْضُونَ الْأَحْكامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ! لَاتُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ، وَلَا تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ.

### الشرح والتفسير: عزتكم بالاسلام

بعد كلام الإمام عليه السلام فى القسم السابق من هذه الخطبة بشأن خطوب العصر الجاهلى والمشاكل والإرباكات والفقر وعدم الاستقرار التى اتصف بها، تناول هنا شرح المعطيات المباركة التى حصلوا عليها فى ظلّ انبثاق دعوة النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله وما أصبحوا عليه من اتحاد وإلفة ومحبّة، ليشرح هذا الأمر بعبارات غاية فى الجمال والبلاغة فقال:

«فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللّهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ، وجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أَلْفَتَهُمْ».

نعم؛ فقد كان كلّ قوم وقبيلة بل كلّ فرد فى العصر الجاهلى يلهث خلف مصالحه ورغباته الضيقة حتى سادهم جو من الفرقة والاختلاف والتشتت، فجمعهم اللّه

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٣۶٠

تبارك وتعالى تحت راية واحدة فى ظلّ الإسلام والتوحيد فانقلب كلّ شيء رأساً على عقب.

ثم تطرق عليه السلام إلى بيان هذه النعم من خلال تشبيهات واستعارات رائعة ليتطرق إلى الواحدة تلو الأخرى فقال:

«كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ [٧٣٢] نَعِيمِهَا، والْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِى عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا، فَأَصْبَحُوا فِى نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ، وفِى خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ [٧٣٣]».

فقد شبه الإمام عليه السلام هذه النعم بالطيور التى تفتح اجنحتها لتضم إليها صغارها فتمنحها الدفء والحنان والأمان، ثم شبهها ثانية بالماء العذب الفرات الذى ينحدر نحو الحقول والمزارع فيجعلها خضراء نضرة، ونتيجة ذلك الغرق فى النعم والعيش بأمان فى ظلّ حياة هانئة وديعة.

ثم واصل كلامه عليه السلام ليشير إلى نعمة الحكومة الإسلاميّة، الحكومة العزيزة والمقتدرة فقال:

«قَدْ تَرَبَّعَتِ [٧٣٤] الْأُمُورُ بِهِمْ، فِى ظِلِّ سُلْطَان قَاهِر، وآوَتْهُمُ الْحَالُ إِلَى
كَنَفِ عِزٍّ غَالِب، وتَعَطَّفَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِى ذُرَى [٧٣٥] مُلْكٍ ثَابت».

والتاريخ الإسلامى أفضل شاهد على جميع ما ذكره الإمام عليه السلام بهذه العبارات حيث انتصار العرب بالخصوص والمسلمين بصورة عامة فى ظلّ الإسلام، الأمر الذى يقرّه مؤرخو الشرق والغرب.

ثم أشار فى ختام هذا الكلام إلى النصر المطلق للمسلمين على خصومهم بعبارة بليغة فقال:

«فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ، ومُلُوكٌ فِى أَطْرَافِ الْأَرَضِينَ. يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، ويُمْضُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ! لَا

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٣۶١

تُغْمَزُ[٧٣۶] لَهُمْ قَنَاةٌ[٧٣٧]، ولَا تُقْرَعُ [٧٣٨] لَهُمْ صَفَاةٌ[٧٣٩]».

إشارة إلى سطوة الحكام والسلاطين فى العهود السابقة عليهم إثر اختلافهم وفرقتهم وضعفهم وعجزهم حتى استعبدوهم بينما بث فيهم الإسلام روح الاتحاد والقدرة والعزّة فانحنوا لهم حيث تحولوا إلى قوّة لا تقهر.

قال أحد المستشرقين: بلغ المسلمون درجة من القوّة بحيث يوصف بالجنون كلّ من يفكر فى مواجهتهم.

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٣۶٣

## القسم التاسع عشر

### اشارة

أَلَا وإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ، وثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ، بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ. فَإِنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ قَدِ امْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هذِهِ الْامَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هذِهِ الْالْفَةِ الَّتِى يَنْتَقِلُونَ فِى ظِلِّهَا، ويَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا، بِنِعْمَة لَايَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً، لِانَّها أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَن، وأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَر.

واعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَاباً، وبَعْدَ الْمُوَالاةِ أَحْزَاباً. مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْاسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْايمانِ إِلَّارَسْمَهُ.

تَقُولُونَ: النَّارَ وَلَا الْعَارَ! كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا الْاسلَامَ عَلَى وَجْهِهِ انْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ، ونَقْضاً لِمِيثَاقِهِ الَّذِى وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ حَرَماً فِى أَرْضِهِ، وأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ. وإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ، ثُمَّ لَاجَبْرَائِيلُ وَلَا مِيكَائِيلُ وَلَا مُهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُم إِلَّا الْمُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ.

وإِنَّ عِنْدَكُمُ الْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وقَوَارِعِهِ، وأَيَّامِهِ ووَقَائِعِهِ، فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلًا بِأَخْذِهِ، وتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ، ويَأْساً مِنْ بَأْسِهِ. فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِىَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْىَ عَنِ الْمُنْكَرِ. فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِى، والْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِى.

أَلَا وقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْاسْلَامِ، وعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ، وأَمَتُّمْ أَحْكَامَهُ.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۶۴

## الشرح والتفسير: اجتناب الفرقة

أشار الإمام عليه السلام فى المقاطع السابقة إلى شؤون بنى إسرائيل وضعفهم قبل قيام موسى عليه السلام ومن ثم قوتهم واقتدارهم فى ظلّ حركة موسى التى وحدت صفوفهم وبالتالى ضعفهم وذلتهم ثانية حين تولوا عن الدين الجديد ودعوة موسى، فذكّر المسلمين بهذه المراحل الثلاث، المرحلة الأُولى المتعلقة بالعصر الجاهلى، والمرحلة الثانية المرتبطة بانبثاق الدعوة الإسلاميّة وما انطوت عليه من انتصارات باهرة والذى مر علينا فى الأقسام السابقة، وخاض هنا فى تفاصيل المرحلة الثالثة التى انطوت على تخلف المسلمين عن الوحدة والانتصارات السابقة فقال:

«أَلَا وإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ ۷۴۰] أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ، وثَلَمْتُمْ ۷۴۱] حِصْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ، بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ).

ثم خاض عليه السلام فى شرح هذا الكلام فقال:

«فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدِ امْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هَذِهِ الْامَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هذِهِ الْالْفَةِ الَّتى يَنْتَقِلُونَ فِى ظِلِّهَا، ويَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا[۷۴۲]، بِنِعْمَة لَايَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً، لِانَّها أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَن، وأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَر».

فكلّ هذه العبارات تشير إلى أهميّة الاتحاد والإلفة، الأمر الذى أكّده القرآن الكريم فى عدّة مواضع فى قوله تعالى «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً[۷۴۳]»[۷۴۴].

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۶۵

فكشف النقاب أكثر عن الموضوع ليقول صراحة:

«وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُم بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَاباً وَبَعْدَ الْمُوَالاةِ أَحْزاباً. مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْاسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْايمَانِ إِلَّارَسْمَهُ».

فقد أفصح الإمام عليه السلام فى هذه العبارات عن مدى قلقه على أوضاع المسلمين آنذاك وكيف بدت عليهم آثار العصبيّة القبليّة التى جهد النّبى صلى الله عليه و آله على إزالتها فى ظلّ التعاليم الإسلاميّة السمحاء، فكانت هذه العصبية أساس الاقتتال وسفك الدماء ولذلك صرّح لهم الإمام عليه السلام: (أنّكم لتتحدثون عن الإسلام والإيمان بينما لا تحسنون من الإسلام سوى اسمه ومن الإيمان سوى شكله)، نعم! إنّكم لتنطقون بالشهادتين وتأتون ظاهرياً بالصوم والصلاة لكنكم غافلون عن تعاليم هذا الدين.

ثم شرح الإمام عليه السلام هذه العبارة فقال:

«تَقُولُونَ: النَّارَ وَلَا الْعَارَ! كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا[۷۴۵] الْاسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ انْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ، ونَقْضاً لِمِيثَاقِهِ الَّذِى وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ حَرَماً فِى أَرْضِهِ، وأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ».

عبارة هذه الشعار

«النّارَ وَلَا الْعارَ»

اطلقت حسب بعض الشرّاح لأول مرّة من قبل «أوس بن حارثة»[۷۴۶] وهو من الشعارات التعصبيّة البعيدة عن الإسلام. فهؤلاء يزعمون أنّهم مستعدون لدخول النار، لكنهم ليسوا مستعدين لأنّ تظهر عليهم القبيلة الفلانيّة، أو يراق لهم دم ولا يردّون الصاع صاعين. فالإمام عليه السلام يصف هذا الكلام بأنّه نقض العهود والتراجع عن الإسلام.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۶۶

وقال جمع من شرّاح نهج البلاغة إنّ العبارة

«النّارَ ولَا الْعارَ»

عظيمة إن كانت في الأهداف القدسيّة، بينما تعدّ قبيحة ومذمومة إن كانت في المفاخر القبليّة الواهيّة.

إنّما يصح هذا الكلام إن لم تكن النار بمعنى جهنم، بل كانت بمعناها الواسع الذي يشمل نار المشاكل الدنيوية أيضاً، مثلًا يقال (نتحمل جميع المحن وحتى الموت لكننا لا ـ نقبل بسيطرة الكفّار على البلاد الإسلاميّة) فالشعار بالطبع صحيح؛ أمّا أن يقال (نحن مستعدون لدخول النار لكننا لا نتحمل أفضلية القبيلة الفلانيّة) فالشعار هنا خاطئ وينسجم مع العصبية الجاهلية.

وعليه فلا يبدو صحيحاً ما ذكره المحقق التسترى في شرحه لنهج البلاغة حيث صرّح بأنّ هذا التقسيم مضحك، ذلك لأنّ من قال بهذا التقسيم إنّما فسّر النار بمعناها الواسع، رغم إنّ ما ورد في كلام الإمام عليه السلام على لسان المتعصبين آنذاك يراد به الجانب السلبي لذلك الشعار.

ثم أشار عليه السلام إلى العاقبة السيئة لهذا الأسلوب فقال:

«وإنَّكُم إنْ لَجَأْتُمْ إلَى غَيْرِهِ [۷۴۷]

حارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ، ثُمَّ لَاجَبْرَائِيلُ وَلَا مِيكائِيلُ وَلَا مُهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصارٌ[۷۴۸]

يَنْصُرُونَكُمْ إلَّا الْمُقَارَعَةَ[۷۴۹] بِالسَّيْفِ [۷۵۰] حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ».

إشارة إلى أنّكم حين كنتم متمسكين آنذاك بالإسلام فقد أمدكم اللّه بنصرته بملائكته وعنايته الغيبية التي عمت الأنصار والمهاجرين، فدحرتم الأعداء ونلتم

نفحات الولاية ؛ ج۷ ؛ ص۳۶۶

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۶۷

النصر وعشتم العزّة والكرامة والأمن، ولكن ستسلبون كلّ ذلك إذا وليتم ظهوركم للإسلام وعليه فما لكم إلّاالعودة إلى الإسلام الأصيل واطردوا عن أنفسكم الكبر والغرور والعصبية الجاهلية واطفئوا نيران الفرقة لتشملكم عناية اللّه وألطافه.

ثم حذرهم الإمام عليه السلام ودعاهم لمقارنة أوضاعهم بما أصاب الأمم الظالمة من قبلهم، فاستعرض لهم نماذج العقاب الإلهي كما ورد في القرآن الكريم فقال:

«وإنَّ عِنْدَكُمُ الأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللّهِ وقَوَارِعِهِ، وأَيَّامِهِ ووَقَائِعِهِ».

والعبارات الأربع

«بأس» و «قوارع»

و

«أيّام»

و

«وقائع»

كلّها إشارة إلى العاقبة الثقيلة والصعبة للأمم المذنبة السالفة، ولكن لكلّ من هذه العبارات مفهومها الخاص؛ فالبأس تعنى القتال والعذاب والقوارع إشارة إلى العقوبات الشاقة من قبيل طوفان نوح والزلزلة التى أصابت قوم لوط وصاعقة قوم عاد وثمود، والأيّام إشارة إلى مجموع الأيّام التى تشهد وقوع هذه الحوادث، والوقائع هى هذه الحوادث بما فيها المقدمة وذى المقدمة وآثارها ونتائجها.

و

«أيّام اللّه»

هنا إشارة إلى أيّام الأمم السابقة الصعبة والمرعبة، فقد جاء فى القرآن المجيد بشأن قوم عاد: «انَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرّ»[۷۵۱]. وقال إثر ذلك: «تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ»[۷۵۲]. وسائر الآيات الكثيرة الواردة بشأن قوم فرعون ونوح وأمثالهم.

ثم قال عليه السلام:

«فَلَا تَسْتَبْطِئُوا[۷۵۳] وَعِيدَهُ جَهْلًا بِأَخْذِهِ، وتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ[۷۵۴]، ويَأْساً مِنْ بَأْسِهِ».

أى إن تأخر عقاب العصاة لبضعة أيّام أو بضعة شهور فلا تظنوا باستحالة وقوعه،

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۶۸

فقد اثبت التاريخ وقوع هذا العذاب رغم تأخيره، وبالطبع فليس لهذا التأخير من أهميّة مقارنة بعمر العالم.

ثم خاض عليه السلام فى أسباب هذا الموضوع (التشابه فى المصير) ليركز على أهمها فقال:

«فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِىَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْىَ عَنِ الْمُنْكَرِ. فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِى، والْحُلَمَاءَ[۷۵۵] لِتَرْكِ التَّنَاهِى».

والكلام إشارة إلى الآية القرآنيّة الشريفة التى تقول: «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ* كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ»[۷۵۶].

وبالطبع وردت إشارات إلى سائر عوامل سقوطهم فى القسم القادم من الخطبة؛ إلّا أنّ عبارة الإمام عليه السلام تشير إلى أنّ أفدح أخطائهم تركهم فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وذلك لأنّ تطبيق جميع الأحكام الشرعيّة يتوقف على إحياء هاتين الفريضتين، فإن أُقيمتا أُقيمت جميع الفرائض وإن تركتا تعطلت سائر الفرائض والت إلى الفناء والزوال، ولذلك ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

«إنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْىَ عَنِ الْمُنْكَرِ ... فَرِيضَةٌ عَظِيمَةٌ بِها تُقامُ الْفَرائِضُ»[۷۵۷].

وسنتطرق إن شاء اللّه فى الخطب القادمة إلى الأهميّة الفائقة لفريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الإسلام فى الموضع الذى ورد الحديث فيه صراحة عن هذه الفريضة.

ثم اختتم الإمام عليه السلام كلامه فى هذا الجانب من الخطبة بالقول:

«أَلَا وقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْاسْلَامِ، وعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ، وأَمَتُّمْ أَحْكامَهُ».

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۶۹

هذه الكلمات تشير إلى أنّ الاكتفاء بظاهر الإسلام وبعض الطقوس الظاهريّة ليس مدعاة للنجاة، بل لابدّ من الالتزام بأحكامه وتعاليمه

وإقامة حدوده وتحكيم الإسلام فی جميع المجالات وأنتم لستم كذلک، فأنتم تتشدقون باسم الإسلام وتتصرفون تصرف الجاهلية، ومع ذلک تتوقعون العزّة والإقتدار.

***

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۷۱

## القسم العشرون

### اشارة

أَلَا وقَدْ أَمَرَنِی اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْیِ والنَّكْثِ وَالْفَسَادِ فِی الأَرْضِ، فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ، وأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ، وأَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ، وأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفِيتُهُ بِصَعْقَة سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ قَلْبِهِ ورَجَّةُ صَدْرِهِ، وبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْیِ. ولَئِنْ أذنَ اللَّهُ فِی الْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لُادِيلَنَّ مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَذَّرُ فِی أَطْرَافِ الْبِلَادِ تَشَذُّراً.

### الشرح والتفسير: تكليفی فی قتال المفسدين

أشار الإمام عليه السلام فی هذا المقطع من الخطبة إلى معاركه المعروفة ضد الفئات الظالمة فی الجمل وصفين والنهروان وكيف كشف لهم عن قدرته وقوته، وكأنّه أراد بهذا الكلام أن يلوح بقوته لبعض القبائل المتمردة التی عاشت الاقتتال مع بعضها بفعل العصبيات القبليّة ويلقمها حجراً ويفهمها أنها إن واصلت هذه المسيرة الخاطئة ستجابه بأشدّ العذاب فقال:

«أَلَا وقَدْ أَمَرَنِی اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْیِ والنَّكْثِ [۷۵۸] وَالْفَسَادِ

فِی الأَرْضِ، فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ، وأَمَّا الْقَاسِطُونَ [۷۵۹] فَقَدْ جَاهَدْتُ، وأَمَّا الْمَارِقَةُ[ ۷۶۰]

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۷۲

فَقَدْ دَوَّخْتُ [۷۶۱]».

إشارة إلى أنّ قتالی لهذه الفئات الثلاث كان بأمر اللَّه تعالى، ويستند هذا الكلام إلى الرواية الواردة عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قال لأمير المؤمنين على عليه السلام:

«وإنَّکَ سَتُقاتِلُ بَعْدی النّاكِثينَ والْقاسِطينَ والْمارِقينَ»[۷۶۲].

وقد ورد هذا الكلام فی (أسد الغابة) أنّه عليه السلام قال:

«عَهْدٌ إلَیَّ رَسُولِ اللَّهِ أنْ أقاتِلَ النّاكِثينَ والْقاسِطينَ والْمارِقينَ»[۷۶۳]

. هذا أولًا.

ثانياً: إشارة إلى أننی هزمت الفئات الثلاث، أمّا أصحاب الجمل فقد تفرّقوا أيادی سبأ وكسرت شوكة خوارج النهروان، كما تحطم معاوية وصحبه يوم صفين، غير أنّ حيلة ابن النابغة عمربن العاص قد أنقذته من الهزيمة المطلقة.

ثم واصل عليه السلام كلامه ليركز على زعيم الخوارج حرقوص بن زهير وكنيته ذوالثدية، الذی قتل شر قتلة يوم النهروان فقال:

«وأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ[۷۶۴] فَقَدْ كُفِيتُهُ

بِصَعْقَةٍ[۷۶۵] سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ[۷۶۶] قَلْبِهِ ورَجَّةُ[۷۶۷] صَدْرِهِ».

وهنالک خلاف بين شرّاح نهج البلاغة بشأن هذه الصاعقة، فقد ذهب البعض إلى أنّ صاعقة من السماء نزلت حقّاً على زعيم الخوارج

ذوالثدية فأهلكته وقذفت بجسمه فى تلك الحفرة (ردهة بمعنى حفرة ماء) بينما يعتقد البعض الآخر أنّ تلك الصاعقة هى الصراخات الشجاعة المدوية التى كانت تنطلق من الإمام عليه السلام فى بداية المعركة، فكانت هذه الصرخات تقض مضاجع البعض ومنهم ذو الثدية الذى إعتراه

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۷۳

الرعب فصعق وصرع أرضاً لينحدر إلى تلك الحفرة، ثم هدد ما تبقى من أولئك الأوغاد العتاة فقال:

«وبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْي. ولَئِنْ أذِنَ اللّهُ فِى الْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لَادِيلَنَ ۷۶۸] مِنْهُمْ إلَّا مَا يَتَشَذَّرُ فِى أَطْرَافِ الْبِلَادِ تَشَذُّراً[۷۶۹]».

وتشير العبارة:

«أَهْلِ الْبَغْى»

إلى ظلمة الشام وأصحاب معاوية الذين كانوا سيهلكون لولا قضية التحكيم يوم صفين، فالإمام عليه السلام يقول: لو أُتيحت لى الفرصة لقضيت عليهم وأرسيت حكومة العدل والقسط فى ربوع البلاد الإسلاميّة كافّة.

ولعل ذكر هذا المعنى بصيغة الجملة الشرطية يشير إلى أنّ الإمام عليه السلام سوف لن يُوفّق لشن هجومه الكاسح عليهم، فقد طالته المنية قبل أن يقوم بهذا العمل؛ ولكن على كلّ حال أعلن عن استعداده التام لمواجهتهم مادام فيه عرق ينبض ويعلم ضمنياً صحبه خططه المستقبلية.

## تأمّل

### من هو ذو الثدية؟

اسمه حرقوص بن زهير السعدى التميمى المعروف بذى الخويصرة، ذى الثدية ومُخدج، ولا يعلم وجه تسميته بذى الخويصرة؛ ولكن بالنظر إلى اللحم الزائد فى عضده كالثدى فى الصدر لقب بذى الثدية، كما عرف بالُمخدج اليد لنقص فى يده.

جاء فى التفاسير فى ذيل الآية ۵۸ من سورة التوبة: «وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِى الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إذَا هُمْ يَسْخَطُونَ». والمصادر التاريخية تؤكّد أنّه لما انتهت غزوة حنين وقف رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى موضع اسمه «جعرانة» لتوزيع الغنائم فطلب أبو سفيان وبعض المسلمين من قريش المزيد من الغنائم؛ فمنحهم رسول اللّه صلى الله عليه و آله أموالًا كثيرة لتأليف قلوبهم، فنهض ذو الثدية وخاطب

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۷۴

رسول اللّه قائلًا: «إعدل يا محمّد!».

فقال صلى الله عليه و آله:

«ويحك! فمن ذا يعدل إن لم أعدل؟»

. فاستأذنه عمر أن يضرب عنقه، فنهاه النّبى صلى الله عليه و آله وقال:

«دَعْهُ، فَسَيَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِىءِ هذا قَوْمٌ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ... تُحْتَقَرُ صَلَاتُكُمْ فى جَنْبِ صَلَاتِهِمْ، وَصَوْمُكُم عِنْدَ صَوْمِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَايُجاوِزُ تَراقيهِمْ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أسْوَدُ مُخْدَجُ الْيَدِ، إحدى يَدَيْهِ كَأَنَّها ثَدْىُ امْرَأَة أو بَضْعَةٌ تَدَرْدَر»[۷۷۰].

وعلى ضوء هذه النبوءة فقد ظهرت فئة فى الأمّة الإسلاميّة تقرأ القرآن وتعبد اللّه، ولكن حقيقة الأمر أنّهم خارجون عن الدين ولا يعرفون حقيقته.

وهذه الحقيقة معروفة بين المسلمين حتى أنّ عائشة المعروفة ببغضها لعلى عليه السلام قالت بعد النهروان وقتل ذى الثدية: سمعت

رسول اللّه صلی الله علیه و آله قال:

«یَقْتُلُهُ خَیرُ أُمّتی مِنْ بَعدِی»[۷۷۱].

وقد تحققت هذه النبوءة بعد صفین وقضیة التحکیم، حیث اجتمع الخوارج عند عبداللّه بن وهب الراسبی، فخطبهم ذوالثدیة ودعاهم للقتال وکان زعیمهم عبد اللّه بن وهب (وإن کانت الزعامة الفکریة والعقائدیة لذی‌الثدیة)[۷۷۲].

یذکر أنّ أمیر المؤمنین علیه السلام أخبرهم أنّ قوماً یخرجون من الدین ویقاتلون المسلمین وعلامتهم رجل (مُخدج الید)[۷۷۳].

وکان الناس یبحثون عن ذی الثدیة، لکنهم لم یعثروا علیه، فطعنوا فی علی علیه السلام وقالوا: خدعنا ابن أبی طالب لنقاتل إخواننا[۷۷۴].

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۳۷۵

وکان علی علیه السلام یقول:

«ما کَذِبتُ وَلَا کُذِبْتُ».

فطلب ذا الثدیة طلباً شدیداً وقلب القتلی ظهراً لبطن فلم یعثر علیه، ثم قال:

اطلبوا الرجل وأنّه لفی القوم، فلم یزل یتطلبه حتی وجده وهو رجل مخدج الید کأنّها ثدی فی صدره، فکبّر علی علیه السلام وسجد شاکراً[۷۷۵].

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۳۷۷

## القسم الحادی والعشرون

### اشارة

أَنَا وَضَعْتُ فِی الصِّغَرِ بِکَلَاکِلِ الْعَرَبِ، وکَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِیعَةَ ومُضَرَ. وقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِی مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّی اللَّهُ عَلَیْهِ وآلِهِ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِیبَةِ، والْمَنْزِلَةِ الْخَصِیصَةِ. وَضَعَنِی فِی حِجْرِهِ وأَنَا وَلَدٌ یَضُمُّنِی إِلَی صَدْرِهِ، ویَکْنُفُنِی فِی فِرَاشِهِ، ویُمِسُّنِی جَسَدَهُ، ویُشِمُّنِی عَرْفَهُ. وکَانَ یَمْضَغُ الشَّیْ‌ءَ ثُمَّ یُلْقِمُنِیهِ، ومَا وَجَدَ لِی کَذْبَةً فِی قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِی فِعْلٍ.

ولَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صَلَّی اللَّهُ عَلَیْهِ وآلِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ کَانَ فَطِیماً أَعْظَمَ مَلَکٍ مِنْ مَلَائِکَتِهِ یَسْلُکُ بِهِ طَرِیقَ الْمَکَارِمِ، ومَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَیْلَهُ ونَهَارَهُ. ولَقَدْ کُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِیلِ أَثَرَ أُمِّهِ، یَرْفَعُ لِی فِی کُلِّ یَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً، ویَأْمُرُنِی بِالْاقْتِدَاءِ بِهِ. ولَقَدْ کَانَ یُجَاوِرُ فِی کُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ، ولَا یَرَاهُ غَیْرِی. ولَمْ یَجْمَعْ بَیْتٌ وَاحِدٌ یَوْمَئِذٍ فِی الْاسْلَامِ غَیْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّی اللَّهُ عَلَیْهِ وآلِهِ وخَدِیجَةَ وأَنَا ثَالِثُهُمَا. أَرَی نُورَ الْوَحْیِ والرِّسَالَةِ، وأَشُمُّ رِیحَ النُّبُوَّةِ.

ولَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّیْطَانِ حِینَ نَزَلَ الْوَحْیُ عَلَیْهِ صَلَّی اللَّهُ عَلَیْهِ وآلِهِ فَقُلْتُ: یَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: «هذَا الشَّیْطَانُ قَدْ أَیِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ.

إِنَّکَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وتَرَی مَا أَرَی، إِلَّا أَنَّکَ لَسْتَ بِنَبِیٍّ، ولکِنَّکَ لَوَزِیرٌ وإِنَّکَ لَعَلَی خَیْرٍ».

### الشرح والتفسیر: التربیة فی کنف النّبی صلی الله علیه و آله

أشار الإمام علیه السلام فی هذا المقطع من الخطبة إلی أمرین مهمین بغیة تقویة معنویات

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۳۷۸

أصحابه فی مقابل الأعداء والأوباش ومثیری الفتن القبلیین؛ فتطرق إلی موقفه فی الغزوات الإسلامیّة أمام صنادید العرب والضربات

الموجعة التی كان يسددها لهم، ليرعب ذلك الخصم العنيد، ومن ثم عرج على قرابته من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله والتی تنحصر به دون غيره، ليندفع المؤمنون بكلّ قوّة واخلاص لطاعة أوامره، وعليه فلا ينبغی التصور بأنّ الإمام عليه السلام خاض فی الإشادة بنفسه فی هذا الجانب من الخطبة؛ الأمر الذی يتناقض والجوانب السابقة من الخطبة، بل الإمام يتابع هدفاً أسمى من هذه التصورات. فقال بادئ الأمر:

«أَنَا وَضَعْتُ فِی الصِّغَرِ بِكَلَاكِلِ الْعَرَبِ وكَسَرْتُ نَوَاجِمَ [۷۷۶] قُرُونِ رَبِيعَةَ ومُضَرَ».

والتعبير بالصغر فی العبارة السابقة والذی يقابل الكبر إشارة إلى شبابه عليه السلام؛ لا الطفولة، فالعبارة سائدة لدى الجميع إذا إنّ الأفراد الذين تقدم بهم العمر حين يريدون الإشارة إلى عصر الفتوة يقولون: (لقد فعلت كذا وكذا فی الصغر).

على كلّ حال تتداعى فی عبارة الإمام عليه السلام هذه الخواطر الرائعة للانتصارات التی تحققت فی المعارك الإسلاميّة؛ سيما الضربات التی سددها فی ميدان «بَدْر» إلى «عتبة» و «الوليد» و «حنظلة» وحين دفاعه المستميت فی ميدان «احُد» عن النّبی الأكرم صلى الله عليه و آله أمام حشود الأعداء والضربة المهلكة التی سددها يوم الأحزاب إلى أشجع شجعان العرب «عمروبن عبدود» وذاع صيته فی أرجاء الجزيرة العربية كافّة، ثم بطولاته فی فتح «مكه» وغزوة «حنين» وسائر الغزوات الإسلاميّة والتی تكشف برمتها عن مدى إقتدار الإمام عليه السلام وشجاعته وصموده فی الحروب دفاعاً عن الإسلام ونبیّ الإسلام صلى الله عليه و آله وتكشف عن الجانب المعنوی والروحی، وبالطبع فإنّ استعراض هذه الأمور يبث حالة الرعب والذعر فی صفوف الأعداء ويدفع المؤمنين لخوض الجهاد.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۷۹

وذكر بعض شرّاح نهج البلاغة كلاماً رائعاً بهذا الخصوص فبيّنوا أنّ النّبی الأكرم صلى الله عليه و آله أمضى ثلاثة عهود بعد البعثة؛ الأوّل: العهد الذی استغرق ثلاث عشرة سنة فی مكة والذی اكتفى فيه بإعداد صحبه لمقاومة الأعداء دون اللجوء إلى السيف. والثانی: الذی يبدأ منذ الهجرة حتى معركة الأحزاب والذی كان موقف المسلمين فيها يقتصر على الدفاع. والثالث: عهد فتح مكة وغزوة حنين والذی تميز بالهجوم وإن كان الهدف إطفاء نار الفتنة.

وقد كان على عليه السلام إلى جانب النّبی الأكرم صلى الله عليه و آله يضحی بنفسه طيلة هذه العهود، حيث بات على فراش النّبی ليفديه بنفسه فی الفترة الاُولى ولا تنسى مواقفه فی الفترة الثانية يوم بدر وأحد والأحزاب، كما تقدم الصفوف فی فتح مكة وحنين فی الفترة الثالثة[۷۷۷].

وقال بعض الكتّاب إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يدافع عن النّبی الأكرم صلى الله عليه و آله حتى قبل البعثة وأشار إلى قصة حدثت حين كان عليه السلام فی الثامنة من عمره فقد كان يقول:

إنّ النّبی لا يتحدّث فی بيته عن العبيد ويخاطب الغلمان بالشباب ولا يغضب عليهم ولم يقل لأحدهم افٍ [۷۷۸].

والتعبير

«بِكَلَاكِلْ»

(جمع كلكل بمعنى عظام الصدر) إشارة إلى الأبطال والزعماء فی المجتمع آنذاك، و «قرون» جمع «قرن» كناية عن المقتدرين من الأفراد وأنّ قرن الحيوان من أعضائه القوية.

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى الأمر الثانی من هذا القسم؛ وهو علاقته الحميمة بالنّبی الأكرم صلى الله عليه و آله والتی ابتدأت منذ الطفولة حتى آخر عمره حيث تربى عليه السلام فی كنفه صلى الله عليه و آله فقال:

«وقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِی مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، والْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ».

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۸۰

ثم قال لمزيد من الايضاح:

«وَضَعَنِی فِی حِجْرِهِ وأَنَا وَلَدٌ یَضُمُّنی الَی صَدْرِهِ، ویَکْنُفُنِی فِی فِرَاشِهِ، ویُمِسُّنِی جَسَدَهُ، ویُشِمُّنِی عَرْفَهُ ۷۷۹]. وکَانَ یَمْضَغُ الشَّیءَ ثُمّ یُلْقِمُنِیهِ».

فالعبارة تفید أنّ النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله لم یفرق قط بینه وبین ولده، وقد احتضن الإمام علیه السلام منذ کان صغیراً وأفاض علیه من أخلاقه السامیّة وغمره بالحبّ والحنان، وأضاف علیه السلام:

«ومَا وَجَدَ لِی کَذْبَةً فِی قَوْل، وَلَا خَطْلَةً[ ۷۸۰] فِی فِعْل».

إشارة إلی أنّه تربی فی حضن النّبی صلی الله علیه و آله بحیث کان بمنتهی الصدق والإخلاص فی القول والفعل والسیر علی الحقّ دون أدنی انحراف.

ثم تطرق علیه السلام إلی بیان هذه النقطة وهی: إنّی إن اتبعت النّبی صلی الله علیه و آله قبل البعثة واعتز بتلک الفترة وافتخر بتلک الفرصة، فذلک لأنّ النّبی صلی الله علیه و آله کان یتمتع منذ نعومة أظفاره بهدی اللَّه والطافه فقال:

«ولَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صَلَّی اللَّهُ عَلَیْهِ وآلِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ کَانَ فَطِیماً[ ۷۸۱]

أَعْظَمَ مَلَکٍ مِنْ مَلَائِکَتِهِ یَسْلُکُ بِهِ طَرِیقَ الْمَکَارِمِ، ومَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَیْلَهُ ونَهَارَهُ. ولَقَدْ کُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِیلِ ۷۸۲] أَثَرَ أُمِّهِ، یَرْفَعُ لِی فِی کُلِّ یَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ

عَلَماً، ویَأْمُرُنِی بِالْاقْتِدَاءِ بِهِ».

أی أنّ رعایة النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله لی لم تکن مقتصرة علی الجوانب الظاهریّة فحسب، بل کان یعلمنی کلّ یوم درساً فی الأخلاق والکمال والفضیلة وکنت أعی ذلک.

وتشیر العبارة

«علماً»

إلی العلامات التی کانت توضع سابقاً علی الطرق فی الصحاری حتی یهتدی بها المسافرون فی مسیرتهم فلا یضلون الطریق فیتجهون بکلّ ثقة إلی مقصدهم، وقد کانت لعلی علیه السلام هذه الهدایة إلی الحقّ.

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۳۸۱

ثم تطرق الإمام علیه السلام إلی أحد الفصول المهمّة فی حیاة النّبی صلی الله علیه و آله قبل البعثة؛ أی عبادته فی غار حراء فقال:

«ولَقَدْ کَانَ یُجَاوِرُ فِی کُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ، وَلَا یَرَاهُ غَیْرِی. ولَمْ یَجْمَعْ بَیْتٌ وَاحِدٌ یَوْمَئِذٍ فِی الْاسْلَامِ غَیْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّی اللَّهُ عَلَیْهِ وآلِهِ وخَدِیجَةَ وأَنَا ثَالِثُهُمَا. أَرَی نُورَ الْوَحْیِ والرِّسَالَةِ، وأَشُمُّ رِیحَ النُّبُوَّةِ».

فالعبارة تشیر إلی أنّ عبادته صلی الله علیه و آله فی غار حراء کانت تتکرر لسنوات حیث قال الإمام علیه السلام:

«ولَقَدْ کَانَ یُجَاوِرُ فِی کُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ»

کما تشیر إلی أنّ علیّاً فقط کان یراه.

أضف إلی ذلک فقد مضت علی الدعوة الإسلامیّة سنوات ولم یؤمن بها إلّاثلاثة:

النّبی وخدیجة وعلی (صلوات اللَّه وسلامه علیهم).

وأمّا بشأن رؤیة نور الوحی واستشمام ریح النبوّة فقد حملها بعض شرّاح نهج البلاغة علی الجوانب المعنویّة بینما ذهب البعض الآخر إلی عدم المانع علی حملها علی الجوانب الظاهریّة والمادیّة، أی أنّه حین نزول الوحی کان هنالک نور یسطع منه لا یراه سوی النّبی صلی الله علیه و آله وأمیرالمؤمنین علیه السلام کما کان الجو یتعطر برائحة زکیة لا یشمها سواهما ولا مانع من وجود بعض الکائنات المادیة التی یدرکها الأفراد من ذوی الشعور القوی بینما یتعذر إدراکها علی الآخرین، فمثلًا یقال: إنّ بعض الطیور ذات الحاسة القویة بإمکانها إدراک الأشعة فوق البنفسجیة أو الأشعة الحمراء التی یتعذر إدراکها علینا نحن البشر وسنتحدث فی مبحث التأمّلات عن

عبادة النّبى صلى الله عليه و آله فى غار حراء وإيمان خديجة عليها السلام وعلى عليه السلام بصفتهما أول من آمن باللَّه وصدق بالنبى.

ثم أشار عليه السلام إلى أمر آخر بشأن علاقته بالنّبى فقال:

«ولَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ[٧٨٣] الشَّيْطَانِ

حِينَ نَزَلَ الْوَحْىُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ:

«هذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ».

نفحات الولايه، ج٧، ص: ٣٨٢

وأضاف عليه السلام فقال لى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله:

«انَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِىٍّ، ولكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ».

لعل هنالك من يقول: هنالك من لايزال يعبد الشيطان فكيف التوفيق بين هذا الكلام وماجاء فى هذه الخطبة؟ والجواب واضح فى أنّ عرى الطاعة المطلقة للشيطان وعلى جميع المستويات التى كانت سائدة فى العصر الجاهلى والتى تشمل الوثنية وعبودية الأصنام والانحرافات الأخلاقيّة والمظالم الاجتماعيّة الشديدة قد انهارت بظهور الإسلام وظهرت الفئات الخيرة الكثيرة المؤمنة فى كلّ قرن وإن لم تكن أكثر عدداً وعدّة من اتباع الشيطان فإنّ كيفيتهم الوجوديّة ومقاماتهم لأرفع وأسمى.

بعبارة أخرى فقد صرح الشيطان منذ اليوم الأوّل قائلًا: «وَلَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ»[٧٨٤]. وقد زال هذا المعنى بانبثاق الدعوة الإسلاميّة، فطائفة كبيرة من المؤمنين من ذوى الإيمان القوى والعمل الصالح قد خرجوا من تبعية الشيطان بالإضافة إلى المخلصين والمراد بهم خاصة أولياء اللَّه.

على كلّ حال فإنّ هذه العباراة من قبيل العديد من الروايات التى سنشير إليها لاحقاً، والتى تشير إلى مدى عظم منزلة على عليه السلام بالنسبة للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله فقد كان صنوه فى كلّ شىء سوى النبوّة، وهذه هى الحقيقة التى وردت فى حديث المنزلة الذى ورد مفصلًا فى كتب الفريقين، حيث إنّ النّبى صلى الله عليه و آله استخلف علياً عليه السلام على المدينة فى غزوة تبوك فلما سأله الإمام أخبره صلى الله عليه و آله بحديث المنزلة.

والحديث حسبما رواه ابن عباس ونقلته مصادر العامّة المعتبرة كحديث صحيح السند أنّ علياً عليه السلام بكى لما استخلفه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على المدينة حين انطلق إلى تبوك فقال له صلى الله عليه و آله:

«أما تَرْضى أَنْ تَكُونَ مِنّى بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بَعْدى نَبِىّ»

. ثم قال:

«إِنَّهُ لا يَنْبَغى أَنْ أَذْهَبَ إِلَّا وأَنْتَ خَليفَتى».

نفحات الولايه، ج٧، ص: ٣٨٣

رواه الحاكم فى المستدرك وقال حديث صحيح السند، كما رواه الذهبى فى تلخيص المستدرك وصرح بصحته؛ كما ورد فى سائر المصادر مثل: مسند أحمد، ذخائرالعقبى، مناقب الخوارزمى، الإصابة لابن حجر عسقلانى وسائر المصادر التى يضيق المقام عن ذكرها[٧٨٥].

### تأمّلات

#### ١. العلاقة الحميمة بين على عليه السلام والنّبى صلى الله عليه و آله

لقد كانت هذه العلاقة منذ كان على عليه السلام فى طفولته حين تعرضت مكة لتلك الأزمة الاقتصادية والقحط الشديد الذى أصابها،

وكان لأبی طالب أولاد كثيرون فشق عليه ذلك فطلب النّبی صلی الله علیه و آله- وذلك قبل نبوته- من العباس الذهاب معه إلی بيت أبی طالب علی أن يكفل أحد أبنائه، ويكفل النّبی آخر فأتيا أبا طالب فقال لهما: اتركا لی عقيلًا واحملا من تريدان، فاختار النّبی صلی الله علیه و آله علياً علیه السلام والعباس جعفراً، ومنذ ذلك الحين لازم علی علیه السلام النّبی صلی الله علیه و آله حتی بعث فآمن به وصدقه [۷۸۶].

وكانت اليد الغيبيّة وراء تلك الحادثة ليكون علی علیه السلام منذ نعومة أظفاره إلی جنب رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فيتربی علی يديه وقد تتلمذ علی يد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله حتی رآی نور الوحی وشم رائحته وسمع صوت جبرئيل، بل سمع حتی رنة الشيطان حين المبعث وبالتالی كانت له علاقة تامة بعالم الغيب حتی خاطبه النّبی الأكرم صلی الله علیه و آله:

«انَّكَ تَسْمَعُ ما أَسْمَعُ وتَرَى ما أَرَى إِلّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ»[۷۸۷].

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۸۴

## ۲. غار حراء

يقع غار حراء علی سفح جبل يعرف اليوم بجبل النور، وكان هذا الجبل خارج مكة أمّا اليوم وبسبب اتساع مكة فإنّ جبل النور وغار حرا أصبحا داخلها، ويستغرق صعود هذا الجبل ما يقارب الساعة.

والغار المذكور غار صغير يستوعب شخصين فی حال الوقوف للعبادة واثنان أو ثلاثة عند الجلوس، ولكن إلی جانبه موضع واسع يستوعب الكثير، والجدير بالذكر أنّ جانبی الغار مفتوحان ليدخله هواء لطيف، بحيث لايشعر الإنسان بالحرارة الشديد فی فصل الصيف، وبغض النظر عمّا سبق فهو موضع للاختلاء والملیء بالمعنويات.

وكان صلی الله علیه و آله قبل البعثة وأحياناً حتی بعد البعثة يذهب إلی غار حراء بعيداً عن ضوضاء الجاهلية وعبادة الأصنام والخرافات السائدة فی ذلك العصر، فيناجی اللَّه ساعات وأيّاماً فی ذلك الغار، ويفكر فی خلق السماوات والأرض؛ والغريب أنّ من يدخل الغار ويتجه إلی الشمال فإنّه يستقبل الكعبة وبيت المقدس.

ويستفاد من بعض الروايات أنّه صلی الله علیه و آله كان يذهب إلی غار حراء حتی بعد النبوّة ليبتعد عن أذی المشركين ويخوض فی عبادة اللَّه ومناجاته وكان معه أحياناً علی علیه السلام وخديجة عليها السلام، ونعلم أنّ الوحی كان أوّل نزوله عليه هناك.

قال ابن أبی الحديد فی شرحه: وأمّا حديث مجاورته صلی الله علیه و آله بحراء فمشهور وقد ورد فی كتب الصحاح أنّه كان يجاور فی حراء من كلّ سنة شهراً، وكان يطعم فی ذلك الشهر من جاءه من المساكين فإذا قضی جواره من حراء كان أوّل ما يبدأ به إذا انصرف أن يأتی باب الكعبة فيطوف سبعاً ثم يرجع إلی بيته، حتی جاءت السنة التی أكرمه اللَّه فيها بالرسالة، فجاور فی حراء ومعه أهله خديجة وعلی ابن أبی وطالب وخادم له. فجاءه جبرئيل بالرسالة.

(إنّ هذا الحديث يبدو إشارة إلی النزول الدفعی للقرآن علی النّبی الأكرم صلی الله علیه و آله فی شهر رمضان؛ ولا ينافی النزول التدريجی فی ۲۷ من رجب)[۷۸۸].

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۸۵

## ۳. النّبی الأكرم صلی الله علیه و آله قبل البعثة

كثيراً ما يتساءل الناس عن الدين الذی كان يعتنقه النّبی الأكرم صلی الله علیه و آله قبل البعثة؛ ولم ينزل آنذاك الدين الإسلامی الحنيف؟

یقال أحیاناً إنّه کان علی دین شیخ الأنبیاء، إبراهیم الخلیل علیه السلام، وهذا الکلام صائب من جانب حیث کان صلی الله علیه و آله موحداً عابداً للّه، والتوحید من أبرز خصائص دین إبراهیم علیه السلام، ورغم أنّ جمیع الأنبیاء کانوا موحدین، إلّاأنّ ذلک لیس دلیلًا علی أنّ النّبی صلی الله علیه و آله کان متعبداً بشریعة إبراهیم فی فروع الدین کافّة.

ویفهم من کتاب المرحوم ابن زهرة (غنیة) أنّ هذا السؤال کان مطروحاً منذ ذلک الوقت، وقد أفرد فصلًا فی کتابه لهذا الموضوع؛ وهو: هل کان النّبی صلی الله علیه و آله متعبداً بشریعة سالف الأنبیاء، ورغم أنّه ذکر کلاماً مختصراً بهذا الخصوص، لکنه اکتفی بأنّ النّبی صلی الله علیه و آله ربّما عمل بدینه دون أن یذکر أی دلیل علی ذلک.

وورد فی حاشیة الطبعة الأخیرة لهذا الکتاب أنّ هذا السؤال کان مطروحاً منذ عهد السید المرتضی والشیخ الطوسی، حیث صرح البعض بصورة کلیّة: أنّه صلی الله علیه و آله کان یتبع ما سبقه من أدیان، ونفی البعض الآخر ذلک، وأمسک آخرون عن الکلام، وروی عن الشیخ الطوسی أنّه قال: إنّه صلی الله علیه و آله کان علی شرعة خاصة قبل النبوّة نزلت علیه عن طریق الوحی دون أن یتبع الأنبیاء السابقین.

ویعتقد العلّامة المجلسی أنّه کان للنبی هذا المقام قبل البعثة، فکانت تحدّثه الملائکة فیسمع کلامهم وکان أحیاناً أخری یلهم فی الرؤیا الصادقة، وبلغ مقام النبوّة فی الأربعین من عمره حیث نزل علیه القرآن والشریعة الإسلامیّة؛ ثم استدل علی ذلک بستة أدلة[۷۸۹].

وما أجدر علمائنا الأعلام أن یلتفتوا إلی الخطبة القاصعة وکلام أمیر المؤمنین علیه السلام بشأن ما کان علیه النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله من خلال أعظم ملائکته حیث قال:

نفحات الولایه، ج۷، ص: ۳۸۶

«ولَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صَلَّی اللَّهُ عَلَیْهِ وآلِهِ مِنْ لَدُنْ أنْ کَانَ فَطِیماً أَعْظَمَ مَلَک مِنْ مَلَائِکَتِهِ یَسْلُکُ بِهِ طَرِیقَ الْمَکَارِمِ، ومَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَیْلَهُ ونَهَارَهُ».

فهذا الکلام یشیر صراحة إلی أنّ النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله لم یکن متبعاً لما سبقه من أدیان، بل کانت له منهجیته الخاصّة التی بلغته عن طریق الإلهام من ذلک الملک العظیم وکان صلی الله علیه و آله ملتزماً بها.

فکیف یعلّمه هذا الملک العظیم سبل مکارم الأخلاق، ولا یلهمه الواجبات، وهکذا یتّضح الجواب عن السؤال بشأن تعبد النّبی صلی الله علیه و آله قبل البعثة بما سبقه من أدیان، من عدمه ۷۹۰].

نفحات الولایه، ج۷، ص: ۳۸۷

## القسم الثانی والعشرون

### اشارة

ولَقَدْ کُنْتُ مَعَهُ صَلَّی اللَّهُ عَلَیْهِ وآلِهِ لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَا مِنْ قُرَیْش، فَقَالُوا لَهُ: یَا مُحَمَّدُ، إنَّکَ قَدِ ادَّعَیْتَ عَظِیماً لَمْ یَدَّعِهِ آبَاؤُکَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَیْتِکَ، ونَحْنُ نَسْأَلُکَ أَمْراً إنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إلَیْهِ وأَرَیْتَنَاهُ، عَلِمْنَا أَنَّکَ نَبِیٌّ ورَسُولٌ، وإنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّکَ سَاحِرٌ کَذَّابٌ. فَقَالَ صَلَّی اللَّهُ عَلَیْهِ وآلِهِ: «ومَا تَسْأَلُونَ؟» قَالُوا:

تَدْعُولَنَا هذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّی تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وتَقِفَ بَیْنَ یَدَیْکَ، «فَقَالَ صَلَّی اللَّهُ عَلَیْهِ وآلِهِ: «إنَّ اللَّهَ عَلَی کُلِّ شَیء قَدِیرٌ، فَإنْ فَعَلَ اللَّهُ لَکُمْ ذلِکَ، أَتُؤْمِنُونَ وتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإنِّی سَأُرِیکُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وإنِّی لَاعْلَمُ أَنَّکُمْ لَا تَفِیئُونَ إلَی خَیْر، وإنَّ فِیکُمْ مَنْ یُطْرَحُ فِی الْقَلِیبِ، ومَنْ یُحَزِّبُ الْأَحْزَابَ». ثُمَّ قَالَ صَلَّی اللَّهُ عَلَیْهِ وآلِهِ: «یاأَیَّتُهَا الشَّجَرَةُ إنْ کُنْتِ تُؤْمِنِینَ بِاللَّهِ والْیَوْمِ الْاخِرِ، وتَعْلَمِینَ أَنِّی رَسُولُ

اللَّهِ، فانْقَلِعِى بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِى بَيْنَ يَدَىَّ بِإِذْنِ اللَّهِ». فَوالَّذِى بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا، وجاءَتْ ولَهَا دَوِىٌّ شَدِيدٌ، وقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ؛ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَىْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ مُرَفْرِفَةً، وأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ، وبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِى، وكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ- فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذلِكَ قالُوا عُلُوّاً واسْتِكْباراً: فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا ويَبْقَى نِصْفُهَا، فَأَمَرَهَا بِذلِكَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبال وأَشَدِّهِ دَوِيّاً، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ- فَقالُوا- كُفْراً وعُتُوّاً-: فَمُرْ هذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ، فَأَمَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ فَرَجَعَ؛ فَقُلْتُ أَنَا: لَاإِلهَ إِلَّا اللَّهُ؛ إِنِّى أَوَّلُ مُؤْمِن بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وأَوَّلُ مَنْ

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۸۸

أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ، وإِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ. فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وهَلْ يُصَدِّقُكَ فِى أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هذا! يَعْنُونَنِى.

## الشرح والتفسير: معجزة حركة الشجرة

أشار الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة الذى يعدّ من أهم جوانبها إلى إحدى معجزات النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى مكة وقد شهدها الإمام عليه السلام ليؤكّد علاقته الحميمة به صلى الله عليه و آله وسبقه إلى‌الإيمان، وهى المعجزة التى قل من رآها من المسلمين آنذاك فقال عليه السلام:

«ولَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَا[۷۹۱] مِنْ قُرَيْش، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ،

إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ، ونَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وأَرَيْتَنَاهُ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِىٌّ ورَسُولٌ، وإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ».

العبارة:

«الْمَلَا مِنْ قُرَيْش»

تشير إلى أنّ هذه المعجزة حدثت فى مكة وحين جهر النّبى صلى الله عليه و آله بدعوته وسمعها الكثير من الناس، ولكن لم يكن يتمتع المسلمون بقوّة وقدرة، وإلّا لما تجرّأ خصوم الدعوة بالتحدّث معه بهذه الطريقة الفظة.

على كلّ حال ظن أولئك أنّهم يختبرون النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله وقد سنحت الفرصة لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله، لأن يثبت لهم حقانيّة دعوته من خلال المعجزة التى طلبوها (لا التى يريدها هو) ولذلك جاء فى هذه الخطبة:

«فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ: «ومَا تَسْأَلُونَ؟» قالُوا: تَدْعُولَنَا هذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ».

فما كان منه صلى الله عليه و آله

: «فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىء قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذلِكَ، أَتُؤْمِنُونَ وتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟» قَالُوا: نَعَمْ».

جدير ذكره أنّه صلى الله عليه و آله قال:

«فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ»

ولم يقل:

«فَإِنْ فَعَلْتُ»

إشارة إلى أنّ

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۸۹

المعجزة بيد اللَّه وإن ظهرت على يد النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله.

والعبارة:

«أَتُؤْمِنُونَ» و «تَشْهَدُونَ»

إشارة إلى الإيمان القلبى بالإضافة إلى الشهادة بالحقّ ظاهرياً.

على كلّ حال فلم يقرّوا بالأمرين فما كان منه صلى الله عليه و آله إلّاأن:

«قالَ: «فَإِنِّی سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وإِنِّی لَاعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَى خَيْر، وإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِی الْقَلِيبِ [۷۹۲]، ومَنْ يُحَزِّبُ الأَحْزَابَ».

والعبارة:

«وإِنَّ فِيكُم ...»

إشارة إلى أبی جهل وعتبة وشيبة وأميّة بن خلف الذين قتلوا يوم بدر ورمی بأجسادهم فی بئر كانت هناك.

والعبارة:

«مَنْ يُحَزِّبُ الأَحْزَابَ»

إشارة إلى أبی سفيان. فالواقع أنّ النّبی الأكرم صلى الله عليه و آله أكمل طلبهم المعجزة بثلاثة أخبار غيبية يعدّ كلّ منها معجزة، عدم إيمانهم وطرح بعضهم فی البئر ومعركة الأحزاب التی حدثت بعد سنوات عديدة لاحقاً.

ثم إلتفت النّبی الأكرم صلى الله عليه و آله إلى أصل سؤالهم وإلتفت إلى الشجرة

«ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ: «ياأَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الْاخِرِ، وتَعْلَمِينَ أَنِّی رَسُولُ اللَّهِ، فَانْقَلِعِی بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِی بَيْنَ يَدَیَّ بِإِذْنِ اللَّهِ».

وخطاب النّبی صلى الله عليه و آله لتلك الشجرة يفيد أنّ للنباتات والجمادات نوعاً من الإدراك والشعور الذی أفاضه عليها اللَّه، كما تفيد العبارة القادمة أنّها مؤمنة أيضاً باللّه واليوم الآخر ولكن ما حقيقة هذا الإيمان وكيفية ذلك الشعور والإدراك، وهل لها بعد اختياری أم إجباری، فذلك من الأمور التی ليست واضحة لدينا على وجه الدقّة.

ولدينا العديد من الآيات القرآنيّة التی تشير إلى ذلك الإيمان والشعور والإدراك لدى جميع الأشياء بما فيها الجمادات وتفيد أنّها تسبح اللّه وتقدسه، وقد أسهب المفسرون بهذا الشان [۷۹۳].

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۹۰

فاستطرد أميرالمؤمنين على عليه السلام وقال:

«فَوَالَّذِی بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا، وجَاءَتْ ولَهَا دَوِیٌّ [۷۹۴] شَدِيدٌ، وقَصْفٌ [۷۹۵] كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ؛ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَیْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ مُرَفْرِفَةً[۷۹۶]، وأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ، وبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِی، وكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ».

فالذی يستفاد من هذه العبارة أنّ تلك الشجرة كانت ضخمة بحيث صاحبت حركتها أصوات عالية كانت مدوية، فألقت ببعض أغصانها على النّبی صلى الله عليه و آله وبالبعض الآخر على على عليه السلام، فكانت تلك معجزة كبيرة للنبی الأكرم صلى الله عليه و آله بإذن اللّه فی إقتلاع تلك الشجرة ووقوفها بين يديه صلى الله عليه و آله.

ولكن هل أدّت تلك المعجزة الباهرة إلى إيمان المشركين المتعصبين؟ كلا! بل كعادة المتعصبين المعاندين أخذوا يفتشون عن الذرائع وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام

«فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذلِكَ قَالُوا عُلُوّاً وَاسْتِكْبَاراً: فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا ويَبْقَى نِصْفُهَا، فَأَمَرَهَا بِذلِكَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وأَشَدِّهِ دَوِيّاً، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ».

والذی یستفاد من العبارة أنّ النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله أراهم معجزتین أَخریین؛ الأولی أنّه أمر الشجرة بالرجوع إلی مکانها، والثانیة أنّه أمرها بأن یأتیه نصفها بإذن اللّه.

وهل اقتنع القوم المشرکون المتعصبون بذلک؟ للأسف کلا! کما ورد فی کلام الإمام علیه السلام:

«فَقَالُوا کُفْراً وعُتُوّاً: فَمُرْ هذَا النِّصْفَ فَلْیَرْجِعْ إِلَی نِصْفِهِ کَمَا کَانَ، فَأَمَرَهُ

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۳۹۱

صَلَّی اللَّهُ عَلَیْهِ وآلِهِ فَرَجَعَ؛ فقُلْتُ أَنَا: لَاإِلهَ إِلَّا اللَّهُ؛ إِنِّی أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِکَ یَا رَسُولَ اللَّهِ، وأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَی تَصْدِیقاً بِنُبُوَّتِکَ، وإِجْلَالًا لِکَلِمَتِکَ».

وهل آمن أولئک بعد مشاهدتهم لهذه المعجزات الأربع العجیبة والخارقة للعادة والتی حصلت جمیعاً استجابة لاقتراحهم ولیس لاقتراح رسول اللّه صلی الله علیه و آله؟، کلا! ولیتهم اقتصروا علی عدم الإیمان بل رموه صلی الله علیه و آله بکلمات کافرة وطائشة وبعیدة عن المنطق کما أشار إلی ذلک الإمام:

«فَقَالَ الْقَوْمُ کُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ کَذَّابٌ، عَجِیبُ السِّحْرِ خَفِیفٌ [۷۹۷] فِیهِ، وهَلْ یُصَدِّقُکَ فِی أَمْرِکَ إِلَّا مِثْلُ هذَا! یَعْنُونَنِی».

إشارة إلی أننا شهدنا العدید من السحرة طیلة أعمارنا ونعلم أنّ فعلک کفعلهم، بل أمهر منهم ولا یصدقک فی ذلک سوی أمثال هذا الصبی السریع التصدیق!

والعجیب أنّ صدر کلامهم یناقض تماماً عجزه! فقد اقترحوا المعجزة وصرحوا باقتناعهم وإیمانهم بمجرد حصولها، ولکن حین تکررت المعجزة أربع مرات رموه بالسحر وهنا یرد هذا السؤال: إنّ هؤلاء لولم یکونوا یعرفون السحر من المعجزة ویحتملون السحر علی النّبی، فما بالهم اقترحوا علیه المعجزة منذ البدایة؟ فقد کان لهم أن یرموه منذ البدایة بالسحر.

نعم، فالأفراد المتعصبون إنّما یفتقرون علی الدوام إلی المنطق والوجدان والانصاف.

## تأمّلان:

### ۱. معجزة الشجرة فی الروایات الإسلامیّة

کان للنبی صلی الله علیه و آله عدة معجزات، والمعجزة المذکورة کانت أبرزها ولم تختصر الإشارة إلیها فی هذه الخطبة فحسب، بل وردت هذه المعجزة فی أغلب التواریخ

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۳۹۲

والروایات الإسلامیّة.

ویکفی هنا الإلتفات إلی ما ذکره ابن أبی الحدید فی شرحه لهذه الخطبة فقد قال: وأمّا أمر الشجرة التی دعاها رسول اللّه صلی الله علیه و آله فالحدیث الوارد فیها کثیر مستفیض قد ذکره المحدّثون فی کتبهم والمتکلمون فی معجزات النّبی، وقد وردت فی أغلب الروایات کما جاء فی الخطبة القاصعة (التی نحن بصددها) وإن اختصرها البعض وقال:

«إِنَّهُ دَعا شَجَرَةً فَأَقْبَلَتْ تَخِدُّ إِلَیْهِ الْأَرْضَ خَدّاً».

ثم أضاف: وقد ذکر البیهقی فی کتاب دلائل النبوّة حدیث الشجرة ورواه أیضاً محمد بن اسحاق بن یسار فی کتاب السیرة والمغازی [۷۹۸].

وقال المرحوم العلّامة التستری فی شرح نهج البلاغة: رواها ابن أثیر فی کتاب الکامل وفی أسد الغابة والبلاذری فی أنساب الأشراف والکراجکی فی کنزالفوائد [۷۹۹].

طبعاً يعلم من له معرفة بمعجزات الأنبياء بصورة عامة ومعجزات رسول اللّه خاصة أنّ مثل هذه المعجزات ليست عجيبة فی إثبات حقانيّة دعوة النّبی، كما أنّ اصرار الأفراد الجهّال والمتعصبين على إنكار الدعوة ليست بالشیء الجديد.

## ۲. الفارق بين السحر والمعجزة

كما ورد سابقاً فممّا لا شك فيه فقد كانت لأنبياء اللّه والأئمة المعصومين عليهم السلام أفعال خارقة للعادة تتعذر على الإنسان العادی، أی الأمور التی تجری خلافاً للقوانين الطبيعية السائدة ولا تتمّ إلّامن خلال الاستمداد من قوّة تفوق القوّة الطبيعية من قبيل إحياء الموتى وشفاء المرضى الذی لا علاج لهم والإخبار عن الغيب الذی ورد فی القرآن الكريم بشأن المسيح عليه السلام ومعجزة العصا واليد البيضاء لموسى عليه السلام وناقة صالح عليه السلام واطفاء نار نمرود على إبراهيم لتصبح عليه برداً وسلاماً

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۹۳

ومعجزة شق القمر والأهم من كل ذلك معجزة القرآن الكريم التی خُصَّ بها النّبی الأكرم صلى الله عليه و آله.

ومن الواضح أنّ المعجزات لا- تعنی تحقق معلول دون علّة لينكر ذلك بعض الأفراد، بل بمعنى الاستبداد من العلل غير الطبيعية المجهولة، والزعم بأننا عارفون بجميع العلل الطبيعية والتی تفوق الطبيعة هو زعم لا يقرّه أحد.

ومن جانب آخر فإنّ السحر حقيقة وإن امتزجت بالعديد من الخرافات، والسحرة عادة ما يستفيدون من العلل الطبيعية، لكنها علل وأسباب لم يلمّ بها الناس العاديون فمثلًا قيل بشأن سحر السحرة على عهد موسى عليه السلام أنّهم صنعوا شيئاً شبيه الحيّة وسكبوا داخله «الزئبق» الذی جعل ذلك الشیء الذی يشبه الحيّة يتحرك حين واجه أشعة الشمس بفعل «تطايره»، وعليه ففعلهم لم يكن خارقاً للعادة؛ لكنهم استغلوا بعض الأسباب التی لم تكن معروفة لدى عوام الناس.

وهنا يرد هذا السؤال: كيف يتسنى للناس التمييز بين السحر والمعجزة ليتعرفوا على الأنبياء ويكتشفوا كذب السحرة؟

ويبدو الفرق بينهما واضح؛ ومن ذلك؛ أولًا: إنّ سحر السحرة محدود لأنّه يستند العلوم البشريّة المحدودة، ولذلك يقوم السحرة بما يريدون من خرق العادة لا تلك التی يقترحها عليهم الآخرون، ذلك لأنّ عملهم ينطلق من تجاربهم وتمريناتهم ورياضاتهم السابقة.

أمّا بشأن الإعجاز فإنّ الأنبياء يتجهون صوب الأمور التی يقترحها عليهم الناس كالمعجزة آنفة الذكر ومعجزة شق القمر وسائر المعجزات التی طلبها قوم موسى من نبيّهم عليه السلام رغم ما كان عليه الأنبياء من معجزات منذ انطلاقتهم مثل معجزة القرآن والعصا واليد البيضاء.

ثانياً: تقترن معجزات الأنبياء بادعاء النبوّة والحال ليس للسحرة مثل هذا الادعاء فی خرقهم للعادة، فالحكمة الإلهيّة لم تسمح بحصول ما يخرق العادة بيد

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۳۹۴

الكذابين والمفترين ليدعی النبوّة فيقود الناس إلى الضلال والغواية، بل تقتضی الحكمة الإلهيّة فضح هؤلاء السحرة، ومن هنا فقد افتضح كلّ ساحر همّ بهذا الادعاء.

ثالثاً: لما كان السحر أمر منحرف، فلا يتجه إليه إلّاالأفراد المنحرفون، أی الأفراد الذين تشهد أقوالهم وأولادهم على انحرافهم. وعلى هذا الأساس إن بدرت من شخص قضية خارقة للعادة فلابدّ من تأمّل سيرته، فإنّ كانت سيرته حسنة صالحة كان ذلك علامة على كون تلك القضية الخارقة للعادة معجزة، وإن كانت سيرته طالحة وأعماله مشينة كان ما بدر منه سحراً، ذلك لأنّ السحرة من المصاديق البارزة للكذابين من الأفراد والغشاشين.

***

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۹۵

## القسم الثالث والعشرون

### اشارة

وإِنّی لَمِنْ قَوْمٍ لَاتَأْخُذُهُمْ فِی اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، سِيماهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ، وكَلَامُهُمْ كَلَامُ الأَبْرَارِ، عُمَّارُ اللَّيْلِ ومَنَارُ النَّهَارِ. مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ، يُحْيُونَ سُنَنَ اللَّهِ وسُنَنَ رَسُولِهِ؛ لَايَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَعْلُونَ، وَلَا يَغُلُّونَ ولَا يُفْسِدُونَ. قُلُوبُهُمْ فِی الْجِنَانِ، وأَجْسَادُهُمْ فِی الْعَمَلِ.

### الشرح والتفسير: أولياء اللَّه

خاض الإمام عليه السلام فی ختام الخطبة فی التعريف بنفسه ليكمل ما ذكره فی السابق من التعريف بمنزلته وموقعه ليمنح ما ورد فی هذه الخطبة قوّة وعمقاً واتقاناً أكثر، من جهة، لأنّ الإيمان بالمتكلم والوقوف على مدى علمه وتقواه يدفع بالمخاطب لأنّ يحمل خطابه محمل الجد، ومن جهة أخرى وليتعرف عليه أولئك الشباب وسط أصحابه الذين لم يعلموا بمواقفه، إلى جانب ضرورة أن يعرف الجميع أنّ هذه الكلمات لم يكن هدفها الدنيا ولا ترسيخ دعائم الحكومة بل الهدف منها هداية الأمة إلى الصراط المستقيم، فقد أشار عليه السلام إلى تسع عشرة صفة من صفاته والتی تعدّ كلّ واحدة منها فضيلة ومنقبة عظيمة فقال:

«وإِنّی لَمِنْ قَوْمٍ لَاتَأْخُذُهُمْ فِی اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ».

فالقيام بالوظيفة أحياناً يكون مخالفاً للأفكار ورغبات طوائف معينة فی المجتمع وهنا يتخلى بعض الأفراد الانتهازيين وأصحاب الدعة والراحة أو الجبناء عن أداء وظائفهم خشية التعرف لملامة الآخرين وتقريعهم، وولی اللَّه من يواصل

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۹۶

طريقه إن رآه صحيحاً ولو انتهج عامّة الناس طريق الخطأ دون أن يشعر بأدنى خشية أو خوف ويقدّم رضا اللَّه على رضا الخلق، وقد كان الإمام على عليه السلام رائد هذا الطريق بعد النّبی صلى الله عليه و آله وهی الصفة التی امتاز بها جميع أئمة أهل البيت عليهم السلام وأبرز مصداق على ذلك الإمام الحسين عليه السلام وشهادته فی كربلاء.

وقد أثنى اللَّه فی كتابه الكريم على المجاهدين الذين يتسمون بهذه الصفة فقال:

«يُجَاهِدُونَ فِی سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِکَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ»[۸۰۰].

وقال فی الصفة الثانية والثالثة: «سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ، وكَلَامُهُمْ كَلَامُ الأَبْرَارِ».

و «الصدّيقين»:

هم الصادقون والمصدقون بأنبياء اللَّه الذين كانوا يصدقونهم فی أقوالهم وأفعالهم وقد جعلهم اللَّه تعالى فی الآية ۶۹ من سورة النساء فی مصاف أنبيائه فقال: «فَأُوْلَئِکَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ ...».

و «الأبرار»:

من ذكر لهم القرآن ثمانی عشرة صفة فی سورة الدهر، وهی الصفات التی ترفع صاحبها إلى أسمى مقام فی القرب من اللَّه، ونعلم أنّ هذه الصفات نعت بها (على وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام).

ثم قال فی الصفتين الرابعة والخامسة:

«عُمَّارُ اللَّيْلِ ومَنَارُ النَّهَارِ».

والعبارة:

«عُمّار»

جمع (عامر) إشارة إلى التهجد وإحياء الليل وعبادات اليوم والنهار التى تعمر روح الإنسان وقلبه وتضفى عليه معانى الصفاء والجمال وتحيى القلوب الميتة وتغسل الذنوب بماء حياة التوبة، والعبارة «منار» إشارة إلى الأبراج العالية التى كانت توضع سابقاً فى مسير الطرق الصحراوية وتنصب عليها المصابيح حتى لا ـ يضل المسافر الطريق (تشبه العلامات المرورية التى تنصب اليوم فى الشوارع). فهؤلاء الأفراد كتلك المصابيح فى هداية الناس إلى اللّه والسعادة والخير والنجاة من الضلال والغواية.

ثم قال فى الصفتين السادسة والسابعة:

«مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ؛ يُحْيُونَ سُنَنَ

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۹۷

اللَّهِ وسُنَنَ رَسُولِهِ».

المراد من التمسك بحبل القرآن التوسل به ليخرج الإنسان من مستنقع الطبيعة وهوى النفس ويعرج إلى ساحة القرب الإلهى، أو خروج ماء الحياة من باطن أرض الوجود الإنسانى بواسطته أو التمسك بحبل القرآن فى المعابر الخطيرة بغية عدم السقوط فى أودية الضلال.

قال النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى أهميّة القرآن الكريم الوارد فى حديث الثقلين:

«كِتابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّماءِ إلَى الأَرْضِ»[۸۰۱].

وإحياء سنّة اللّه وسنّة النّبى العمل بالفرائض الواردة فى القرآن والواجبات التى فرضها النّبى صلى الله عليه و آله، لا العمل لوحده فحسب بل لابدّ من دعوة الآخرين إلى ذلك.

ثم قال فى الصفات الثامنة والتاسعة والعاشرة والحادية عشرة:

«لَا يَسْتَكْبِرُونَ ولَا يَعْلُونَ، وَلَا يَغُلُّونَ ۸۰۲] وَلَا يُفْسِدُونَ».

وهذه الصفات فى الواقع مرتبطة مع بعضها، فالتكبر والشعور بالعُلو وحمل الغلّ والإفساد من صفات الطغاة المستكبرين بغية تحقيق أهدافهم اللامشروعة، قال القرآن الكريم: «انَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا»[۸۰۳]، وقال أيضاً: «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَايُرِيدُونَ عُلُوّاً فِى الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً»[۸۰۴].

وبالنظر إلى أنّ كلمتى الفساد والخيانة وردت هنا بصورة مطلقة فإنّهما تشملان فى العقائد والأخلاق والأموال وجميع شؤون الحياة.

وأخيراً قال فى الصفة الثانية عشرة التى تمتاز بشموليتها:

«قُلُوبُهُمْ فِى الْجِنَانِ، وأَجْسَادُهُمْ فِى الْعَمَلِ».

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۹۸

إشارة إلى أنّ هدفهم نبيل للغاية فهم لا ـ يفكرون سوى برضا اللّه وجنانه الخالدة، ومن هنا فأبدانهم تعيش على الدوام طاعة الحقّ والعمل بالواجبات الإلهيّة والواجبات الإنسانيّة، جدير بالذكر أنّ الخطبة ابتدأت بنفى الكبر والاستكبار واختتمت به وهذه إحدى شؤون الفصاحة والبلاغة فى إرتباط النهاية بالبداية.

حقّاً إنّ الذين يتصفون بهذه الصفات الإثنتى عشرة هم المؤمنون المخلصون الذين ينتظرهم الجنّة بشوق، وهم القدوة الحسنة لعباد اللّه فى الحياة الدنيا.

***

اللّهم اجعلنا من السائرين على دربهم، ووفقنا لاتباع تعاليمهم ولا تفرق بيننا وبينهم فى الدنيا والآخرة طرفة عين أبداً!

***

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۳۹۹

## الخطبة ۱۹۳

## اشارة

يَصِفُ فِيهَا الْمُتَّقينَ ۸۰۵] رُوى أنّ صاحِباً لأَميرالمُؤمنِينَ عليه السلام يُقالَ لَهُ هَمّامُ كانَ رَجُلًا عابِداً، فَقالَ لَهُ: يا أَميرالمُؤمنينَ، صِفْ لِى الْمُتَّقينَ حَتّى كَأَنى أَنظُرُ إِلَيهِمْ. فَتَثاقَلَ عليه السلام عَنْ جَوابِهِ ثُمَّ قالَ: يا هَمّام! اتَّقِ اللَّهَ وأَحْسِنْ: «انَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا والَّذينَ هُمْ مُحْسِنُونَ». فَلَمْ يَقْنَعْ هَمّامُ بِهذا الْقَولُ حَتّى عَزَمَ عَلَيْهِ، فَحَمِدَاللَّهَ وأَثنى عَلَيهِ، وصلّى عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه و آله ثُمَّ قالَ عليه السلام:

## نظرة إلى الخطبة

تتابع الخطبة مطلباً معيناً وهو صفات المتّقين حيث ذكر الإمام عليه السلام مائة وعشر

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۰۰

صفات للمتّقين، لكننا إن تأمّلنا تفاصيل الخطبة لرأينا أنّ هذه الصفات تعالج أبعاداً مختلفة من حياة المتّقين.

فبعضها يتحدّث عن سجاياهم الأخلاقيّة الفرديّة، بينما يبحث البعض الآخر فى أخلاقهم الاجتماعيّة.

ويكشف جانب آخر من الخطبة علو شأنهم فى القضايا العقائديّة والمعارف الدينيّة بينما يشير جانب آخر منها إلى منزلة تقواهم وورعهم من حيث الأقوال والأفعال.

كما تطرق جانب آخر من الخطبة إلى سيماهم وعلاماتهم التى ترشدنا إلى التعرف على المتّقين الورعين فى جماعة معينة من خلال هذه الصفات.

واختتمت الخطبة بحادثة عجيبة لهمام- السائل الذى أصر على بيان صفات المتّقين- حيث صعق صعقة فارق على أثرها الحياة الدنيا؛ فقال الإمام عليه السلام: هكذا تفعل المواعظ البالغة بأهلها، فقام إليه رجل فقال: فما بالك يا أمير المؤمنين؟ فأجابه الإمام بجواب مقنع.

ويستفاد من بعض الطرق الروائية أنّ الإمام خطب بهذه الخطبة بعنوان صفات الشيعة[۸۰۶].

## إجابة عن سؤال

طبق لما ورد فى صدر الخطبة فإنّه يرد هذا السؤال: لم تحفّظ الإمام عليه السلام عن بيان صفات المتّقين بادئ الأمر ثم شرحها أثر إصرار السائل؟

وردت عدّة وجوه فى سبب تأمّل الإمام عليه السلام بشأن الجواب منها:

۱. إنّ الإمام عليه السلام كان يعلم بأنّ ذلك الرجل من أهل الموعظة والنصح ويخشى عليه من شعوره المرهف وحساسيته المتزايدة، ومن هنا اكتفى الإمام عليه السلام بجواب

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۰۱

إجمالى يدل عليه ذيل الخطبة.

۲. شهد المجلس آنذاك بعض الأفراد الغرباء الذين لم ير الإمام عليه السلام من مصلحة فی سماعهم لتلك الكنوز والجواهر الثمينة، ولعل ذيل الخطبة شاهد على ذلك، فسؤال السائل وجواب الإمام عليه السلام يدلّ على وجود غير المؤهلين فی ذلك الوسط.

۳. أثار الإمام عليه السلام اهتمام همام بصورة أعمق لسماع الجواب بذلك التأمّل والسكوت لتأخذ تلك الموعظة مأخذها المطلوب منه.

۴. إنّ أدب السؤال والجواب يقتضی ألا يتعجل المجيب بجوابه، بل يتأمّل فی بداية الحديث ليعرف السائل بأهميّة المطلب، الأمر هل الذی ذكر بشأن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه كان يتريث فی الجواب حتى يسئل عن ذلك التريث هو تفكير فی الجواب؟ فيرد صلى الله عليه و آله: لا، بل إكرام للعلم والعمل ۸۰۷].

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۰۳

## القسم الأوّل

### اشارة

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لِأَنَّهُ لَاتَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ. فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ، ووَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ.
فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، ومَلْبَسُهُمُ الاقْتِصَادُ، ومَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ. غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، ووَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ. نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِی الْبَلَاءِ كَالَّتِی نُزِّلَتْ فِی الرَّخَاءِ. ولَوْلَا الأَجَلُ الَّذِی كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِی أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ، وخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ. عَظُمَ الْخَالِقُ فِی أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَادُونَهُ فِی أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ والْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وهُمْ والنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ. قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ. صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً. تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ. أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا، وأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا.

### الشرح والتفسير: صفات المتّقين

قبل أن نخوض فی شرح هذا القسم من الخطبة علينا أن نبيّن هذه النقطة وهی ما كيفية العلاقة بين جواب الإمام عليه السلام المقتضب بداية الأمر وسؤال همام؟ فقد طلب السائل بيان صفات المتّقين، فأمر الإمام عليه السلام بالتقوى والإحسان بدلًا من بيان

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۰۴

الصفات، ثم تطرق إلى فوائد التقوى ويبدو للوهلة الأُولى أنّ الأمر بالتقوى ليس جواباً عن سؤال همام ولا ذكر الفوائد.

الظاهر أنّ الإمام عليه السلام أراد بهذا الكلام أن يفهمه بأنّ التقوى مفهوم واضح بالإجمال وعليك بالعمل، ثم تطرق عليه السلام لنتائج التقوى لحثه عليها، على كلّ حال فقد خاض الإمام عليه السلام فی بداية الخطبة فی بيان هذه النقطة المهمّة حيث بيّن أنّ اللَّه تعالى غنی عن الجميع فإنّ وردت بعض الوصايا الثقيلة والعديدة بشأن التقوى فی هذه الخطبة فهی لا تضيف للَّهشيئاً من الجلال والجاه، بل ليطوی الإنسان مسيرة التكامل فقال عليه السلام:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لِأَنَّهُ لَاتَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ».

ودليل ذلك واضح، فأوّلًا: اللَّه تعالى وجود لامتناهٍ من جميع الجهات وكمال مطلق وليس للنقص من سبيل إلى هذا الوجود ليرقى به

إلى كمال عن طريق الطاعة والعبودية ولو كفر من في الأرض كلّهم جميعاً لما نال ذلك من كبرياء اللَّه شيئاً، إذ إنّ المخلوقات أعجز من أن يلحقوا ضرراً بذاته القدسيّة.

وثانياً: كلّ ما لدى المخلوقات من اللَّه وفيوضاته ولا معنى لإعادة الفيض عليه، كلّ خلق يتغذى على مائدته، بل حياتهم بلطفه ورحمته ولو أوكلهم اللَّه إلى أنفسهم طرفة عين لهلكوا.

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى أوضاع الناس الدنيوية كمقدمة في الواقع لبيان الجوانب المعنويّة التي ذكرت لاحقاً، فبيّن بعبارتين الأمور كافّة في جوانب حياتهم الماديّة وقال:

«فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ».

إشارة إلى أنّ اللَّه بيده جميع حوائج الخلق الماديّة وهو يُفيض عليهم من لطفه بقدر كلٍّ حسب موقعه. وهذا ما ورد في القرآنالكريم فيالآية ۳۲ من سورة الزخرف:

«نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْض دَرَجَات».

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۰۵

طبعاً تقسيم المعيشة لا يعني وصول كلّ شيء للإنسان في داره دون سعي ومثابرة، ولكن الرزق يأتي بالسعي والجهد فقد خلق اللَّه جميع الموارد ودعى الجميع للسعي والعمل، وهكذا المقامات الظاهريّة التي افاضها اللَّه على العباد لا تتحصل هي الأخرى دون السعي والجد والاجتهاد.

جدير ذكره أننا أن شاهدنا موت البعض في العصر الراهن بسبب الجوع، فذلك ليس معلولًا لشحة المواد وقلتها، بل يعزى ذلك إلى ظلم وجور الطبقة الأنانيّة النفعيّة المستغلة، فلو كان هنالك تقسيم عادل في الأرزاق لما جاع أحد حتى في ظلّ أصعب السنين قحطاً.

ولم يوفّر اللَّه تعالى الرزق للإنسان فحسب دون الكائنات، بل وفر ذلك بصورة مذهلة لجميع الأحياء والحيوانات، فلم يغفل عن نطفة في جنين ولا يرقة في بيضة طائر أو بذرة نبات ووفّر للجميع ما يحتاجون إليه، وتبدو قصّة تقسيم الأرزاق في مختلف أساليبها وطرقها لمن القصص العجيبة التي ينبغي أن تؤلف فيها الكتب.

ثم خاض عليه السلام في بيان السجايا البارزة للمتّقين فاستهلها بثلاث صفات بارزة وقال:

«فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ، مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الاقْتِصَادُ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ».

العبارة:

«مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ»

إشارة إلى الخطوة الأُولى في تهذيب الإنسان وتربيته والتي تتمثل في صون لسانه ومنطقه؛ اللسان الذي تصدر بواسطته الكبائر، كما تحقق بواسطته أفضل العبادات، فإنّ صلح صلح كلّ ما في الإنسان وإن فسد فسد كلّ شيء فيه.

ولمفردة

«صواب»

، هنا مفهوم غاية في السعة يشمل كلّ كلمة حقّ وحكمة، نعم فالمتقون ينبرون قبل كلّ شيء لصون ألسنتهم ومنطقهم، ومن هنا يعتقد أصحاب السير والسلوك أنّ صون اللسان يعد الخطوة الأُولى في إصلاح الذات، ذلك لأنّ صلاحه يعني صلاح سائر الأعضاء، قال تعالى في كتابه العزيز: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۰۶

اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ»[۸۰۸].

وإصلاح الأعمال وغفران الذنوب أثر التقوى والقول السديد، قرينة حسنة على إرتباطهما ببعضهما.

والتعبير بالملبس فى العبارة

«ومَلْبَسُهُمُ الاقْتِصادُ»[۸۰۹]

والتى ذكرت ثانى صفة وفضيلة للمتّقين إن وردت بمعناها الحقيقى فهى إشارة إلى اللباس الظاهرى الذى ينبغى أن يكون بعيداً عن الاسراف والتبذير وكذلك التقتير والبخل كما روى ذلك بعض الشرّاح.

أمّا إن كان اللباس بالمعنى الكنائى الواسع بقرينة بعض الآيات مثل

«وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذلِكَ خَيْرٌ»[۸۱۰]

و «وَهُوالَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً»[۸۱۱] و «هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ»[۸۱۲] فلا ينبغى الاقتصار به على معنى الارتداء الظاهرى بل يكون معناه واسع يشمل جميع حياة الإنسان، أى إعتدال الحياة برمتها فيكون بمثابة اللباس على أجسادهم، كما عبّر فى الجملة الثالثة:

«مَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ»

فهى لا ـ تقتصر على المشى الظاهرى، ذلك لأنّ المشى المتواضع وإن كان حسناً لكنه لا يصلح فى مصاف أولى الصفات البارزة للمتّقين، ولكن إن كان إشارة لمعنى المشى الواسع فمعناه أنّ سلوكياتهم كافّة مقرونة بالتواضع.

فقد أشار الإمام عليه السلام فى الواقع بداية الخطبة إلى ثلاثة مبادئ أساسيّة: الصواب والاعتدال والتوضع التى تسود حياة المتّقين فى جميع جوانبها.

وقد وردت عدّة تأكيدات على هذه المبادئ الثلاث فى الأخبار والروايات، فقد ورد فى الخبر عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

«إنَّ هذَا اللِّسانَ مِفْتاحُ كُلِّ خَيْرٍ وشَرٍّ

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۰۷

فَيَنْبَغى لِلْمُؤْمِنِ أنْ يَخْتِمَ عَلى لِسانِهِ كَما يَخْتِمُ عَلى ذَهَبِهِ وفِضَتِهِ»[۸۱۳].

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام:

«ما عالَ مَنِ اقْتَصَدَ»[۸۱۴].

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«فيما اوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إلى داوُدَ عليه السلام: يا داوُدُ كَما أنَّ أقْرَبَ النّاسِ مِنَ اللَّهِ الْمُتَواضِعُونَ كَذلِكَ أبْعَدُ النّاسِ مِنَ اللَّهِ الْمُتَكَبِّرُونَ»[۸۱۵].

ثم بين عليه السلام هاتين الصفتين فقال:

«غَضُّوا[۸۱۶] أَبْصارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، ووَقَفُوا

أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ».

«غَضُّوا»:

من مادة

«غضّ»

تعنى فى‌الأصل (التقليل) وحين تستعمل فى العين تعنى الخفض أى خفض الرأس إلى الأسفل أو إسدال الجفنين على العينين.

«وَقَفُوا»:

من مادة

«وقف»

تعنى لغوياً التوقف بينما تعنى فى الاصطلاح الفقهى وقف شىء لآخر أو تستعمل بمعنى أوسع بمعنى خص الشىء بآخر. وعليه فإنّ أخذنا المعنى الحقيقى للكلمة فى العبارتين المذكورتين كان المفهوم أنّهم لا ينظرون إلى الحرام ولا يسمعون سوى العلم النافع، وإن أخذنا بنظر الاعتبار المعنى الكنائى الواسع فمفهوم العبارة الأُولى أنّهم يخفضون بصرهم عن جميع المحرمات ويوقفون سمعهم على العلم النافع فقط.

والمراد من

«الْعِلْمِ النَّافِعِ»

فى الدرجه الأُولى العلوم الدينيّة المفيدة والقيم المعنويّة والحياة السعيدة فى العالم الآخر، وبالدرجة الثانية كلّ العلوم الضروريّة للعزّة والمجد والاستقرار والرفعة للبشريّة فى هذه الدنيا، بما فيها العلوم المرتبطة بصحة الإنسان وسلامته أو الصناعة والزراعة أو العلوم السياسيّة وما شابه ذلك.

لا شك فى أنّ علاقة الإنسان بالعالم الخارجى والعالم المعاصر والسابق بصورة

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۰۸

رئيسيّة عن طريق هاتين النعمتين أى العين والأذن، فالإنسان يرى الحقائق بعينه وبها يقرأ التاريخ، ويسمع بأذنه رسالة السماء وأئمّة الدين وتفاصيل تجارب العظماء السابقين. فهو يرتبط بجميع الأشياء من حوله بهاتين الوسيلتين بحيث لو سلبتا منه لما بقى لديه شىءٌ ولكان عقله وشعوره كعقل وشعور الصبى غير المميز، بل حتى لسانه وسائر حواسه إنّما تنشط فى ظلّ سلامة هذين العضوين ومن هنا فإنّ الفرد الأصم والأعمى أخرس على الدوام وإن كان لسانه سالماً.

ورد فى حديث عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«كُلُّ عَيْن باكِيَةٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ غَيْرُ ثَلاث؛ عَيْنٌ سَهِرَتْ فى سَبيلِ اللّهِ، وعَيْنٌ فاضَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ، وعَيْنٌ غَضَّتْ عَنْ مَحارِمِ اللّهِ»[۸۱۷].

وفى حديث آخر عن الإمام الحسن عليه السلام قال:

«انَّ أبْصَرَ الأبْصارِ ما نَفَذَ فِى الْخَيْرِ مَذْهَبُهُ وأسْمَعُ الْاسْماعِ ما وَعَى التَّذْكيرَ وانْتَفَعَ بِهِ»[۸۱۸].

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى صفة أخرى من صفات المتّقين والتى تتمثّل بالرضا والتسليم فقال:

«نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِى الْبَلاءِ كَالَّتِى نُزِّلَتْ فِى الرَّخاءِ[۸۱۹]».

فالنعمة لا تسكرهم ولا تبطرهم، والمصائب والخطوب لا تحزنهم ولا تجزعهم؛ فهم راضون برضا اللّه مسلّمون لإرادته فى جميع الأحوال. طبعاً أنّهم لا يتوانون فى السعى لمواجهة المحن والخطوب وتوفير أسباب النعم والعيش الكريم لكنهم لا يعيشون سوى الرضا والتسليم بالنسبة لما كان خارجاً عن إرادتهم؛ ذلک لأنّهم يعلمون من جانب أنّ اللّه حكيم ورحيم وأرحم من الأُم بولدها ولا يقدرّ سوى ما فيه مصلحة عبده المؤمن.

ويعلمون من جانب آخر أنّ الجزع إزاء الحوادث الأليمة ليس فقط لا يحلّ

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۰۹

الأزمة بل يحبط الأجر والثواب وأحياناً يضاعف من شدة الخطب ويوجب بالتالى اليأس والقنوط إزاء كلّ حادثة.

وقد وردت عدّة روايات عن المعصومين عليهم السلام بشأن مقام الرضا والتسليم ومنها ما روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«رَأسُ طاعَةِ اللّهِ الصبرُ والرِّضا عَنِ اللّه فيما احَبَّ الْعَبْدُ اوكَرِهَ، ولا يَرْضى عَبْدٌ عَنِ اللّهِ فيما احَبَّ أوكَرِهَ إلَّا كانَ خَيْراً لَهُ فيما أحَبَّ أوكَرِهَ»[۸۲۰].

وقد روى المرحوم الكلينى بعد نقله لهذه الرواية اثنتى عشرة رواية فى الرضا والتسليم ومقامات المؤمن الراضى والمسلم لإرادة اللّه تبارک وتعالى.

ثم تطرق عليه السلام إلى صفة بارزة أخرى للمتّقين والتى تدل على الإيمان القوى والثقة بوعد اللّه فقال:

«ولَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِى كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِى أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْن، شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ، وخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ».

فأرواحهم أشبه بالطير المسجون فى القفص فهو يرى نفسه من جهة إزاء الحدائق النضرة المفعمة بأنواع الزهور والنباتات والفواكه والثمار، ومن جانب آخر يرفرف بأجنحته إزاء النار المحرقة داخل القفص فيحنو إلى الحرية ليحلق إلى تلك الحدائق ويتخلص من تلك النار المحرقة.

والمتقون على هذه الشاكلة، فعشقهم للثواب من جانب وخوفهم من العقاب (أثر سوء العاقبة) من جانب آخر يشد أرواحهم المرهفة إلى العالم الآخر، بينما يحول عنهم دون ذلك الأجل الذى ضربه اللّه لهم.

ويكشف هذا التعبير ضمنياً سيادة الخوف والرجاء فى وجودهم، فهم راجون من جانب لثواب اللّه ولطفه، ويخشون من جانب آخر أن تزل أقدامهم فى هذه الدنيا فيقعون فى فخ الشيطان وهوى النفس فيغادرون الدنيا وقد ساءت عاقبتهم.

جاء فى الحديث أنّ لقمان الحكيم خاطب ولده فقال له:

«يا بُنِيَّ خَفِ اللَّهِ خَوْفاً

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٤١٠

لَوأَتَيْتَ يَوْمَ الْقِيامَةِ بِبِرِّ الثَقَلَيْنِ خِفْتَ أنْ يُعذّبَک وارْجُ اللَّه رَجاءً لَوَوافَيْتَ الْقِيامَةَ بِإِثْمِ الثَّقَلَيْنِ رَجَوْتَ أنْ يَغْفِرَاللَّهُ لَکَ»[٨٢١].

وذكر الإمام عليه السلام صفة بارزة جدّاً فى المتّقين فقال:

«عَظُمَ الْخَالِقُ فِى أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَادُونَهُ فِى أَعْيُنِهِمْ».

فكلّ شخص يبدو له النهر الكبير ضئيلًا حين يكون إلى جانب المحيط المتلاطم الأمواج، وحين ينظر الإنسان إلى الشمس التى تضيئ العالم لا يرى من وجود لضوء أكبر وأكبر مصابيح العالم ضياءً، نعم، فقد تعرّف المتقون على القدرة المطلقة والعلم اللامتناهى لخالق عالم الوجود فأدركوا بقدر استعدادهم عظمة ذاته المقدّسة، فكان من الطبيعى أن يصغر كلّ ما سواها فى أعينهم، وهذه هى إحدى العوامل التى تقف وراء تقوى المتّقين وورعهم وأعظم من ذلك عصمتهم من الذنب والمعصية، فكلّما عظمت معرفة الإنسان باللّه صغر ما سواه فى نظره فلم يعد يتعلق بهذه الأشياء الحقيرة والتافهة ولذلك لا يقارف الذنب.

ومن هنا نفهم ما قاله الإمام على عليه السلام:

«وَاللّهِ لَو أُعْطيتُ الأَقاليمَ السَّبْعَةَ بِما تَحتَ أفلاكِها عَلى أنْ أعصِىَ اللَّهَ فى نَمْلَة أسْلُبُها جُلْبَ شَعيرَة ما فَعَلْتُهُ»[٨٢٢].

وقال فى مواصلته لكلامه:

«وإنَّ دُنْياكُمْ عِنْدى لَاهْوَنَ مِنْ وَرَقَة فى فَمِ جَرادَة تَقْضِمُها».

فإنّ ذلك يُعزى ذلك إلى عرفانه عليه السلام باللّه تبارك وتعالى. نعم، كلّما إزدادت معرفة اللّه لدى الإنسان صغرت الدنيا فى عينيه وضعفت لديه أسباب الذنب واستشعر المزيد من الطمأنينة والسكينة، وبالطبع فإنّ أحد آثارها حضور القلب فى العبادة والصلاة، بحيث لا يلتفت إلى الألم حين تُسَل السهام من جسده.

ثم اتّجه عليه السلام إلى صفة بارزة أخرى تتمثل فى مقام المتّقين الشهودى فقال:

«فَهُمْ

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٤١١

والْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وهُمْ والنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ».

للإيمان واليقين مراحل، فإيمان البعض تفرزه الأدلة العقلية وسائر الأدلة الكافية والشافية عليه، وقد عبّر العرفاء وأساتذة الأخلاق وبالاستناد إلى الآيات القرآنيّة عن هذه المرحلة بمرحلة (العلم اليقينى)، والمرحلة الأسمى هى (مرحلة الشهود) حيث يتجاوز الإنسان

فى هذه المرحلة الأدلة العقليّة ليبلغ مقام الشهود فيرى اللّه ويشاهد عظمته ببصيرته وتزول عنه جميع الشكوك والوساوس التى تترتب أحياناً على الأدلة العقلية وهذا ما يصطلح عليه بمقام (عين اليقين).

والمرحلة الثالثة وهى مرحلة (حق اليقين) المختصة بخواص اللّه ومقرّبيه حيث يصل الإنسان فى ظلها إلى مرتبة تذوب فيها ذاته فلا يرى سوى اللّه ويغيب عن ناظريه كل ما سواه.

فالواقع أنّ المرحلة الأُولى عامة وتشمل جميع المؤمنين الصادقين، بينما تختص المرحلة الثانية بالمتقين المخلصين والمجاهدين، وتختصر المرحلة الثالثة على صفوة معينة من أولياء اللّه كالمعصومين عليهم السلام، ولكلّ مرحلة آثارها ومعطياتها وأحد آثار مرحلة الشهود التى أشير إليها فى هذه الخطبة بشأن المتّقين أنّهم يرون أنفسهم حاضرين على الدوام أمام الحقّ ولا ينفكون عن طاعته وإمتثال أوامره، وبالطبع فإنّ قدسيّة حياتهم خير شاهد على إيمانهم الشهودى فقد جاء فى الحديث المروى عن الإمام الصادق عليه السلام: إنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله صلّى بالناس الصبح، فنظر إلى شابٍ فى المسجد وهو يخفق ويهوى ۸۲۳] برأسه، مصفّراً لونه، قد نحف جسمه وغارت عيناه فى رأسه، فقال له رسول اللّه صلى الله عليه و آله:

«كَيفَ أصْبَحْتَ يا فُلانَ؟»

قال:

«أَصْبَحْتُ يا رَسُولَ اللَّهِ مُوقِناً»

. فعجب رسول اللّه صلى الله عليه و آله من قوله، وقال صلى الله عليه و آله:

«إنَّ لِكُلِّ يَقين حَقيقَةً فَما حَقيقَةُ يَقينِكَ؟».

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۱۲

فقال:

«إنَّ يَقِينى يا رَسُول اللّهِ هُو الَّذى أَحزَننى وَأَسهَرَ لَيلى وَأَظمَأ هَواجِرى فَعزَفْتْ نَفسِى عَنِ الدُّنيا وَما فِيها حَتّى كَأنّى إلى أَنْظُر عَرشَ رَبِّى وَقَد نُصبَ للحِسابِ وَحُشرَ الخَلائقُ لِذلكَ وَأَنا فِيهِم، وَكَأنّى أَنْظُر إلى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَنَعَّمُونَ فِى الْجَنَّةِ وَيَتَعارَفُونَ، عَلَى الأَرائِكِ مُتَّكِئُونَ، وكَأنّى أَنْظُرُ إلى أَهْلِ النّارِ وهُمْ فيها مُعَذَّبُونَ مُصْطَرِخُونَ وكَأنّى الْانَ أَسْمَعُ زَفيرَ النّارِ يَدُورُ فى مَسامِعى».

فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله لأصحابه:

«هذا عَبْدٌ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَه بِالإيمانِ»

. ثم قال صلى الله عليه و آله له:

«إلزِم ما أَنتَ عَليهِ».

فقال: يا رسول اللّه ادع لى أن أُرزق الشهادة معك. فدعا له رسول اللّه صلى الله عليه و آله فلم يلبث أن خرج فى بعض غزوات النّبى صلى الله عليه و آله فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر[۸۲۴].

وقد وردت العديد من الأخبار التى تشبه ما ورد سابقاً بشأن المتّقين طيلة التاريخ والذين بلغوا مقام الشهود والتى تؤكد كلام الإمام عليه السلام.

ثم واصل كلامه عليه السلام فذكر خمس صفات أخرى من صفات المتّقين فقال:

«قُلوبُهُم مَحزُونَةٌ، وشُرُورُهُم مَأْمُونَةٌ، وأَجْسادُهُم نَحِيفَةٌ، وحاجاتُهُم خَفِيفَةٌ، وأَنْفُسُهُم عَفِيفَةٌ».

فهذه الصفات سلسلة من صفات المتّقين، ذلك لأنّ حزنهم الذى ورد فى صفتهم الأُولى يشير إلى خوفهم من اللّه والتقصير فى الإتيان بالوظائف، قال الإمام الصادق عليه السلام:

«الْحُزْنُ مِنْ شِعارِ الْعارفينَ»

. وواصل كلامه قائلًا:

«ولَو حَجَبَ الْحُزنُ عَنْ قُلُوبِ الْعارِفينَ ساعةً لاسْتَغاثُوا»[۸۲۵].

نعم، فهم وجلون دائماً إزاء وظائفهم، ومن هنا خيم الحزن على قلوبهم خشية

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۱۳

التقصير فى حقّ مظلوم أو صدور ظلم منهم أو أنّهم فكروا فى ما سوى اللّه، أضف إلى ذلك لا يفارقهم غم العشق وحزن الإبتعاد عمّا يرجونه من قرب اللّه، على كلّ حال فهم لا يعيشون هم الدنيا أبداً، لأنّهم لا يعشقون الدنيا.

وعليه فإن قال القرآن: «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَاخَوْفٌ عَلَيهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»[۸۲۶]. فهذا لا ينافى ما ورد فى هذه الخطبة، لأنّ الخطبة متعلقة بالخوف عمّا سوى اللّه والحزن على الدنيا الماديّة وقوله فى الصفة الثانية أنّ الناس منهم فى أمان إشارة إلى أنّ وجودهم لا يختزن سوى الخير والبركة للجميع ولا يفرز أى عناء وعذاب. قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله:

«إنّ شَرَّ النّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَاللّهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ مَنْ يَخافُ النّاسُ شَرَّهُ»[۸۲۷].

وقال عليه السلام فى الصفة الثالثة إنّ أجسامهم نحيفة ولا يراد به النحافة المتعارفة اليوم فى المجتمع، بل تعنى الضعف الذى يفيد الزهد من جانب والتقوى والصوم ويدل من جانب آخر على الخفة والاستعداد فى إتيان الوظائف الشرعيّة، على كلّ حال فإنّ هذه الصفة كبعض الصفات الأخرى لها استثناءات حيث إنّ البعض من الأفراد ليس بنحيف بحسب بنيته الجسميّة لكنه فى صف المتّقين.

وأشير فى الصفة الرابعة إلى حاجاتهم المحدودة لا على غرار أصحاب الدنيا كانزى الذهب والفضة الذين يشبهون جهنم كلّما أُعطوا شيئاً نادوا «هل من مزيد»، والحقّ أنّ القناعة والحاجات الخفيفة لتصون الإنسان من العديد من الذنوب وتريح فكره لسلوك سبيل الحقّ، كما ذكر الإمام عليه السلام فى إحدى كلماته القصار حيث قال:

«تَخفّفُوا تَلحَقُوا»[۸۲۸].

وجاء فى الخبر أنّ الإمام الصادق عليه السلام دخل حماماً فقال له صاحب الحمّام:

نخليه لك؟ فقال عليه السلام:

«لا، انَّ الْمُؤْمِنَ خَفيفُ الْمَؤُونَةِ»[۸۲۹].

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۱۴

وأشار فى الصفة الخامسة إلى مقام العفة فى أنّ أرواحهم عفيفة، تلك العفة التى تسوق الإنسان إلى غض الطرف عن الهوى والمعصية، وبعبارة أخرى لم يعد للأهواء والمعاصى من سبيل إليهم بحيث ينفرون من رؤية المناظر القبيحة والفاحشة.

قال عليه السلام فى إحدى كلماته القصار:

«مَا الْمُجاهِدُ الشَّهيدُ فى سَبيلِ اللّهِ بِأَعْظَمَ اجراً مِمَّنْ قَدَرَ فَعَفَّ؛ لَكادُ الْعَفيفُ أنْ يَكُونَ مَلَكاً مِنَ الْمَلائِكَةِ»[۸۳۰].

وكيف لا يكونون كذلك وقد انتصروا فى ميدان الجهاد الأكبر على عدوٍ خطر هو هوى النفس والشيطان.

ثم قال فى ذكر صفة أخرى من صفاتهم:

«صَبَرُوا أَيّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً. تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ»

. فالصبر سواء على الطاعة أو إزاء وساوس المعصية أو على المصيبة لمن الصفات البارزة للمتّقين.

ولا يسع أحد الظفر بأى هدف معنوياً كان أم مادياً ما لم يتحل بالصبر والاستقامة ولوفقد الإنسان هذه الصفة فإنّه يخاطر بدينه وإيمانه وعزته وشرفه ومن هنا جاء فى حديث عن الإمام عليه السلام أنّه قال:

«وعَلَيْكُم بِالصَّبْرِ فَإنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْايمانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ»[۸۳۱].

ونقل المرحوم الكلينى فى الكافى عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

«الْجَنَّةُ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَكـارِهِ والصَّبرِ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْمَكارِهِ فِی الـدُّنْیا دَخَلَ الْجَنَّةَ؛ وجَهَنَّمُ مَحْفُوفَـةٌ بِاللَّذاتِ والشَّهَواتِ فَمَن أَعْطی نَفْسَـ ه لَذَّتَها وشَهْوَتَها دَخَلَ النّارَ»[٨٣٢].

واعتبر الإمام علیه السلام کما ورد فی العبارة أنّ هذا العمل؛ أی الصبر مدّة قلیلة إزاء نیل تلک السعادة الخالدة تجارة مربحة یسرها اللّه لهم.

قال تعالی: «انَّ الَّذِینَ یَتْلُونَ کِتَابَ اللّهِ وَأَقَامُوا الصَّلوةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً

نفحات الولایة، ج٧، ص: ٤١٥

وَعَلَانِیَةً یَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ»[٨٣٣].

وقال فی موضع آخر إنّ الملائکة تتلقی الصالحین من المؤمنین حین یرومون دخول الجنّة بالسلام: «سَلامٌ عَلَیْکُمْ بِما صَبَرْتُمْ»[٨٣٤].

ثم تطرق علیه السلام إلی صفتین من صفات المتّقین فقال:

نفحات الولایة ؛ ج ٧ ؛ ص ٤١٥

«أَرَادَتْهُمُ الدُّنْیا فَلَمْ یُرِیدُوهَا، وأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا».

إشارة إلی اقبال الدنیا بجمیع متعها ولذائذها إلی الجمیع لتستقطب إلیها النفوس البشریّة، ولکن لا یقع فی شباکها سوی أولئک الجهّال أو أصـحاب الأهـواء، بینمـا لاـ یغتر بها المتقون الـذین یعلمون أنّ حقیقتها سـراب، وهنالک البعض الـذی یغتر بالـدنیا عن طریق المال والثروة والجاه والمقام والشهرة، بینما لا یخفی هذا المعنی علی المتّقین.

والحقّ أننا لنری الکثیر من الناس الـذین یصبحون اساری المقام بحیث یـدفعهم الحفاظ علیها إلی عدم التورع عن ارتکاب کلّ موبقة وجنایة، وهناک البعض الذی یأسره المال والشهوات بحیث یضحی من أجل ذلک بکرامته الإنسانیّة، أمّا المتقون السائرون علی خطی المعصومین یتجاوزون ذواتهم وشعارهم فی ذلک

«هَیْهاتَ مِنَّا الذِّلَّةُ».

### تأمّل

### محاور هذا الجانب من الخطبة

تدور محاور هذا الجانب من الخطبة الذی تضـمن عشرین صفة من صفات المتّقین حول عدّة أمور، إیمان المتّقین الراسخ وهو الإیمان الذی بلغ حد الشهود ومشاهدة عالم ما وراء الطبیعة، مسألة التولی عن متع الدنیا ولذاتها وعدم الانخداع

نفحات الولایة، ج٧، ص: ٤١٦

بالأهواء والشـهوات وتحری العلم والمعرفـة واجتناب الـذنوب والمعاصـی سیما معاصـی اللسان والتواضع وکفّ الشـر عن الخلق تمثّل معظم تلک الأمور.

وإن لم یکن للمتّقین سوی هـذا الجانب المـذکور فی الخطبـة لکفاه أن یصـنع منهم أُناساً کمل فضـلًا عن الجوانب القادمة من الخطبة التی تشیر إلی هذه الصفات.

والصـفات السابقـة لیست منفصلـة عن بعضـها البعض الآخر، بل هی سلسـلة متصلـة ومشـروع جامع للسالکین إلی اللّه والذین ینشدون القرب منه تعالی.

فذلک الشخص الذی بلغ به الأیمان درجة کأنّه یری حجب النور وینظر من خلف حجب الطبیعة الضخمة إلی الجنّة والنار من الطبیعی

أن يصغر فى عينه كلّ ما سوى اللَّه ولا تخدعه مفاتن الدنيا وزخارفها ويعيش الواقع إزاء خلق اللَّه ويكف عنهم أذاه.

وهنا يطرح هذا السؤال: كيف يتحصل هذا الإيمان الشهودى ولمن سيكون نصيب هذه السعادة؟

وتتضح الاجابة عن هذا السؤال من خلال بعض التشبيهات، فالصورة الحقيقية لا تنعكس فى مرآة القلب مادام ملطخاً بقذارة الأهواء، ولا يسع الإنسان التحليق إلى سماء الحقيقة مادام مسجوناً فى زنزانة الطبيعة.

***

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۱۷

## القسم الثانى

### اشارة

أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لِاجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلًا، يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ ويَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ. فَإِذَا مَرُّوا بِآيَهً فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً، وتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً، وظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ. وإِذَا مَرُّوا بِآيَهً فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ، فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وأَكُفِّهِمْ ورُكَبِهِمْ، وأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ.

### الشرح والتفسير: ليل المتّقين

خاض الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة فى حال المتّقين فى الليل ليركز على التفاصيل ويمهد السبيل أمام الجميع فقال:

«أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لِاجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلًا، يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ ويَسْتَثِيرُونَ ۸۳۵] بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ».

ويمكن أن تكون هذه العبارة إشارة إلى تلاوة القرآن فى صلاة الليل، ذلك لأنّهم يرتلون القرآن حين القيام بعد سورة الحمد فى الصلاة؛ كما يمكن أن يكون الأمران منفصلين، أى أنّهم ينهضون فى الليل للصلاة وتلاوة القرآن أيضاً.

جدير ذكره أنّ الإمام عليه السلام بيّن أسلوب قراءة المتّقين للقرآن بعبارة قصيرة عميقة

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۱۸

المعنى فهم يقرأون القرآن بصيغة الترتيل الذى يعنى التأمّل والتدبر فى مفاهيم القرآن أضف إلى ذلك قال: إنّهم يرون أنفسهم مخاطبين بالقرآن فإن مروا بآية فيها تشويق تطلعوا إليها طمعاً وإن مرّوا بآية فيها تخويف، استشعروا منها الحزن، كما أنّهم يبحثون عن دواء دائهم الأخلاقى والمعنوى فى زوايا الآيات القرآنيّة فهوالطبيب وهو الدواء.

ثم قال فى شرحه لهذا المعنى:

«فَإِذَا مَرُّوا بِآيَهً فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً، وتَطَلَّعَتْ ۸۳۶] نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً، وظَنُّوا أَنَّها نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ».

نعم! فهؤلاء لا يطالعون القرآن بصورة سطحيّة بل يرون أنفسهم مخاطبين به فتتأجج فى قلوبهم نيران الشوق حيث البشارة الإلهيّة ويرون ببصائرهم ما وهم فيه فى هذه الحياة الدنيا، وهذا ما يدفعهم إلى السير والسلوك إلى اللَّه تعالى.

«وإِذَا مَرُّوا بِآيَهً فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ[۸۳۷] جَهَنَّمَ وشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ».

فقد بلغ إيمانهم مرحلة الشهود فأخذوا يرون حقائق عالم الغيب وكأنّها تعيش معهم، وبالطبع إن كانت قراءة القرآن بهذه الصيغة كانت

أفضل وسيلة فی التهذيب والتربية.

ورد فی إحدى كلمات الإمام عليه السلام أنّه قال:

«ألا لا خَيْرَ فی قِراءَة لَيْسَ فيها تَدَبُّرٌ ألا لا خَيْرَ فی عِبادَة لَيْسَ فِيها تَفَقُّهٌ»[۸۳۸].

وروى عن الإمام السجاد عليه السلام أنّه قال:

«آياتُ الْقُرْآنِ خَزائِنٌ فَكُلَّما فُتِحَتْ خَزينَةٌ يَنْبَغی لَكَ انْ تَنْظُرَ ما فيها»[۸۳۹].

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۱۹

ولما فرغ الإمام عليه السلام فی العبارات السابقة من بيان كيفية صلاة المتّقين المقرونة بتلاوة الآيات القرآنيّة والمتزامنة مع الخضوع والخشوع والتدبّر وحضور القلب أردفها فی العبارة التالية ببيان ركنين آخرين هما الركوع والسجود فقال:

«فَهُمْ حَانُونَ ۸۴۰] عَلَى أَوْسَاطِهِمْ ۸۴۱]، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ ۸۴۲] وَأَكُفِّهِمْ ورُكَبِهِمْ، وأَطْرَافِ ۸۴۳] أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِی فَكَاكِ ۸۴۴] رِقَابِهِمْ».

فالعبارات التی ذكرها الإمام عليه السلام بشأن الركوع والسجود تعبيرات بمنتهى الروعة والجمال والتی تُطلع الإنسان على عمق هذه العبادات، فالإنحناء أمام اللّه وافتراش الجبين وبسط الأرجل على الأرض إزاء عظمة اللّه بالتوجه وحضور القلب ينطوی على عالم من المعنويات، والطريف أنّ الهدف النهائی لذلك تحرير رقبة الإنسان من قيد الأسر، ولكن هل المراد تحريرها من مخالب نار جهنم أم من كلّ قيد من قيود هوى النفس والشيطان والأشرار من الناس؟ يبدو أنّ عبارة الإمام عليه السلام مطلقة تشمل الجميع رغم تظافر الروايات التی وردت فيها العبارة

«مِنَ النّارِ»

بعد

«فَكاكَ الرَقَبَة».

نعم! فحرية الإنسان مرهونة بعبوديّته للّهفی الدنيا وفی الآخرة وسوى المتّقين أسرى الأهواء والرغبات والأموال والثروات والمقامات والشياطين.

وما بيّنه الإمام عليه السلام فی هذا الجانب من الخطبة بشأن المتّقين إقتباس فی الواقع من الصفات التی ذكرها القرآن الكريم للمتّقين فی آواخر سورة الفرقان عن

«عِبادُ الرَّحمن

» فقد قال تعالى: «وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً* وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً»[۸۴۵].

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۲۰

## تأمّل

۱. خاض الإمام عليه السلام بعد بيانه لصفات المتّقين فی مستهل الخطبة فی انشطتهم فی الليل والنهار والتی تغص بدروس السعادة.

فشرح بادئ الأمر نشاطهم بالليل حيث يسيرون فيه بصورة كاملة باتجاه التربية والتهذيب والقرب الإلهی.

ويستند أساس هذا النشاط إلى أمرين: ۱. الصلاة بحضور قلب تام، وهی الصلاة الموصلة لكلّ سمو

«قُرْبانُ كُلِّ تَقِیٍّ»

وهی الطريق المتّقين للقرب من اللّه والناهية عن كل فحشاء ومنكر.

۲. تلاوة القرآن فی الصلاة وخارجها فی غسق الليل حيث الصمت المطلق والشرائط التی تنفی الموانع كافّة من الحضور بين يدی

القرآن والمقرونة بالتدبّر فى الآيات بحيث يرى المؤمن نفسه مخاطباً بآيات الثواب والعقاب فيرى بأم عينيه مصير أصحاب الجنّة وأصحاب النار فى خضم الآيات وينفتح على معارفها ويتعظ بمواعظها ويمتثل فى حياته لأحكامها.

حقّاً إنّ مثل هذه الصلاة والتلاوة القرآنيّة فى جوف الليل إنّما تربيهم بحيث يستطيعون فى النهار القيام بوظائفهم بأحسن نحو، وسيرد الحديث عن نشاطهم فى النهار فى القسم القادم من الخطبة.

***

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۲۱

## القسم الثالث

### اشارة

وأَمَّا النَّهارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ. قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْىَ الْقِدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى، ومَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَض؛ ويَقُولُ: لَقَدْ خُولِطُوا!

ولَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ! لَايَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ. فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ، ومِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ إِذَا زُكِّىَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِى مِنْ غَيْرِى، ورَبِّى أَعْلَمُ بِى مِنِّى بِنَفْسِى! اللَّهُمَّ لَاتُؤَاخِذْنِى بِما يَقُولُونَ، واجْعَلْنِى أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاغْفِرْ لِى مَا لَايَعْلَمُونَ!

### الشرح والتفسير: نهار المتّقين

خاض الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة فى نشاط المتّقين فى النهار (على غرار القسم السابق الذى شرح فيه نشاطهم فى الليل) فأشار بادئ الأمر إلى خمس صفات من صفاتهم فقال:

«وأَمَّا النَّهارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ. قَدْ بَرَاهُمُ [۸۴۶]

الْخَوْفُ بَرْىَ الْقِدَاحِ [۸۴۷] يَنْظُرُ إِلَيهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى، ومَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَض؛

ويَقُولُ: لَقَدْ خُولِطُوا![۸۴۸] ولَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ!».

والصفات الخمس التى ذكرها الإمام عليه السلام بشأن نشاط المتّقين فى النهار دلالة

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۲۲

واضحة على هذه الحقيقة وهى أنّ تقوى هؤلاء المتّقين ليست منفصلة عن المجتمع قط، بل تقواهم مقرونة بالعلم والمعرفة والإدارة وتحمل المسؤوليّة والإحسان والعيش فى وسط المجتمع.

«حُلَمَاءُ»:

من ماده «حلم» التى تعنى حسب (الراغب) ضبط النفس حين الغضب، ولما كانت هذه الحالة نابعة من العقل فإنّ مفردة الحلم تستعمل أحياناً بمعنى العقل ومن هنا تُطلق كلمة الحليم على من يتمالك نفسه عند الغضب وعلى العالم أيضاً.

وقال علماء الأخلاق أنّ صفة الحلم تمثّل حالة الإعتدال بين الصفتين الرذيلتين؛ إحداهما الذلّة والأخرى المفرطة وهى الغضب.

على كلّ حال فإنّ هذه الصفة غالباً ما تظهر حين التعامل مع الجهّال فيضطر الحليم إلى مداراتهم بحيث لا يُستغل علمهم يفيقون إلى أنفسهم ويكفون عن جهلهم.

والتعبير بالعلماء لا يقتصر على أولئك الذين انفتحوا على العلوم المعروفة بل يشمل الأفراد ممن لهم اطلاع ومعرفة واسعة وقدرة على إدراك الحقيقة.

والعبارة:

«قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْىَ الْقِدَاحِ»

ليس المراد منها أنّ المتّقين ضعيفو البنية خشية المسؤوليّة، بل المراد أنّ تلك الخشية جعلتهم أكثر فاعلية وحسماً فى القيام بوظائفهم، ذلک لأنّ السهم حين يبرى ليصيب الهدف يكون انطلاقه أفضل وحدته أعظم.

والتعبير

«يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى

» إشارة إلى أنّ العلماء الحلماء والمتّقين الأبرار يبدون فى أعين السذج من الناس كأفراد ضعيفى الإرادة وغير جادين فى قراراتهم.

ومن هنا نرى رمى الأنبياء من قبل أممهم بتهمة الجهل والجنون، سيما أنّهم لا يشابهون سائر قومهم، فمن لم يكن مثلهم يرونه مجنوناً لأنه يخالف عاداتهم وعقائدهم بينما الواقع هم المجانين.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۲۳

قال القرآن بشأن السابقين فى الخيرات: «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا أتَوا وقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ»[۸۴۹].

جاء فى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد فى ذيل الآية الشريفة أنّه سئل النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله: هل المراد من الآية من يذنب ويخشى الذنب؟ فقال صلى الله عليه و آله:

«لا، بَلِ الرَّجُلُ يَصُومُ ويَتَصَدَّقُ ويَخافُ أنْ لا يَقْبَلَ مِنْهُ»[ ۸۵۰].

ثم خاض الإمام عليه السلام فى بيان علوّ همّة المتّقين فقال:

«لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ. فَهُمْ لِانْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ، ومِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ ۸۵۱]».

فعلوّ همّتهم وسمّو معرفتهم لا تدعهم يرضون بالأعمال القليلة أو يستكثرون تلك الأعمال على خلاف المغرورين ضيقى النظر الذين يرضون من أنفسهم بالقليل من العمل وكأنّهم أشرف خلق اللّه، وبغض النظر عن ذلک فهؤلاء يتمتعون بصفة بارزة هى نقد الذات التى يفر منها أغلب الأفراد والذين لا يقبلون النقد من الآخرين وبطريق أولى لا ينتقدون أنفسهم وبذلک يهجرون الأمر الذى يؤدّى إلى سموهم وتكاملهم.

فهؤلاء يشعرون بالخشية دائماً وكأنّهم لم يؤدّوا حقّ نعمة اللّه وهجروا طريقة عبودية اللّه وأنّهم مسؤولون أمام خلق اللّه.

وقد فسّر بعض شرّاح نهج البلاغة الأعمال الواردة هنا بالعبادات فقط واستشهدوا بالروايات الواردة فى كثرة عبادات النّبى صلى الله عليه و آله وأمير المؤمنين عليه السلام والإمام السجاد عليه السلام. صحيح أنّ العبادات تعدّ إحدى الوظائف المهمّة للعباد، ولكن ليس لدينا أى دليل على حصر الأعمال الواردة فى العبارة المذكورة بالعبادة وعدم شمولها

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۲۴

للمسؤوليات الاجتماعيّة.

وقد كان أئمّتنا عليهم السلام يقرون بذلک للّهتعالى مع ما كانت لديهم من أعمال ضخمة واسعة ورغم قدسيتهم وطهارتهم، فقد ورد عن الإمام السجاد عليه السلام فى دعاء أبى حمزة الثمالى تضرعه قائلًا:

«وما قَدْرُ أعْمالِنا فى جَنْبِ نِعَمِكَ وكَيْفَ نَسْتَكْثِرُ أعْمالا نُقابِلُ بِها».

وجاء فى كتاب الغارات عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أنّ أحدهم تعجب من كثرة ما ينفق ويتصدق فى سبيل اللّه فقال له عليه السلام:

«لَو أعْلَمُ أنَّ اللّهَ قَبِلَ مِنّى فَرْضاً واحِداً لأمْسَكْتُ، ولكنّى وَاللّهِ ما أدْرى أقَبِلَ اللّهُ مِنّى شَيْئاً أمْ لا؟»[۸۵۲].

وهذا فى الواقع درس لعامة الناس فى عدم الاغترار بأعمالهم العباديّة والخيريّة مهما كانت كثيرة ذلك لأنّ مسألة الإخلاص صعبة ومعقدة.

وجاء فى حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«ثَلاثٌ قاصِماتُ الظَّهْرِ؛ رَجُلٌ اسْتَكْثَرَ عَمَلَهُ، ونَسِىَ ذُنُوبَهُ، وأُعْجِبَ بِرَأْيِهِ»[۸۵۳].

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى نقطة أخرى فى إطار حديثه عن مسألة نقد الذات فقال:

«اذَا زُكِّىَ أحَدٌ مِنْهُمْ خافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أنَا أعْلَمُ بِنَفْسِى مِنْ غَيْرِى، ورَبِّى أعْلَمُ بى مِنِّى بِنَفْسِى! اللّهُمَّ لَاتُؤَاخِذْنِى بِما يَقُولُونَ، واجْعَلْنِى أفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاغْفِرْ لى مَا لَايَعْلَمُونَ!».

وإننا لنعلم أنّ من موانع الرقى والتقدم نحو اللّه وفى المجتمع البشرى هو مدح المداحين وتملق المتملقين الذى قذف بأغلب زعماء العالم فى أودية الخطأ والضلال، والمتقون يشعرون بالخوف دائماً من مدح الآخرين حذراً من أن يسوقهم إلى الغرور والعجب فيتعرضون لسخط اللّه، فهم يسألون اللّه أن يكونوا أعظم من ذلك المديح وإن كانت لديهم معصية خفيّة سألوه غفرانها.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۲۵

## تأمّل

### إشفاق المتّقين من أعمالهم

يتصف نشاط المتّقين نهاراً بالصبغة الشعبيّة والاجتماعيّة المحضة رغم نشاطهم الليلى فى تهذيب النفس فى ظلّ المناجاة والعبادة والتضرع إلى اللّه، والاستناد إلى العلم والحلم والإحسان والخوف فى تحمل المسؤوليّة لأفضل دليل على هذا المعنى.

فهم علماء يوضفون العلم لهداية وإرشاد المجتمع.

وحلماء يتحمّلون الصبر إزاء تعصب ولجاجة الجهّال من الأفراد، ومحسنون يمدون يد الخدمة بقدر استطاعتهم إلى المحتاجين.

خائفون ووجلون من القيام بالمسؤوليات الكبيرة، فخوفهم خوف إيجابى ليكون الدافع للعمل أسمى وأعظم لا خوف سلبى يدعو إلى التقوقع وترك النشاط، ولذلك قال عليه السلام: إنّ الخوف لم يضعفهم بل جعلهم أكثر عملًا على غرار السهم الذى يبرى ليعد لإصابة الهدف.

ومن صفاتهم أنهم ليسوا كأصحاب الدنيا الذين ينتهزون الفرص والنفعيين الذين يتأقلمون مع كلّ شخص ومع جميع الظروف بغية تحقيق أهدافهم الماديّة، ومن هنا يتهمهم مثل هؤلاء الأفراد بخفة العقل والسذاجة، وزبدة الكلام فإنّهم مشفقون من أعمالهم سباقون للنظر فيها قبل أن يتعرض لها الآخرون.

حقّاً مثل هؤلاء الأفراد يستطيعون انقاذ المجتمع البشرى من الظلم والجور وإيصال الحقوق إلى أصحابها.

***

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۲۷

## القسم الرابع

### اشارة

فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِين، وحَزْماً فِي لِين، وإيماناً فِي يَقِين، وحِرْصاً فِي عِلْم، وعِلْماً فِي حِلْم، وقَصْداً فى غِنىً، وخُشُوعاً فِي عِبَادَة، وتَجَمُّلًا فِي فَاقَة، وصَبْراً فِي شِدَّة، وطَلَباً فِي حَلَال، ونَشَاطاً فِي هُدًى، وتَحَرُّجاً عَنْ طَمَع. يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وهُو عَلَى وَجَل. يُمْسِى وهَمُّهُ الشُّكْرُ، ويُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ. يَبِيتُ حَذِراً ويُصْبِحُ فَرِحاً؛ حَذِراً لَمَّا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ والرَّحْمَةِ. إن اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيما تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيما تُحِبُّ. قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيما لَايَزُولُ، وزَهَادَتُهُ فِيما لَايَبْقَى، يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ، والْقَوْلَ بِالْعَمَلِ.

## شرح وتفسير

## اثنتا عشرة صفة أخرى

أشار الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة إلى اثنتى عشرة صفة أخرى من صفات المتّقين بعبارات قصيرة عميقة المعانى ليستهلها بقوتهم فى الدين وبعدهم عن الطمع فقال عليه السلام:

«فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِين، وحَزْماً[۸۵۴] فِي لِين،

وإيماناً فِي يَقِين، وحِرْصاً فِي عِلْم، وعِلْماً فِي حِلْم، وقَصْداً فى غِنىً، وخُشُوعاً فِي عِبَادَة، وتَجَمُّلًا[۸۵۵] فِي فَاقَة، وصَبْراً فِي شِدَّة، وطَلَباً فِي حَلَال، ونَشَاطاً[۸۵۶] فِي هُدًى،

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۲۸

وتَحَرُّجاً[۸۵۷] عَنْ طَمَع».

والعبارة:

«قُوَّةً فِي دِين»

تشير إلى عدم استطاعة المشككين والمنافقين النفوذ إليهم وليس بإمكان خطوب الدنيا ومصاعب الحياة زعزعة إيمانهم.

وتشير العبارة

«وحَزْماً فِي لِين»

إلى أنّهم رغم إشراقتهم الفكرية التى تستلزم عادة الحزم- خلاف العادات اليوميّة التى تسهل العمل- لا- ينسون الليونة والمرونة ويعاملون من يرافقهم فى تحقيق الأهداف الاجتماعيّة بالرفق والمحبّة على ضوء المثل القائل:

«لا تَكُنْ حُلواً فَتُسْتَرَط ولامُرّاً فَتُلْفَظُ».

والعبارة:

«وإيماناً فِي يَقِين»

تشير إلى أنّ للإيمان درجات أعلاها درجة علم اليقين وحق اليقين التى تحصل أحياناً عن طريق الاستدلالات القوية والمتينة، وأخرى عن طريق الشهود من خلال ذلك السمّو.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إنَّ الْايمانَ أفْضَلُ مِنَ الإسْلامِ وإنَّ الْيَقينَ أفْضَل مِنَ الْايمانِ وما مِنْ شَىء أعَزُّ مِنَ الْيَقين»[۸۵۸]

. نعم فقد بلغ المتقون هذه المرتبة الساميّة والنادرة.

والعبارة:

«حِرْصاً فِي عِلْم»

رغم أنّ مفردة الحرص تحمل الجانب السلبى عادة لكنّها هنا تشير إلى أنّهم بمنتهى الجدية فى كسب العلم، ذلك لأنّه لا أصالة

للتقوى ولا عمق دون العلم.

والعبارة:

«وعِلْماً فِى حِلْم»

تشير إلى أنّ العالم لا ينبغى أن يغضب وينفعل إزاء جهل الجاهلين بل ينفذ إليه بحلمه بصورة تدريجية فيزيل جهله.

ونقرأ مانقله المرحوم العلّامة المجلسى فى حديث مفصّل حوار الإمام الصادق عليه السلام مع البصرى الذى جاء إلى الإمام الصادق عليه السلام لتحصل العلم، فقال له فى شأن الحلم:

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۲۹

«فَمَنْ قالَ لَکَ إنْ قُلْتَ واحِدَةً سَمِعْتَ عَشْراً فَقُلْ إنْ قُلْتَ عَشْراً لَمْ تَسْمَعْ واحِدَةً».

وقال بشأن العلم:

«فَاْسْأَلِ الْعُلَماء ما جَهِلْتَ وإيّاکَ أنْ تَسْأَلَهُمْ تَعَنُّتاً وتَجْرِبَةً وإيّاکَ أنْ تَعْمَلَ بِرَأْيِکَ شَيْئاً»[۸۵۹].

العبارة:

«قَصْداً فى غِنىً»

إشارة إلى أنّهم إن أصبحوا أغنياء وأثرياء لا يتخلون عن الإعتدال ويجتنبون الإسراف والتبذير ويُعينون الفقراء بما لديهم من أموال فائضة عن الحاجة.

والعبارة:

«وخُشُوعاً فِى عِبادَة»

إشارة إلى أنّ عباداتهم ليست سطحيّة جوفاء خالية من الروح، بل تصدح عباداتهم بالخضوع والخشوع وحضور القلب الذى يمثّل روح العبادة فى أعمالهم العبادية وكل صلاة من صلواتهم معراج للقرب الإلهى، ومن هنا قال القرآن الكريم فى وصفه للمؤمنين المفلحين: «الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ»[۸۶۰].

والعبارة:

«تَجَمُّلًا فِى فَاقَة»

التى تقابل فى الواقع

«قَصْداً فى غِنىً»

إشارة إلى أنّ المتّقين ولا يشكون حين الفقر والفاقة.

وتفيد مفردة

«تجمّل»

أنّهم رغم فقرهم وعوزهم يحافظون على ظاهرهم، كما يصفهم القرآن: «يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ»[۸۶۱].

والعبارة:

«صَبْراً فِى شِدَّة»

تشير إلى استقامتهم وصبرهم إزاء مكاره الدهر والحوادث الأليمة وكمصداق لقوله تعالى: «اذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»[۸۶۲].

حيث يرون أنفسهم راجعين إلى اللّه ودار الأمن والأمان والروح والريحان دون الإكتراث لهذه الدنيا فقد قال النّبى صلى الله عليه و آله:

«إنَّ الصَّبْرَ نِصْفُ الإيمانِ»[۸۶۳]

. وقال:

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۳۰

«الإيمانُ نِصْفانِ؛ نِصْفٌ فِى الصَّبْرِ ونِصْفٌ فِى الشُّكْرِ»[۸۶۴].

والعبارة:

«طَلَباً فِى حَلَالٍ»

تشير إلى أنّ المتّقين ليسوا أفراداً متقوقعين ومعتزلين للأنشطة الحيوية، بل يسعون ويجدون من أجل المعاش والنهوض بالمجتمع الإسلامى الذى يشكل أحد أهدافهم الأساسيّة، مع هذا الفارق وهو أنّ أصحاب الدنيا لا يهتمون للحلال والحرام بينما يعيش هؤلاء هم الكسب الحلال ويهربون من العمل مهما كان دخله كثيراً إن شمّوا منه رائحة الحرمة، قال النّبى صلى الله عليه و آله:

«الْعِبادَةُ سَبْعُونَ جُزْءاً أفْضَلُها طَلَبُ الْحَلالِ»[۸۶۵].

وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً»[۸۶۶]. ويمكن أن تكون العبارة دلالة على أنّ العمل الصالح وليد الغنى الحلال والطيب.

والعبارة:

«نَشَاطاً فِى هُدىً»

تفيد أنّ طى طريق الهدى بالنسبة لهؤلاء وخلافاً لما يعتقده الأفراد ضيقى الفكر وقليلى المعرفة منطلقاً للنشاط والحيوية، فهم لا يكلّون قط من السير على هذا الدرب وسلوك هذا الطريق يضاعف من نشاطهم وفاعليتهم.

المراد من العبارة

«وتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ»

أنّ المتّقين بعيدون كلّ البعد عن الطمع، الطمع نتيجة التعلق الشديد بالدنيا بسبب التوجه لغير اللَّه والذى يؤدّى إلى العديد من المفاسد ومنها أنّه أحد عناصر الذلّة والبغض والعداوة والحقد والحسد؛ فالطماع لا يشبع قط من مال الدنيا ويسعى للحصول عليه بالطرق والوسائل كافّة فهو فى الواقع يعيش أسر هذا القيد على الدوام كما قال الإمام عليه السلام فى إحدى كلماته القصار:

«الطَّمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ»[۸۶۷].

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۳۱

أضف إلى ذلك فالطمع يعطل الفكر والعقل ويعرض الإنسان للتذبذب والحيرة، كما قال عليه السلام فى إحدى كلماته القصار:

«أَكْثَرُ مَصارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطامِعِ»[۸۶۸].

ثم تطرق عليه السلام إلى ثلاث صفات أخرى من صفات المتّقين فقال:

«يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وهُو عَلَى وَجَل ۸۶۹]. يُمْسِى وهَمُّهُ الشُّكْرُ، ويُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ».

نعم! فلو أتى أولياء اللَّه بكلّ الأعمال الصالحة لظلوا يخشون عدم أدائهم حقّ العبودية للَّهوالتقصير فى إمتثال التكليف، كما ورد فى الحديث الشريف عن الحارث بن المغيرة أو أبيه، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قلت له: ما كان فى وصيّة لقمان؟

قال عليه السلام:

«كَانَ فِيها الأعاجِيب وَكانَ أَعجَبُ مَا كَانَ فِيها أنْ قَالَ لِإبنِهِ: خِفِّ اللَّه عَز وَجلَّ خِيفَةً لَو جِئتَهُ بِبرّ الثّقَلَين لَعَذَّبَكَ، وَارجُ اللَّهَ رجاءً لَو جِئتَهُ بِذُنُوبِ الثّقَلَين لَرَحِمَكَ ...»[۸۷۰].

وللقرآن الكريم تعابير مختلفة ورائعة بهذا الخصوص فى وصفه للسابقين فى الخيرات: «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا أَتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ»[۸۷۱].

والعبارة:

«يُمْسِى وهَمُّهُ الشُّكْرُ، ويُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ»

إشارة إلى أنّ هؤلاء يبتدئون يومهم الذى يستانفون فيه العمل والنشاط باسم اللَّه وفى آخر اليوم حيث انفتحوا على تلك النعم الإلهيّة واستغلوها فى مرضات اللَّه فيندفعون فى الحمد والشكر، بالضبط كالجلوس على مائدة الطعام، فهم يشرعون بتناول الطعام باسم اللَّه وينتهون بشكره حين يرفعون أيديهم عن الطعام، رغم ما ذهب إليه بعض الشرّاح [۸۷۲] أنّ الاختلاف فى التعبير من باب التنوع فى العبارة والمراد أنّهم ذاكرون وشاكرون فى الصباح والمساء وفى جميع الأحوال، إلّاأنّ الأنسب ما ذكرناه.

وقد وردت عبارات عميقة المعنى فى الآيات والروايات بشأن أهميّة ذكر اللَّه.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۳۲

فقد ورد فى الحديث عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله:

«ثَلاثَةٌ مَعْصُومُونَ مِنْ إبْليسَ وجُنُودِهِ:

الذّاكِرُونَ للَّهِ، والْباكُونَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، والْمُسْتَغْفِرُونَ بِالأسْحارِ»[۸۷۳].

كما وردت عدّة آيات وروايات فى الشكر منها: ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام فى غرر الحكم أنّه قال:

«شُكْرُ النِّعْمَةِ أَمانٌ مِنْ حُلُولِ النِّقْمَةِ»[۸۷۴].

ثم أشار إلى صفتين مهمتين من صفات هؤلاء الأولياء فقال:

«يَبِيتُ حَذِراً ويُصْبِحُ فَرِحاً؛ حَذِراً لَمَّا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وفَرِحاً بِما أَصابَ مِنَ الْفَضْلِ والرَّحْمَةِ».

طبعاً ليس مفهوم العبارة تقسيم الوقت فى الخوف والرجا، فالخوف والرجاء راسخ فى قلوب المتّقين فى كلّ زمان، وعلى كلّ حال ولكن لما كان المتّقون يخلون إلى أنفسهم بعد نهاية يومهم للحساب يشعرون بالقلق إن كان بدر منهم زلة أو خطأ ومن هنا ورد الحث على الاستغفار عند الليل قبل النوم فقد روى عن الصادق عليه السلام أنّه قال:

«... مَنِ اسْتَغْفَرَاللَّهَ حينَ يَأْوِى إلى فِراشِهِ مِائَةَ مَرَّة تَحاتَتْ ذُنُوبُهُ كَما يَسْقُطُ وَرَقُ الشَّجَرِ»[۸۷۵].

ولما كان النهار انطلاقة فعالية وأعمال صالحة جديدة، الفعالية التى ينبغى أن تستهل بالأمل والرجاء فقد أصبح تجلياً لصفة الرجاء والأمل.

وللمفسرين عدّة أقوال بشأن الفارق بين الفضل والرحمة ذيل الآية الشريفة: «قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ»[۸۷۶] فقد ذهب البعض إلى أنّ الفضل الإلهى هو النعم الظاهريّة والماديّة والرحمة النعم الباطنيّة والمعنويّة، بينما ذهب البعض الآخر إلى أنّ الفضل بداية النعمة والرحمة دوامها، كما احتُمِلَ أن يكون الفضل إشارة إلى نعم اللَّه العامّة على جميع الناس والرحمة إشارة إلى رحمته الخاصّة بالمؤمنين. وبالطبع ليس هنالك من تناقض فى هذه التفاسير ويمكن الجمع بينها جميعاً.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۳۳

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى بيان صفة أخرى من صفات المتّقين ذات الصلة بالتربية وتهذيب النفس فقال:

«ان اسْتَصْعَبَتْ ۸۷۷] عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيما تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِها سُؤْلَها فِيما تُحِبُّ».

هذا فى الواقع أحد مراحل السلوك إلى اللَّه والذى يصطلح عليه بمرحلة «المعاقبة» التى تأتى بعد مراحل «المشارطة» و «المراقبة» و «المحاسبة» أى يشترط على نفسه منذ الصباح حين ينطلق فى يومه الجديد على عدم مقارفة أى ذنب، ثم يعيش المراقبة طيلة يومه ومن ثم يتفرغ ليلًا لحساب ما أتى به من عمل فى النهار، فإنّ ظفر بمخالفة هب لمعاقبة نفسه كأن يمنع نفسه ما ترغب فيه، مثلًا يحرم نفسه من الطعام اللذيذ والفراش المريح والنوم الكافى وما شاكل ذلك ليؤدب نفسه الجامحة فتعيش طاعة اللَّه فى الأيّام القادمة، وهذا

البرنامج مؤثر وعملی لتهذیب النفس وبالطبع أنّ کلّ من داوم علیه سیلمس آثاره وبرکاته بعد مدّة لیست طویلة.

ثم أشار إلی أربع صفات مهمّة أخری فقال:

«قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَايَزُولُ، وزَهَادَتُهُ فِيمَا لَايَبْقى، يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ، والْقَوْلَ بِالْعَمَلِ».

والعبارة

«قُرَّةُ عَيْنِهِ»

بالنظر إلی أنّ «قرّة» من مادة «قرّ» (علی وزن حرّ) تعنی فی الأصل البرودة والعرب تعتقد أنّ دموع الشوق باردة دائماً ودموع الحزن حارة ومحرقة، فإنّ هذه العبارة تقال حیث السرور والفرح، وعلیه فمفهوم العبارة المذکورة أنّ عین المتّقین مسرورة بعالم الآخرة، ذلک لأنّه عالم خالد ودائم، کما قال القرآن عن أصحاب الجنّة: «خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّموَاتُ وَالْأَرْضُ»[۸۷۸] وقال أيضاً:

«فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».[۸۷۹] وبالنظر إلی أنّه وحسب ما ورد فی الأقسام السابقة من الخطبة فإنّ هؤلاء یرون بأعینهم فی هذه

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۴۳۴

الدنیا الجنّة ونعمها، وتحصل لهم حالة السرور وقرة العیون، وبالعکس حیث ایقنوا أنّ الدنیا متقلبة فلم یتعلقوا بها قط، ومزجهم الحلم بالعلم والقول بالعمل کان من أهم نقاط قوّتهم، ذلک لأنّ العالم إن لم یکن حلیما إزاء جهل الجهّال تعذر علیه هدایتهم وإرشادهم وإن لم یقترن قوله بفعله لم یعد لکلامه من تأثیر، فقد قال الإمام الصادق علیه السلام:

«إنَّ الْعالِمَ إذا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنِ الْقُلُوبِ كَما يَزِلُّ الْمَطَرُ عَنِ الصَّفا»[۸۸۰].

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۴۳۵

## القسم الخامس

### اشارة

تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ، قَلِيلًا زَلَلُهُ، خَاشِعاً قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَنْزُوراً أَكْلُهُ، سَهْلًا أَمْرُهُ، حَرِيزاً دِينُهُ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُوماً غَيْظُهُ. الْخَيرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، والشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ، إنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ، وإنْ كانَ فی الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ.

يَعْفُوعَمَّنْ ظَلَمَهُ، ويُعْطِى مَنْ حَرَمَهُ، ويَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، بَعِيداً فُحْشُهُ، لَيِّناً قَوْلُهُ، غَائِباً مُنْكَرُهُ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلًا خَيْرُهُ، مُدْبِراً شَرُّهُ. فِی الزَّلَازِلِ وَقُورٌ، وفِی الْمَكَارِهِ صَبُورٌ، وفِی الرَّخَاءِ شَكُورٌ. لَايَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ، وَلَا يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ. يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ، لَا يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ، وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ، وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ، وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ، وَلَا يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ، وَلَا يَدْخُلُ فِی الْبَاطِلِ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ. إنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ، وإنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ، وإنْ بُغِیَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوالَّذِی يَنْتَقِمُ لَهُ. نَفْسُهُ مِنْهُ فِی عَنَاءٍ. والنَّاسُ مِنْهُ فِی رَاحَةٍ. أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِاخِرَتِهِ، وأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ. بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ ونَزَاهَةٌ، ودُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ ورَحْمَةٌ. لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وعَظَمَةٍ، وَلَا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وخَدِيعَةٍ.

### الشرح والتفسیر: تسع صفات أخری

### اشارة

تطرق الإمام علیه السلام فی هذا المقطع من الخطبة إلی تسع من صفات المتّقین فقال:

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۴۳۶

«تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ، قَلِيلًا زَلَلُهُ، خَاشِعاً قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَنْزُوراً[۸۸۱] أَكْلُهُ، سَهْلًا أَمْرُهُ، حَرِيزاً[۸۸۲] دِينُهُ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُوماً[۸۸۳] غَيْظُهُ».

فقد أشار الإمام عليه السلام فى هذه العبارة إلى قصر الأمل، لأنّ طول الأمل- كما ورد فى الروايات- ينسى الآخرة ونسيان الآخرة طامة كبرى تفرز مختلف المعاصى والذنوب.

صحيح أنّ وجود الأمل لدى الإنسان مدعاة للحركة والنشاط، كما جاء فى الحديث النبوى الشريف:

«الْأَمَلُ رَحْمَةٌ لِامَّتى ولَوْلا الْأَمَلُ ما رَضَعَتْ والِدَةٌ وَلَدَها ولا غَرَسَ غارِسٌ شَجَراً»[۸۸۴]

. ولكن إن تجاوز هذا الأمل الحد وتبدل إلى أمل طويل فإنّه يدفع جميع قوى الإنسان وأفكاره نحوالدنيا وينسيه كلّ شىء، بل يتعذر حتى على الإنسان فى ظلّ هذه الحالة أن يستثمر دنياه.

وإننا لنرى أنّ قلّة زلات المتّقين كونهم يبعدون أنفسهم عن مطبات الذنب وذكرهم الدائم للّهتبارك وتعالى. وخشوع قلوبهم نتيجة لعرفانهم باللّه، لأنّ الإنسان كلّما إزداد إدراكه لعظمة المعبود ازداد خضوعه له، وقناعة المتّقين معلولة لسعة افقهم إزاء النعم الماديّة للدنيا ومتاعها وزخرفها، وبما أنّهم يؤمنون بفنائها وزوالها فهم لا يجازفون فى السعى للحصول عليها فيقتنعون منها بذلك المقدار اللازم، وقلّة طعامهم لعلمهم بأنّ كثرة الأكل- وبغض النظر عمّا تفرزه من أنواع الأمراض- فإنّها تسلبهم حيوية العبادة ومناجاة اللّه، أضف إلى ذلك فإنّها تجعلهم يغفلون عن ذكر المعوزين من أهل الفاقة.

وجاء فى الحديث عن الإمام عليه السلام فى غرر الحكم:

«مَنِ اقْتَصَدَ فى أَكْلِهِ كَثُرَتْ صِحَّتُهُ وصَلُحَتْ فِكْرَتُهُ».

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۳۷

العبارة:

«سَهْلًا أَمْرُهُ»

إشارة إلى أنّه سهل لين فى أعماله الشخصية، كما أنّه سهل المؤونة إزاء الناس، وأننا لنرى بعض الأفراد الذين يعيشون حالة من التكلف القصوى بشأن سفر أو ضيافة ويزجون بأنفسهم فى أتون عذاب أليم، أو يخوضون صراعاً قد يستغرق أشهراً وربّما سنوات تجاه الناس لانتزاع حقّ بسيط، والحال يعيش المتساهلون حياة وادعة مريحة على المستوى الشخصى إلى جانب الراحة فى علاقاتهم مع الآخرين.

العبارة:

«حَرِيزاً دِينُهُ»

إشارة إلى أنّه يهتم قبل كلّ شىء بحفظ إيمانه وعقيدته ومبادئ دينه، ولا يضحى بها من أجل المال والمقام والشهوة.

والعبارة:

«مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ»

لا- تعنى أنّهم يفتقرون إلى الشهوات، بل يسيطرون بعقولهم وإيمانهم على تهذيب هذه الشهوة، وهوذات التعبير الرائع الذى ساقه القرآن الكريم بشأن يوسف عليه السلام: «وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّءا بُرْهَانَ رَبِّهِ»[۸۸۵].

وأمّا العبارة:

«مَكْظُوماً غَيْظُهُ»

بعد الصفات السابقة إشارة إلى أنّ حفظ الدين وأداء الوظائف قد يؤدّى أحياناً إلى ردود فعل طائشة من قبل بعض الجهّال والذى يثير الغضب لدى المتّقين، لكنهم مسلّطون على أنفسهم ويكظمون غيظهم.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه فأشار إلى أربع صفات من صفات المتّقين البارزة فقال:

«الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، والشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ، إنْ كانَ فِي الْغافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ، وإِنْ كانَ فى الذّاكِرينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغافِلِينَ».

ورد فى الحديث عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله:

«ألا أُنَبِّئُكم لِمَ سُمِّىَ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِناً؟

لإيمانِهِ النّاسَ عَلى أنْفُسِهِمْ وأمْوالِهِمْ، ألا أُنَبِّئُكُمْ مَنِ الْمُسْلِمُ؟ الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النّاسُ مِنْ يَدِهِ ولِسانِهِ»[۸۸۶].

فإنّ كان هذا هو حال العاديين من المسلمين والمؤمنين، فمن الأولى أن يكون

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۳۸

كـذلك الوضع بالنسبة للمتّقين الـذين يمثلون نخبة المؤمنين والمسـلمين، فهؤلاء مصدر الخيرات والبركات ولا يتلقى الناس منهم أى شرّ.

وجاء فى الحديث النبوى الشريف:

«انَّ مَثَلَ الْمُؤمِنِ كَمَثَلِ النَّحْلَةِ إنْ صاحَبْتَهُ نَفَعَكَ وإنْ شاوَرْتَهُ نَفَعَكَ وإنْ جالَسْـتَهُ نَفَعَكَ وكُلّ شَأْنِهِ مَنافِعُ وكَـذلِكَ النَّحْلَةُ كُلّ شَأْنِها مَنافِع»[۸۸۷].

قـال بعض الأعلام: إنّ وجه المشابهـة بين المؤمن والنحل حـذق النحل وفطنته وقلّة أذاه ومنفعته وقناعته وسـعيه فى النهار وتنزهه عن الاقـذار وطيب أكله، وأنّه لاـ يأكـل من كسب غيره ۸۸۸]، أضف إلى ذلك فإنّ النحلـة تنتـج الشـهد العظيم الفائـدة، بالإضافة إلى أنّ دورانها حول الأزهار يؤدّى إلى تلقيـح مختلف أنواع النباتات، ناهيك عن لسعتها التى تعـدّ وسيلة للـدفاع عن نفسـها من العـدو ذات فائـدة عظيمـة فى علاج بعض الأمراض ومفردة الخير والشـر مفهوم غايـة فى السعة تشـمل الخيرات الماديّـة والمعنويّة وجميع الشرور الماديّة والمعنويّة كذلك.

والعبارة:

«انْ كانَ فِى الْغافِلِينَ كُتِبَ فِى الذَّاكِرِينَ»

إشـارة إلى أنّه لاـ يتـأثر حين يكون وسـط بعض الغافلين من الأفراد فهو لا ينفك عن ذكر اللَّه واليوم الآخر، كما لا يعيش حالـة الغفلة حين يكون وسط الذاكرين.

ثم أشار عليه السلام إلى ثلاث صفات مهمّة أخرى والتى تعدّ من كرامات المتّقين فقال:

«يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، ويُعْطِى مَنْ حَرَمَهُ، ويَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ».

يردّ الإنسان بالمثل أحيانـاً على مـا يواجهه من إساءات من الآخرين والتى غالباً ما تفرزها حالـة الثأر والانتقام؛ ولكن لا تمارس أحياناً مثل هـذه المعاملة وهذا بالطبع الأسـلوب الذى يطبع سـيرة أولياء اللَّه والمتّقين، فهم يتجاوزون ويعفون عن ظلم الظلمة فى الوقت الذى يتمكنون فيه من الانتقام والرد بالمثل، وهذا بحد ذاته

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۳۹

شجاعـة لأنّه ينبع من موقع القوّة وليس من قبيل الاستسـلام تجاه الظلم، ويعتمـد البـذل والعطاء تجاه من حرمه ومنعه، وهـذا دليل على جوده وكرمه.

وبالتالى فهو يمد يد المصالحة والسلام لمن يقاطعه ويشمله بعونه ونجدته وهذا شجاعة وكرم.

جاء فى الخبر المروى عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه قال:

«إذا كانَ يَومَ القِيامَـةِ نادى مُنادٍ أَينَ أَهلُ الفَضلِ؟ فَيَخرُجُ عُنقٌ مِنَ النّاسِ. فَتَسأَلُهُم المَلائِكَةُ: وَما كانَ فَضلُكُم؟ فَيَقُولُونَ: «كُنّا نَصِلُ مَنْ قَطَعَنا ونُعْطى مَنْ حَرَمَنا ونَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَنا».

فَيقَولُونَ لَهُم: «صَدَقْتُمْ ادْخُلوا الْجَنَّةَ»[۸۸۹].

وقد أمرنا اللّه تعالى فى القرآن الكريم بصورة عامة وشاملة بهذا الخلق، حيث خاطب النّبى صلى الله عليه و آله قائلًا: «ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ»[۸۹۰].

ثم أشار الإمام عليه السلام فى عبارات قصيرة وعميقة المعنى إلى ست صفات بارزة أخرى فى المتّقين فقال:

«بَعِيداً فُحْشُهُ ۸۹۱]، لَيِّناً قَوْلُهُ، غَائِباً مُنْكَرُهُ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ،

مُقْبِلًا خَيْرُهُ، مُدْبِراً شَرُّهُ».

والصفات الست التى يقابل كلّ زوج فيها الآخر وتفسر بعضها البعض الآخر تشير إلى سلوكيات وتصرفات المتّقين الاجتماعيّة.

والعبارة:

«بَعِيداً فُحْشُهُ، لَيِّناً قَوْلُهُ»

إشارة إلى أنّ معاملتهم لجميع الناس تنطلق من اللسان الجميل والكلمات المفعمة بالخير والمحبّة وليس فى أقوالهم وأعمالهم أى نوع من العنف والغلظة، فهم ليسوا بعيدين غاية البعد عن الفاحش من القول فحسب بل هم أبعد ما يكونون عن الفاحشين.

وقد ورد فى الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام حين سئل عن حد حسن الخلق أنّه

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۴۰

قال:

«أنْ تُلينَ جَناحَكَ، وتُطيبَ كَلامَكَ، وتَلقى أخاكَ بِبِشْر حَسَن»[۸۹۲].

والعبارة:

«غَائِباً مُنْكَرُهُ»

تشير إلى انعدامه؛ أى لا يبدر منه أى منكر إزاء الآخرين.

ويحتمل أن يكون المراد أنّه لو بدرت منهم زلّة، فهى ليست بزلّة علنيّة على الأقل لتلوث المجتمع.

والعبارة:

«حَاضِراً مَعْرُوفُهُ»

إشارة إلى جميع المحاسن التى يقرّها العقل والوجدان والشرع وليست غريبة عليها (من مادة عرفان بمعنى المعرفة).

والمراد من

«مُقْبِلًا خَيْرُهُ، مُدْبِراً شَرُّهُ»

أنّهم مندفعون على الدوام فى الإتيان بأفعال الخير، وإن كانت لهم من أعمال سيئة فى الماضى فهم يسعون إلى هجرانها والإبتعاد عنها.

ثم أشار إلى ثلاث من صفاتهم الحميدة فقال:

«فِى الزَّلَازِلِ ۸۹۳] وَقُورٌ[۸۹۴]، وفِى

الْمَكَارِهِ صَبُورٌ، وفِى الرَّخَاءِ شَكُورٌ».

والمراد من

«زلازل»

الحوادث الأليمة والفتن العظيمة التى تهز القلوب. فالمتقون يربطون جأشهم إزاء هذه الخطوب ولا يفقدون معنوياتهم ويقفون إزاءَها كالجبل الأصم الذى لا تحركه الرياح العاتية،

«الْمُؤْمِنُ أصْلَبُ مِنَ الْجَبَلِ»[۸۹۵]

فهم صامـدون وهـذا يدل على أنّ التقوى لا تعنى الإعتزال عن المجتمع والخلود إلى الدعة والراحة، بل المتقون الحقيقيون هم أولئك الذين يتصدون للأحداث الصعبة ويسعون جاهدين وبكل شجاعة لإنقاذ أنفسهم ومجتمعاتهم ممّا يعصف بها من خطوب.

والصبر على المكاره يمثل أحد فروع الصبر الذى يشـمل كلّ مصـيبة وحادثة أليمة. فالمتقون ثابتون وصامدون فى هذا الميدان، ذلك لأنّ الجزع إزاء المصائب

نفحات الولايهٔ، ج۷، ص: ۴۴۱

يقود الإنسان إلى المعصية والسيىء من القول من جهة، ومن جهة أخرى يغلق على الإنسان السبيل لمعالجة الموقف.

وشـكرهم عند النعمة ناشـىء من تواضـعهم للّهوالخلق، فهم ليسوا على غرار المتكبرين الذين تنسيهم النعمة والمال والمقام والثروة كلّ شىء فيتمردون على الخالق والمخلوق.

ثم أشار عليه السلام إلى ثلاث صفات أخرى للمتّقين فقال:

«لَا يَحِيفُ ۸۹۶] عَلَى مَنْ يُبْغِضُ،

وَلَا يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ. يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ».

فهذه الصـفات الثلاث تنطلق من روح المتّقين الداعية إلى الحقّ والساعية للعدالة، والعادل من ينصف حتى عدوه فى إيصال حقّه، كما قال تعالى فى القرآن: «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا»[۸۹۷].

ولا يهب صحبه أكثر من حقهم بما يؤدى لتضييع حقوق الآخرين، كما قال القرآن الكريم: «وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوكَانَ ذَاقُرْبَى»[۸۹۸].

وهذا هو سرّ اعترافهم بالحقّ قبل إقامة الشـهود عليه، ذلك لأنّ الذين يسلمون إزاء الشهود لا يعتبرون ممن يسلم للحقّ، وإقامة الشهود هى التى اضـطرتهم للتسـليم؛ أمّا من ينشـد الحقّ والعـدل فهوذلك الفرد الـذى ينطلق إلى صاحب الحقّ ليعثر عليه ويؤدّى حقّه ويفك رقبته من ظلامـة الآخرين، وعلى هـذا الضوء لابـدّ أن ينطلق المـدين إلى الدائن ويفتش المؤتمن عن صاحب الأمانة، على العكس ممّا تشهده المجتمعات المجانبة للتقوى.

نعم، فالمتقون من لا يقصـرون فى أداء الحقوق وليسوا بحاجة للقضاء والمحاكم كما أنّ العداوة والصداقة لا تخرجهم من حدود الحقّ والعدل.

نفحات الولايهٔ، ج۷، ص: ۴۴۲

قال النّبى صلى الله عليه و آله:

«أَتْقَى النّاسِ مَنْ قالَ الْحَقَّ فيما لَهُ وعَلَيْهِ»[۸۹۹].

ثم واصل عليه السلام كلامه ليشير إلى سبع صفات بارزات أخرى من صفات المتّقين بعبارات منسجمة فقال:

«لَا يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ، وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ، وَلَا يُنَابِزُ[۹۰۰

بِالْأَلْقَابِ، وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ، وَلَا يَشْمَتُ ۹۰۱] بِالْمَصَائِبِ، وَلَا يَدْخُلُ فِى الْبَاطِلِ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ».

للعبارة:

«لَا يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ»

معنى واسع يشـمل جميع الأمانات الإلهيّة والاجتماعيّة، من الصـلاة التى قال فيها القرآن: «وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ»[۹۰۲]. حيث يحافظون عليها من خلال أدائها بإخلاص بعيـداً عن السـمعة والرياء، وكـذلك سائر الأمانات، كالقرآن الكريم وأحكام الشـريعة والأولاد الذين وهبهم إيّاهم اللّه تعالى ومختلف الأمانات التى يأتمنهم عليها الآخرون، فهم يسـعون حثيثاً للحفاظ عليها ولا يفرطون بها بسبب التساهل والغفلة والتقصير.

العبارة:

«لَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ»

إشارة إلى جميع ما يذكر به من الأمور المفيدة من جانب اللّه تعالى وأولياء اللّه والمخلصين من الأساتذة والمعلمين والأصحاب والأصدقاء، فهؤلاء ليسوا من أهل النسيان الذين يتغاضون عن دروس الهدى والحقّ ولا يلتزمون بها، وإذا ما اعتراهم شيء من وساوس الشيطان تذكروا اللّه وإرشادات أوليائه فيعودون إلى رشدهم وهداهم، قال اللّه تعالى فى القرآن: «انَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُّبْصِرُونَ»[۹۰۳].

والعبارة:

«وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ»

إشارة لما ورد فى القرآن الكريم: «وَلَا تَنَابَزُوا

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۴۳

بِالْأَلْقَابِ»[۹۰۴]. لأنّ ذكر هذه الألقاب يؤجج فى القلوب نيران العداوة والبغضاء فيضطر الطرف المقابل إلى ممارسة ردود الأفعال الطائشة، الأمر الذى يلوث أجواء المجتمع ويحطم شخصية الأفراد.

وعدم أذى الجار والشماتة بالمصائب التى وردت بعد مسألة التنابز بالألقاب تشير إلى رعايتهم للحقوق الاجتماعيّة واحترام الآخرين فى الجوانب كافّة. وقد ورد الحث على رعاية حقوق الجار فى القرآن الكريم وأحاديث النّبى صلى الله عليه و آله وروايات الأئمّة المعصومين عليهم السلام فقد روى عن أمير المؤمنين على عليه السلام أنّه قال:

«اللَّهَ اللَّهَ فى جيرانِكُمْ فَإِنَّهُمْ وَصيَّةُ نَبِيِّكُمْ ما زالَ يُوصى بِهِمْ حَتّى ظَنَّنا أَنَّهُ سَيُورِّثُهُمْ»[۹۰۵].

من جانب آخر فإننا نعلم أنّ من أصابته مصيبة فهو كالإنسان المجروح المحتاج إلى مَن يخفف عنه ويطبب جرحه، والشماتة هنا كذر الملح على جروحه، وليس هنالك من إنسان حى يسمح لنفسه أن يقوم بهذا العمل. قال الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ شَمَتَ بِمُصيبَة نَزَلَتْ بِأَخيهِ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيا حَتّى يُفْتَتَنَ»[۹۰۶].

وآخر الصفات التى وردت فى العبارة المذكورة عدم دخول المتّقين فى الباطل وخروجهم من دائرة الحقّ والتى تنطوى على معانٍ عميقة جدّاً، يأبى المتقى- على ضوء ما ذكر- الدخول فى الأفكار الباطلة والتصرفات الباطلة والخوض فى الأقوال الباطلة ولا يتبع سوى الحقّ المطلق ولا يحيد عنه فى مطلقاً وأينما كان وتجاه كلّ شخص وازاء كلّ عمل.

ثم أشار عليه السلام إلى ثلاث صفات أخرى من صفاتهم فقال:

«انْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ، وإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ، وإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوالَّذِى يَنْتَقِمُ لَهُ».

فالمتقى لا يغتم فى سكوته، مع أنّ السكوت فى أغلب الأحيان يؤدّى إلى حالة

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۴۴

من الكآبة والحزن، ذلك لأنّ السكوت أساس نجاة اللسان من أغلب الآفات، بالإضافة إلى كونه يدعو إلى التفكر فى أمور الدين والدنيا، جاء فى الحديث النبوى الشريف:

«طُوبى لِمَنْ ... أَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مالِهِ وأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ»[۹۰۷].

كما أنّ المتقى لا يضحك بصوت عال ويقهقه فى ضحكه، لأنّ القهقهة من عادات الأثرياء المغرورين والأفراد الفارغين، قال أميرالمؤمنين عليه السلام فى غرر الحكم:

«خَيْرُ الضَّحِكِ التَّبَسُّمُ».

والعبارة:

«وإنْ بُغِیَ عَلَیْهِ ...»

إشارة إلی أنه أحیاناً قد یمارس بعض الأصدقاء والقرابة وربّما حتی الاخوة ظلماً بحقّ الإنسان بحیث لوهب للإنتقام لنشبت نزاعات مستمرة قد تنتهی إلی ما لا- یحمد عقباه، فإنّ إعتمد الإنسان فی ظلّ هذه الظروف التحمل واستیعاب الآخر وسلم الطرف المقابل للّهیکون قد أنقذ نفسه من الوساوس الشیطانیّة الخطیرة، کما یکون قد حافظ علی حالة الهدوء والاستقرار فی المجتمع، طبعاً لیس المراد من هذا الکلام العدوالغادر والقاسی، ذلک لأنّ مثل هذا التحمل والسکوت یدعوه لمزید من الظلم والطغیان.

ثم أشارالإمام علیه السلام إلی أربع صفات أخری تکمل کلّ واحدة منها الأخری فقال:

«نَفْسُهُ مِنْهُ فِی عَنَاء. والنَّاسُ مِنْهُ فِی رَاحَة»

. أی أنّه یتحمل المزید من العناء بغیة استقرار المجتمع، مثلًا لو ظهرت بعض المشاکل فی المجتمع جهد نفسه وتحمل بعض المشاق لحل تلک المشکلات بغیة إراحة المجتمع فالواقع أنّ هذا نوع من الإیثار والتضحیة یعمد بموجبه الإنسان إلی تحمل بعض المشاکل الاجتماعیّة من أجل راحة خلق اللّه.

وذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلی أنّ العبارة الثالثة والرابعة

«أَتْعَبَ نَفْسَهُ ...»

بمثابة الدلیل علی العبارتین السابقتین؛ أی إن کانت نفسه فی عناء من جانبه فذلک لأنّه یسعی دائماً للاستعداد والتزود للدار الآخرة، وإن کان الناس منه فی راحة

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۴۴۵

فذلک لأنّه قرر ذلک.

کما یحتمل أن تکون العبارتان واردتین بشأن مسألة أخری فالعبارتان السابقتان إشارة إلی الأمور المادیّة، وهاتان العبارتان إشارة للأمور المعنویّة.

قال الإمام علیه السلام:

«مَنْ عَمَّرَ دارَ إِقامَتِهِ فَهُوَ العاقِلُ»[۹۰۸]

. وقال تعالی: «وَإِنَّ الْاخِرَةَ هِیَ دَارُ الْقَرَارِ»[۹۰۹].

ثم اختتم الإمام علیه السلام الخطبة بأربع صفات أخری من الصفات البارزة للمتّقین الاختتام الذی ربّما لم یکن آخر الخطبة لولا تلک الحادثة التی وقعت لهمام ولعله أشار لمطالب مهمّة أخری بهذا الشأن) فقال:

«أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِاخِرَتِهِ، وأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ. بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ ونَزَاهَةٌ؛ ودُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِینٌ ورَحْمَةٌ، لَیسَ تَبَاعُدُهُ بِکِبْرٍ وعَظَمَةٍ، وَلَا دُنُوُّهُ بِمَکْرٍ وخَدِیعَة».

فقد أشار الإمام علیه السلام فی ذکره لهذه الصفات إلی نقطة مهمّة وهی: أنّ المتّقین فی صِلاتهم الاجتماعیّة وتعاملهم مع الأصدقاء والأعداء واقامتهم للعلاقات أو قطعها مع هذا أو ذاک وبالتالی التعامل مع جمیع الأمور إنّما ینشدون أهدافاً مقدّسة؛ فإن بعدوا عن شخص فإنّما ذلک بسبب تلوثه بالمعاصی أو أنّ الاقتراب منه یجعلهم عرضة للافتتان بزخارف الدنیا التی ابتلی بها هذا الفرد، وبالطبع فإنّ اقترابهم من الأفراد یستند إلی دورهم فی هدایة الجهّال وتنبیه الغافل ومساعدة الضعیف والفقیر، أمّا أصحاب الدنیا فإنّما یبتعدون عن هذا الفرد أو ذاک بسبب کبرهم وغرورهم ویقتربون من هذا أو ذاک بغیة تحقیق مصالحهم المادیّة والخداع والتضلیل.

### مصیر همام بعد سماع الخطبة

صرّح الراوی بعد نهایة الخطبة التی ذکرها الإمام علیه السلام حین بلغ هذا الموضع من

نفحات الولايهٔ، ج۷، ص: ۴۴۶

الخطبهٔ

«قالَ: فَصَعِقَ هَمَّامٌ صَعْقَةً كانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا».

«فَقَالَ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَمَا واللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: أَهكَذَا[۹۱۰] تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا».

«فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: فَمَا بَالُكَ يَا أَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ!».

«فَقَالَ عليه السلام: وَيْحَكَ، إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لَايَعْدُوهُ، وسَبَباً لَايَتَجَاوَزُهُ».

ثم أضاف الإمام عليه السلام:

«فَمَهْلًا! لَاتَعُدْ لِمِثْلِهَا، فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ!».

وهنا يرد هذا السؤال: لم كانت عاقبهٔ همام تلك الصعقهٔ بينما لم تحدّث للإمام عليه السلام الذى ساق هذا الكلام؟

لابدّ من الإلتفات فى الجواب عن هذا السؤال إلى نقطهٔ مهمّهٔ وهى أنّ همام وإن كان رجلًا عابداً وزاهداً كما ورد فى مستهل الخطبهٔ «كانَ رَجُلا عابِداً»

وقلبه يفيض حكمهٔ ومعرفهٔ وروحه مفعمهٔ بالصفاء والنقاء (كما يتجلى ذلك من سؤاله) ولكن مهما كانت روحه ساميّهٔ لا يمكن مقارنتها بروح أمير المؤمنين عليه السلام التى تمثّل بحراً من السمّو والكمال، ومن هنا لم يسع قلب همام تحمل كلّ تلك المفاهيم والمعارف، وهل يمكن سكب البحر فى جدول صغير؟ وعليه فليس من العجب أن يصعق همام صعقهٔ تكون نفسه فيها ويفارق الدنيا.

فقد ورد فى القرآن الكريم بشأن قصهٔ موسى وبنى اسرائيل وتجلى النور الإلهى للجبل: «فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً»[۹۱۱].

فلم يقتصر الأمر على عدم تحمل موسى، بل إنهار ذلك الجبل بعظمته.

نعم! فالمواعظ التى تنطلق من القلب تستقر هكذا فى القلب، والمهم أن يكون الإنسان من ذوى

«الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ»

وإلّا فالعتاهٔ من الأفراد من ذوى القلوب

نفحات الولايهٔ، ج۷، ص: ۴۴۷

القاسيهٔ والملوثهٔ والواقعهٔ فى شباك الشيطان لا تمتلك الآذان الصاغيهٔ لسماع المواعظ ولا القلب الوادع لاستيعابها.

بعبارهٔ أخرى أنّ همام وإن كان متّقياً عالى الهمّهٔ، لكنه لم ير فى نفسه ذلك السمّو الذى بيّنه الإمام عليه السلام فى هذه الخطبهٔ، فاشتعلت فى أعماقه نيران الحسرهٔ وصعقت نفسه كمداً.

ويشهد التاريخ الإسلامى على وجود العديد من هذه النماذج من الآثمين أحياناً الذين عادوا إلى رشدهم وعدد من المتّقين الذين سمعوا مثل هذه المواعظ فلم يتحملوها وفارقوا الحياهٔ[۹۱۲].

وهنالك احتمال ثالث وهو أنّ همام لما سمع البشائر التى ذكرها أميرالمؤمنين عليه السلام للمتّقين حلقت روحه شوقاً إلى ديار المعبود لتعانق الجنان.

وجاء فى الخبر أنّ «ربيع بن الخُثَيم» كان فى ذلك المجلس فلما صعق همام جرت دموعه على خديه وقال لأمير المؤمنين عليه السلام ما أسرع أثر وعظك فى ابن أخى ليتنى كنت مكانه، فقال عليه السلام:

«هكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا!»[۹۱۳].

والجواب عن السؤال الثانى هو ما ذكره الإمام عليه السلام أنّ لكلّ إنسان أجلًا فلا يفارق الدنيا حتى يحلّ أجله، ولكن حين حلول

الأجل يمكن أن يكون العامل النهائى بعض الأمور المختلفة، والعامل النهائى هنا العبارات العميقة لأمير المؤمنين عليه السلام، أضف إلى ذلك لا يمكن مقارنة روح الإمام عليه السلام بروح همام، فروح الإمام بحر متلاطم من الأمواج وليس من قبيل البركة التى تتغير أوضاعها بفعل التلاطم الشديد للمياه.

ويتّضح ممّا تقدم جواب السؤال الثالث وهو لِمَ قبل الإمام عليه السلام طلب همام وبين له تلك المواعظ الشافية والكافية والساميّة، بينما قال عليه السلام كنت أخشى عليه هذه

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۴۸

الحادثة؟! لأنّ العامل النهائى حين حلّ أجله يمكن أن يكون تغييراً لمختلف أجهزة البدن أو الأمواج المعنويّة العاتية داخل الروح.

أمّا قول الإمام عليه السلام للمعترض: (لا تعدّ لمثلها فإنّما نفث الشيطان على لسانك) فذلك لأنّه لم يطرح السؤال بغية التحقيق لفهم الموضوع بل كان هدفه نقض كلام الإمام عليه السلام وبعبارة أخرى إبطاله حسبما يظن، والحقّ أنّ سؤالًا بهذا الشكل ولأجل هذا الهدف لهو سؤال شيطانى.

## تأمّل

### نظرة أخرى لخطبة همام

هذه الخطبة فى الواقع دورة متكاملة فى الأخلاق الإسلاميّة التى تسلط الضوء على جميع زوايا الحياة الفرديّة والاجتماعيّة والماديّة والمعنويّة للإنسان، كما أنّها نظام متكامل لأولئك الذين يرومون السير والسلوك إلى اللّه.

فقد بيّنت صفات المتّقين بأسلوب بديع خلال أكثر من مائة وعشر صفات (وكأنّه عليه السلام اختار العدد الذى يمثل اسمه المبارك) فانطلق بها من إصلاح اللسان واختتمها بالتدين الاجتماعى واحترام حقوق الآخرين، فهنالك بعض الأفراد الذين ينسحبون من الميدان منذ الخطوة الأُولى أثر ضعف إيمانهم وخواء إرادتهم، لكن غيرهم من الأفراد مثل همام وباجتيازه لهذه الخصال يحث الخطى للقاء المعبود.

ومن المزايا التى تتصف بها هذه الخطبة أنّها تنتشل التقوى من صيغتها السلبيّة التى تراود أذهان البعض وتعرضها بصيغتها الإيجابيّة كما وردت فى الآيات القرآنيّة والروايات الإسلاميّة.

وهذه الخطبة لا تقول لك عليك باعتزال عن المجتمع والانقطاع عن كلّ شىء فى الدنيا لتبقى محافظاً على طهرك، بل ترشد إلى الإندكاك فى وسط المجتمع ووسط الأمواج العاتية لحياة أصحاب الدنيا بحيث لا يترك ذلك بصماته السيئة عليك، على

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۴۹

غرار الإنسان القوى البنية الذى يبقى محافظاً على سلامته وسط المرضى ويقاوم كافّة الميكروبات والجراثيم.

وقد صنف المرحوم العلّامة الشهيد المطهرى التقوى إلى قسمين فى كتابه (عشر مقالات): تقوى الضعف وتقوى القوّة، وقال عن تقوى الضعف: إنّ الإنسان وبغية صون نفسه من المعاصى يهرب من أسبابها، وتقوة القوّة: أن يخلق فى روحه قوّة وقدرة بحيث تمنحه حصانة روحية وأخلاقيّة.

ويضيف: يشاهد فى أدابنا الشعريّة والنثريّة بعض التعليمات التى تعكس التقوى بصورتها الأُولى والتى ينبغى التعامل معها بحذر، ثم يتطرق إلى شرح تقوى القوّة ويقول: «إنّ التقوى فى النصوص الدينيّة سيما نهج البلاغة تعنى تلك الملكة المقدّسة التى تمد الروح بالقوّة والإقتدار وتلجم النفس الأمّارة وتكبح جماح العواطف الجامحة»[۹۱۴].

نعم فالتقوقع والإعتزال لا يعدّ فخراً، والفخر إنّما يحقّ ليوسف عليه السلام الذى صان نفسه عن تلك الرغبات الجنسية الشديدة وحفظ

نفسه من الفحشاء ببرهان ربّه وذلک مثّل التقوى فی أعلى مستوياتها.

طبعاً لا ننكر أنّ البعض لم يبلغ هذه المرحلة من التقوى (تقوى القوّة)، وما أكثر من يضطر لانتخاب الصنف الأوّل (تقوى الضعف).

نفحات الولایه، ج۷، ص: ۴۵۱

## الخطبة ۱۹۴

### اشارة

يَصِفُ فيهَا الْمُنافِقِينَ ۹۱۵]

### نظرة إلى الخطبة

الخطبة كما يبدو من عنوانها فى المنافقين حيث تتحدث عن صفاتهم وتتكون من قسمين:

القسم الأوّل: يبتدئ بحمد اللَّه والثناء عليه والشهادة بالرسالة للنبى صلى الله عليه و آله وتركزت خاتمته على المحن العظيمة للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله وما حاكه المنافقون وخصوم الدعوة الإسلاميّة ضده من مؤامرات خطيرة، وحيث تواصل خط النفاق واشتد بعد النّبى صلى الله عليه و آله على عهد الإمام عليه السلام فقد حذر عليه السلام فى القسم الثانى من الخطبة من خطورة المنافقين وذكر بالأدلة والبراهين للمجتمع الإسلامى خصائصهم الواحدة تلو الأخرى ليتعرف عليهم جميع المسلمين ويقبروا مؤامراتهم فى مهدها.

نفحات الولایه، ج۷، ص: ۴۵۳

## القسم الأوّل

### اشارة

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَذَادَ عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَماماً، وبِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً. وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ كُلَّ غَمْرَة، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّة. وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الْأَدْنَوْنَ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصَوْنَ، وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا، وضَرَبَتْ إِلى مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا، حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَها، مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ، وأَسْحَقِ الْمَزَارِ.

### الشرح والتفسير: محن الرسالة

استهل الإمام عليه السلام هذه الخطبة كسائر الخطب بحمد اللَّه والثناء عليه والشهادة للنبى صلى الله عليه و آله بالرسالة، وقرن الحمد والثناء هنا بالتضرع والدعاء فقال:

«نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَذَادَ[۹۱۶] عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَماماً، وبِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً».

ولما كان أعظم فخر للإنسان هو التوفيق للطاعة وترك المعصية، فقد ركز الإمام عليه السلام هنا على هاتين النقطتين، والمراد من التوفيق هنا توفير أسباب الطاعة وترك المعصية، ذلک لأنّ اللَّه أفاض علينا العقل والفطنة والضمير الحى وبعث الأنبياء والرسل وأنزل الكتب السماوية التى تقرّبنا جميعاً من الطاعة وتبعدنا عن المعصية، ولولا هذه الأسباب لغرقنا فى مستنقع المعصية، وعليه يجدر بنا حمد اللَّه وشكره على الدوام على هذه النعم العظيمة.

أمّا الدعاء الذی ذكره الإمام علیه السلام فی عبارتین عقب هذا الحمد والثناء؛ فهو یتعلق

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۴۵۴

بطلب إكمال هذه النعم والتوفیق للاعتصام بحبل اللَّه، والمراد منه دین اللَّه كما یفهم من الآیة الشریفة: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِیعاً وَلَا تَفرَّقُوا»[۹۱۷].

أو المراد القرآنالكریم كما یستفاد من حدیث الثقلین حیث قوله:

«كِتابَ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ‌السَّماءِ الَی‌الأَرْضِ»[۹۱۸]

أو المراد كلاهما حیث لیس هنالك من فارق بینهما.

الحقّ سنصبح أسعد الناس إن شملنا هذا التوفیق الإلهی بحیث تتمّ نعمه علینا ویقوی تمسكنا بحبل اللَّه.

وقد طرح بعض شرّاح نهج البلاغة إشكالًا مفاده: كیف یطلب الإمام علیه السلام إتمام النعمة، بینما صرّح القرآن الكریم قائلًا: «وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَاتُحْصُوهَا»[۹۱۹] فی إشارة إلی أنّ نعم اللَّه خارجة عن حدود العد والإحصاء؟

ولكن ما ینبغی الإلتفات إلیه هو أنّ لإتمام النعم مراحل ودرجات؛ فإن تعذر علی الإنسان بلوغ المرحلة النهائیة فإنّه یستطیع الوصول إلی سائر مراحلها الأخری وهذا ما سأله الإمام علیه السلام اللَّه تبارك وتعالی.

ثم شهد علیه السلام بنبوّة النّبی صلی الله علیه و آله بذكر بعض الصفات البارزة من صفاته فقال:

«ونَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، خَاضَ إِلَی رِضْوَانِ‌اللَّهِ كُلَ‌غَمْرَةٍ[۹۲۰]، وتَجَرَّعَ فِیهِ كُلَ‌غُصَّةٍ[۹۲۱]».

وهاتان الصفتان التی بینهما الإمام علیه السلام بشأن النّبی صلی الله علیه و آله جامعتان لكلّ صفات الخیر؛ فالوقوف بوجه المحن والجلد علی المصائب مالم یقترن بتلك المقاومة والتحمل فإنّه لن یتمخض عن تبلور الأعمال ذات الأهمیّة.

وتشیر العبارة:

«تَجَرَّعَ فِیهِ كُلَّ غُصَّةٍ»

إلی أنّ المحن والخطوب التی تحملها رسول اللَّه صلی الله علیه و آله لم تكن واحدة أو اثنتین بل كان یتجرعها الواحدة تلو الأخری

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۴۵۵

فقد تحمل من أعداء الإسلام أشد المصاعب، صابراً حیث زرعوا طریقه بالأشواك والعقبات، لكنه تخطاها جمیعاً، وهذا بحد ذاته درس لجمیع الأفراد الذین یرومون مواجهة الطاغوت وإصلاح مجتمعهم.

ثم بین الإمام علیه السلام جانباً من بعض المصائب العظیمة التی واجهها النّبی الأكرم صلی الله علیه و آله إبان الدعوة إلی اللَّه بعبارات قصیرة وعمیقة المعنی فقال:

«وقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الأَدْنَوْنَ ۹۲۲]،

وتَأَلَّبَ ۹۲۳] عَلَیْهِ الأَقْصَوْنَ، وخَلَعَتْ إِلَیْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا[۹۲۴]، وضَرَبَتْ إِلی مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ

رَوَاحِلِهَا[۹۲۵]، حَتَّی أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَها، مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ، وأَسْحَقِ ۹۲۶] الْمَزَارِ».

والعبارة:

«تَلَوَّنَ لَهُ الأَدْنَوْنَ»

إشارة إلی أنّ البعض من قرابة النّبی صلی الله علیه و آله كالعباس الذی كان یرغب فی دعمه وإسناده لم یكن جاداً بهذا الخصوص.

والعبارة:

«تَأَلَّبَ عَلَیْهِ الأَقْصَوْنَ»

إشارة إلی سائر القبائل البعیدة عن قریش والتی اتّحدت مع بعضها وألّبت سائر القبائل للوقوف بوجه النّبی صلی الله علیه و آله ودعوته

بحيث لم يكن يجرأ أحد من قرابته للدفاع عنه بشجاعة في ظلّ تلك الظروف كما كانت وتيرة العداء تتصاعد بالشكل الذى يصعب معه مواجهتها.

والعبارة:

«خَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا، وضَرَبَتْ إِلى مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا»

إشارة إلى سرعة وجدّية الخصوم فى معاداته صلى الله عليه و آله، ذلك لأنّهم حين يريدون للراحلة أن تسير بسرعة يسلسون قيادها ويضربون بطنها واضلاعها. والتاريخ الإسلامى بكلّ فصوله وصفحاته ليشهد على هذه الحقيقة، حيث إنّ الأعداء لم يتورعوا عن القيام بأى فعل كانوا يعتقدون أنّ من شأنه القضاء على الإسلام والنّبى صلى الله عليه و آله والدعوة؛ لكن اللّه أراد لهذا النور أن يتمّ ولا يطفأ وأن يزداد إشراقاً يوماً بعد آخر، وفقد أفشل

نفحات الولاية ؛ ج۷ ؛ ص۴۵۵

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۵۶

خططهم واطفأ بمطر لطفه ورحمته نيران فتنهم ومؤامراتهم فخرج النّبى صلى الله عليه و آله من هذه الأحداث الخطيرة منتصراً مرفوع الرأس وبسط نفوذ الإسلام ونشر راياته فى غرب العالم وشرقه.

ولكن حيث كان للمنافقين فى الداخل- أولئك الذين أظهروا إسلامهم وإلتحقوا ظاهرياً بركب المسلمين بينما كانت قلوبهم مع الأعداء وتختزن البغض والعداء- دور مهم وخطير تواصل حتى عهد الإمام عليه السلام وتغلغل بين صفوف المسلمين، فقد حذّر المسلمين تحذيرات جدّية بشأن خط النفاق وشرح- كما سياتى- فى القسم القادم خصائص المنافقين وأخطارهم وسلط ابن أبى الحديد الضوء هنا على المخاطر والصعوبات التى تخطاها رسول اللّه إبان الدعوة وقال:

«من قرأ وكتب السيرة علم ما لاقى رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى ذات اللّه من المشقةّ واستهزاء قريش به فى أول الدعوة ورميهم إيّاه بالحجارة حتى أدموا عقبيه وصياح الصبيان به وفرث الكرش على رأسه وفتل الثوب فى عنقه وحصره وحصر أهله فى شعب بنى هاشم سنين عدّة محرمة معاملتهم ومبايعتهم ومناكحتهم وكلامهم حتى كادوا يموتون جوعاً لولا أنّ بعضاً ممن كان يحنو لرحم أو لسبب غيره فهو يسرق الشىء القليل من الدقيق أو التمر فيلقيه إليهم ليلًا، ثم ضربهم أصحابه وتعذيبهم بالجوع والوثاق فى الشمس وطردهم إيّاهم عن شعاب مكة حتى خرج من خرج منهم إلى الحبشة وخرج عليه السلام مستجيراً منهم تارة بثقيف وتارة ببنى عامر وتارة بربيعة الفرس وبغيرهم، ثم اجمعوا على قتله والفتك به ليلًا حتى هرب منهم لائذاً بالأوس والخزرج تاركاً أهله وأولاده حتى وصل المدينة فناصبوه الحرب ولم يزل منهم فى عناء شديد وحروب متصلة حتى أكرمه اللّه تعالى ونصره وادّى دينه، ومن له أنس بالتواريخ يعلم من تفاصيل هذه الأحوال ما يطول شرحه»[۹۲۷]. (هذه هى الأمور التى أشار إليها الإمام عليه السلام فى هذه العبارات القصيرة والعميقة المعنى).

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۵۷

## القسم الثانى

### اشارة

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ، فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ، والزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ، يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً، ويَفْتَنُّونَ افْتِنَاناً، ويَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ، ويَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ. قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ، وصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ. يَمْشُونَ الْخَفَاءَ، ويَدِبُّونَ الضَّرَاءَ. وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ،

وقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ، وفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعَيَاءُ. حَسَدَةُ الرَّخَاءِ، ومُؤَكِّدُوالْبَلَاءِ، ومُقْنِطُوالرَّجَاءِ.
لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ، وإِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ، ولِكُلِّ شَجْوٍدُمُوعٌ. يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ، ويَتَرَاقَبُونَ الْجَزَاءَ إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا، وإِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا، وإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا.

## الشرح والتفسير: خطر المنافقين

كما ذكرنا فى آخر القسم السابق فإنّ الإمام عليه السلام أشار هنا إلى صفات المنافقين ليحذر المسلمين من خطرهم فذكر أوصافهم بمنتهى الدقّة بحيث يعجز غيره بالخوض فى صفات المنافقين بهذا العمق والدقّة.

واستهل كلامه بست من صفاتهم فقال:

«أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ، فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ، والزَّالُّونَ ۹۲۸] الْمُزِلُّونَ، يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً، ويَفْتَنُّونَ ۹۲۹] افْتِنَاناً».

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۵۸

فالصفة الأُولى التى ذكرها الإمام عليه السلام للمنافقين تتمثل فى ضلالهم؛ ليس ضلالهم فحسب بل إصرارهم على إضلال وإغواء الآخرين، أضف إلى ذلك فهم خاطئون يسعون إلى قذف الآخرين فى لهوات الخطأ والزلل.

ويبدو الفارق بين الضالّين والزالّين واضحاً، فالأولى إشارة إلى السير عن عمد وعلم فى طريق الضلال والغوايه، وتشير الثانية إلى كثرة زلاتهم وأخطائهم.

نعم! فزلاتهم جمة كثيرة وكيف لا تكون كذلك ولم يستضيئوا بنور العلم والإيمان.

وبغض النظر عن هذه الخصال الذميمة الأربع فهم أفراد متلونون يخرجون كلّ يوم بلون معين ويلبسون شكلًا آخر فى كلّ زمان ليحققوا أغراضهم الدنيئة من خلال ذلك فإذا كانوا بين المصلّين وقفوا للصلاة، وإن خالطوا أهل الخمور والفجور انغمسوا فى تعاطيها، بالضبط كما وصفهم القرآن: «وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ»[۹۳۰].

وربّما يكون الفارق بين

«يتلّونون» و «يفتنون»

أنّ الأُولى تشير إلى جوانبهم وأبعادهم الظاهريّة حيث يكتسبون كلّ يوم لوناً، والثانية إشارة إلى خططهم الخفيّة بحيث يعمدون كلّ يوم لخطة مشبوهة، فطبيعة النفاق تتمثل فى أقوالهم وأفعالهم وخططهم.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه فى هذا الإطار فأشار إلى ست صفات أخرى من الصفات الخطيرة التى يتصف بها المنافقون بعبارة قصيرة عميقة المعنى فقال:

«وَيَعْمِدُونَكُمْ ۹۳۱] بِكُلِّ عِمَادٍ، ويَرْصُدُونَكُمْ ۹۳۲] بِكُلِّ مِرْصَادٍ. قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ[۹۳۳]،

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۵۹

وَصِفَاحُهُمْ ۹۳۴] نَقِيَّةٌ. يَمْشُونَ الْخَفَاءَ، ويَدِبُّونَ ۹۳۵] الضَّرَاءَ[۹۳۶]، وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ، وقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ، وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعَيَاءُ[۹۳۷]».

والعبارة:

«ويَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ»

إشارة إلى أنّهم لا يتورعون عن التشبث بكلّ وسيلة للقضاء عليكم، من قبيل بثّ الشائعات وإثارة الشكوك فى صفوف المؤمنين وبث

الفرقة والعداوة والبغضاء والفساد و ....

والعبارة:

«ويَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَاد»

إشارة إلى أنّهم لا يغضون الطرف عن أدنى فرصة بغية تسديد الضربات إلى السلمين والانقضاض عليهم. فهم متربصون فإذا ما سنحت أدنى فرصة وثبوا عليكم.

وجميع العبارات القادمة تعكس إزدواج شخصيّة المنافقين واختلاف ظاهرهم عن باطنهم فقال إنّ قلوبهم مريضة وظاهرهم سليم، أقوالهم تبدو شافية، غير أنّ تصرفاتهم سقيمة لا علاج لها، فجميع أعمالهم مقرونة بالمؤامرات السرية والخطط الشيطانيّة الخفيّة.

ثم واصل عليه السلام كلامه ليبين ثلاث صفات أخرى فقال:

«حَسَدَةُ[۹۳۸] الرَّخَاءِ، ومُؤَكِّدُ

الْبَلَاءِ، ومُقْنِطُوالرَّجَاءِ».

قال تعالى فى القرآن المجيد: «انْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا»[۹۳۹] وهذه هى طبيعة المنافقين فى كلّ عصر ومصر.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۶۰

إن بثّ اليأس والتشاؤم بغية إضعاف الإرادة والقضاء على قوّة الجهاد والمقاومة، هى إحدى الحيل الخطيرة للمنافقين بحيث لو نجحت لانطوت على آثار غاية فى الخطورة، ويبدو هذا الموضوع أعظم خطورة فى العصر الراهن حيث تخيم فيه وسائل الإعلام على جميع أرجاء المعمورة، وقد وظّف المنافقون هذه الوسيلة فى داخل وخارج البلدان الإسلاميّة لإدخال اليأس فى قلوب المسلمين وصدهم عن الرقى والتقدم والتطور وتمهيد السبيل للقضاء عليهم. ولابدّ هنا من الصمود لمواجهة هؤلاء الشياطين بكلّ ما أوتى المسلمون من قوّة والتذكير بالألطاف الإلهيّة والعنايات الخفيّة وخلق الأمل هنا وهناك والجهر بهذا المبدأ: «انْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ»[۹۴۰]، «وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ»[۹۴۱].

ثم أشار عليه السلام إلى ثلاث صفات من صفاتهم فقال:

«لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيق صَرِيعٌ ۹۴۲]، وإِلَى

كُلِّ قَلْب شَفِيعٌ، ولِكُلِّ شَجْو[۹۴۳] دُمُوعٌ».

العبارة الأُولى كناية عن كثرة الأفراد الذين يذهبون ضحية مؤامراتهم وخططهم أو يتعرضون للأذى والضرر.

وتشير العبارة الثانية إلى أنّ المنافقين يسعون بمختلف الحيل وأساليب الخداع والتملق للنفوذ إلى القلوب والإيحاء إلى الآخرين بأنّهم من أصدقائهم.

وتشير العبارة الثالثة إلى أساليبهم المضللة فى الخداع وذرف دموع التماسيح على مصائب المؤمنين ليغطوا من خلال ذلك على بغضهم الباطنى وعداوتهم

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۶۱

المتأصلة فى قلوبهم فيخدعون الناس ويستقطبونهم إلى أودية الضلال فيجعلونهم يعيشون ذلك البؤس والشقاء.

والعبارة الرابعة إشارة إلى كثرة الأفراد الذين خدعوا بهم وهلكوا بفعل ضرباتهم الموجعة، وإشارة إلى أنّ ضحاياهم ليسوا قلائل بحيث يمكن تجاوزهم بسهولة، فهم على درجة من الكثرة وكان كلّ زقاق وشارع فقد ضحية لمؤامراتهم ومخططاتهم، وبناءً على ما تقدم فلولم يتصد المسلمون لإفشال خططهم فسوف لن يسلم أحد من ضرباتهم المهلكة.

والعبارة الخامسة تخبر عن ألاعيبهم بغية اختراق القلوب، فهم على الدوام شركاء مع اللصوص ورفاق قطاع الطرق والذين يزودون

السراق بكلّ المعلومات عن القوافل ويتعاونون معهم جنباً إلى جنب، ولـذلك فهم يسعون ليوحوا لكلّ من يصادفونه أنّهم من خلص أصدقائه.

والعبارة السادسة هى إكمال وتأكيد لما ورد فى العبارة السابقة؛ فهؤلاء يصوّرون للآخرين أنّهم يشاطرونهم أحزانهم ويذرفون دموع التماسيح على مصائبهم بينما يضحكون فى باطنهم ويشعرون بالسرور والفرح، نعم هذا هوديدن النفاق.

وأشار عليه السلام فى مواصلته لكلامه إلى صفتين قبيحتين وذميمتين من صفات المنافقين فقال:

«يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ، ويَتَرَاقَبُونَ الْجَزَاءَ».

نعم فكلّ واحد منهم يخوض فى المجلس فى مدح الآخر والاشادة به وينسب له بعض الصفات الحميدة التى ليس لها من صلة بشخصيته، على أساس أنّه يطالبه أن يعامله بالمثل فيمدحه ويثنى عليه فى مجلس آخر، فمدحهم وثنائهم لا ينطلق من الحقّ قط وتقدير المحسنين والأخيار، بل الهدف سماع المزيد من الكذب المشابه لما يورد بحقّه.

والعبارة:

«يَتَرَاقَبُونَ الْجَزَاءَ»

هى الأخرى تأكيد على هذا الموضوع وتعبير آخر عن هذه الصفة الذميمة والمريضة، أى أنّهم لا يقدمون خدمة مجانيّة بعيدة عن الرياء لكائن من كان، بل يتوقعون مقابلها خدمة لهم، ولا يقتصر ذلك على الثناء فحسب بل فى كلّ أمر وحيثما ما كان.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۶۲

وأخيراً اختتم الإمام عليه السلام هذا القسم ببيان ثلاث رذائل أخلاقيّة ذميمة للمنافقين فقال:

«انْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا[۹۴۴]، وإِنْ عَذَلُوا[۹۴۵] كَشَفُوا، وإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا».

إنّ حاجة الناس لبعضها البعض ممّا لا يمكن إنكاره وقد توجب هذه الحاجة أحياناً أن يلجأ أحد للآخر لمساعدته فى حلّ مشكلته، إلّاأنّ الإلحاح عمل قبيح، فذلك الطرف المقابل ربّما لا يريد أو يتعذر عليه القيام بذلك العمل أو قبول ذلك الطلب فيشعر بحالة من الخجل والانزعاج من ذلك الإلحاح.

قال القرآن الكريم فى بيان صفة المؤمن حين الحاجة: «لَايَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً»[۹۴۶] إلّاأنّ المنافقين يريدون نيل أهدافهم وإن أخذ الطرف المقابل حياءً واضطر للعمل خلاف رغبته وميله؛ وكذلك إن إرادوا نصح شخص وأمره بالمعروف كما يزعمون ذهبوا بماء وجهه وسط الآخرين، بينما صرحت التعاليم الإسلاميّة بأنّ هذا العمل ينبغى أن يتمّ بمنتهى الدقّة واللطافة؛ بما يحفظ ماء وجه المسلم ولا يكدره ويجعله يعيش حالة من الحزن والغم.

وتشير العبارة:

«وإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا»

إلى أنّ المنافقين إن بلغوا منصباً فإنّهم ليس فقط لا يؤدّون حقّ ذلك المنصب، بل يسلكون طريق الاسراف فيغضبون اللَّه والناس لضمان مصالحهم اللامشروعة، قال القرآن الكريم بشأن بعض المنافقين:

«وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِى الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَايُحِبُّ الْفَسَادَ»[۹۴۷].

ويحتمل أن يكون المراد من قوله

«إِنْ حَكَمُوا»

أنّهم إن تصدّوا للحكم فى مسألة معينة فإنّ حكمهم لا يستند إلى العدل قط وأنّهم ينتهكون حدود العدل والقسط، ولا مانع من الجمع بين التفسيرين.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۶۳

## القسم الثالث

### اشارة

قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا، وِلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا، وِلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلًا، وِلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً، وِلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً. يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ، ويُنْفِقُوا بِهِ أَعْلَاقَهُمْ، يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ، ويَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ. قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ، وأَضْلَعُوا الْمَضِيقَ، فَهُمْ لُمَةُ الشَّيْطَانِ، وحُمَةُ النِّيرَانِ:

(أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ).

### الشرح والتفسير: التخطيط الدقيق للمنافقين

أشار الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة الذى يمثل ختامها إلى أنّ المنافقين يندفعون نحو تنفيذ مآربهم وفق خطط جهنميّة متكاملة، واستنفروا أفكارهم لحل كلّ معضلة تعرض عليهم وأعدوا البرامج اللازمة للقضاء على معارضيهم فقال عليه السلام:

«قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا، وِلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا، وِلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلًا، وِلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً، وِلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً».

فقد كشف الإمام عليه السلام عن حقيقة فى هذه العبارات الخمس واستناداً لمفردة

«أَعَدُّوا»

أنّ المنافقين يلمّون بجميع الشؤون الإيجابية للمجتمع ويخططون لمواجهتها والقضاء عليها، وقد انطلقوا من بعض الحلول حتى فى المواقف الصعبة التى تواجههم ليتمكنوا من خلال ذلك من فتح ما أغلق عليهم من أبواب وإزالة ما يعترض طريقهم من عقبات، فهم يحملون سراجاً فى الليالى الظلماء لتحقيق مآربهم.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۶۴

وكثيراً ما تلاحظ الشواهد الحيّة لهذه العبارات العميقة المعنى فى كلام الإمام عليه السلام طيلة التاريخ ولا سيما القرون الإسلاميّة الأُولى ومن ذلك الحجج والذرائع لتنحية الإمام عليه السلام عن الخلافة (كونه شاباً أو فيه دعابة) وإحراق بيت الوحى بعد النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله بذريعة المخالفة لإجماع المسلمين (الإجماع الذى ليس له من وجود خارجى) والمطالبة بدم عثمان ومن جانب أولئك الذين تلطخت أيديهم بدمه، ورفع القرآن على أسنة الرماح حين الأشراف على الهزيمة وما شابه ذلك.

والطريف أنّهم يتشبثون أحياناً ببعض الأُمور التى تثير الدهشة لدى كلّ إنسان مطلع؛ مثلًا حين قيل لجيش معاوية إنّكم أنتم «الفئه الباغيه» التى أخبر عنها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى حديثه المعروف بشأن عمار حين خاطبه قبل ثلاثين سنة وقال له:

«يا عَمّارُ تَقْتُلُكَ الفِئَةُ الباغيةِ»

فردّوا على ذلك: إنّ قاتل عمار هو على، لأنه هو الذى أتى به! ونحن لم نقتله ۹۴۸].

ثم أشار عليه السلام إلى حيلة أخرى من حيلهم فى النفوذ إلى القلوب فقال:

«يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ، ويُنْفِقُوا بِهِ أَعْلَاقَهُمْ ۹۴۹]».

فهم نفعيون مشبوهون رأس مالهم الكفر والنفاق والضلال وزبائنهم السذج من الأفراد وثمن هذه المعاملة فقدان الدين والإيمان، على غرار بعض التجار الذين لا يهتمون للمشترى حين الشراء بغية استقطاب الآخرين لشراء بضائعهم على أساس أن:

«الإِنْسانُ حَرِيصٌ عَلى ما مُنِعَ»

فيثيروا الرغبة لدى الطرف المقابل ليقبل على متاعهم الفاسد والتالف فيشتريه بأغلى الأثمان.

ثم قال عليه السلام:

«يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ، ويَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ ۹۵۰]».

نعم! فهؤلاء دائماً ما يبدون النفاق والضلال بصيغة الحقّ ليقبله منهم الناس

نفحات الولايهٔ، ج۷، ص: ۴۶۵

الذين ينشدون الحقّ بفعل فطرتهم وطبيعتهم فيغوصوا في مستنقع من الضلال.

وقال في صفة أخرى

«قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ، وأَضْلَعُوا[۹۵۱] الْمَضِيقَ».

ونحن نجد هذا الأسلوب عند منافقي عصرنا الذين يستقطبون العديد من الناس بسهولة ويلحقونهم بهم، ثم يقطعون العديد من التعهدات والمواثيق التي يبدو من الصعوبة بمكان الخروج منها كما يقوم الاستكبار العالمي الناهب وبغية توريط الأمم والشعوب بمنحها بعض القروض وبشروط غاية في السهولة بادئ الأمر، فإذا ما وقعت في شباكهم وخدعت بألاعيبهم مارسوا معها مختلف الضغوط وبشتى الوسائل ليفرضوا عليها رغباتهم وأغراضهم في حين تكون هذه الشعوب قد غاصت في مأزق يصعب عليها الخروج منه.

وأخيراً اختتم الإمام عليه السلام خطبته بهذا التحذير قائلًا:

«فَهُمْ لُمَةُ[۹۵۲] الشَّيْطَانِ، وحُمَةُ[۹۵۳]

النِّيرَانِ:

«أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ»[۹۵۴]».

## تأمّل

### النفاق والمنافقون طيلة التاريخ

لا يسع أحد تحديد الانطلاقة التاريخية للنفاق والمنافقين. فهنالك العديد من الأفراد الفاسدين والمفسدين في المجتمعات البشريّة الذين ينبرون للمواجهة حين يمتلكون القوّة والقدرة اللازمة لها؛ ولكنهم حين يتجرّعون الهزيمة، يعمدون إلى إرتداء ثوب النفاق ليتحولوا إلى خلايا سرية ويواصلوا من خلال ذلك العمل لتحقيق أهدافهم المشبوهة، ويبدو أنّهم يستسلمون في الظاهر ويعربون عن إخلاصهم وإلتحاقهم بالجماهير لكنهم يعتمدون سرياً مختلف الخطط والمشاريع لتحقيق

نفحات الولايهٔ، ج۷، ص: ۴۶۶

مآربهم وأهدافهم المُغرضة.

ولعل من أبرز خصائص المنافقين الإزدواج في الشخصية، الإزدواج في الظاهر والباطن والقول والفعل والمجالس الخاصّة والعامّة وبالتالي الإزدواج في كلّ شيء والذي شرحه الإمام عليه السلام في هذه الخطبة بعبارات بمنتهى العمق والدقّة، فهؤلاء يزعمون أنّهم مصلحون بينما في الواقع هم مفسدون حقيقيون، ويحسبون أنفسهم أذكياء وعقلاء والآخرين حمقى وأغبياء، والحال هم الحمقى والبلهاء.

وهؤلاء شركاء اللصوص وأصحاب القوافل ورفاق الناس وعملاء الأجانب الذين يعتاشون على البلد ويعيشون التبعية للاستعمار.

وإذا ما برزت عاصفة وجدّ الجدّ وحان وقت التضحية والفداء التمسوا الذرائع الواهية وصرحوا «إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ»[۹۵۵] وانسحبوا من الميدان، وهنا بالضبط تتكشف أوجه النفاق ويماط اللثام عنها أثر بروز الأحداث والصعوبات.

وخلافاً لما يعتقده بعض السذج من أبناء العامّة من أنّ كلّ من رآى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وسمع كلامه أو وقعت عيناه عليه

اكتسب هالة من القدسيّة واصطلح عليه بالصحابى وأحرزت عدالته وصدقه، فإنّ هنالك العديد من المنافقين الخطرين بين معاصرين لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله والذين أشارت إليهم سورة المنافقين وكما أشارت بصورة أوضح وأعمق سورة التوبة وسورة الأحزاب وسائر السور القرآنيّة، وكان لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله موقفه الشديد منهم، ومن يتأمّل هذه السور القرآنيّة ويتمعن فيها يدرك شدّة موجة النفاق حتى فى آواخر عمر النّبى صلى الله عليه و آله إلّاأنّ نفوذ النّبى وقدرته والانتصارات الباهرة للمؤمنين سلبتهم زمام المبادرة.

فقد نشطوا عقب رحيل النّبى صلى الله عليه و آله وأعدوا مختلف الخطط المشبوهة وبلغ سعيهم درجة بحيث اعتلوا على عهد بنى أميّة منبر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بعنوان خلفاء النّبى صلى الله عليه و آله حيث شغله من اعتنق الإسلام آواخر عهد النّبى صلى الله عليه و آله وابن أعدى أعداء النبى ألا وهو

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۶۷

معاوية «خال المؤمنين» وهذه قصة لا مجال لبحثها.

وكثيراً ما يشاهد اليوم النفاق فى عالمنا المعاصر أكثر من أى وقت مضى، حيث ينشط فيها المنافقون بإعداد مختلف الخطط التآمرية وبوسائل وأدوات وإمكانات هائلة والكثير من العملاء فى مختلف بقاع العالم والاستفادة من جميع الوسائل الحديثة والمتطورة والمشاريع الشيطانيّة.

كما تمارس البلدان الاستعمارية التى تتوقف حياتها على إمتصاص دماء الآخرين مختلف الجرائم والجنايات تحت غطاء بعض العناوين البراقة من قبيل حقوق الإنسان والحرية والديمقراطية، سيما فى البلدان التى لا تتماشى مع سياستهم، حيث تتعالى أصواتهم لممارسة أدنى عنف بحقّ سجين بينما تخرس ألسنتهم حيال ما يجرى فى سائر السجون كسجن «أبو غريب» فى العراق و «غوانتانامو» حيث ترتكب أبشع الجرائم التى قل نظيرها فى التاريخ والتى دوت فضائحها فى مختلف أرجاء العالم.

فهم يسعون فى ظلّ هذه الحرية لسلب حرية العمل والعقيدة جميع معارضيهم ويسعون لترسيخ وتأسيس الحكومات العميلة لهم، بل لا يتورعون أحياناً من التصريح علناً بأنّ أفضل خيار لنا هى الحكومات التى ترعى مصالحنا.

وبالتالى يتحدّث هؤلاء عن الحكومات الشعبية، بينما يسعون جاهدين لإسقاط أى حكومة يقف ورائها الشعب لكنها لا تضمن مصالحهم.

ولعل إحدى طرقهم الخبيثة ما يقدمونه أحياناً كمساعدات أو قروض دون مقابل وأخرى مع مقابل وفائدة، والهدف غير المعلن بالطبع هوخلق التبعية فى تلك الدول والبلدان، ذلك لأنّها إن أصبحت تابعة كان عليها أن تقبل مكرهة كلّ ما يملى عليها؛ وهذه قصة عميقة الفصول كثيرة التشعب يتطلب شرحها العديد من الكتب والمجلات وليس هنالك من سبيل للخلاص من مخالب هؤلاء المنافقين المتغطرسين والمتسلطين والمتلونين سوى وحدة الشعوب المظلومة والمقهورة

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۶۸

فتقوم بالدرجة الأولى بكشف النقاب عنها وكشف حقيقتها ليعرفها الجميع، ثم تهب وفق خطة مدروسة لمقاومتها، والحقّ بما أنّ المنافقين يقتصرون على تحقيق أهدافهم الماديّة فإنّهم يفتقرون إلى روح الفداء والتضحية وبالتالى فهم محكومون بالهزيمة والفشل.

***

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۶۹

## الخطبة ۱۹۵

## اشارة

يَحْمَدُ اللّهَ وَيُثْنِي عَلى نَبِيِّهِ وَيَعِظ ۹۵۶]

## نظرة إلى الخطبة

يمكن تصنيف الأبحاث التى بينها الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة إلى ثلاثة أقسام:
القسم الأوّل: حمد اللّه والثناء عليه مع ذكر بعض آثار الذات القدسيّة والتى تعدّ من عجائب عالم الوجود، ثم الشهادة للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله بالرسالة والإشارة إلى بعض الصفات البارزة من صفاته.
والقسم الثانى: إشارة إلى الهدف من خلق الإنسان ومراقبة اللّه له وشرحها بعبارات غاية فى الروعة والجمال.
والقسم الثالث: الوعظ بالتقوى والاستعداد لحساب الآخرة وحضور محكمة العدل الإلهيّة.
نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۷۱

## القسم الأوّل

### اشارة

الْحَمْدُ للّهِ الَّذِى أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ، وجَلَالِ كِبْرِيَائِهِ، مَا حَيَّرَ مُقَلَ الْعُقُولِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ، ورَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ.
وأَشْهَدُ أَنْ لَاإِلهَ إِلَّا اللّهُ، شَهَادَةَ إِيمان وإِيقَان، وإِخْلَاص وإِذْعَان. وأَشْهَدُ أَنَّ محَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ وأَعْلَامُ الْهُدَى دَارِسَةٌ، ومَنَاهِجُ الدِّين طَامِسَةٌ، فَصَدَعَ بِالْحَقِّ؛ ونَصَحَ لِلْخَلْقِ، وهَدَى إِلَى الرُّشْدِ، وأَمَرَ بِالْقَصْدِ، صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ.

### الشرح والتفسير: البعثة النبوية والظروف الصعبة

استهل الإمام عليه السلام هذه الخطبة- كسائر الخطب- بحمد اللّه والثناء عليه، ولكن بعبارات جديدة وتشبيهات مربية للنفوس ومهذبة لها.
فقال:
«الْحَمْدُ للّهِ الَّذِى أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ، وجَلَالِ كِبْرِيَائِهِ، مَا حَيَّرَ مُقَلَ ۹۵۷]
الْعُقُولِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ، ورَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ ۹۵۸] النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ».
حقّاً لو أمعن الإنسان النظر فى عالم الخلق من الذرة حتى المنظومات السماوية والمجرات وأنواع النباتات والأزهار والثمار مروراً بالأصناف العجيبة للحيوانات
نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۷۲
والطيور والسباع وحيتان البحار ووحوش الصحارى والأنواع المذهلة للحشرات والأحياء الدقيقة لتعرف كلّ يوم على عجائب جديدة وغرائب شتى فيها؛ والتى يكشف عنها كلّ يوم تطور العلم البشرى ويعكس عجائب خلقتها بما يجعل الإنسان يعيش حالة من الذهول إزاء قدرة الخالق الحكيم، وهذه هى الحقيقة التى تتضح يوماً بعد آخر فى أنّه أسمى من الخيال والقياس والوهم، بل أسمى من كلّ ما رأينا وقرأنا وكتبنا.

ثم اتّجه عليه السلام صوب الاقرار بالشهادتين ليبيّن كلّ واحدة منهما بعبارات جديدة فقال:

«وأَشْهَدُ أَنْ لَاإِلهَ إِلَّا اللَّهُ، شَهَادَةَ إِيمان وإِيقَان، وإِخْلَاص وإِذْعَان ۹۵۹]».

فهـذه العبارات الأربع (إيمان وإيقان وإخلاص وإذعان) تشير إلى أربع مراحل من العقائـد الدينيّـة، فالإيمان هو المرحلة الأُولى حيث يقرّ الإنسان بشىء ثم يؤمن به رغم ما يثار حوله من شكوك وشبهات جزئية؛ ولكن مرحلة الإيقان هى المرحلة التى يزول فيها تلك الشبهات والشكوك ويضحى فيها الإيمان القلبى شفافاً ومشرقاً.

ومرحلة الإخلاص مرحلة نفى كلّ ما سوى اللّه فلا يرى المؤمن سواه فيعشقه ويناجيه ويطلب منه ولا يلتفت إلى أحد غيره، وأخيراً ترد مرحلة الإذعان التى تعنى حسب أرباب اللغة الإقرار المقرون بالخضوع، أى يظهر إيمانه فى جميع أعماله وأقواله وتصرفاته، فتصطبغ حياته بالصبغة الربّانيّة فيصبح مصداقاً لقوله تعالى «صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً»[ ۹۶۰].

ومن الطبيعى أنّ الإيمان واليقين والإخلاص كلّما تجذر فى الإنسان كانت ثمرته النهائية تلك الأعمال.

ولما فرغ عليه السلام من الشهادة للّهبالوحدانيّة خاض فى الشهادة بالرسالة مع ذكر بعض

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۷۳

الصفات البارزة للنبى صلى الله عليه و آله وأهدافه؛ فقال:

«وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ وأَعْلَامُ الْهُدَى دَارِسَةٌ[ ۹۶۱]، ومَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ[ ۹۶۲]، فَصَدَعَ ۹۶۳] بِالْحَقِّ؛ ونَصَحَ لِلْخَلْقِ، وهَدَى إِلَى الرُّشْدِ، وأَمَرَ بِالْقَصْدِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ».

والعبارة:

«أَعْلَامُ الْهُدَى»

تعنى العلامات التى توضع فى طريق المسافرين حتى لا يضلوا الطريق (كالإشارات الضوئيّة التى تنصبها إدارة المرور فى الطرق والشوارع ليتعرف الناس على تلك الطرق) وتشير هنا إلى تعاليم أئمّة الدين وإرشادات الكتب السماوية.

والعبارة:

«ومَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ»

إشارة إلى قوانين السماء التى اعتراها النسيان على عهد الجاهليّة.

نعم فقد نهض رسول اللّه صلى الله عليه و آله بالأمر وحمل لواء الدعوة فى ظلّ هذه الظروف وذلك الوسط الذى خيمت فيه ظلمات الكفر على كلّ مكان فقام بأربعة أمور: الأوّل أنّه بين الحقّ فى المعارف الدينيّة بصورة جليـة، ثم هب لابتغاء الخير للناس ودعاهم بإرشاداته ومواعظه إلى ترك الذنوب والفساد والآثام وإمتثال الأوامر والطاعة للّهورسوله، وهداهم فى المرحلة الثالثة إلى كلّ ما فيه سموهم وتكاملهم، وأخيراً أوصاهم بالعدل والقسط والاعتدال فى جميع الأمور (صلوات اللّه وسلامه عليه)، فقد أشار الإمام عليه السلام فى هذه العبارة إلى أركان الدعوة الإسلاميّة إلى جانب رسمه صورة واضحة للاوضاع فى عصر الجاهليّة.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۷۵

## القسم الثانى

### اشارة

واعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، ولَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا، عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ، وأَحْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ، فَاسْتَفْتِحُوهُ، واسْتَنْجِحُوهُ، واطْلُبُوا إِلَيْهِ واسْتَمْنِحُوهُ، فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ، وَلَا أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ، وإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَان، وفِى كُلِّ حِين وأَوَان، ومَعَ كُلِّ إِنْس

وجانٌ؛ لَايَثْلِمُهُ الْعَطاءُ، وَلَا يَنْقُصُهُ الْحِبَاءُ، وَلَا يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ، وَلَا يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ، وَلَا يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْص، وَلَا يُلْهِيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْت، وَلَا تَحْجُزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْب، وَلَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَة، وَلَا تُولِهُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقاب، وَلَا يُجِنُّهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُور، وَلَا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ. قَرُبَ فَنَأى، وعَلَا فَدَنَا، وظَهَرَ فَبَطَنَ، وبَطَنَ فَعَلَنَ، ودَانَ ولَمْ يُدَنْ. لَمْ يَذْرَءِ الْخَلْقَ بِاحْتِيَال، وَلَا اسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلَال.

## الشرح والتفسير: الموائد الإلهيّة المطلقة

أشار الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة إلى ثلاث مسائل رئيسيّة: الأُولى هدف الخليقة، ثم النعم الجمة التى تفاض على جميع العباد، وأخيراً التأكيد على المراقبة الدائمية والحضور الإلهى فى كلّ مكان وعلى كلّ حال. فقال فى الأمر الأوّل:

«واعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، ولَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا[۹۶۴]».

وهذا هو اقتباس من الآية الشريفة: «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا



لَاتُرْجَعُونَ»[۹۶۵].

ومن المفروغ منه أنّ اللَّه عليم وحكيم لا يفعل العبث قط، رغم أنّ منافع الأفعال وفوائدها لا تعود عليه بشىء؛ لأنّه غنى مطلق، ولكن بالطبع لأفعاله آثار وبركات تعود على عباده.

وبما أنّ الشرط الأوّل لبلوغ الهدف يتمثل فى وجود الهادى والمرشد فقد وردت العبارة:

«لَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا»

عقب العبارة

«لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً»

، لأنّ الإرسال فى مثل هذه الحالات بمعنى الترك والهمل تقال فى الأصل للقطيع دون راعٍ، وعلى هذا الضوء تتّضح مسؤولية الإنسان إزاء أهداف الخليقة وهداية الأولياء.

وقال عليه السلام فى المسألة الثانية:

«عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ، وأَحْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ».

والنعمة والإحسان تشمل جميع النعم الماديّة والمعنويّة بالإضافة إلى مختلف القابليات والاستعدادات الباطنيّة، وهذا يعنى أنّ الناس يتمتعون بنعمه فلا يسلكون طريق الجحود ولا يهدرون نعم اللَّه ويجتنبون الكسل والتقاعس فى الانتفاع بهذه النعم وليعلموا أنّ جميع الأسباب والوسائل متوفرة للوصول إلى الهدف المنشود والكمال المطلوب.

ثم انتقل إلى المسألة الثالثة فقال عليه السلام:

«فَاسْتَفْتِحُوهُ ۹۶۶]، واسْتَنْجِحُوهُ ۹۶۷]، واطْلُبُوا إِلَيْهِ

واسْتَمْنِحُوهُ ۹۶۸]، فَما قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ، وَلَا أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ».

إشارة إلى أنّ الفيض جاهز من المبدىء الفياض، وقد جاء الآن دوركم لتمدوا إلى خزائن لطفه يد العوز والحاجة وتفتحوا أبواب رحمته وتسألوه التوفيق والفلاح، وأننا لنعلم بالطبع أنّ النتيجة ستكون قطعيّة وحتميّة حين تقترن قابلية



القابل بفاعلية الفاعل.

وخلافاً لما يظنه الوثنيون وعبدة الأصنام والمشركون وأتباعهم فى عصرنا الراهن من أنّه لا ينبغى التوجه مباشرة إلى اللَّه ولابدّ من عبادة غيره ليفتح لهم الطريق إليه تعالى فقد صرح الإمام عليه السلام أن ليس هنالك من مانع ولا رادع فى الطريق ولكلّ العباد طرق

بابه وإن استعانوا أحياناً بوجاهة الشفعاء فهذا تأكيد آخر على الاتصال المباشر بالذات القدسيّة وإمتثال أوامره.

ثم خاض في توضيح هذا الكلام من خلال الإشارة إلى ثلاث نقاط أخرى ليوضح من خلالها الفارق بين عطاء اللّه وبذل الآخرين فقال:

«وإنَّهُ لَبِكُلِّ مَكان، وفِي كُلِّ حِين وأَوَان، ومَعَ كُلِّ إِنْس وجَانٍّ؛ لَايَثْلِمُهُ ٩٦٩] الْعَطَاءُ، وَلَا يَنْقُصُهُ الْحِبَاءُ[ ٩٧٠]، وَلَا يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ، وَلَا يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ».

حيث إنّ اللّه الرحيم حاضر في كلّ مكان وتمد إلى ساحة كبريائه أعناق وأيدي جميع المحتاجين، بل هو مع كلّ شخص أينما كان، ومن جانب آخر فإنّه ليس لعطائه من حدود، وهو دائم لا ينضب ولا ينفد ولا يخشى عليه التقتير على الآخرين إن منح البعض الآخر، لأنّه وجود لامتناهٍ من جميع الجهات ومن هنا فإنّ جوده وكرمه لا متناهٍ ونعمته وعطاءه لامتناهيان أيضاً، بل كما ورد في دعاء الافتتاح:

«ولا تَزيدُهُ كَثْرَةُ الْعَطاءِ إِلَّا جُوداً وكَرَماً»

، إشارة إلى أنّه كلّما أفاض أكثر كلّما ازداد أمل الناس بجوده وكرمه.

ثم خاض في المسألة الثالثة:

«وَلَا يَلْوِيهِ ٩٧١] شَخْصٌ عَنْ شَخْص، وَلَا يُلْهِيهِ صَوْتٌ

عَنْ صَوْت، وَلَا تَحْجُزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْب، وَلَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَة، وَلَا تُولِهُهُ ٩٧٢]

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٤٧٨

رَحْمَةٌ عَنْ عِقَاب، وَلَا يُجِنُّهُ ٩٧٣] الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ، وَلَا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ».

فهذه العبارات السبع تشجيع من جانب للعباد في أن يسألوه كلّ ما يريدون، ويعلموا أنّه لو تزامنت مع طلبات طلبات الخليقة كافّة فإنّه عليم بكلّ هذه الطلبات خبير بها، الأمر الذي لا يدركه اطلاقاً سوى اللّه تبارك وتعالى وكل ما سواه قد يشغله سؤال شخص عن الإلتفات إلى سؤال آخر.

ومن جانب آخر تحذير لجميع العباد في مراقبة حضور اللّه تبارك وتعالى في جميع الأحوال وليدركوا كما أنّ نعمه وعطاياه لامتناهيّة وأنّه لا يخيب أحداً في سؤاله وطلبه وأنّ رحمته سبقت ومنعت غضبه وأنّ نعمه لا تحول دون مؤاخذة الظلمة والطغاة وأنّه عالم بكلّ ما يفعلونه في خلوتهم وعلانيتهم، والحقّ ليس هنالك من معنى للغيب والشهادة والبعيد والقريب على الذات القدسيّة ولا تجري هذه الأمور سوى على مخلوقاته المحدودة التي تشعر بالقرب والبعد والخفاء والعلانيّة.

ثم شرح وأكّد ما ذكره في العبارات السابقة بسبع عبارات أخرى تتعلق بصفات اللّه تبارك وتعالى فقال:

«قَرُبَ فَنَأَى، وعَلَا فَدَنَا، وظَهَرَ فَبَطَنَ، وبَطَنَ فَعَلَنَ، ودَانَ ٩٧٤]

وَلَمْ يُدَنْ. لَمْ يَذْرَءِ[٩٧٥] الْخَلْقَ بِاحْتِيَال، وَلَا اسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلَال ٩٧٦]».

والواقع أنّ جميع هذه الصفات السبع تستند إلى حقيقة واحدة وهي: أنّه وجود لامتناهٍ من جميع الجهات، ولذلك فهو حاضر في كلّ مكان وفي نفس الوقت فإنّ كنه هذه الذات اللامتناهية خارج عن متناول الأفكار، والظاهر والباطن والقريب

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٤٧٩

والبعيد لديه على حد سواء، واستناداً إلى علمه اللامتناهي فهوغني عن الحاجة للتفكير حين الخلق ولهذا السبب فليس للتعب والكلل والملل من سبيل إلى ذاته القدسيّة، لأنّ هذه صفات المخلوقات ذات القدرة المحدودة، فيشعرون بالتعب حين تنفد طاقتهم وقدرتهم والحقّ أنّ الإمام عليه السلام قد اعتمد منتهى الفصاحة والبلاغة في هذه الخطبة ليصور حقيقة واحدة بأوجه مختلفة وبعبارات متنوعة غاية في الجمال والروعة.

***

نفحات الولايهٔ، ج۷، ص: ۴۸۱

## القسم الثالث

### اشارهٔ

أُوصِيكُمْ، عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهَا الزِّمامُ والْقِوَامُ، فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا، واعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا، تَؤُلْ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ الدَّعَةِ وأَوْطَانِ السَّعَةِ، ومَعَاقِلِ الْحِرْزِ ومَنَازِلِ الْعِزِّ، (يَوْمِ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ)، وتُظْلِمُ لَهُ الأَقْطَارُ، وتُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ. ويُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ، وتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ، وتَذِلُّ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ، وَالصُّمُّ الرَّوَاسِخُ، فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَاباً رَقْرَقاً، ومَعْهَدُهَا قَاعاً سَمْلَقاً، فَلَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ، وَلَا حَمِيمٌ يَنْفَعُ، وَلَا مَعْذِرَةٌ تَدْفَعُ.

### الشرح والتفسير: أهوال القيامة

أوصى الإمام عليه السلام الجميع هنا بالورع والتقوى وعدد آثار التقوى المهمّة فقال:

«أُوصِيكُمْ، عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّها الزِّمامُ والْقِوَامُ».

والتعبير

«بزمام»

إشارة إلى قوّة التقوى المانعة والتى تحول دون الإنسان وإرتكاب المعصية وتصده عن السقوط فى مستنقع الفساد والذنب والانحدار فى فخ الشيطان وهوى النفس، و

«قِوَام»

إشارة إلى أسس الحياة الطيبة والمقرونة بالسعادة، وبعبارة أخرى أنّ للتقوى بعد الحيلولة من جانب والبناء من جانب آخر، فإنّ امتزج الجانبان كملت سعادة الإنسان ونجاته، وبكلمة موجزة فإنّ سعادة الإنسان تتكامل مادياً ومعنوياً بوجود التقوى.

واعتبر بعض شرّاح نهج البلاغة أنّ

«الزِّمامُ والْقِوَامُ»

يتعلقان بالعبادات، والحال أنّ العبارة من قبيل حذف المتعلق الذى يهب المفهوم شمولية، والآيات القرآنيّة

نفحات الولايهٔ، ج۷، ص: ۴۸۲

شاهد على ذلك أنّ التقوى سبب النجاة فى الآخرة ومصدر البركة فى الحياة الماديّة الدنيويّة حيث صرح تعالى من جانب: «تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيّاً»[۹۷۷].

ومن جانب آخر: «وَلَو أَنَّ أَهلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيهِم بَرَكَات مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»[۹۷۸].

ثم قال فى مواصلة كلامه كتوضيح وتأكيد:

«فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِها[۹۷۹]، واعْتَصِمُوا

بِحَقَائِقِهَا[۹۸۰]، تَؤُلْ ۹۸۱] بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ ۹۸۲] الدَّعَةِ[۹۸۳] وأَوْطَانِ السَّعَةِ، ومَعَاقِلِ ۹۸۴] الْحِرْزِ ومَنَازِلِ الْعِزِّ».

والتعبير

«بو ثائق»

جمع وثيقة بمعنى العروة المحكمة إشارة إلى الأبعاد الظاهريّة للتقوى، والتعبير

«بالحقائق»

جمع حقيقة إشارة إلى جوانبها الواقعيّة.

والعبارات الأربع التى ذكرت فى العبارة المذكورة كنتيجة (وجزاء الشرط مقدر) تشير إلى أنّ التمسك بالتقوى سبب الهدوء والسكينة وكذلك الفتح والحفظ من الأخطار والتمتع بالعزة والكرامة.

نعم! حين تسود التقوى فى المجتمع بصفتها شعور بالمسؤوليّة الربّانيّة فإنّه قلّ من يتجاوز على حقوق الآخرين ويمارس الظلم والجور ونتيجة ذلك الاستقرار والسكينة، وإن سادت التقوى بصفتها وظيفة فإنّ المجتمع يأخذ بالرقى والاتساع

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۸۳

شيئاً فشيئاً، وإن برزت التقوى بصفتها سداً منيعاً أمام العدو فإنّ المجتمع سيصان من شره ومجموع هذه الأمور هى أساس العزّة والرفعة والسمّو.

ثم قال عليه السلام: إنّ هذه الآثار الأربعة إنّما تتحقق بصورة كاملة فى الآخرة؛ ليس بمعنى إنعدام هذه الآثار فى الحياة الدنيا بل المعنى: أنّ الهدف الأصلى والنهائى هناك:

« «يَوْم تَشْخَصُ [۹۸۵] فِيهِ الأَبْصارُ»

وتُظْلِمُ لَهُ الأَقْطَارُ، وتُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ [۹۸۶]

الْعِشَارِ[۹۸۷]».

فهذه الصفات الثلاث تتعلق بالصيحة الأُولى وزلزلة نهاية العالم، لأنّها على درجة من الرعب والهول وإثارة الدهشة بحيث تنسى الإنسان كلّ شىء سوى نفسه، كما رسم هذه الصورة القرآن الكريم فقال: «يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ»[۹۸۸].

ثم تطرق الإمام عليه السلام فى مواصلته لكلامه ليشرح جوانب أخرى من بداية القيامة والتى تهزّ القلوب وتذهل الأفكار فقال:

«ويُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَتَزْهَقُ [۹۸۹] كُلُّ مُهْجَة[۹۹۰]،

وتَبْكَمُ [۹۹۱] كُلُّ لَهْجَة، وتَذِلُّ الشُّمُّ [۹۹۲] الشَّوَامِخُ [۹۹۳]، وَالصُّمُّ [۹۹۴] الرَّوَاسِخُ [۹۹۵]، فَيَصِيرُ

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۸۴

صَلْدُهَا[۹۹۶] سَرَاباً رَقْرَقاً[۹۹۷]، ومَعْهَدُهَا[۹۹۸] قَاعاً[۹۹۹] سَمْلَقاً[۱۰۰۰]».

والذى يستفاد من الآيات القرآنيّة أنّ تغيرين شديدين وعظيمين يحدثان فى نهاية العالم وعلى أعتاب القيامة والتى عبّر عنها بالنفخ فى الصور، ذلك لأنّهم فى الماضى كانوا يعمدون إلى النفخ فى بوق الحركة أو بوق الحرب وبعدة أصوات مختلفة لتبلغ مسامع الآخرين حين يراد تحريك الجيش أو إعلان الحرب أو إيقاظه من النوم، وعليه فالنفخ فى الصور هذا يعنى بداية تغيير عظيم.

كما يستفاد من الآيات القرآنيّة حدوث زلزلة عظيمة تتزامن مع النفخة الأُولى وبموجبها تذهل الكائنات الحيّة كافّة من شدّتها وهذه نفخة الموت، وإلى ذلك أشارت الآية الشريفة: «انَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىٌ عَظِيمٌ* يَوْمَ تَرَوْنَهَا ...»[۱۰۰۱]. وكذلك الآية:

«وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمواتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ ...»[۱۰۰۲].

وفى النفخة الثانية أى إعادة الحياة يحدث تغيير آخر يظهر فيه عالم جديد على إنقاض العالم السابق فينطلق الأموات من القبور للحساب، وقد وردت الإشارة فى سورة الزلزلة إلى النفخة الثانية: «اذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا* وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا* وَقَالَ الْانسَانُ مَا لَهَا* يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا». كما ورد فى الآية ۶۸ من سورة الزمر إشارة لذلك: «ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ». وما

ذكره

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۸۵

الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة إشارة إلى النفخة الأُولى التى تؤدّى إلى خراب العالم ونسف الجبال ومحو آثارها وذهول الإنسان وبالتالى موته.

وما ورد فى ذيل هذه الخطبة إشارة للأحداث التى تعقب النفخة الثانية حيث قال:

«فَلَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ، وَلَا حَمِيمٌ يَنْفَعُ، وَلَا مَعْذِرَةٌ تَدْفَعُ»

. وهذا الكلام اقتباس من الآية القرآنيّة الشريفة: «مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ»[۱۰۰۳]. والآية: «فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ»[۱۰۰۴].

ومن الطبيعى أنّ عدم قبول المعذرة كما يفهم من الآيات المذكورة يختص بأولئك الذين حطموا الجسور الموصلة للشفاعة بأعمالهم وأفعالهم؛ وإلّا فإنّ أولئك الذين أبقوا السبل الموصلة إليها فسيشملون بتلك الشفاعة، قال تعالى فى القرآن الكريم بهذا الخصوص: «وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى»[۱۰۰۵].

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۸۷

## الخطبة ۱۹۶

## نظرة إلى الخطبة[۱۰۰۶]

يفيد ترتيب هذه الخطبة أنّها جزء من خطبة مفصلة وقد اختار المرحوم السيد الرضى هذا القسم حسب منهجه فى الاقتطاف، وقد اقتطع هذا القسم من سائر الأقسام وذكره بصورة مستقلة. على كلّ حال تتكون هذه الخطبة من ثلاثة أقسام:

تضمن القسم الأوّل إشارات قصيرة وعميقة المعنى إلى بعثة النّبى صلى الله عليه و آله وبالنتيجة فضله العظيم على البشريّة برمتها سيما المجتمع العربى.

وحذر فى القسم الثانى من الخداع والاغترار بزخارف الدنيا بعد الوصية بالورع والتقوى، ثم أوضح تفاهة الدنيا بعبارات غاية فى الروعة والمعنى وبتشبيهات رائعة.

وكشف فى القسم الثالث عن سبيل النجاة وأكّد على ضرورة المبادرة إلى استغلال الفرص ما دامت سانحة قبل فوات الأوان وحلول الموت.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۸۹

## القسم الأوّل

### اشارة

بَعَثَهُ حِينَ لَاعَلَمٌ قَائِمٌ، وَلَا مَنَارٌ سَاطِعٌ، وَلَا مَنْهَجٌ وَاضِحٌ.

أُوصِيكُمْ، عِبَادَاللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ، وأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيا، فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوص، ومَحَلَّةُ تَنْغِيص، سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ، وقَاطِنُهَا بَائِنٌ، تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِى لُجَجِ الْبِحَارِ، فَمِنْهُمُ الْغَرِقُ الْوَبِقُ، ومِنْهُمُ النَّاجِى عَلَى بُطُونِ الأَمْوَاجِ، تَحْفِزُهُ الرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا، وتَحمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا، فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَك، ومَا نَجا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلَك!

## الشرح والتفسير: أهوال الدنيا

قال الإمام عليه السلام فى المقطع الأوّل من هذه الخطبة حيث أراد كشف النقاب عن العصر الذى انطلقت فيه الدعوة النبويّة والمراد به العصر الجاهلى ومن خلال ثلاث عبارات قصيرة:

«بَعَثَهُ حِينَ لَاعَلَمٌ قَائِمٌ، وَلَا مَنَارٌ سَاطِعٌ ١٠٠٧]، وَلَا مَنْهَجٌ وَاضِحٌ».

فالطرق الصحراويّة والجبليّة لم تكن واضحة فى الأزمنة السابقة كما هى عليه اليوم، طبعاً الطرق الرئيسيّة كانت معروفة بفعل كثرة التردد عليها والعبور والمرور، غير أنّ الطرق الفرعيّة لم تكن كذلك، وبغية إرشاد المسافرين كى لا يضلوا الطرق كانوا ينصبون فى النهار بعض العلامات بصيغة أعمدة وما شابه ذلك فى أغلب الطريق منذ بدايتها حتى نهايتها والتى يصطلح عليها ب «العلم» وكانوا يشعلون السراج على سطوحها والتى يصطلح عليها ب «المنار»، وعليه لولا أعلام النهار

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۹۰

وأسرجة الليل ووضوح الطرق الرئيسيّة لتزايد احتمال ضلال سالكى الطريق.

فقد شبه الإمام عليه السلام حياة الناس فى الجاهليّة بالطرق العشوائيّة التى لم تنصب عليها أية علامة وسراج يضيىء الدرب، وليس لذلك من نتيجة سوى الضلال المبين للناس والذى أشار إليه القرآن الكريم بقوله: «وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ»[١٠٠٨].

ثم واصل عليه السلام كلامه فخاطب الجميع قائلًا:

«أُوصِيكُمْ، عِبَادَاللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ، وأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوص،[١٠٠٩] ومَحَلَّةُ تَنْغِيص، سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ، وقَاطِنُهَا بَائِنٌ».

وتشير هذه العبارات الأربع جميعاً إلى تقلب أحوال الدنيا وعدم استقرارها، مع إقترانها بالألم والمعاناة، والعجيب مع إتضاح دلالات تقلبها وتصرم أحوالها وكثرة خطوبها ومحنها فى جميع مواضعها إلّاأنّ هنالك طائفة من الناس تراها خالدة من الناحية العمليّة وتسعى إليها بكلّ ما أوتيت من قوّة.

وعلى هذا الأساس تطرق الإمام عليه السلام إلى بيان مثال بليغ ومثير بشأن هذه الدنيا الغرور بحيث لا يمكن الإتيان بصورة أفضل منه فقال:

«تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا[١٠١٠] الْعَوَاصِفُ فِى لُجَجِ ١٠١١] الْبِحَارِ، فَمِنْهُمُ الْغَرِقُ الْوَبِقُ ١٠١٢]، ومِنْهُمُ النَّاجِى عَلَى بُطُونِ الْأَمْوَاجِ، تَحْفِزُهُ ١٠١٣] الرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا، وتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا، فما غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ، ومَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلَكٍ!».

وتشبيه الدنيا بالبحر وسكنتها بركاب السفينة وإبان العواصف الشديدة التى لا تفضى سوى إلى الغرق قد ورد قبيل هذه الخطبة للإمام عليه السلام فى مواعظ لقمان الحكيم، فقد ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام فى ما روى عن لقمان الحكيم أنّه وعظ ابنه

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۹۱

قائلًا:

«يا بُنَىَّ إِنَّ الدُّنْيا بَحْرٌ عَمِيقٌ قَدْ غَرِقَ فيها عالَمٌ كَثِيرٌ فَلْتَكُنْ سَفِينَتُكَ فيها تَقْوَى اللَّهِ وحَشْوُهَا الإِيمانُ وشَراعُهَا التَّوَكُّلُ وقَيِّمُهَا الْعَقْلُ ودَلِيلُهَا الْعِلْمُ وسُكّانُها[١٠١۴] الصَّبْرُ»[١٠١۵].

وقد أشار الإمام عليه السلام فى مواصلته لهذه الخطبة إلى سبيل النجاة من هذا البحر المرعب.

على كلّ حال فما بيّنه الإمام عليه السلام فى هذا التشبيه البليغ والرائع هو أنّه رسم صورة لأهل الدنيا كيف يتبدل أمنهم إلى خوف وصحتهم إلى مرض وغناهم إلى فقر وتجمعهم إلى فرقة حين يتعرضون لمختلف أنواع المصائب والمحن والخطوب، وكيف تقضى عليهم هذه الدنيا من خلال أحداثها وعلى هذا الأساس يبدو من العجيب كيف يتعلق الناس بها ويطمأنون إليها.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۴۹۳

## القسم الثانی

### اشارة

عِبَادَ اللَّهِ، الْانَ فَاعْلَمُوا، والأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، والأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، والأَعْضَاءُ لَدْنَةٌ، والْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ، والْمَجَالُ عَرِيضٌ، قَبْلَ إِرْهَاقِ الْفَوْتِ، وحُلُولِ الْمَوْتِ.
فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ، وَلَا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ.

### الشرح والتفسير: اغتنام الفرصة

كشف الإمام عليه السلام بوضوح فی شرحه لهذا الجانب من الخطبة- كما أشرنا سابقاً- النقاب عن سبيل النجاة من تلك المحن الخطيرة التی أشار إليها فی القسم السابق، حيث تبدو النجاة من الخطوب الخطيرة لهذه الدنيا المزخرفة والغرور حتميةً إذا ما طبقت هذه الوصايا والتعاليم فقال:

«عِبَادَ اللَّهِ، الْانَ فَاعْلَمُوا، والأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، والأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، والأَعْضَاءُ لَدْنَةٌ[۱۰۱۶]، والْمُنْقَلَبُ ۱۰۱۷] فَسِيحٌ ۱۰۱۸]، والْمَجَالُ عَرِيضٌ، قَبْلَ
إِرْهَاقِ ۱۰۱۹] الْفَوْتِ، وحُلُولِ الْمَوْتِ. فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ، وَلَا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ».

فقد حذّر الإمام عليه السلام فی هذه العبارات العميقة المعنى الجميع، ولاسيما الشباب والكهول من ضرورة اغتنام الفرصة والمبادرة إلى العمل كونه أفضل وسيلة للنجاة قبل فوات الأوان وحلول عهد الشيخوخة والعجز حيث تتباطئ فيه الألسن ويضعف

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۹۴

فيه البدن ويمرض وتذبل الأعضاء ويضيق الميدان وتسلب الفرصة، نعم لابدّ من المبادرة للعمل الصالح قبل حلول هذه العقبات.

كما أكّد على عدم الظن ببعد الأجل مهما كان عمر الإنسان، فلا ينبغی الغفلة حتى لمن كان فی سنی الشباب والفتوة والشعور بالقوّة والنشاط والصحة والسلامة، والإبتعاد عن الغرور بحيث لو قيل له: كفاك ذنباً ومعصية فعد إلى اللَّه وتب إليه، قال مازالت الفرصة سانحة، وسيأتی يوماً وقت التوبة والعمل الصالح فيما بعد، فهل هنالك من يعلم ماذا سيحصل غداً، وهل هناك من يضمن ماذا سيحل بعد ساعة، ومن منّا سيبقى حياً ومن منّا سيموت؟ وقد ورد مثل هذا المعنى فی مستهل الخطبة ۲۳۷ حيث قال عليه السلام:

«فَاعْلَمُوا وانْتُمْ فی نَفْسِ الْبَقاءِ والصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ والتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ».

جدير ذكره أنّ أغلب نسخ نهج البلاغة ذكرت فی مستهل هذه الخطبة العبارة

«الآنَ فَاعْلَمُوا»

بدلًا من (فاعلموا) وتشهد القرائن، على صحة هذه النسخة، أضف إلى ذلك فإنّ انسجام المطالب وتناسب المواعظ تفيد ضرورة العمل، والخطبة ۲۳۷ شاهد على ذلك.

***

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۹۵

## الخطبة ۱۹۷

## اشارة

يُنَبِّهُ فيهِ عَلى فَضيلَتِهِ لِقَبُولِ قَوْلِهِ وامْرِهِ ونَهْيِهِ ۱۰۲۰]

## نظرة إلى الخطبة

تتألف هذه الخطبة من ثلاثة أقسام:

أشار الإمام عليه السلام فى القسم الأوّل إلى طاعته الخالصة ودفاعه المطلق عن النّبى واستدل على ذلك بعلم صحب النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وشهادتهم.

وتطرق فى القسم الثانى إلى الأحداث المهمّة منذ احتضار النّبى ووفاته حتى غسله ودفنه والصلاة عليه والتى تفيد أنّه عليه السلام أقرب من غيره للنبى صلى الله عليه و آله.

وخلص فى القسم الثالث إلى نتيجة واضحة تتمثل فى وجوب طاعته من قبل الجميع بدليل كلّ سوابقه وفضائله ومناقبه، ثم دعا مخاطبيه لمواكبته فى حفظ بيضة الدين وإرث النّبى صلى الله عليه و آله وإمتثال أوامره فى جهاد العدو (معاوية وجند الشام) وأن لا يشعروا بأدنى شكّ فى أنّهم على الحقّ وأنّ أعداءهم على الباطل.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۹۷

## القسم الأوّل

### اشارة

ولَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ أَنِّى لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ. ولَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِى فِى الْمَوَاطِنِ الَّتِى تَنْكُصُ فِيهَا الأَبْطَالُ، وتَتَأَخَّرُ فِيهَا الأَقْدَامُ، نَجْدَةً أَكْرَمَنِى اللَّهُ بِهَا.

### الشرح والتفسير: طاعتى المطلقة

استهل الإمام عليه السلام هذه الخطبة بالإشارة إلى أمرين مهمين؛ الأوّل أنّه كان دائماً وفى جميع المواطن مطيعاً مطلقاً للَّهولرسوله، بينما كان هنالك بعض الأفراد من هذه الأُمّة وبعض الصحابة ممن ينبرى بين حين وآخر للرد على النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فقال:

«ولَقَدْ[۱۰۲۱] عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ أَنِّى لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ».

«مستحفظون»:

(بفتح الفاء صيغه اسم مفعول) إشارة إلى تلك الطائفة التى استودعها رسول اللَّه أمانة سرّه والتاريخ الإسلامى الصحيح، وهذا يدلّ على وجود

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۹۸

ثلّة من صحبه الذين حفظت سره بدقّة بعيدة عن أى غرض وسوء نيّة، فهم حفظة الأسرار الإسلاميّة والحوادث التاريخيّة والذين كان يعرفهم الناس بالإخلاص والأمانة.

فى مقابل تلك الزمرة على عهد معاوية التى باعت دينها بالدنيا ووضعت الأحاديث والروايات وانبرت للقضاء على فضائل على عليه السلام ونسبت النقص والكذب له عليه السلام لتعمر دنياها بهذه المعاصى.

وهذه العبارة تمثّل فى الوقت ذاته إشارة إلى أولئك الذين تنطلق ألسنتهم أحياناً بالردّ والإعتراض على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، كما ورد فى القرآن الكريم: «وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِى الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ»[۱۰۲۲].

وإشارة إلى بعض الأفراد المعروفين مثل عمر والذى ورد بشأنه فى روايات العامّة أنّه اعترض يوم الحديبية- طبق نقل المصنّف عبدالرزّاق الصنعانى، العالم المعروف لدى العامّة على النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله حيث قال له: ألست رسول اللَّه؟ قال صلى الله عليه و آله:

بلى. قال عمر: ألسنا على الحقّ وعدونا على الباطل؟ قال صلى الله عليه و آله: بلى. فقال عمر:

فعلام نعطى الدنيّة فى ديننا (ونمضى صلحاً مع العدو أشبه بالاستسلام؟) فردّ عليه النّبى صلى الله عليه و آله بأنّه رسول اللَّه ويتبع أمر اللَّه وأنّه سينصره، فواصل عمر إعتراضه وقال: أو لم تقل إننا سنحج البيت؟ فقال صلى الله عليه و آله: نعم سنحج البيت ولم أقل سنحجه هذا العام ۱۰۲۳].

ويفهم من الرواية أنّه لم يكن الخليفة الثانى فقط من يعترض على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بل كانت معه طائفة ممن تعترض أيضاً.

إلّا أننا لا نلمس فى أى من صفحات التاريخ أنّ علياً عليه السلام اعترض على فعل من

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۴۹۹

أفعال النّبى صلى الله عليه و آله بل كان يتبعه فى الأمور كافّة ويمتثل لأوامره دون نقاش.

ثم واصل عليه السلام كلامه مشيراً إلى تضحياته فى سبيل الإسلام والنّبى صلى الله عليه و آله فقال:

«ولَقَدْ وَاسَيْتُهُ ۱۰۲۴] بِنَفْسِى فِى الْمَوَاطِنِ الَّتِى تَنْكُصُ ۱۰۲۵] فِيهَا الأَبْطَالُ، وتَتَأَخَّرُ فِيهَا الأَقْدَامُ، نَجْدَةً أَكْرَمَنِى اللَّهُ بِهَا».

هذه العبارات القصيرة إشارة إلى تضحياته عليه السلام فى الغزوات الإسلاميّة كأحد وخيبر والأحزاب وحنين.

وإننا لنعلم حسب تصريح المؤرخين بشأن معركة أُحد أنّ خصوم الدعوة لما بثّوا شائعة قتل النّبى صلى الله عليه و آله فى المعركة وقتل العديد من المسلمين انفرج سائر المسلمين عن المعركة ولم يبقَ حول النبى سوى على عليه السلام الذى دافع بكلّ صبر وثبات ۱۰۲۶].

كما نعلم أنّ أحداً لم ينبر فى يوم الأحزاب ل «عمرو بن عبدود» ويبارزه سوى أميرالمؤمنين على عليه السلام حين تخلف جميع المسلمين ۱۰۲۷].

وفى معركة خيبر كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يسلم الراية كلّ يوم لمن يزعم القتال لكنهم لم يحققوا شيئاً حتى كان آخر يوم فسلم الراية لعلى عليه السلام ففتح حصون خيبر الواحدة تلو الأخرى ۱۰۲۸].

ولقد فرّ أغلب المسلمين يوم حنين حين تعرضوا لهجوم العدو المباغت لما شعروا بالخوف والرعب وكان على رأس مَن ثبت وصمد فى الدفاع عن النّبى صلى الله عليه و آله هو على عليه السلام ۱۰۲۹].

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۰۰

وبالطبع فإنّ تضحيات على عليه السلام لا تقتصر على ميادين القتال، بل اقتحم عليه السلام سائر الميادين بكلّ شجاعة سيما تلك التى يتخاذل فيها الأبطال، فقد بات عليه السلام على فراش رسول اللَّه حين همَّ الكفّار والمشركون بالقضاء على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ففداه بنفسه.

***

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۰۱

## القسم الثانى

### اشارة

ولَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّم وإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِى. ولَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِى كَفِّى، فَأَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِى. ولَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِى، فَضَجَّتِ الدَّارُ والأَفْنِيَةُ. مَلَأٌ يَهْبِطُ، ومَلَأٌ يَعْرُجُ، ومَا فَارَقَتْ سَمْعِى هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ. يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِى ضَرِيحِهِ. فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّى حَيًّا ومَيِّتاً؟ فَانْفُذُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ، وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ. فَوَالَّذِى لَاإِلَهَ إِلَّا هُوإِنِّى لَعَلَى جَادَّةِ الْحَقِّ، وإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةِ الْبَاطِلِ. أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِى وَلَكُمْ!

### الشرح والتفسير: أولى الناس بالنّبى صلى الله عليه و آله

### اشارة

لما فرغ الإمام عليه السلام من بيان رابطته الحميمة والقائمة على أساس الإخلاص والطاعة مع النّبى صلى الله عليه و آله فى حياته ذكر علاقته به بعد وفاته والتى تفيد أنه لم يكن لأحد من المسلمين غيره مثل هذه العلاقة بالنبى الأكرم صلى الله عليه و آله فقال:

«ولَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ وإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِى. ولَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِى كَفِّى، فَأَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِى».

والعبارة:

«انَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِى»

يمكن أن تشير إلى أنّ أمير المؤمنين على عليه السلام رفع رأس النّبى صلى الله عليه و آله وضمه إلى صدره فى تلك اللحظة والتى كانت سكينة للنّبى صلى الله عليه و آله وعلى عليه السلام بالإضافة إلى أنّ هذه الوضعية تسهل من التقاط الأنفاس، كما يحتمل أن

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۰۲

يكون رأس النبى كان فى حجر الإمام عليه السلام وقد انحنى فمسّ صدره عليه السلام رأس النّبى صلى الله عليه و آله، إلّاأنّ هذا الاحتمال لا ينسجم مع قوله

«عَلَى صَدْرِى»

. وقد اختلف الشرّاح فى المراد من النفس فى العبارة

«سَالَتْ نَفْسُهُ»

حيث دارت أقوالهم حول محورين:

الأوّل: أنّ المراد من النفس الدم الذى ورد فى أغلب عبارات الفقهاء والأدباء والتى أشارت إلى هذا المعنى، ومن ذلك

«النفس السائلة»

فى الكتب الفقهية كما ورد مثل هذا الاستعمال فى الأشعار العربية حيث قيل: ثم سيلان نفسه فى كفّه، وإمرارها على وجهه، وأراد بنفسه دمه يقال: إنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قاء وقت موته دماً يسير، وأنّ علياً عليه السلام مسح بذلك الدمه وجهه [۱۰۳۰].

والتفسير الآخر هو أنّ النفس تلك الروح البشريّة القدسيّة التى وردت الإشارة إليها كراراً فى القرآن الكريم «اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا»[۱۰۳۱]. وعليه فمفهوم العبارة أنّ روح النّبى الطاهرة فاضت على يد على حين فارقت بدنه الطاهر فمسح بها وجهه [۱۰۳۲].

إلّا أنّ العبارة التى بقيت مبهمة على أغلب الشرّاح والمترجمين هى قوله عليه السلام:

«أَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِى»

فقالوا: وهل الروح شىء يمكن مسح الوجه بها؟!

ولحل هذا الإشكال يمكن أن يقال إنّ

«الكفّ»

مؤنثة لأنّ الأعضاء الثنائية فى البدن مؤنثة بينما الأعضاء المفردة مذكرة، قال الشاعر العربى:

«وكَفٍّ خَضيب زُيِّنَتْ بِبَنانى»

، وعليه فمعنى العبارة أنّ كفّى لامست الروح القدسيّة للنّبى صلى الله عليه و آله ثم مسحت وجهى بتلك الكفّ للبركة، وهكذا يحلّ إشكال تفسير العبارة المذكورة.

ثم خاض عليه السلام فى سائر مراسم وفاة النّبى صلى الله عليه و آله كالغسل والدفن فقال:

«ولَقَدْ وُلِّيتُ

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۰۳

غُسْلَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِى، فَضَجَّتِ الدَّارُ والأَفْنِيَةُ[۱۰۳۳]. مَلَأٌ يَهْبِطُ، ومَلَأٌ يَعْرُجُ، ومَا فَارَقَتْ سَمْعِى هَيْنَمَةٌ[۱۰۳۴] مِنْهُمْ. يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ ۱۰۳۵] فِى ضَرِيحِهِ».

والعبارة:

«وُلّيت غسله»

يمكن أن تكون إشارة إلى أنّ النّبى صلى الله عليه و آله كلّفنى بالقيام بهذا العمل، ومعونة الملائكة بهدف إكرام النّبى صلى الله عليه و آله وتعظيمه وإجلاله، وضجيج الدار والأفنية الوارد فى العبارة يمكن أن يراد به المعنى الحقيقى، من قبيل ما ذكروه بشأن تسبيح الجمادات فى تفسير آيات التسبيح الواردة فى القرآن الكريم، كما يمكن أن يكون المراد به المعنى المجازى ليشير إلى الحزن والأسى العظيم الذى خيم على بيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهنالك احتمال أن تكون الملائكة محذوفة والعبارة تدل على ذلك، وعليه فمعنى العبارة

«ضجت ...»

هو ضجيج الملائكة الذين كانوا فى بيته صلى الله عليه و آله، ولكن يبدو هذا الاحتمال بعيداً.

والاحتمال الرابع هو أنّ هذا الضجيج كان من قبل الناس الحاضرين حول البيت.

والعبارة هبوط وعروج الملائكة إشارة إلى أنّ الملائكة كانت تأتى جماعات جماعات تصلّى على النّبى وتعرج، وكان الإمام عليه السلام يسمع بأذنه الشريفة أصواتهم حين الصلاة والسلام على النّبى صلى الله عليه و آله وقد تواصلت هذه الصلوات والتحيات على النّبى صلى الله عليه و آله حتى دفنه.

والتعبير بالضريح إشارة إلى الحفرة التى أعدت لدفن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله؛ لأنّ هذا هو المعنى اللغوى للضريح، وإن كان الضريح اليوم يطلق على ما يوضع على القبر.

وقد تواترت روايات الفريقين على أنّ علياً عليه السلام تولى لوحده غسل النّبى ودفنه فقد روى المرحوم العلّامة المجلسى فى بحار الأنوار عن كتاب الوصية للشيخ

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۰۴

«عيسى الضرير» عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال:

«قالَ رَسُولُ اللّهِ يا على! أَضَمِنْتَ دَيْنى تَقْضيهِ عَنِّى! قالَ نَعَمْ. قالَ اللّهُمَّ فَاشْهَدْ. ثُمَّ قالَ يا عَلى تَغْسِلْنى ولا يَغْسِلْنى غَيْرُكَ فَيَعْمى بَصَرُهُ ... قالَ عَلى عليه السلام فَكَيْفَ أَقْوى عَلَيْكَ وَحْدى؟ قالَ يُعِيْنُكَ جِبْرَئيلُ وميكائيلُ وإسْرافيلُ»[۱۰۳۶].

ثم خاض الإمام عليه السلام فى استنتاج من مجموع الأبحاث السابقة ليعتبر قربه من النّبى صلى الله عليه و آله فى حياته ووفاته دليلًا واضحاً على أولويته بأمر الخلافة، فقال:

«فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّى حَيّاً ومَيِّتاً؟»

وأثر ذلك عُبىء الجميع للجهاد ضد العدو.

لعل هنالك من يتساءل وما علاقة هذه الأمور بقضية الخلافة؟ وتبدو الإجابة عن هذا السؤال واضحة؛ ومراد الإمام على عليه السلام لو كانت خلافة النّبى- على فرض- أنه غير منصوص عليها فلابدّ أن تسند إلى أقرب الأفراد منه وأولاهم به صلى الله عليه و آله، أوَليس ذلك الشخص الذى عاش التسليم المطلق لأوامر النّبى وأعظمهم تضحية وجهاداً فى الغزوات الإسلاميّة ومن كان يرى هبوط الملائكة وعروجها ولا- تفارق سمعه هينمة من أصواتها ومن تولى غسل النّبى وتكفينه ودفنه كما عهد إليه أولى من غيره بهذا الأمر؟ فعلمه ومعارفه من جانب وتضحياته الجسام من جانب آخر وقربه من رسول اللّه من جانب ثالث والوصية له بغسل النّبى ودفنه وتكفينه من الجانب الرابع فكلّ هذه الامتيازات لو وضعت فى كفّة ميزان لرجحت على الكفّة الأخرى مهما كانت ثم خلص عليه السلام إلى نتيجة فقال:

«فَانْفُذُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ، وَلْتَصْدُقْ نِيّاتُكُم فِى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ. فَوَالَّذِى لَاإِلهَ إِلَّا هُوإِنِّى لَعَلَى جَادَّةِ الْحَقِّ، وإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةِ[۱۰۳۷] الْبَاطِلِ».

فقد اعتمد الإمام عليه السلام فى الواقع منطقاً منظماً بصيغة علّة ومعاليل متسلسلة فى هذه الخطبة، فقد أثبت بادئ الأمر قربه من النّبى وتضحياته فى حياته ثم قربه منه

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۰۵

بعد وفاته، وأثر ذلك خلص إلى أولويته فى إحراز مقام الخلافة. ثم تطرق إلى نتيجة كليّة فدعى الجميع إلى جهاد العدو[۱۰۳۸].

والعبارة:

«جادَةِ الْحَقِّ ومَزَلَّةِ الْباطِلِ»

هى عبارة رائعة ودقيقة، ذلك لأنّ الحقّ كالجادة المستقيمة والواضحة التى توصل الإنسان إلى مقصده المطلوب، إلّاأنّ الباطل ليس بطريق بل مزلة وهاوية.

ثم اختتم الإمام عليه السلام الخطبة بعبارتين فقال:

«أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِى وَلَكُمْ!».

فقد أتمّ الإمام عليه السلام على الناس الحجّة بهذه العبارة وأكّد ضرورة العمل بتعاليمه ووصاياه ثم سأل اللّه كحسن ختام للخطبة المغفرة للجميع ليشمل اللّه صحبه بلطفه ورحمته إن إرتكبوا بعض الأخطاء.

## الحوادث الأليمة إبان وفاة النّبى صلى الله عليه و آله وبعدها

أشار الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة إلى الفاجعة الأليمة لرحيل النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله وضجيج الملائكة التى تكشف عن عظم هذا المصاب الجلل.

وتبدو هذه الحادثة أعظم خطورة حين تتزامن مع سائر الرزايا والأحداث والتى تكشف دراستها عن مدى عمق تلك الفاجعة.

وقد خاض جمع من شرّاح نهج البلاغة هنا فى ذكر بعض هذه الأحداث؛ لكننا رأينا من الأفضل أن نترك العنان لقلم «الشهرستانى» أحد علماء القرن السادس صاحب كتاب الملل والنحل والمعروف بتعصبه للعامّة لنرى ما ذكره بهذا الخصوص فقد أشار إلى عشرة اختلافات مهمّة كلّ واحدة منها تعدّ مصيبة للعالم، وإن سعى لتبريرها تحت ذريعة اجتهاد الصحابة، ولكن تلك الأعمال كانت على درجة من

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۰۶

الوضوح فى شناعتها بحيث تأبى التبرير بالاجتهاد أو الخطأ.

الاختلاف الأوّل فى النزاع الذى حدث عند النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى مرضه حيث روى البخارى فى صحيحه عن ابن عباس أنّ النّبى صلى الله عليه و آله قال حين اعتل:

«إيتُونى بِدَواءٍ وقِرْطاس أكْتُبُ لَكُمْ كِتاباً لا تَضِلُّوا بَعْدى».

قال عمر:

«إنّ رسول اللّه غلب عليه الوجع (وما يقوله خارج عن الوعى) حسبنا كتاب اللّه».

فاشتد نزاع الصحابة فقال صلى الله عليه و آله:

«قُومُوا عَنّى لا يَنْبَغى عِنْدى التَّنازُعُ».

قال ابن عباس بعد نقله لهذا الحديث:

«الرَّزِيَّةُ كُلُّ الرَّزِيَّهِ ما حالَ بَيْنَنا وبَيْنَ كِتابِ رَسُولِ اللَّهِ»[۱۰۳۹].

ثم تطرق إلى الاختلاف الثانى فى مرض رسول اللّه أيضاً حين قال صلى الله عليه و آله:

«جَهِّزُوا جيشَ أُسامَةَ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ»

. فقال البعض علينا إمتثال أمر النّبى، وكان أسامة خارج المدينة يتأهب للحركة نحوالشام للقضاء على فتنتهم، وقال البعض الآخر غلب الوجع على النّبى ولا نطيق مفارقته.

والاختلاف الثالث حين وفاة النّبى صلى الله عليه و آله حيث قال عمر:

«مَنْ قالَ أَنَّ مُحَمّداً قَدْ ماتَ قَتَلْتُهُ بِسَيْفى هذا وإِنَّما رُفِعَ إِلَى السَّماءِ كَما رُفِعَ عيسى عليه السلام».

وقال أبوبكر: من كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات، ومن كان يعبد ربّ محمد فانّه حى لا يموت ثم تلى هذه الآية: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ ...»[۱۰۴۰].

فقبل الناس منه وقال عمر: كأنّى لم أسمع هذه الآية إلّاالآن ۱۰۴۱].

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۰۷

والاختلاف الرابع فى موضع دفن النّبى حيث أراد المهاجرون دفنه فى مكة، بينما أراد الأنصار دفنه فى المدينة لأنّها دار الهجرة، ورغبت فئة ثالثة بدفنه فى بيت المقدس حيث الأنبياء ثم اتفقوا جميعاً على دفنه فى المدينة، ويعتقد البعض أنّ هدف عمر من هذا الكلام هو اشغال الناس حتى يحضر أبوبكر وتتمّ له الخلافة.

حيث روى عنه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«الأَنْبِياءُ يُدْفَنُونَ حَيْثُ يَمُوتُونَ»[۱۰۴۲].

وبرز الاختلاف الخامس فى الخلافة والذى عدّه الشهرستانى من أهم الخلافات حيث قال:

«اذْ ما سُلَّ سيفٌ فِى الْاسْلامِ عَلى قاعِدَة دِينيّة مِثْلَ ما سُلَّ عَلَى الْامامَةِ فى كُلِّ زَمان».

ثم نقل قصّة سقيفة بنىساعدة وماحدث فيها من اختلافات وبالتالى بيعة أبى بكر.

واعتبر الخلاف السادس قضية فدك وأشار فيه إلى خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام حيث طالبت بها كهبة من النّبى أو ميراث، فاحتج عليها أبوبكر بالحديث (الموضوع)

نفحات الولاية ؛ ج‏۷ ؛ ص‏۵۰۷

«نَحْنُ مَعاشِرَ الْأَنْبياءِ لا نُوَرِّثْ، ما تَرَكْناهُ صَدَقَةٌ».

ثم أشار إلى الاختلاف السابع بشأن مانعى الزكاة الذى اعتبرهم البعض كفرة بينما لم يكفرهم البعض الآخر والاختلاف الثامن نص أبوبكر على خلافة عمر حين وفاته فقال له الناس:

«وَلَّيْتَ عَلَيْنا فظّاً غَليظاً»

؛ بينما استجاب له سائر الناس.

والاختلاف التاسع فى الشورى التى نصبها عمر لتعيين الخليفة من بعده، والاختلاف العاشر الذى حدث على عهد أمير المؤمنين على عليه السلام بعد أن بايعته الأُمة على الخلافة، فأثار طلحة والزبير وعائشة، فتنة الجمل، ومعاوية، صفين، والخوارج، النهروان ۱۰۴۳].

نفحات الولاية، ج‏۷، ص: ۵۰۹

## الخطبة ۱۹۸

### اشارة

يُنَبِّهُ عَلى إحاطَةِ عِلْمِ اللَّهِ بِالْجُزْئِيّاتِ، ثُمَّ يَحُثُّ عَلَى التَّقْوى،

ويُبَيِّنُ فَضْلَ الْاسْلامِ والْقُرْآنِ ۱۰۴۴]

### نظرة إلى الخطبة

تتألف هذه الخطبة من عدّة أقسام:

تحدّث الإمام عليه السلام فى القسم الأوّل بعبارات رائعة عن العلم الإلهى المطلق وشهد للنبى صلى الله عليه و آله بالرسالة، ليكمل فى الواقع الشهادتين بعبارات جديدة.

وأوصى عليه السلام فى القسم الثانى بالتقوى وأنّها دواء كلّ داء والشفاء من جميع الأمراض والوسيلة لإصلاح المفاسد كافّة وطهارة الروح وقرة العين، وقد تضمنت إشارات إلى التقوى من خلال ذكر بعض النقاط التى قلّما ذكرت فى سائر الخطب.

نفحات الولاية، ج‏۷، ص: ۵۱۰

وتطرق فى القسم الثالث إلى أهميّة الإسلام ومزاياه بعبارات مشوقة تستقطب القلوب.

وتحدّث فى القسم الرابع عن النّبى صلى الله عليه و آله وخدماته الجليلة فى ذلك العصر المظلم الجاهلى وزعامته للنهضة الإسلاميّة.

واختتم الخطبة بالحديث عن القرآن الكريم من خلال ذكره لأربعين صفة من صفاته التى يمكن القول إنّها أشمل إشادة وتمجيد للقرآن، عليه آلاف التحية والثناء.

***

نفحات الولايۀ، ج۷، ص: ۵۱۱

## القسم الأوّل

### اشارة

يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِى الْفَلَوَاتِ، ومَعَاصِىَ الْعِبَادِ فِى الْخَلَوَاتِ، واخْتِلَافَ النِّينَانِ فِى الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ، وتَلَاطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ. وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُ اللَّهِ، وسَفِيرُ وَحْيِهِ، ورَسُولُ رَحْمَتِهِ.

### الشرح والتفسير: احاطۀ اللّه العلميّۀ

بما أنّ هذه الخطبۀ تتحدّث حول الإسلام والقرآن، فقد استهلها الإمام عليه السلام بالحديث عن الإيمان بالمبدأ والمعاد؛ الإيمان الذى يشكل الدافع لجميع الخيرات والوسيلۀ لجميع البركات، حين يريد التحدث عن معرفۀ اللّه فإنّه يركز على العلم الإلهى المطلق الذى يعد من أهم صفات الحقّ تعالى فقال:

«يَعْلَمُ عَجِيجَ ۱۰۴۵] الْوُحُوشِ

فِى الْفَلَوَاتِ ۱۰۴۶]، ومَعَاصِىَ الْعِبَادِ فِى الْخَلَوَاتِ، واخْتِلَافَ النِّينَانِ ۱۰۴۷] فِى الْبِحَارِ

الْغَامِرَاتِ ۱۰۴۸]، وتَلَاطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ ۱۰۴۹]».

فقد ركز الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبۀ على أربع ظواهر مختلفۀ عن بعضها البعض الآخر فى هذا العالم ولا تحضى بالاهتمام، ليشير إلى علم اللّه تعالى بها:

نفحات الولايۀ، ج۷، ص: ۵۱۲

الأُولى وكما نعلم فإنّ الصحارى المتراميّۀ الأطراف فى العالم تضم العديد من الحيوانات الوحشيۀ التى لا يطرق سمعنا ضجيجها وعجيجها، لكن اللّه تعالى عالم بها ويعلم كلّ حيوان فيها ومتى يضج بصوته وما طبيعۀ ذلك الضجيج.

والظاهرۀ الثانيۀ: كثرۀ الذنوب التى تمارس فى الخلوات والبعيدۀ عن أنظار الناس والتى تخفى علينا جميعاً، لكن اللّه يعلم بكلّ إنسان فى كلّ مكان وكل زمان والذنب الذى يرتكبه.

والظاهرۀ الثالثۀ: أنّه يعلم بحركات وسكنات الحيتان فى أعماق البحار والغائبۀ عن عيون الناس.

وأخيراً يعلم الأمواج فى المحيطات والبحار وحركاتها فى الليل والنهار والتى لا ندرك سوى جزء يسير منها، فهو العالم متى تتحرك واين تتحرك وكيف تتوقف.

ولو أضفنا لكلّ هذه الأمور أنّ علم اللّه تعالى بهذه الأمور لا يقتصر على اليوم والأمس، بل منذ الأزل الذى شهد وقوع هذه الحوادث ليل نهار (ما عدا الذنوب البشريّۀ المحددۀ بزمان معين) فاللّه يعلم كيف تحققت كلّ واحدۀ من هذه الظواهر وأين وكيف.

وكذلك لو أضفنا أنّ الأمور المذكورۀ لا تقتصر على الكرۀ الأرضيّۀ، التى تعدّ مركز مختلف الحوادث، بل لمليارات الكواكب فى مجرّاتنا والتى تعتبر مركزاً للعديد من الحوادث الدائميۀ بالإضافۀ إلى سائر المجرّات الأخرى والتى يتجاوز عددها المليارات.

نعم! كلّ هذه الأمور حاضرۀ فى علم اللّه وهنا نوقن بما ذكره القرآن الكريم فى الآيۀ ۲۷ من سورۀ لقمان اذ قالت: «وَلَوأَنَّمَا فِى الأَرْضِ مِنْ شَجَرَۀٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَۀُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ». فى أنّه عين الواقع وهى ليست من قبيل الاستغراب فحسب، بل لا تعدّ بشىء بالنسبۀ لدائرۀ علم اللّه المطلق.

نفحات الولايۀ، ج۷، ص: ۵۱۳

ثم واصل كلامه عليه السلام بعد بيان علم اللّه تعالى بعالم الخلق بالشهادة للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله بالرسالة واثنى عليه بثلاث صفات مهمّة من صفاته فقال:

«وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُ ۱۰۵۰] اللّهِ، وسَفِيرُ وَحْيِهِ، ورَسُولُ رَحْمَتِهِ».

نعم! فهو إنسان غاية فى النجابة والسمو انتجبه اللّه للنبوّة وأنزل عليه وحيه وجعله موضع رحمته.

وقد تجلت هذه الرحمة بعدة صور ووجوه، فتارة عن طريق بيان المعارف الدينيّة الساميّة، وتارة أخرى بواسطة شرح التعاليم وثالثة بطلب الرخصة من اللّه للأمّة، وبالتالى ستظهر هذه الرحمة بصيغة الشفاعة يوم القيامة؛ نسأل اللّه أن نشمل بها جميعاً

جاء فى الحديث النبوى الشريف أنّه لما نزلت الآية الشريفة: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ»[۱۰۵۱] أنّه صلى الله عليه و آله قال لجبرئيل عليه السلام لما نزلت هذه الآية:

«هَلْ أَصابَكَ مِنْ هَذِهِ

الرَّحمَة شَيءٌ؟ قال: نَعم إنِّى كُنتُ أخشى عَاقبةَ الأمر، فَآمَنتُ بِكَ لَمّا أَثنى اللّهُ عَلَيَّ بِقَولِهِ:

«ذِى قُوَّة عِنْدَ ذِى الْعَرْش مَكِين»[۱۰۵۲]

وَقَدْ قالَ: إنّما أنا رَحمَةٌ مُهداةٌ»[۱۰۵۳].

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۱۵

## القسم الثانى

### اشارة

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّى أُوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِى ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ، وإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ، وبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ، وإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ، ونَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ، وإِلَيْهِ مَرَامِى مَفْزَعِكُمْ. فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ، وبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ، وشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ، وصَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ، وطُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ، وجَلَاءُ عَشَا أَبْصَارِكُمْ، وأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ، وضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ. فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللَّهِ شِعَاراً دُونَ دِثَارِكُمْ، ودَخِيلًا دُونَ شِعَارِكُمْ، ولَطِيفاً بَيْنَ أَضْلَاعِكُمْ، وأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ، ومَنْهَلًا لِحِينِ وُرُودِكُمْ، وشَفِيعاً لِدَرَكِ طَلِبَتِكُمْ، وجُنَّةً لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ، ومَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ، وسَكَناً لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ، ونَفَساً لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ. فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ مُكْتَنِفَةٍ، ومَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَةٍ، وأُوَارِ نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ. فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا، واحْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِها، وانْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا، وأَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ بَعْدَ انْصَابِهَا، وهَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا، وتَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا، وتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا، ووَبَلَتْ عَلَيْهِ الْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا.

فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ، ووَعَظَكُمْ، بِرِسالَتِهِ، وامْتَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ. فَعَبِّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ، وَاخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ.

### الشرح والتفسير: التقوى مصدر الخيرات

بعد أن أشار الإمام عليه السلام إلى علم اللّه المطلق والشهادة بالنبوّة فى القسم السابق

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۱۶

والذى كان يمثل فى الواقع مقدمة، خاض فى هذا القسم فى ذى المقدمة والذى تمثّل فى الدرجة الأُولى فى الوصية بالتقوى وقرنها ببعض صفات اللّه ليؤجج فى قلوبهم نيران عشق التقوى والورع فقال:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّى أُوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِى ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ، وإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ، وبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ، وإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ، ونَحْوَهُ قَصْدُ

سَبِيلِكُمْ، وإِلَيْهِ مَرَامِى مَفْزَعِكُمْ ١٠٥٤]».

كما قال القرآن الكريم: «وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ»[١٠٥٥]. وقال أيضاً: «ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ»[١٠٥٦].

ثم خاض عليه السلام إثر الوصية بالتقوى إلى ذكر آثارها بثمان عبارات قصيرة وعميقة المعنى فقال:

«فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ، وبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ، وشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ، وصَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ، وطُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ، وجَلَاءُ عَشَا[١٠٥٧] أَبْصَارِكُمْ،

وأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ ١٠٥٨]، وضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ».

العبارة الأُولى إشارة إلى الأمراض الفكرية والروحية فى الغواية والضلال، والعبارة الثانية إشارة إلى إزالة الموانع وحجب المعرفة فى ظلّ التّقوى، وتشير العبارة الثانية إلى قلّة الطعام ورعاية الاعتدال فى تناول الأغذية فى ظلّ التّقوى؛ ذلك لأننا نعلم وكما ورد فى الحديث النبوى الشريف:

«الْمِعْدَةُ رَأْسُ كُلِّ داء والْحِمْيَةُ رَأْسُ كُلِّ دواء»[١٠٥٩].

والذى أيده الأطباء المعاصرون قاطبة أنّ قسماً مهماً من الأمراض معلول لكثرة

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٥١٧

الطعام، والصحة وطول العمر فى قلّة الطعام، والعبارتان الرابعة والخامسة كلاهما إشارة إلى تطهير الباطن من الرذائل الأخلاقيّة كالكبر والحسد والبغض والعداء وما شابه ذلك، غير أنّ العبارة الرابعة واردة بشأن الصفات القبيحة التى تترسخ فى باطن الإنسان بحيث تقوده إلى الفساد، بينما تشير العبارة الخامسة إلى الانحراف السطحى والبسيط والذى يغسل بماء التقوى.

والعبارة السادسة إشارة إلى أنّ التقوى تجعل رؤية الإنسان الباطنيّة أعظم حدة وعينه أشد بصيرة، ويبدو أنّ الفارق بينها وبين العبارة «وبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ»

أنّ الكلام فى تلك العبارة عن العمى المطلق بالتقوى وهنا إشارة إلى قلّة نور البصيرة الذى يزداد فى ظلّ التّقوى.

والعبارة السابعة إشارة إلى الاضطرابات التى يعيشها الإنسان أثر مقارفة الذنب والمعصية؛ فالخوف من عذاب اللّه فى الدنيا والآخرة وتأنيب الضمير الموجود فى طبيعة الذنب كلّها تزال بالتقوى.

قال القرآن الكريم «مَنْ جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ»[١٠٦٠].

والعبارة الأخيرة تشير إلى تأثير التقوى فى القضاء على ظلمات الجهل وإنهيار العدالة والظلم والجور. وعلى هذا الضوء فإنّ التقوى تجلب للإنسان خير وسعادة الدنيا والآخرة.

ثم تطرق الإمام عليه السلام بعد ذكره للتقوى وآثارها المهمّة فى الحياة الماديّة والمعنويّة البشريّة إلى طاعة اللّه والتى تعدّ من المعطيات الهامة للتقوى ليوضح بعشر عبارات قصيرة وعميقة المعنى أهميّة الطاعة فى حياة الأفراد المؤمنين فقال:

«فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللَّهِ شِعَاراً دُونَ دِثَارِكُمْ، ودَخِيلًا دُونَ شِعَارِكُمْ، ولَطِيفاً بَيْنَ أَضْلَاعِكُمْ، وأَمِيراً فَوْقَ

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٥١٨

أُمُورِكُمْ، ومَنْهَلًا[١٠٦١] لِحِينِ وُرُودِكُمْ ١٠٦٢]، وشَفِيعاً لِدَرَكِ ١٠٦٣] طَلِبَتِكُمْ، وجُنَّةً لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ،

ومَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ، وسَكَناً لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ، ونَفَساً لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ».

فقد شخص الإمام عليه السلام فى العبارات الثلاث الأُولى منزلة طاعة اللّه فى وجود الإنسان، فشبهها باديء الأمر بالشعار الذى يعنى مايلى البدن من الثياب لا الدثار الذى يعنى الثياب الخارجية التى تقتصر على الرياء والاهتمام بالظاهر، ثم غاص أبعد من ذلك ليسحبها إلى باطن الجسم على أنّها اعمق من الشعار، ثم تعمق أكثر ليرى موضعها فى القلب.

وهنا لابدّ من الإلتفات إلى أنّ العبارة «بين اضلاع» إشارة لطيفة إلى القلب، ذلك لأنّ القلب داخل الصدر وقد احيط من جميع جوانبه

بالاضلاع.

جدير ذكره أنّ القلب ليس مركز الإدراكات، إلّاأنّه على صلة وثيقة بدماغ الإنسان وروحه، وكل ظاهرة تطرأ على الروح إنّما تظهر آثارها بادئ الأمر فى القلب.

العبارة:

«أَميراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ»

إشارة إلى ضرورة سيادة أوامر اللَّه فى جميع شؤون الحياة الفرديّة والاجتماعيّة والسياسيّة.

والعبارة:

«ومَنْهَلًا لِحِينِ وُرُودِكُمْ ...»

تشير إلى أنّ المعطيات الإيجابيّة والبركات الجمة لطاعة اللَّه على الحياة الماديّة والمعنويّة للإنسان إنّما تغذى روحه، وتوصله إلى أهدافه الساميّة وتحميه ممّا يتعرض له من مشاكل، وتعد مصدر السكينة والطمأنينة فى عالم البرزخ والقبر ويوم القيامة.

ثم واصل عليه السلام كلامه بالتطرق إلى علّة لزوم الطاعة فقال:

«فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ مُكْتَنِفَة، ومَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَة، وأُوَارِ[۱۰۶۴] نِيرَان مُوقَدَة».

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۱۹

فالعبارتان الأولى والثانية فى الواقع إشارة إلى معطيات الطاعة فى الحياة الدنيا، والعبارة الثالثة ترمز إلى آثارها فى الآخرة؛ فهى تحفظه فى الدنيا من المخاطر الحاضرة والمستقبليّة، وفى الآخرة من العذاب الأليم لنار جهنم.

وذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ المراد بهذه الأخطار، المفاسد الأخلاقيّة والباطنيّة والتى تؤدّى إلى البعد عن هدى اللَّه، والحال من شأن هذه الأخطار أن تشمل المخاطر الماديّة، ذلك لأنّ الطاعة الإلهيّة تفيض الأمن الاستقرار على المجتمع البشرى وتنزل عليه بركات السماء والأرض وتحد من نسبة الوفيات، كما أشير إلى ذلك فى الآيات الشريفة من سورة نوح: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً* يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَاراً* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً»[۱۰۶۵].

ثم عاد الإمام عليه السلام ثانية إلى مسألة التقوى والورع ومعطياتها وآثارها، على أنّ الطاعة والتقوى من قبيل اللازم والملزوم، فالتقوى تؤدّى إلى الطاعة، كما أنّ الطاعة عنصر بلورة التقوى فى باطن الإنسان؛ حيث أشار عليه السلام إلى ثمانية من آثار التقوى بعبارات مقتضبة عميقة المعنى فقال:

«فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ ۱۰۶۶] عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ

دُنُوِّهَا، واحْلَوْلَتْ ۱۰۶۷] لَهُ الْامُورُ بَعْدَ مَرَارَتِها، وانْفَرَجَتْ عَنْهُ الأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا،

وأَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ بَعْدَ انْصَابِهَا[۱۰۶۸]، وهَطَلَتْ ۱۰۶۹] عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا[۱۰۷۰]،

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۲۰

وتَحَدَّبَتْ ۱۰۷۱] عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا، وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا[۱۰۷۲]، ووَبَلَتْ ۱۰۷۳]

عَلَيْهِ الْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا[۱۰۷۴]».

فتتضح قيمة التقوى على صعيد الحياة الماديّة والمعنويّة للإنسان من خلال هذه الآثار التى بينها الإمام عليه السلام للتقوى.

نعم! فالشدائد تزول فى ظلّ التّقوى وتفاض أمطار الرحمة الإلهيّة على التقاة والمجتمعات التقية، ويغيب الفساد والانحراف. قال القرآن الكريم بهذا الخصوص:

«وَلوأَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ»[۱۰۷۵]. وقال:

«وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَّهُ مَخْرَجاً* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَايَحْتَسِبُ»[۱۰۷۶].

ولا تختصر علاقة التقوى بهذه الأمور على الجانب المعنوى، بل هى كذلك حتى من وجهة نظر التحليلات العقلية والمنطقية، فإننا نرى المجتمعات التى استطاعت من خلال انطلاقها من التقوى والثقة بين أبنائها وتعاونهم مع بعضهم من التغلب على العديد من المحن والمخاطر وحدّت من حجم الاختلافات والنزاعات والقضايا الجزائيّة والعقابية إلى أدنى ما يمكن. والطريف فى الأمر أنّ شهر رمضان المبارك الذى يتمتع فيه الصائمون بمزيد من التقوى بمقتضى الآية الشريفة: «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»[۱۰۷۷]

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۲۱

شهد هبوطاً ملحوظاً للجرائم والجنايات، كما أنّ العديد من المشاكل الاجتماعيّة التى تفرزها المشاكل الأخلاقيّة تزول بأقصى ما يمكن من السرعة أبان مزاولة الناس للأسفار المعنويّة كالسفر لحج بيت اللَّه الحرام، ذلك لأنّ التقوى ملكة مانعة إزاء كلّ هذه المشاكل، والأفراد الذين يشعرون بثقل حقوق الآخرين التى تثقل رقابهم إنّما يبحثون عمّا ينجيهم من هذا الثقل، وعلى هذا الضوء هنالك تفسير مادى إلى جانب التفسير المعنوى للعلاقة بين التقوى وغياب المشاكل ومضاعفة البركات.

ثم اختتم الإمام عليه السلام هذا القسم من الخطبة بالعودة إلى مسألة التقوى ليؤكد ثانية على ما استهل به هذا الجانب من الخطبة فقال:

«فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ، ووَعَظَكُمْ، بِرِسالَتِهِ، وامْتَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ».

وهذه الصفات الثلاث التى ذكرها الإمام عليه السلام للَّه‌تبارك وتعالى تمثّل جميعاً دوافع لسلوك سبيل التقوى، لأنّها تشمل جميع النعم الماديّة والمعنويّة والمواعظ الإلهيّة وهى المواعظ التى تفاض على جميع أهل الإيمان عن طريق رسالات الأنبياء سيّما النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله وسائر أنواع النعم الماديّة والمعنويّة التى تمنح للإنسان والتى يمكن من خلالها بلوغ ذروة العبودية والورع والتقوى والكمال المعنوى والمادى تثير لدى الإنسان الشعور بالشكر والحمد لواهب هذه النعم وتنتهى به إلى تقوى اللَّه وطاعته وإمتثال أوامره.

وقال فى العبارة الأخيرة:

«فَعَبِّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ، وَاخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ».

«عبّدوا» وإن أخذت من مادة عبادة إلّاأنّها تعنى فى هذه الموارد الاعداد والتسليم ومن ذلك قولهم «عبّد الطريق».

ومن الواضح أنّ إعداد النفس لعبودية اللَّه مقدمة لأداء حقّ الطاعة، ولا يتيسر هذا الإعداد إلّاعن طريق الإيمان والمعارف الإلهيّة وتزكية النفس وتهذيبها والانفتاح على أسرار العبادات.

***

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۲۳

## القسم الثالث

### اشارة

ثُمَّ إِنَّ هذَا الْاسْلَامَ دِينُ اللَّهِ الَّذِى اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، واصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ، وأَصْفَاهُ خِيَرَةَ خَلْقِهِ، وأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ. أَذَلَّ الْأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ، ووَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ، وأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ، وخَذَلَ مُحَادِّيهِ بِنَصْرِهِ، وهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ. وسَقَى مَنْ عَطِشَ مِنْ حِيَاضِهِ، وأَتْأَقَ الْحِيَاضَ بِمَواتِحِهِ. ثُمَّ جَعَلَهُ لَاانْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ، وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ، وَلَاانْهِدَامَ لِاساسِهِ، وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ، وَلَا انْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ، وَلَا انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ، وَلَا عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ، وَلَا جَذَّ لِفُرُوعِهِ، وَلَا ضَنْكَ لِطُرُقِهِ، وَلَا وُعُوثَةَ لِسُهُولَتِهِ، وَلَا سَوَادَ لِوَضَحِهِ، ولَا عِوَجَ لِانْتِصَابِهِ، وَلَا عَصَلَ فِى عُودِهِ، وَلَا وَعَثَ لِفَجِّهِ، وَلَا انْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ، وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ. فَهُودَعَائِمُ أَسَاخَ فِى الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا، وثَبَّتَ لَهَا أَسَاسَهَا، ويَنَابِيعُ غَزُرَتْ

عُيُونُهَا، ومَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرانُهَا؛ ومَنَارٌ اقْتِدَى بِها سُفَّارُهَا، وأَعْلَامٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا، ومَنَاهِلُ رُوِىَ بِهَا وُرَّادُهَا. جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ، وذِروَةَ دَعَائِمِهِ، وسَنَامَ طَاعَتِهِ؛ فَهُوعِنْدَ اللَّهِ وَثِيقُ الأَرْكَانِ، رَفِيعُ الْبُنْيَانِ، مُنِيرُ الْبُرْهَانِ، مُضِىءُ النِّيرَانِ، عَزِيزُ السُّلْطَانِ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ، مُعْوِذُ الْمَثَارِ. فَشَرِّفُوهُ واتَّبِعُوهُ، وأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ، وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ.

## الشرح والتفسير: فضل الإسلام

خاض الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة فى بيان أهميّة الإسلام وعظمة هذا الدين الحنيف، حيث أكمل بهذا القسم ما أورده فى القسم السابق بشأن التقوى

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۲۴

والطاعة، ذلك لأنّ الطاعة والتقوى إنّما تتحصل فى ظلّ التبعية لهذا الدين. فتحدث بادئ الأمر عن إحدى عشرة صفة من صفات الإسلام العظيم فقال:

«ثُمَّ إِنَّ هذَا الْاسْلَامَ دِينُ اللَّهِ الَّذِى اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، واصْطَنَعَهُ ۱۰۷۸] عَلَى عَيْنِهِ، وأَصْفَاهُ خِيَرَةَ خَلْقِهِ،

وأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ».

فقد بيّن فى هذه الصفات الخمس الأُولى الأركان الأصلية لهذا الدين المقدّس والذى انفرد اللَّه تعالى بتشريعه بمنتهى الدقّة، وتولى إبلاغه أفضل خلق اللَّه النبى الأكرم صلى الله عليه و آله واستندت دعائمه على أساس حبّ اللَّه.

العبارة:

«اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ»

إشارة إلى أنّ الطريق الذى يؤدّى إلى القرب الإلهى يقتصر على الدين الإسلامى الحنيف: «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْاسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ»[۱۰۷۹].

والعبارة:

«واصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ»

تقال فى الأمور التى يكون الشخص حاضراً وناظراً حين الإتيان بها وبعبارة أخرى تتم أمام عينيه. وأمّا بشأن اللَّه فهى كناية عن نهاية عنايته ومراقبته له، قال القرآن الكريم بشأن موسى عليه السلام: «وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِى»[۱۰۸۰].

والعبارة:

«أَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ»

(بالنظر إلى عودة الضمير فى محبته إلى اللَّه) إشارة إلى أنّ الإسلام بنى على المحبّة وهذه إحدى افتخاراتنا فى أنّ ديننا بنى على أساس الحبّ، ولذلك جاء فى الرواية:

«هَلِ الدِّينُ إِلَّا الْحُبِّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ يَقُولُ:

«قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ»»[۱۰۸۱].

وعلى هذا الضوء فإنّ أساس هذا الدين محبّة العباد للّهمن جانب، وحبّ اللَّه للعباد من جانب آخر، ثمّ واصل كلامه بالإشارة إلى ست صفات أخرى فقال:

«أَذَلَّ الْأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ، ووَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ، وأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ، وخَذَلَ مُحَادِّيهِ ۱۰۸۲] بِنَصْرِهِ،

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۲۵

وهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ. وسَقَى مَنْ عَطِشَ مِنْ حِيَاضِهِ، وأَتْأَقَ ۱۰۸۳] الْحِيَاضَ

بِمَواتِحِه ۱۰۸۴]».

والعبارتان:

«أَذَلَّ الْأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ، وَوَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ ...»

(بالنظر إلى أنّ الضمير فى العبارات يعود إلى الإسلام) إشارة إلى ما ورد فى القرآن الكريم: «هُو الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى ودِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوكَرِهَ الْمُشْرِكُونَ»[۱۰۸۵].

وجاء فى الآية التى سبقتها: «يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوكَرِهَ الْكَافِرُونَ»[۱۰۸۶].

وقد انتصر الإسلام على سائر الأديان فى جبهتين؛ إحداهما الجبهة الظاهريّة من الناحية السياسيّة والعسكريّة، والأخرى الجبهة الباطنيّة من حيث المنطق والدليل والبرهان، فقد أقام القرآن الكريم أقوى الأدلة لإثبات المعارف الدينيّة الحقّة التى تسوق كلّ منصف إلى تقبلها، وكما قال الإمام عليه السلام فى العبارة المذكورة فقد سقى كلّ من عطش من معين فيضه وملأ حقول العلم والمعرفة بأدلته وبراهينه.

ثم تطرق عليه السلام إلى سائر الامتيازات المهمّة التى اتّصف بها الإسلام ليركز بادئ ذى بدئ على خلود هذا الدين المقدّس، فأماط اللثام عن حقيقة هذا الخلود بثمان عبارات عميقة المعنى وبرسم صورة غاية فى الوضوح والروعة فقال:

«ثُمَّ جَعَلَهُ لَا انْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ، وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ، وَلَاانْهِدَامَ لِاساسِهِ، وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ، وَلَا انْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ، وَلَا انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ، وَلَا عَفَاءَ[۱۰۸۷] لِشَرَائِعِهِ، وَلَا جَذَّ لِفُرُوعِهِ».

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۲۶

وهو ذات الأمر الذى قال فيه القرآن بشأن النّبى: «مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَد مِّنْ رِّجَالِكُمْ وَلكِنْ رَّسُولَ اللّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ..»[۱۰۸۸].

وقد نظمت أصول الإسلام وأركانه من جانب الحكيم بما يبعدها عن التزلزل مهما تقادم الزمان وقد تكهن بمتطلبات كلّ زمان ومكان فى ظلّ أحكامه الثابتة والمتغيرة (بتغير الموضوعات) وهذه الشمولية هى التى جعلته خالداً.

ثم خاض الإمام عليه السلام بعد فراغه من إثبات خلود الإسلام فى بيان سائر صفاته من قبيل سهولته ووضوحه واستقامته ووضوح قوانين الدين من خلال ثمان عبارات فقال:

«وَلَا ضَنْكَ ۱۰۸۹] لِطُرُقِهِ، وَلَا وُعُوثَةَ[۱۰۹۰] لِسُهُولَتِهِ، وَلَا سَوَادَ لِوَضَحِهِ ۱۰۹۱]، وَلَا عِوَجَ

لِانْتِصَابِهِ ۱۰۹۲]، ولَا عَصَلَ ۱۰۹۳] فِى عُودِهِ، وَلَا وَعَثَ لِفَجِّهِ ۱۰۹۴]، وَلَا انْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ، وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ».

والعبارة الأُولى

«وَلَا ضَنْكَ لِطُرُقِهِ»

إشارة إلى ما ورد فى الحديث النبوى الشريف

«بُعِثْتُ بِالْحَنَفِيّةِ السَّهْلَةِ السَّمْحَةِ»[۱۰۹۵]

. الشريعة التى لا تختزن أى صعوبة أمام السالكين إلى اللّه وقوانينها سهلة مستساغة، ولما كان الإفراط فى السهولة قد يؤدّى إلى الضعف فقد قال فى العبارة اللاحقة:

«وَلَا وُعُوثَةَ لِسُهُولَتِهِ»

أى أنّ هذه السهولة واليسر والسماحة للشريعة لا تسير نحو الإفراط قط، بل ضمن إطار الاعتدال، وتشير العبارة الثالثة إلى هذه الحقيقة فى أنّ وضوح جادة الإسلام دائمى

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۲۷

وليس ممّا يتخلله الظلام أحياناً والفارق بين العبارتين الرابعة والخامسة أنّ كليهما إشارة إلى استقامة الشريعة الإسلاميّة وخلوها من الاعوجاج، فى حين أنّ العبارة الرابعة أشارت إلى استقامة المسيرة، بينما أشارت العبارة الخامسة إلى استقامة أعمدة واسس بناء هذا الصرح العظيم.

وتشير العبارة السادسة:

«وَلَا وَعَثَ لِفَجِّهِ»

إلى أنّ سطح هذه الجادة محكم وراسخ والسير عليه سهل يسير، وليس من قبيل الطرق المليئة بالتراب والرمل والتى تغوص فيها أرجل السالك وبالتالى يصعب المشى والسير عليها.

وذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ المراد بالعبارة السابعة

«وَلَا انْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ»

هو وجود العلماء فى كلّ عصر وزمان حيث تلطف اللّه بهؤلاء الأدلاء فى كل زمان والذين يضيئون الطريق لجميع السالكين، بينما ذهب البعض الآخر إلى أنّ المراد بهم الأئمّة المعصومين عليهم السلام الذين لا تخلو الأرض منهم. كما يمكن أن تكون إشارة إلى مفهوم عام يشمل الأدلة الواضحة وعلامات الحقّ وآثار العظمة فى كلّ عصر ومصر.

والعبارة الأخيرة:

«وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ»

إشارة إلى المرارة التى تشوب العديد من حلوات الدنيا، أوالتى تختتم بها، من قبيل المال والثروة والمقام والانتفاع باللذات التى عادة ماتستبطن القلق والإرباك؛ غير أنّ حلاوة الإسلام ممّا لا تشوبها مرارة قط.

ولما فرغ الإمام عليه السلام من بيان خلود الإسلام وسهولة أحكامه أشار إلى قوّته وإقتداره ليؤدى حقّ الكلام بسبع عبارات قصيرة من خلال هذا الاستنتاج فقال:

«فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ ١٠٩٦] فِى الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا[١٠٩٧]، وثَبَّتَ لَهَا أَسَاسَهَا[١٠٩٨]، ويَنَابِيعُ غَزُرَتْ ١٠٩٩]

نفحات الولاية، ج٧، ص: ٥٢٨

عُيُونُهَا، ومَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا؛ ومَنَارٌ اقْتَدَى بِهَا سُفَّارُهَا[١١٠٠]، وأَعْلَامٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا، ومَنَاهِلُ رُوِىَ بِهَا وُرَّادُهَا».

وعلى هذا الأساس فقد شبّه الإسلام بقصر عظيم الأسس والدعائم وراسخ القوائم وإلى جانبه الحقول والبساتين والعيون المليئة بالمياه وقد يسر الوصول إليه من خلال ملء طريقه بالمصابيح فى الليالى المظلمة والعلامات الواضحة فى النهار، بحيث لا يعيش سالك هذا الطريق أى ضلال فى ليل أو نهار، كما شقت العيون فى ذلك الطريق لتروى ضما العطاشى المسافرين.

ويمكن أن تكون هذه الأسس والدعائم إشارة إلى ما ورد فى الحديث الشريف:

«بُنِىَ الْاسْلامُ عَلى خَمْسَة؛ عَلَى الصَّلاةِ والزَّكاةِ والصَّوْمِ وَالْحَجِّ والْوِلايَةِ ولَمْ يُنادَ بِشَىء كَما نُودِىَ بِالْوِلايَةِ»[١١٠١].

أمّا العيون التى أُشير إليها فى العبارة الثالثة فيمكن أن تكون إشارة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وائمّة العصمة عليهم السلام والمصابيح والمنائر إشارة إلى ما ظهرت منهم عليهم السلام من إعجازات وكرامات، ومناهل الرى إشارة إلى علوم المعصومين عليهم السلام والتى تسقى الجميع.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بالإشارة إلى ثلاث خصائص من خصائص الإسلام فقال:

«جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ، وذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ، وسَنَامَ طَاعَتِهِ».

فالعبارة الأُولى إشارة إلى ما ورد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: «وَرَضِيتُ لَكُمُ الْاسْلَامَ دِيناً»[١١٠٢].

كما يمكن أن تكون العبارة الثانية إشارة إلى الآية الشريفة: «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۲۹

الْاسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ»[۱۱۰۳].

والعبارة الثالثة إشارة إلى الجهاد طبق بعض الروايات، فقد جاء عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال لأحد أصحابه:

«ألا اخْبِرُكَ بِأَصْلِ الْاسْلامِ وفَرْعَهُ وذَرْوَةِ سَنامِهِ»

. قال: بلى! جعلت فداك. فقال عليه السلام:

«أمّا أَصْلُهُ الصَّلاةُ وفَرْعُهُ الزَّكاةُ وذَرْوَةُ سَنامِهِ الْجِهادُ»[۱۱۰۴].

ثم أشار عليه السلام فى ختام هذا القسم إلى سبع صفات أخرى من صفات الإسلام بعبارات قصيرة وعميقة المعنى فقال:

«فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَثِيقُ الأَرْكانِ، رَفِيعُ الْبُنْيَانِ، مُنِيرُ الْبُرْهَانِ، مُضِىءُ النِّيرَانِ، عَزِيزُ السُّلْطَانِ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ، مُعْوِذُ[۱۱۰۵] الْمَثَارِ».

وتشير العبارة الأُولى

«فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ ...»

إلى أنّ الإسلام بنى على أسس محكمة من الأدلة العقلية والمنطقية والمعجزات الواضحة للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله.

كما تشير العبارة:

«رَفِيعُ الْبُنْيانِ»

إلى سعة وعظمة الخطط الإسلاميّة التى تشمل جميع أصول وفروع حياة الناس الماديّة والمعنويّة.

والعبارة الثالثة:

«مُنِيرُ الْبُرهان»

يمكن أن تكون إشارة إلى الأدلة والبراهين التى تثبت حقانيّة الدين الإسلامى الحنيف.

والعبارة الرابعة:

«مُضِىءُ النِّيرَانِ»

بشأن العلوم والمعارف الحقّة التى تنبع من الإسلام، كما جاء فى التاريخ: من أنّ الإسلام خلق حركة فى القرون الوسطى المظلمة ليحقق إنجازات وتطوراً هائلًا فى جميع العلوم البشريّة والتجريبيّة وقد صدّر المسلمون من خلالها نتاجاتهم العلميّة إلى جميع أكناف العالم وكان كما صرّح بعض علماء الغرب بمنزلة الشمعة التى أضاءت ظلمات القرون الوسطى لأوربا.

ويمكن أن تكون العبارة الخامسة:

«عَزِيزُ السُّلْطانِ»

إشارة إلى منعة وإقتدار حاكمية الإسلام الذى لا يقهر، أو منعة أدلته وبراهينه القوية والمتقنه وحصانتها من الإنهيار.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۳۰

والعبارة السادسة:

«مُشْرِفُ الْمَنَارِ»

واستناداً إلى أنّ «منار» أعمدة مرتفعة كانوا يضعون عليها المصابيح المضيئة لكى لا يضلّ المسافرون طريقهم فى الصحارى والفلوات، وكلّما كان هذا المنار أرفع وأعلى كان أعظم هداية وإرشاداً للآخرين - إشارة إلى أنّ هدى القرآن والإسلام على درجة من القوّة بحيث يدعو إليه جميع النائين من مختلف البقاع.

والعبارة السابعة:

«مُعْوِذُ الْمَثَارِ»

بـالنظر إلى أنّ «مثار» مصدر ميمى وبمعنى الحمل على الحركة والإثارة والطرد- فهى إشارة إلى أنّ أى قدرة وقوّة لا يسعها مواجهة الإسلام الأصيل.

ثم أصدر عليه السلام أثر ذكره لهذه الصفات أربع وصايا تمثّل فى الواقع لوازم تلك الصفات فقال:

«فَشَرِّفُوهُ واتَّبِعُوهُ، وأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ، وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ».

ومن البديهى أن يكون عظيماً من يتصف بهذه الصفات وعلى العاقل أن يعزه ويكرمه ولابدّ من اتباع هذا الدين الذى يمتاز بهذه الأدلة القوية والواضحة والائتمار بأوامره ويعطيه ما يستحقه من منزلة بأن يجعله أسوة لحياته فى جميع شؤونه.

***

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۳۱

## القسم الرابع

### اشارة

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الْانْقِطَاعُ، وأَقْبَلَ مِنَ الْاخِرَةِ الْاطِّلَاعُ، وأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاق، وقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاق، وخَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ، وأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ، فِى انْقِطَاع مِنْ مُدَّتِهَا، وَاقْتِرَاب مِنْ أَشْرَاطِهَا، وتَصَرُّم مِنْ أَهْلِهَا، وانْفِصَام مِنْ حَلْقَتِهَا، وانْتِشَار مِنْ سَبَبِهَا، وعَفَاء مِنْ أَعْلَامِهَا، وتَكَشُّف مِنْ عَوْرَاتِهَا، وقِصَر مِنْ طُولِهَا.

جَعَلَهُ اللَّهُ بَلَاغاً لِرِسَالَتِهِ، وكَرَامَةً لِامَّتِهِ، ورَبِيعاً لِاهْلِ زَمَانِهِ، ورِفْعَةً لِاعْوَانِهِ، وشَرَفاً لِانْصَارِهِ.

### الشرح والتفسير: ربيع الإسلام

### اشارة

بين الإمام عليه السلام فى الفصل السابق ببحث رائع عظمة الإسلام وبعض خصائصه وامتيازاته من خلال عبارات عميقة وبليغة. ثم تطرق هنا بشأن من بعث بذلك الدين أى النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله ولاسيما تلك الظروف المعقدة التى انبثقت فى ظلها دعوته الشريفة. وسيتطرق فى الفصل القادم إلى أهميّة القرآن الكريم بصفته أهم معجزة للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله ودستور الشريعة الإسلاميّة.

وركز فى هذا الفصل- كما ورد انفآ- إلى الظروف المعقدة للعصر الجاهلى والفترة التى انطلقت فيها الدعوة الإسلاميّة من خلال أربع عشرة عبارة قصيرة وعميقة المعنى فى كشف ملابسات ذلك الزمان فقال:

«ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۳۲

مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الْانْقِطَاعُ، وأَقْبَلَ مِنَ الْاخِرَةِ الْاطِّلَاعُ ۱۱۰۶]، وَأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاق، وقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاق ۱۱۰۷]».

وأضاف:

«وخَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ[۱۱۰۸]، وَأَزِفَ ۱۱۰۹] مِنْهَا قِيَادٌ[ ۱۱۱۰]، فِى انْقِطَاع مِنْ مُدَّتِهَا،

وَاقْتِرَاب مِنْ أَشْرَاطِهَا[۱۱۱۱]».

ثم قال:

«وتَصَرُّم ۱۱۱۲] مِنْ أَهْلِهَا، وانْفِصَام مِنْ حَلْقَتِهَا، وانْتِشَار مِنْ سَبَبِهَا، وَعَفَاء[۱۱۱۳]

مِنْ أَعْلَامِهَا، وتَكَشُّف مِنْ عَوْرَاتِهَا، وقِصَر مِنْ طُولِهَا».

وهذه العبارات الأربع عشرة تشير جميعاً إلى أنّ العالم آيل إلى الزوال، وأننا لنعيش أواخره. فالنعم والإمكانات والمواهب والاستعدادات فی جميع الجوانب تسير نحو الفناء.

ثم قال عليه السلام:

«جَعَلَهُ اللَّهُ بَلَاغاً لِرِسَالَتِهِ، وكَرَامَةً لِاُمَّتِهِ، ورَبِيعاً لِاهْلِ زَمَانِهِ، وَرِفْعَةً لِاعْوَانِهِ، وشَرَفاً لِانْصَارِهِ».

نعم! فهذا النّبی العظيم صلی الله عليه و آله قد خلق ربيعاً مفعماً بالنضارة والحيوية آخر الدنيا وبلغ باتباعه قمة الفخر وذروة الانتصار وأغنی الجميع ببركة وجوده وأشرقت بطلعته تلك الشمس الساطعة فی ذلك الوسط المعتم.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۳۳

## اجابة عن سؤال

بالنظر إلی ما ورد سابقاً فإنّ القسم الأعظم من هذه الدنيا قد مضی ولم يبق من عمرها سوی القليل، وهذا ما يستفاد بصورة جلية من الآيات القرآنيّة، فقد جاء فی الآية الشريفة الأُولی من سورة الأنبياء: «اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِی غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ».

كما جاء فی الآية الاُولی من سورة القمر: «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ».

وفی الآيتين السادسة والسابعة من سورة المعارج: «انَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً* وَنَرَاهُ قَرِيباً» وسائر الآيات.

وهنا يرد هذا السؤال: وكم هو عمر الدنيا ليقال ولّی شطرها الأعظم؟ لقد مضی ۱۴ قرناً علی الدعوة الإسلاميّة ويمكن أن تمضی قرون طويلة أخری والحال لا نشعر بأثر علی زوال الدنيا وبداية القيامة.

وردت عدّة أقوال لشرّاح نهج البلاغة بهذا الشان وكأنّهم بلغوا طريقاً مسدوداً وأخذ كلٌّ يبحث عن سبيل للخروج منه، وأعرب البعض الآخر بعد كثرة الكلام عن عجزه ورأی من الأنسب الصمت والسكوت.

والطريف فی الأمر أنّ كلّ شارح ذكر شيئاً بشأن عمر الدنيا؛ فقيل ۵ آلاف سنة وقيل ۷ آلاف سنة وقيل ۱۲ ألف سنة، بينما عدّها البعض الآخر أكثر من ذلك، والأعجب من ذلك أنّ البعض أضاف مقداراً من الشهور والأيّام إلی ما ذكره من سنوات، ويبدو أنّ أحداً منهم لم يعزز كلامه بدليل معتبر بل مجرّد استناد الكلام إلی الحدس والظن؛ أو كإطلاق السهم فی الليل كما يقولون. ونری من الأفضل قبل أن نخوض فی تعيين عمر الدنيا بالسنوات والأشهر والأيّام؛ أن نتجه صوب الإجابة عن السؤال المذكور لنری كيف أنّ ما تبقی من عمر الدنيا أقلّ ممّا تصرم منها.

ذكرت هنا عدّة أجوبة والجواب الآتی يعدّ أفضلها.

فالعلم المعاصر وكذلك الروايات الإسلاميّة تری للحياة البشريّة تاريخاً طويلًا

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۳۴

علی الكرة الأرضيّة وبمقارنته بما بقی من عمر الإنسان علی وجه الأرض يمكن أن يكون قصيراً.

فقد جاء فی بعض الروايات:

«أوتظنون أنّ اللَّه لم يخلق خلقاً غيركم، إنّ اللَّه خلق ألف ألف آدم قبل آدمكم هذا»[۱۱۱۴].

وعليه فليس هنالك من مشكلة فی ما ورد فی هذه الخطبة وكذلك الإشارات التی تضمنتها مختلف الآيات القرآنيّة إلی هذه المسألة

والتى تشير إلى قصر عمر ما تبقى من الدنيا.

والتفسير الآخر للعبارات المذكورة أنّ المراد من انقطاع الدنيا واقبال الآخرة هو نهاية حياة الناس أو الأمم، لأنّ مدّة عمر الإنسان قصيرة ولا يكاد يعيش فترة حتى يحل أجله.

ولو أمعنا النظر فى العبارات الأربع عشرة المذكورة لرأينا أنّ هذا التفسير لا ينسجم مع تلك العبارات.

## تأمّل

### ربيع النبوّة

أشار الإمام عليه السلام فى ختام هذا القسم إلى الافتخار بخلق النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله لاتباعه، ليعتبره بمنزلة فصل الربيع لأهل زمانه وشرف ورفعة وعزّة أعوانه وأنصاره.

وإننا لندرك حقيقة هذه العبارات التى وردت فى الخطبة كلّما تأمّلنا تاريخ العصر الجاهلى ثم تلك النهضة والثورة العظيمة التى احدثتها البعثة النبويّة الشريفة، فقد كان أعراب الجاهلية يعتبرون الإنسان فاقداً لأية منزلة اجتماعيّة وتاريخيّة تذكر، بينما حظى بمكانة قل نظيرها أو انعدم فى التاريخ البشرى فى ظلّ البعثة النبويّة،

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۳۵

فلم يكتف أتباع نبى الإسلام صلى الله عليه و آله من العرب والعجم بتشكيل تلك الحكومة الواسعة الأطراف آنذاك فى معظم مناطق العالم، بل بلغوا ذروة العلم والمعرفة والمدنيّة ممّا جعل العلوم الإسلاميّة فى خاتمة المطاف تعدّ بؤرة وانطلاقة لتلك الثورة العلميّة التى شهدتها أوربا فى العصر الحديث، ولو عاد المسلمون اليوم لأمجادهم السابقة وأحيوا تلك القيم الإسلاميّة والمثل الدينيّة لاحتلوا الصدارة ثانية فى المجالات العلميّة والسياسيّة والاقتصاديّة.

***

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۳۷

## القسم الخامس

### اشارة

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُوراً لَاتُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ، وسِرَاجاً لَايَخْبُوتَوَقُّدُهُ، وبَحْراً لَايُدْرَكُ قَعْرُهُ، ومِنْهَاجاً لَايُضِلُّ نَهْجُهُ، وشُعَاعاً لَايُظْلِمُ ضَوْءُهُ، وفُرْقَاناً لَايَخْمَدُ بُرْهَانُهُ، وتِبْيَاناً لَاتُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وشِفَاءً لَاتُخْشَى أَسْقَامُهُ، وعِزّاً لَاتُهْزَمُ أَنْصَارُهُ، وحَقّاً لَاتُخْذَلُ أَعْوَانُهُ. فَهُومَعْدِنُ الْايمَانِ وبُحْبُوحَتُهُ، ويَنَابِيعُ الْعِلْمِ وبُحُورُهُ، ورِيَاضُ الْعَدْلِ وغُدْرَانُهُ، وأَثَافِيُّ الْاسْلَامِ وبُنْيَانُهُ، وأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وغِيطَانُهُ. وبَحْرٌ لَايَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ، وعُيُونٌ لَايُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ ومَنَاهِلُ لَايُغِيضُهَا الْوَارِدُونَ، ومَنَازِلُ لَايَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ، وأَعْلَامٌ لَايَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ، وآكَامٌ لَايَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ.

جَعَلَهُ اللَّهُ رِيّاً لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ، ورَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، ومَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ، ودَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ، ونُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ، وحَبْلًا وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، ومَعْقِلًا مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ، وعِزّاً لِمَنْ تَوَلَّاهُ، وسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وهُدًى لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ، وعُذْراً لِمَنِ انْتَحَلَهُ، وبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وفَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ، وحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ، ومَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ، وآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وجُنَّةً لِمَنِ اسْتَلْأَمَ. وعِلْماً لِمَنْ وَعَى، وحَدِيثاً

لِمَنْ رَوَى، وحُكْماً لِمَنْ قَضَى.

## الشرح والتفسير: خصائص القرآن الكريم

كما قيل سابقاً فقد استهل الإمام عليه السلام هذه الخطبة البليغة بالحديث عن أهميّة

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۳۸

التقوى، ثم شرح سبيل التقوى الذى يتمثّل فى تبعية هذا الدين الحنيف، وخاض فى المرحلة التالية فى أهميّة الدعوة النبويّة وحامل الرسالة الإسلاميّة، وتعرض فى القسم الأخير من الخطبة إلى خصائص وإمتيازات القرآن معجزة النّبى الخالدة ودستور الشريعة الإسلاميّة السمحاء، والذى يجدر ذكره أنّ الإمام عليه السلام أشار ب ۴۲ عبارة قصيرة وعميقة المعنى إلى ۴۲ إمتيازاً مهمّاً من امتيازات القرآن وشرح خصائصه باسهاب بحيث لا يمكن تصور ما هو أفضل منه.

فتطرق فى البداية إلى عشر فضائل وامتيازات فقال:

«ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُوراً لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ، وسِرَاجاً لَايَخْبُو[۱۱۱۵] تَوَقُّدُهُ، وبَحْراً لَايُدْرَكُ قَعْرُهُ، ومِنْهَاجاً[۱۱۱۶] لَايُضِلُ نَهْجُهُ، وشُعَاعاً لَايُظْلِمُ ضَوْءُهُ، وفُرْقَاناً لَايَخْمَدُ بُرْهَانُهُ، وتِبْيَاناً لَاتُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وشِفَاءً لَاتُخْشَى أَسْقَامُهُ، وعِزًّا لَاتُهْزَمُ أَنْصَارُهُ، وحَقًّا لَاتُخْذَلُ أَعْوَانُهُ».

والعبارتان الأُولى والثانية فى الواقع اقتباس من الآيات القرآنيّة التى شبهت القرآن بالنور ومن ذلك الآية ۱۵ من سورة المائدة: «قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ»، فالقرآن الكريم أضاء بنوره طرق الحياة المظلمة وكشف السبيل القويم من بين سبل الضلالة والحيرة، وأرشد قوافل المجتمعات الإنسانيّة فى صحارى وفلوات هذا العالم إلى هدفها المنشود ألا وهو سعادة الدارين الدنيا والآخرة.

وتشير العبارة الثالثة:

«وبَحْراً لَايُدْرَكُ قَعْرُهُ»

إلى الأسرار الخفية ودقائق العلوم المودعة فى القرآن الكريم والتى تسمو على الأفكار ولا يبلغها سوى خاصة أولياء اللّه، وقد أشارت بعض الروايات الإسلاميّة إلى بطون القرآن المتعددة.

والتعبير بالمنهاج الوارد فى العبارة الرابعة بشأن القرآن الذى يعنى الطريق الواضح والمستقيم الذى لا يضلّ فيه السالكون إشارة إلى الأفراد الذين انتفعوا بهذا الطريق الواضح والصراط الإلهى المستقيم ولا يعتريهم الضلال قط.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۳۹

كما تصمنت العبارة الخامسة: إشارة أخرى إلى نور القرآن حيث إنّ ضياءه خالد لا يزول أبداً كما وصف القرآن نفسه فقال: «لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»[۱۱۱۷].

وأشارت العبارة السادسة إلى نقطة مهمّة أخرى وهى أنّ القرآن فرقان؛ أى حين يمتزج الحقّ بالباطل أحياناً، فما كان مطابقاً للقرآن فهو حقّ وما خالفه فهو باطل، وعليه فهو يفرق الحقّ عن الباطل، وقد ورد التعبير عن القرآن بالفرقان فى الآية الأُولى من سورة الفرقان إذ قالت: «تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً» والأهم من كلّ ذلك أنّ هذه الصفة للقرآن لا تؤول إلى الخمود والانطفاء والاختفاء أبداً.

وفى العبارة السابعة شبه القرآن بالبناء الراسخ الأركان والأسس بحيث لا يهدم أبداً، وهذه إشارة إلى خلود التعاليم القرآنيّة[۱۱۱۸].

ويطالعنا تشبيه آخر فى العبارة الثامنة؛ حيث شبه القرآن بالدواء الشافى الذى ليس بعده سقم، ذلك لأننا نعلم

«لَيْسَ مِنْ دَواء إلَّا ويُهَيِّجُ داء»[۱۱۱۹]

فإنّ هنالك آثاراً مختلفة سلبيّة للدواء أحياناً، غير أنّ القرآن لا ينطوى سوى على المنافع والآثار الإيجابيّة.

وقد ورد التعبير بالشفاء عن القرآن فى ذات القرآن فى الآية ۵۷ من سورة يونس: «قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِى الصُّدُورِ».

وفى الآية ۸۲ من سورة الاسراء: «وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْانِ مَا هُوشِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ».

حتى أنّه ليستفاد من أغلب روايات المعصومين أنّ القرآن الكريم شفاء

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۴۰

للأمراض البدنيّة بالإضافة إلى الأمراض العقائديّة والأخلاقيّة، ومن تلك الروايات ما أكّدت على فائدة سورة الحمد فى علاج الأمراض البدنيّة.

وقد جاء تفسير سورة الحمد فى العديد من الروايات، وكذلك فى سائر التفاسير، ومنها تفسير كنز الدقائق، كما ذكر المرحوم الكلينى فى الجزء الثانى من كتابه أصول الكافى فى باب فضل القرآن العديد من هذه الروايات الواردة بهذا الخصوص.

كما ورد الكلام فى العبارتين التاسعة والعاشرة من عبارات الخطبة فى أنصار القرآن وأعوانه الذين كتبت لهم الغلبة على الأعداء دائماً فلا يعيشون الفشل والهزيمة.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بالإشارة إلى احدى عشرة فضيلة أخرى بعبارات قصيرة ومتتابعة، حيث شبه القرآن بالبحر والعين الصافية والبناء المتقن والمعدن الثمين والمنهج الواضح فقال:

«فَهُو مَعْدِنُ الْايمانِ وبُحْبُوحَتُهُ ۱۱۲۰]، ويَنَابِيعُ الْعِلْم
وبُحُورُهُ، ورِيَاضُ ۱۱۲۱] الْعَدْلِ وغُدْرَانُهُ ۱۱۲۲]، وأَثَافِىُّ ۱۱۲۳] الْاسْلام وبُنْيانُهُ، وأَوْدِيَةُ الْحَق
وغِيطَانُهُ ۱۱۲۴]. وَبَحْرٌ لَايَنْزِفُهُ ۱۱۲۵] الْمُسْتَنْزِفُونَ، وعُيُونٌ لَايُنْضِبُهَا[۱۱۲۶] الْمَاتِحُونَ ۱۱۲۷]، ومَنَاهِلُ لَا
يُغِيضُهَا[۱۱۲۸] الْوَارِدُونَ، ومَنَازِلُ لَايَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ، وأَعْلَامٌ لَايَعْمَى عَنْهَا

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۴۱

السَّائِرُونَ، وَآكَامٌ ۱۱۲۹] لَايَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ».

العبارة:

«مَعْدَنِ الْايمانِ»

إشارة إلى أنّ أدلة المعارف الإسلاميّة من التوحيد واثبات وجود اللّه حتى مسألة المعاد وإعجاز القرآن والولاية؛ إنّما ذكرت جميعاً وبصورة واسعة فى القرآن الكريم وهى الأدلة التى تشكل مصادر الأدلة الأخرى ذلك لأنّ المعدن يطلق على المصدر والمنبع والمركز الأصلى للأشياء الثمينة.

كما ذكر هذا المطلب بتعبير آخر فى العبارة الثانية، اعتبر فيها القرآن عيناً فياضة وبحراً من العلم، بل عيون متدفقة وبحار يستطيع أهل الإيمان انتهال مختلف العلوم منها، وإننا لنعلم اليوم أنّ مصدر علم الكلام والفقه والأخلاق وتاريخ الأنبياء وتاريخ الإسلام والعلوم الأخرى هو القرآن الكريم.

وأشار فى العبارة الثالثة إلى مسألة مهمّة أخرى ليصف فيها القرآن على أنّه حدائق ورياض العدل وغدرانه ومنابعه، فقد خاطب القرآن الكريم جميع المؤمنين قائلًا: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ امَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ»[۱۱۳۰]؛ أى أنّه لا يرى القيام بالعدل كافياً ويرى ضرورة القيام بالقسط حيث القوام صيغة مبالغة وتأكيد، حتى أنّه ليصرح بأنّ العداوة والبغضاء والقرب والصداقة لا ينبغى أن تحول دون إجراء العدالة: «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوأَقْرَبُ لِلتَّقْوَى»[۱۱۳۱].

كما أوصى فى ذيل الآية الُاولى بعدم التوانى فى إجراء العدالة حتى تحت طائلة إسناد الأب والام والأقرباء.

جدير ذكره أنّ الإمام عليه السلام شبه العدالة بالروضة والغدير الذى يسقى الروضة، وبالطبع فإنّ المجتمع الذى تطبق فيه العدالة بمثابة

جمال الحديقة والروضة والحركة والحيوية الناشئة من السقى الكافى، فى حين أنّ المجتمع الذى يسوده الظلم

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۴۲

والتمييز الطبقى أشبه بالصحراء القاحلة والمحرقة الخالية من الماء والزرع.

والكلام فى العبارة الرابعة عن أساس وبنيان الإسلام الذى ورد فى القرآن الكريم، لأنّ «أثافى» و «بنيان» تعنى الأسس والجذور، وحسب رواية الإمام الباقر عليه السلام:

«بُنِيَ الْاسْلامُ عَلى خَمْسَةِ اشْياء؛ عَلَى الصَّلاةِ والزَّكاةِ والْحَجِّ والصَّوْمِ والْوِلايَةِ»[۱۱۳۲]

ونعلم أنّ أصول هذه الفرائض وردت بصورة موسعة فى القرآن الكريم.

وجرى الكلام فى العبارة الخامسة عن الحقّ (الحقّ بمعناه الجامع الواسع الذى يشمل جميع الحقوق الإلهيّة والإنسانيّة والاجتماعيّة) حيث قال الإمام عليه السلام:

«وأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وغِيطَانُهُ».

وجرى الكلام فى العبارات السادسة والسابعة والثامنة عن عدم نفاد المعارف والعلوم القرآنيّة التى لا تتناقص مهما اغترف منها، وتمد العلماء والباحثين والسالكين بالجديد من الحقائق حتى يوم القيامة، والدليل على ذلك واضح، فالقرآن كلام اللّه وكلام اللّه كذاته لا متناهٍ، على غرار ما ورد عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«لا تُحصى عَجائِبُهُ ولا تُبلى غَرائِبُهُ»[۱۱۳۳].

ويحمل هذا الكلام رسالة واضحة لجميع مفسرى القرآن وهى أن لا يتصوروا أنّ ما قالوه بشأن القرآن هو آخر الكلام وليس هنالك ما هو جديد غيره.

وجاء فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام بشأن مَن سأله عن القرآن الكريم، قائلًا: ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلّاغضاضةً؟ فقال عليه السلام:

«لأنّ اللّه لَم يَجْعَلْهُ لِزَمانٍ دُونَ زَمانٍ وَلا لِناسٍ دُون ناس، فَهُو فِى كُلِّ زَمانٍ جَديدٌ وعِنْدَ كُلِّ قَوْمٍ غَضٌّ إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ»[۱۱۳۴].

والعبارات التاسعة والعاشرة والحادية عشرة إشارة إلى وضوح منهج القرآن

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۴۳

وضمانه الهدى لسالكى هذا الطريق، فلا يضل من سلكه ولا تخفى علاماته على من سار عليه كما لا تغيب عنهم منازله الآمنة.

ثم أشار عليه السلام فى مواصلته لذكر هذه الصفات الرفيعة للقرآن إلى خمس صفات أخرى فقال:

«جَعَلَهُ اللّهُ رِيًّا[۱۱۳۵] لِعَطَشِ الْعُلَماءِ، ورَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهاءِ، ومَحاجَ ۱۱۳۶] لِطُرُقِ الصُّلَحاءِ، ودَواءً لَيْسَ بَعْدَهُ داءٌ، ونُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ».

والعبارة الاُولى

«جَعَلَهُ اللّهُ رِيًّا لِعَطَشِ الْعُلَماءِ»

إشارة إلى أنّ كلّ عالم أكثر تعطشاً للعلم، ذلك لأنّه ذاق طعم العلم والمعرفة، وبما أنّ علوم القرآن الكريم ومعارفه غاية فى السعة وليست محدودة فإنّ العلماء يستطيعون رى عطشهم العلمى بالقرآن.

جاء فى الكلمات القصار للإمام عليه السلام فى نهج‌البلاغة:

«مَنْهُومانِ لا يَشْبَعانِ؛ طالِبُ عِلْمٍ وطالِبُ دُنْيا»[۱۱۳۷].

والعبارة الثانية:

«ورَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهاءِ»

إشارة إلى أنّ عالم الطبيعة يستأنف حياته فی فصل الربيع، فتظهر النباتات والأزهار والثمار، وللقرآن مثل هذا الأثر فی القلوب الواعية، فأزهار الفضيلة وثمار الإيمان اللذيذة والأخلاق والمعرفة وبالتالی القرب الإلهی إنّما يتيسر فی ظلّ القرآن الكريم.

واعتبر القرآن فی العبارة الثالثة جادة واسعة وواضحة لسالكی الحقّ، لأنّ الصلحاء هم أولئك الذين يحثون الخطى فی السير والسلوك إلى اللّه وأنّ أفضل جادة وطريق يُمكّنهم من بلوغ المقصد هی جادة القرآن الكريم.

وأشار فی العبارة الرابعة إلى نقطة جديدة وهی أنّ الأدوية قد يكون لها أحياناً تأثير فی التسكين فقط، كما تكون أحياناً أخرى علاجاً مؤقتاً وثالثة علاجاً تاماً،

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۴۴

لكنها تستبطن عوارض سلبيّة وأمراضاً عرضيّة، أمّا القرآن فهو الدواء المنزه عن هذه الأمور فهو العلاج التام الخالی من العوارض السلبيّة، كما أشار فی العبارة الخامسة إلى أمر جديد وهو أنّ أنوار عالم المادة تمتزج أحياناً بالظلمة (كالنور بين الطلوعين وبين الغروبين) وإن لم تخالطه ظلمة فإنّ له خسوفاً وكسوفاً أو غروباً وافولًا أمّا نور القرآن فلا غروب ولا أفول فيه ولا خسوف ولا كسوف، لأنّه ينبعث من نور علم الحقّ وليس هناك من سبيل إلى الظلمة: «اللَّهُ نُورُ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ ...»[۱۱۳۸].

ثم أشار عليه السلام إلى أربعة امتيازات أخرى من امتيازات القرآن فقال:

«وحَبْلًا وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، ومَعْقِلًا[۱۱۳۹] مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ، وعِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ، وسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ».

فالإمام عليه السلام ببيانه لهذه الصفات الأربع إنّما شبه فی الواقع سعادة الإنسان بالقلعة الحصينة الواقعة على سفح الجبل، وعلى سالكی هذا الطريق- على غرار متسلقی الجبال- أن يتمسكوا بحبال قوية مربوطة اعلى الجبل ويتمسكوا بعدّة عروات وثيقة ليتمكنوا من الوصول إلى تلك القلعة وتلك القلعة فی موضع لا يبلغها العدو وكل من دخلها كانت له قدرة لا تقهر وعاش فيها سليماً معافى

ومن هنا يفرز العدو الأصلی للإنسان هوى النفس والشيطان وعدم الاستقرار، ومن يستظل بالقرآن سيبلغ ذروة السلامة والسعادة والكرامة والأمن.

ثم أشار عليه السلام إلى خمس صفات منسجمات اخر من صفات القرآن فقال:

«وهُدىً لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ، وعُذْراً لِمَنِ انْتَحَلَهُ ۱۱۴۰]، وبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وفَلْجاً[۱۱۴۱] لِمَنْ حَاجَّ بِهِ».

المراد من الهدى فی العبارة الأُولى واضح، والمراد من العذر فی العبارة الثانية

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۴۵

يمكن أن يكون إتمام الحجّة، حيث أتمّ القرآن الحجّة على جميع الأفراد بشأن الإيمان والإتيان بالواجبات الإلهيّة، كما يمكن أن يكون إشارة إلى أنّ القرآن سيكون معذوراً أمام اللّه تعالى فی القيامة، بمعنى كلّ من كان عمله وفق تعاليم القرآن سيكون معذوراً عند اللّه، ويبدو المعنى الثانی أصوب من الأوّل.

والعبارة:

«بُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ»

إشارة إلى أنّ الإنسان لا- يستطيع الاستدلال بالقرآن فی عقائده وأعماله فحسب، بل البراهين القرآنيّة أفضل برهان فی دحر حجّة المخالفين سواء فی المبدأ والمعاد أو فی الإرشادات الدنيويّة.

والعبارة:

«شَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ»

تأكيد أكثر على هذا المعنى إذ إنّ كلّ من جعل القرآن شاهده على خصمه كان أعظم شاهد له ونتيجة ذلك ما ورد فی العبارة

الخامسة من أنّ الاستدلال والاستشهاد بالقرآن سبب التغلب والانتصار على الخصم.

ثم قال الإمام عليه السلام فی آخر سبع صفات اختتم بها هذه الخطبة:

«وحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ، وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ، وآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ ۱۱۴۲]، وجُنَّةً لِمَنِ اسْتَلأَمَ ۱۱۴۳]، وعِلْماً لِمَنْ وَعَى، وحَدِيثاً لِمَنْ رَوَى، وحُكْماً لِمَنْ قَضَى».

فقد شبه المؤمن بالقرآن فی العبارة الأُولى والثانية بالشخص الذى ركب مركباً يحلق به إلى سماء السعادة.

واعنبر القرآن فی العبارة الثالثة وسام شرف لجميع الأفراد الذين جعلوه دلالة حياتهم، فآيات القرآن أفضل شعار وعلاماته ودلالاته أفضل العلامات والدلالات.

وعدّه فی العبارة الرابعة كدرع يقى الإنسان مكاره الحوادث فی مواجهته للأعداء، العدوالظاهرى المخالف للإسلام والعدو الباطنى، أى هوى النفس والعدو

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۴۶

الخفى أى الشيطان.

وأشار فی العبارات الخامسة والسادسة والسابعة إلى العلوم الحاصلة من القرآن، ويمكن أن تكون العبارة

«وعِلْماً لِمَنْ وَعى»

إشارة إلى استدلالات القرآن المنطقية والعبارة

«حَديثاً لِمَنْ روى»

إشارة إلى الأحاديث النقلية والأحاديث التى بلغتنا من جانب الوحى.

وأشار عليه السلام فی العبارة الأخيرة إلى تطبيقه العملى فی مسألة القضاء واصدار الأحكام، بناءً على أنّ القضاء فی العبارة بمعنى الأحكام فی الخصومات، وإن كان القضاء يشمل الأحكام كافّة، فهوإشارة إلى جميع الأحكام الفقهية والعقائدية.

## تأمّلان

### ۱. عظمة القرآن لدى أمير المؤمنين عليه السلام

ورد البحث بشأن عظمة القرآن فی عدّة خطب من نهج البلاغة، ولكن لم يرد أى بحث بهذه السعة والشمولية، وما ذكره الإمام عليه السلام فی هذه الخطبة (إثنا وأربعين امتيازاً للقرآن) من مطالب يمكن أن تجعل المراقب غير الواعى يظنها من قبيل الادعاء الذى يفتقر إلى الدليل، إلّاأنّ الدقّة فی الآيات القرآنيّة تفيد وجود العديد من الشواهد والأدلة الكافية على هذا الأمر.

فمثلًا حين عد الإمام عليه السلام القرآن معدن الإيمان ومصدر العلم فذلك لأنّ القرآن ذكر عدّة أدلة بشأن أهم المسائل العقائديّة أى المبدأ والمعاد بحيث فتح أبواب الإيمان باللّه والمعاد بوجه كلّ إنسان منصف.

وبشأن مسألة معرفة اللّه، فهو يأخذ بيد الإنسان فی أعالى السماء وأعماق الأرض ليريه الحركة المنظمة لتعاقب الليل والنهار وحركة الرياح ۱۱۴۴]، وخلق أنواع

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۴۷

الحيونات والنباتات والثمار،[۱۱۴۵] وتحليق الطيور فی السماء[۱۱۴۶]، وحركة الغيوم وامتلاء الأرض العطشى بالمياه أثر نزول الأمطار[۱۱۴۷] والتى تعكس كلّ واحدة منها نظام عالم الخليقة ليوقن أنّ وراء ذلك مبدأ علم وقدرة صاغه بهذا الشكل. وبشأن مسألة المعاد فقد أخذ بيد الإنسان الطالب للحقيقة إلى بداية الخليقة[۱۱۴۸] وليريه مشاهد المعاد فی عالم النباتات ۱۱۴۹] وقدرة اللّه على

إحياء العظام البالية للموتى ۱۱۵۰].

وأمّا بشأن العدالة فقد أولاها أهميّة بحيث اعتبرها من وظائف المؤمنين القطعية[۱۱۵۱] وتطبيقها حتى بشأن العدو[۱۱۵۲] وعدّ الانحراف عنها كبيرة من الكبائر.

وإن عدّ أميرالمؤمنين عليه السلام القرآن كعين فياضة لرى قلوب العلماء وربيع قلوب الفقهاء فدليل ذلك فى ذات القرآن، ذلك لأنّه وإن كتبت آلاف التفاسير للقرآن فما زال العلماء يكتشفون كلّ يوم ما هو جديد فيه.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۴۸

وإن قال الإمام عليه السلام: إنّ القرآن سبب عزّة المسلمين واقتدارهم فدليل ذلك وقد ورد فى عدّة آيات قرآنيّة فى أنّه يدعو إلى وحدة الكلمة وعدم التفرقة ويرى الإخوة هى رابطة المؤمنين ونتيجة ذلك عزّة المؤمنين فى ظلّ عزّة اللّه ۱۱۵۳].

كما أنّ جذور جميع المواضيع التى ذكرها الإمام عليه السلام بصفتها ۴۲ إمتيازاً للقرآن فى هذا الجانب من الخطبة موجودة فى القرآن الكريم، ولو جمعت لأصبحت كتاباً ضخماً، ولو عمل بهذه الأوامر والتعاليم لحصلت منها كلّ هذه الآثار.

## ۲. العلماء الأجانب والقرآن

إنّ عظمة القرآن لم تقتصر على الإشادة به بهذه الصفات العظيمة من قبل المسلمين وكبار العلماء الأعلام، بل أذعن لهذه العظمة حتى أولئك الأباعد الذين غاصوا فى تأمّل آيات هذا الكتاب السماوى فذكروا بعض العبارات الجديرة بالتأمّل والاهتمام.

كتب «آلبرماله» المورّخ والعالم الفرنسى المعروف فى كتابه «التاريخ العام» حول القرآن:

«إنّ القرآن ممتاز بمعنى الكلمة، البديل عن سائر الكتب القيمة والذى يضم جميع العلوم (الإنسانيّة) وهو الكتاب الذى يحتوى على التعاليم الدينيّة والقوانين المدنيّة المعاصرة، ونسخة مرشدة للقاضى وكمال تام للزعيم الروحانى»[۱۱۵۴].

وكتب «ويل ديورانت» العالم والفيلسوف المعروف المعاصر فى كتابه تاريخ الحضارة:

«إنّ القرآن يخلق عقائد سهلة وبعيدة عن الغموض فى القلوب المتواضعة، منزّهة

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۴۹

من طقوس العادات الهجينة ومن سنن الوثنية والكهنة، وببركته بلغ المسلمون ذلك الرقى الأخلاقى والثقافى ورسخ بينهم النظم الاجتماعيّة وأسس الوحدة.

وأضاف: إنّه حرّر عقولهم من العديد من الأوهام والخرافات والظلم والعنف وأكسبهم عزّة وكرامة، وقد غرس فى المجتمع الإسلامى حالة من الاعتدال والتقوى ليس لها مثيل فى أىٍّ من مناطق العالم التى قطنها الإنسان الأبيض ...»[۱۱۵۵].

وكتب «رولف لين تون» صاحب (سير الحضارة):

«لقد مهدت المدرسة القرآنيّة سبيل الرقى والتطور لكلّ فرد مهما كان انتماؤه، بحيث أمكن حتى لابن العبد أن يبلغ المقامات الرفيعة والعالية فى المجتمع الإسلامى»[۱۱۵۶].

وقال البروفسور «درابرز اروب»:

«القرآن سلسلة من الوصايا والتعاليم الأخلاقيّة والذى يتكون من مفاهيم يقبلها الجميع. وهذه الوصايا والتعاليم بليغة وكاملة وهى ضرورية ولازمة لتنظيم شؤون الناس»[۱۱۵۷].

وقال «جان ديون بورت» مؤلّف كتاب «الاعتذار إلى القرآن ومحمد من التقصير»:

«إنّ القرآن منزّه عن كلّ عيب ونقص بحيث لا يتطلب أدنى إصلاح، ولا يشعر الإنسان بأى ملل إذا ما تصفحه من أوله إلى آخره»[۱۱۵۸].

وقال الشاعر الألمانی المعروف والعالم «جيته»:

«لسنين طويلة، أبعدنا القساوسة عن فهم حقائق القرآن المقدس وعن عظمة النبی محمّد، ولكن كلما خطونا على طريق فهم العلم تنزاح من أمام أعيننا حُجُب

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۵۰

الجهل والتعصب المقيت، وقريباً سيلفت هذا الكتاب الفريد أنظار العالم، ويصبح محور أفكار البشرية»[۱۱۵۹].

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۵۱

## الخطبة ۱۹۹

### اشارة

كانَ يُوصی بِهِ أصْحابَهُ [۱۱۶۰]

### نظرة إلى الخطبة

أوصى الإمام عليه السلام فی هذه الخطبة بأربعة أمور مهمّة من التكاليف الإسلاميّة والتی تشكل جانباً من الخطبة.

فقد تطرق فی القسم الأوّل إلى الصلاة وأهميتها وأشار إلى الإكثار منها والمحافظة على كيفيتها ليعتبرها وسيلة النجاة فی الآخرة وسبب التطهر من المعاصی فی الدنيا وغسل الروح والقلب من الرذائل الأخلاقيّة، ثم ذكَّر باهتمام النّبی الأكرم صلى الله عليه و آله والمؤمنين بالصلاة.

وخاض فی القسم الثانی فی مسألة الزكاة التی تعدّ من أهم أركان الإيمان بعد الصلاة وعدّها من كفّارات الذنوب وحجاباً من نار جهنم، وأنّ أدائها مفخرة عظيمة، وعرض بالذم لمن يغفل عنها.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۵۲

وانتقل فی القسم الثالث إلى موضوع غاية فی الأهميّة والذی يتمثل بأداء الأمانة ليعتبر المؤتمن سعيداً وخائن الأمانة مهزوماً وآيساً من رحمة اللَّه وخاض فی تفسير مختصر للآية الشريفة: «انَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ...»[۱۱۶۱].

وتحدّث فی القسم الرابع عن موضوع مهم يضمن إجراء جميع التكاليف والأحكام الإلهيّة وهو مراقبة اللَّه واحاطته العلميّة بجميع أعمال الإنسان، وكذلك أعضاء الإنسان وجوارحه وضميره هی الأخرى مراقبة ومحيطه بأعماله.

وتفيد العبارة

«كانَ يُوصی بِهِ أصْحابَهُ»

أنّ الإمام عليه السلام كان يكرر هذا الكلام كلّما سنحت الفرصة ليحذر صحبه من خطورة هذه الأصول الأربعة المهمّة، ويجدر بالسالكين لخط الإمام عليه السلام أن يواصلوا وينفذوا هذه الوصايا ويتواصوا بعضهم البعض بهذه المبادئ الأربعة المنجية.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۵۳

### القسم الأوّل

#### اشارة

تَعاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ، وحافِظُوا عَلَيْهَا، واسْتَكْثِرُوا مِنْهَا، وتَقَرَّبُوا بِها، فإنّها (كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً). أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا: (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ). وإِنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ الْوَرَقِ، وتُطْلِقُهَا إِطْلَاقَ الرِّبَقِ، وشَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّم بِالْحَمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ، فَهُوَيَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ واللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ؟ وقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَاتَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ، وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ. يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: (رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وإِقَامِ الصَّلَاةِ وإِيتَآءِ الزَّكَاةِ). وكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ نَصِباً بِالصَّلَاةِ بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ، لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: (وأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ واصْطَبِرْ عَلَيْهَا)، فَكَانَ يَأْمُرُ بِها أَهْلَهُ ويَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ.

## الشرح والتفسير: الأهميّة القصوى للصلاة

### اشارة

أشار الإمام عليه السلام كما ذكرنا في مبحث «نظرة إلى الخطبة» إلى أربعة أمور مهمة وأكّد على أنّها من الأركان، تتعلق ثلاث منها بفروع الدين (الصلاة والزكاة وحفظ وأداء الأمانة) والرابع من آثار أصول الدين وهو الإيمان بحضور اللَّه في كلّ مكان وعلمه بمضمرات القلوب وأعمال الجوارح، وأشار في القسم الأوّل المتعلق بالصلاة إلى آثار الصلاة المعنويّة والتربويّة والعاقبة السيئة لتاركي الصلاة والمستخفين بها

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۵۴

وقد عرَّف من خلال ذلك بالمصلّي الحقيقي فقال بادئ الأمر:

«تَعاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ، وحافِظُوا عَلَيْهَا، واسْتَكْثِرُوا مِنْهَا، وتَقَرَّبُوا بِها، فَإِنَّها

«كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً»[۱۱۶۲]».

فقد تضمنت العبارة القصيرة أربعة أوامر بشأن الصلاة هي: تعاهدها، والمحافظة عليها، والإكثار منها، والتقرب بها إلى اللَّه.

والمراد من التعاهد المراقبة والإصلاح، ويطلق هذا التعبير على الشخص الذي يتفقد أملاكه ومزارعه ويجد ويجتهد في إصلاحها، وعليه فالعبارة المذكورة إشارة إلى مواصلة المذاكرة بشأن واجبات الصلاة ومستحباتها ومكروهاتها، بحيث يكون كلّ يوم أفضل من سابقه في الصلاة.

والمراد من المحافظة ما أشير إليه في الآية ۲۳۸ من سورة البقرة: «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلوةِ الْوُسْطَى» والمتمثل بحفظها من الموانع والرياء والسمعة وامثال ذلك.

كما ذهب البعض إلى أنّ المراد حفظ أوقات كلّ صلاة وأدائها في وقت الفضيلة.

ويشير التعبير «استكثروا» لما ورد في الحديث النبوي الشريف:

«الصَّلَاةُ خَيْرُ مَوْضُوعٍ فَمَنْ شاءَ اسْتَقَلَّ ومَنْ شاءَ اسْتَكْثَرَ»[۱۱۶۳].

كما ورد في الرواية:

نفحات الولاية ؛ ج۷ ؛ ص۵۵۴

«إِنَّ أَحَبّ الأَعْمالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ الصَّلاةُ والْبِرُّ والْجِهادُ»[۱۱۶۴].

وقال في العبارة الرابعة التي تمثّل في الواقع نتيجة للعبارات الثلاث السابقة:

«وَتَقَرَّبُوا بِهَا».

جاء فی الحدیث المروی عن الإمام علی بن موسی الرضا علیهما السلام أنّه قال:

«الصَّلاةُ

نفحات الولایه، ج۷، ص: ۵۵۵

قُربانُ کُلِّ تَقِیٍّ»[۱۱۶۵].

ثم تطرق علیه السلام إلی الدلیل علی الوصایا الأربع بشأن الصلاة، فأشار إلی سبعة واستشهد ببعض الآیات القرآنیّة والأحادیث النبویّة فقال فی البدایة: «انَّ الصَّلوةَ کانَتْ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ کِتاباً مَوْقُوتاً»[۱۱۶۶].

وقد ذکر المفسرون تفسیرین لهذه الآیة فقالوا: إنّ المراد من «موقوت» الوجوب حیث یستعمل هذا التعبیر بدل الوجوب؛ والثانی إنّه إشارة إلی أوقات الصلاة التی ینبغی مراقبتها بدقّة من قبل المؤمنین فیأتون بکلّ صلاة فی وقتها.

ثم خاض فی الدلیل الثانی فقال علیه السلام:

«أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَی جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِینَ سُئِلُوا:

«مَا سَلَکَکُمْ فِی سَقَر[۱۱۶۷]* قَالُوا لَمْ نَکُ مِنَ الْمُصَلِّینَ»[۱۱۶۸]».

طبعاً أشیر فی مواصلة الآیة الشریفة المذکورة إلی سائر الذنوب التی أدّت إلی دخولهم النار من قبیل: عدم إطعام المسکین ومسایرة أهل الباطل والتکذیب بیوم القیامة: «وَلَمْ نَکُ نُطْعِمُ الْمِسْکِینَ* وَکُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِینَ* وکُنَّا نُکَذِّبُ بِیَوْمِ الدِّینِ»[۱۱۶۹]؛ إلّاأنّ المهم هو أنّ القرآن أشار إلی تقدیم ترک الصلاة علی کلّ تلک الأمور، وهذه دلالة واضحة علی أهمیّة الصلاة ودورها فی سعادة الإنسان.

وهذه الآیات هی أدلّة واضحة علی عقاب الکفّار علی ترک فروع الدین کترکهم لأصول الدین.

وقال الإمام علیه السلام فی بیان الدلیلین الثالث والرابع لإثبات أهمیّة الصلاة:

«وإِنَّهَا

نفحات الولایه، ج۷، ص: ۵۵۶

لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حتَ ۱۱۷۰] الْوَرَقِ، وتُطْلِقُهَا إِطْلَاقَ الرِّبَقِ ۱۱۷۱]».

نعم؛ فکما أنّ الصلاة تحول دون الذنوب فی المستقبل بمضمون الآیة الشریفة:

«انَّ الصَّلوةَ تَنْهی عَنِ الْفَحْشآءِ وَالْمُنْکَرِ»[۱۱۷۲]، فإنّها تؤثر مثل ذلک فی الذنوب السابقة عن طریق التوبة والإنابة إلی اللّه والتی تعدّ الصلاة مصدره فتقضی علی المعاصی التی هی کالقید علی رقبة الإنسان وتصده عن الرقی والکمال؛ وتحرره من تلک القیود.

روی عن سلمان الفارسی قال: کنت مع رسول اللّه إذ جلسنا عند شجرة فهزها رسول اللّه فتساقطت أوراقها، ثم قال صلی الله علیه و آله:

«أَلا تَسْأَلُونی عَمّا صَنَعْتُ؟»

قالوا:

فأخبرنا یا رسول اللّه قال:

«انَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ إذا قامَ إِلَی الصَّلاةِ تَحاتَتْ خَطایاهُ کَما تَحاتَتْ وَرَقَ هذِهِ»[۱۱۷۳].

ثم استشهد الإمام علیه السلام فی استدلاله الخامس بکلام رسول اللّه بشأن أهمیّة الصلاة فقال:

«وشَبَّهَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلَّی اللّهُ عَلَیْهِ وآلِهِ وسَلَّم بِالْحَمَّةِ تَکُونُ عَلَی بَابِ الرَّجُلِ، فَهُوَ یَغْتَسِلُ مِنْهَا فِی الْیَوْمِ واللَّیْلَةِ خَمْسَ مَرَّات، فَمَا عَسَی أَنْ یَبْقَی عَلَیْهِ مِنَ الدَّرَنِ ۱۱۷۴]؟»[۱۱۷۵].

ویتّضح من خلال ما ورد فی متن الخطبة من کلمة «الحمّة» (عین المیاه الحارة التی یستفاد منها فی علاج المرضی) أنّ الصلاة لیست

كعين الماء العاديه، بل عين خاصة لها آثار عجيبة فى القضاء على الأدناس، ولكن لابدّ من الإلتفات إلى أنّ هذا

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۵۷

التعبير حسب تحقيقنا وبحثنا إنّما جاء فقط فى كلام الإمام عليه السلام وفى هذه الخطبة.

ويمكن أن يكون هذا التأثير نابع من كون الصلاة تحيى فى الإنسان روح التقوى وبمقتضى الآية الشريفة: «انَّ الصَّلوةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ» فهى تصده عن الفحشاء والمنكرات فى المستقبل وتدعوه بالطبع إلى التوبة بالنسبة لما سلف منه.

ثم واصل كلامه عليه السلام ليستدل فى دليله السادس بآية قرآنيّة أخرى تكشف عن عظم منزلة المصلين فقال:

«وقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَاتَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ، وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ. يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ:

«رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وإِقَامِ الصَّلَاةِ وإِيتَآءِ الزَّكَاةِ»[۱۱۷۶]».

جدير ذكره أنّ الآية المذكورة وردت بعد آية من تلك التى أعقبت آية النور فى القرآن وجرى الحديث فى الآية التى سبقتها عن تلك البيوت الرفيعة التى أشرق فيها نور اللَّه وانشغلت بتسبيح اللَّه ليل نهار والرجال الذين أشير إليهم فى الآية التى نحن بصددها هم امناء نور اللَّه الذين لم تستهوهِم زخارف الحياة الدنيا أو تصدهم عن ذكر اللَّه والإحسان إلى خلقه ومعونتهم.

وأخيراً أشار عليه السلام فى آخر دليل على أهميّة الصلاة إلى سيرة النّبى المقتبسة من القرآن الكريم فقال:

«وكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ نَصِباً[۱۱۷۷] بِالصَّلَاةِ بَعْدَ

التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ، لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ:

«وأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ واصْطَبِرْ عَلَيْهَا»[۱۱۷۸]

، فَكَانَ

يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ ويَصْبِرُ[۱۱۷۹] عَلَيْهَا نَفْسَهُ».

وتشير هذه الأدلة السبعة التى ذكرها أمير المؤمنين على عليه السلام بشأن أهميّة الصلاة والتى استلهمها من القرآن والسنة وعشرات الأدلة الأخرى التى لم يكن عليه السلام فى مقام

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۵۸

التطرق إليها، تشير إلى مدى أهميّة الصلاة وكونها جوهرة ثمينة ومدى تأثيرها ودورها فى تهذيب الإنسان وسعادته إلى جانب المخاطر التى يستبطنها الإبتعاد عن الصلاة والحرمان من بركاتها.

### تأمّل

### دور الصلاة فى تربية الإنسان

الإنسان موجود رصيده النسيان؛ فهولا ينسى الآخرين فحسب، بل غالباً ما يعانى من نسيان ذاته، وهذا النسيان الذاتى من أعدى أعداء سعادة الإنسان.

وهنالك عنصران مهمّان يسهمان فى هذا النسيان الذاتى؛ الأوّل: المتطلبات الواقعية لحياته اليوميّة سيما فى العصر الذى تعقدت فيه الحياة وكثرت مشاكلها، والثانى: الحاجات الكماليّة والخياليّة والظاهريّة والمقرونة بالهوى وحبّ المال والجاه والشهوة، فهى أشبه بالمسافر الذى تطالعه على جانبى الطريق القصور الفخمة والشواهد الجميلة التى تصده فجأة عن مساره الرئيسى وتقذف به إلى الهاوية.

ولعل أهم آثار الصلاة إيقاظ الإنسان من سباته ووضعها حدّاً لنسيانه، ذلك لأنّه إن ذكر اللَّه انقلب الوضع رأساً على عقب، فلسفة

الصلاة حسب الآية الشريفة: «أَقِمِ الصَّلوةَ لِذِكْرِى»[۱۱۸۰] هى ذكر اللّه والتى جاءت بعد الآية الشريفة: «ولَذِكْرُ اللّهِ أَكْبَرُ»[۱۱۸۱] والتى أعقبت هذه الآية الشريفة: «انَّ الصَّلوةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ» تشير إلى أنّ الجذور الأصلية لفلسفة الصلاة إنّما تكمن فى ذكر اللّه، لأنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة، وحبّ الدنيا هو الذى يصد الإنسان عن ذكر اللّه، كما ورد فى الآية ۲۹ من سورة النجم: «فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيا».

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۵۹

وتفيد سائر الآيات القرآنيّة أنّ الشيطان إنّما يطوف حول قلب الإنسان فإذا ما ذكر اللّه هرب منه: «انَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ»[۱۱۸۲].

وهذا هودليل ما صرحت به الروايات الإسلاميّة من أنّ الصلاة عمود الدين وعين ماء صافية، سيما إن أوتى بهذه الصلاة فى جماعة وأقبل فيها المؤمنون زمراً على اللّه تبارك وتعالى، جاء فى الحديث عن نبىّ الإسلام صلى الله عليه و آله:

«مَنْ صَلّى الصَّلاةَ فى جَماعَةٍ فَظُنُّوا بِهِ كُلَّ خَيْرٍ وَاقْبَلُوا شَهادَتَهُ»[۱۱۸۳].

ولو تأمّلنا مقدمات الصلاة (الطهارة والوضوء والغسل) التى تدعوالإنسان إلى طهارة الروح والبدن وسائر شرائطها من قبيل حلية لباس المصلى والتوجه إلى المسجد، أقدم مركز للتوحيد، وسائر الأركان ومضامين الآيات والأذكار والتعقيبات، فإنّها تعمق فهم الإنسان لمدى أهميّة هذه العبادة العظيمة والاستثنائيّة، والذى يشير إلى مدى الدور الذى تلعبه الصلاة فى تربية الإنسان وإيصاله إلى القرب الإلهى والسير والسلوك المعنوى والعرفانى.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۶۱

## القسم الثانى

### اشارة

ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَاناً لِاهْلِ الْاسْلَامِ، فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا، فانَّها تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً، ومِنَ النَّارِ حِجَازاً ووِقَايَةً. فَلَا يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ، وَلَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ، فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النّفْسِ بِهَا، يَرْجُوبِهَا مَا هُوأَفْضَلُ مِنْهَا، فَهُوجَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ، مَغْبُونُ الْأَجْرِ، ضَالُّ الْعَمَلِ، طَوِيلُ النَّدَمِ.

### الشرح والتفسير: بركات الزكاة

كما أشير فى مستهل الخطبة أنّ الإمام عليه السلام أشار فيها إلى أربعة أمور غاية فى الأهميّة كان أولها الصلاة وقد مر بحثها بصورة وافيّة، والأمر الثانى الزكاة حيث قال عليه السلام:

«ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَاناً لِاهْلِ الْاسْلَامِ».

و «القربان»:

هنا يعنى ما يوجب التقرب إلى اللّه تعالى ونعلم أنّ الصلاة هى رابطة الخالق بالخلق والزكاة رابطة الخلق بسائر عباد اللّه والتى تعدّ نوعاً من الإرتباط باللّه. جدير ذكره أنّ الصلاة والزكاة ذكرتا مع بعضهما فى سبع وثلاثين آية من الآيات القرآنيّة، وهذا يدل على أنهما لازم وملزوم فى تحقيق سعادة الفرد والمجتمع.

ثم عدد الإمام عليه السلام بعض الآثار المهمّة للزكاة وشرائطها فقال:

«فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا، فانَّها تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً، ومِنَ النَّارِ حِجَازاً ووِقَايَةً».

فالشرط الأوّل لقبول الزكاة حسب ما ذكر الإمام عليه السلام فى هذه العبارة أن تؤدّى

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۶۲

عن طيب نفس ورغبة وبصفتها إمتثال لأمر اللَّه ونيل رضاه لتنطوى فى ظلّ هذه الحالة على أثرين مهمّين؛ أحدهما أنّها كفّارة للذنوب السابقة، والآخر حجاب من نار جهنم.

طبعاً، من يؤدّى الزكاة مكرهاً ولا- يسعه طرح حبّ المال من قلبه يكون قد أدّى التكليف، ولكن لا- حظ له من بركاتها المعنويّة والروحيّة والأخلاقيّة.

قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله:

«أَرْضُ الْقِيامَةِ نارٌ ما خَلا ظِلَّ الْمُؤْمِنِ فَإِنّ صَدَقَتَهُ تُظِلُّهُ»[۱۱۸۴].

وقد صرح القرآن بأنّ إحدى صفات المنافق أنّه إن انفق شيئاً إنّما ينفقه كراهة ولذلك فهو لا يحظى بقبول اللَّه تعالى «وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ... وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ»[۱۱۸۵].

ثم خلص الإمام عليه السلام إلى هذه النتيجة فقال:

«فَلَا يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ، وَلَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ ۱۱۸۶]».

نعم! فالناس صنفان؛ صنف يؤدّى زكاته وسائر صدقاته فى سبيل اللَّه بمنتهى الرضا، وليس له هم سوى الفوز برضا اللَّه دون توقع أدنى شكر أو جزاء ممن يأخذ الزكاة والصدقة «انَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَانُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُوراً»[۱۱۸۷]؛ أمّا الصنف التالى فذلك الذى يكون أداء الزكاة عنده كحالة الاحتضار، وهولا ينفك يعيش حالة من القلق، ليقول على الدوام: كم كان ثمين ذلك المال الذى زكيته وكم جهدت من أجل الحصول عليه، ولوكان عندى اليوم لفعلت به كذا وكذا، فهذا الصنف مصداق لما ذكره الإمام عليه السلام فى العبارة المذكورة، ولابدّ أن نرى هنا كيف يبيّن الإمام عليه السلام الآثار السلبيّة لذلك، فقال:

«فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النّفْسِ بِهَا، يَرْجُوبِهَا مَا هُوأَفْضَلُ مِنْهَا، فَهُوجاهِلٌ بِالسُّنَّةِ، مَغْبُونُ الأَجْرِ، ضَالُّ الْعَمَلِ، طَوِيلُ النَّدَمِ».

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۶۳

ذهب بعض شرّاح نهج البلاغة فى تفسيرهم لهذه العبارة

«يَرْجُوبِهَا مَا هُوأَفْضَلُ مِنْهَا»

: إلى أنّ المراد أنّ الإنسان المؤمن لا يتوقع حتى بركة المال والحصول على المزيد من النعم فى أدائه للزكاة وسائر القربات، بل هدفه رضا اللَّه، إلّاأنّ هذا التفسير لا يبدو منسجماً مع العبارة

«جاهِلٌ بِالسُّنَّةِ»

و

«ضَالُّ الْعَمَلِ»

، ذلك لأنّ المستفاد من الروايات الإسلاميّة أنّ انتظار الفضل الإلهى والعناية ليس ممنوعاً فى هذه الموارد، بل مرغوب فيه.

فقد جاء فى الرواية أنّه يستحب التوجه للَّهوطلب سعة الرزق حين الحاجة عن طريق التصدق ۱۱۸۸] وقد قال القرآن بهذا الخصوص:

«يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِى الصَّدَقَاتِ»[۱۱۸۹].

إلّا أنّ التفسير الثانى الذى يمكن قوله بشأن هذه العبارة والذى ينسجم مع سائر العبارات، الأوّل أنّ هذه العبارة استمرار للعبارة

«غَيْرَ طَيِّبِ النّفْسِ بِهَا»

؛ أى أنّه لا يُعطى الزكاة عن نفس طيبة ولا يأمل بما هو أفضل منها، ومن الطبيعى أنّ مثل هذا الشخص قد عمل خلاف السنة وانحدر إلى الضلال. والآخر أنّ المراد الشخص الذى لا يعيش الرضا الباطنى حين أداء الزكاة ويطلب من اللَّه ما هو أفضل منها، فهو شخص

خاطئ وجاهل بالسنة.

### تأمّل

### الزكاة؛ ركن مهم فى المجتمع الإسلامى

الزكـاة من أهم الفرائض بعـد الصـلاة؛ فالكلام فى الصـلاة عن الرابطـة بالخـالق، وفى الزكاة عن الرابطـة بخلق اللَّه. والواقع أن صـدق الإنسان وجديته فى موضوع الإرتباط بالخالق إنّما يثبت حين تكون رابطته قوية بالخلق، فيحيط بمشاكلهم

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۶۴

ويسعى لحلها ويعبّر عن مواساته للمحتاجين والمساكين والمحرومين ويسعى بكلّ ما أوتى من قوّة لمساعدتهم، وبالطبع فإنّ أهم مظاهر ذلك هو أداء الزكاة، ومن هنا وكما أشير سابقاً فقد ذكرت الزكاة إلى جنب الصلاة فى ۳۷ آية من الآيات القرآنيّة.

من جانب آخر فإنّ التمايز الطبقى يعدّ من أخطر الظواهر الاجتماعيّة فى أن تكون هناك طبقة مرفهة مهيمنة على كلّ شىء وأخرى محرومة تفتقر إلى أبسط المقومات الأساسيّة للحياة، الأمر الذى يترك آثاره السلبيّة على هذه الطبقة المعدمة، كما تعانى الطبقة المرفهة من بعض الضغوط بفعل ردود الفعل التى تمارسها تلك الطبقة وهذا ما يؤدّى بالتالى إلى سلب الأمن عن المجتمع.

قال القرآن الكريم فى الآية ۱۹۵ من سورة البقرة: «وَأَنفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» والمراد إذا أردتم النجاة من الهلكة فلا تنسوا الانفاق فى سبيل اللَّه.

وهى الحقيقة التى وردت إشارة لطيفة إليها فى كلام أمير المؤمنين عليه السلام، حيثُ قال بعد تصنيفه أبناء المجتمع إلى عالم وجاهل وغنىّ وفقير:

«وإذا بَخِلَ الْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ باعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْياهُ»

أى حين يبخل الأغنياء بالتفضل على الفقراء والمحرومين فإنّ هؤلاء المحرومين يبيعون آخرتهم بدنياهم وبالتالى يثورون ويحطمون جميع القوانين الاجتماعيّة.

ومن جانب ثالث هنالك الصفات الرذيلة بالفعل وبالقوّة فى أغلب الأفراد والتى لا يمكن استئصالها إلّابأداء الزكاة، قال القرآن الكريم:

«خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ...»[۱۱۹۰].

نعم! هنالك تأثيرات عظيمة لأداء الزكاة فى تهذيب النفس وتهذيب صفاته الإنسانيّة.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۶۵

## القسم الثالث

### اشارة

ثُمَّ أَداءَ الْأَمانَةِ، فَقَدْ خابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِها. إِنَّها عُرِضَتْ عَلَى السَّماواتِ الْمَبْنِيَّةِ، والْأَرَضِينَ المَدْحُوَّةِ، والْجِبالِ ذاتِ الطُّوْلِ الْمَنْصُوبَةِ فَلا أَطْوَلَ ولا أَعْرَضَ، وَلا أَعْلَى وَلا أَعْظَمَ مِنْها. ولَوامْتَنَعَ شَيٌ بِطُول أَوعَرْض أَوقُوَّة أَوعِزٍّ لَامْتَنَعْنَ؛ ولكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ، وعَقَلْنَ ما جَهِلَ مَنْ هُوأَضْعَفُ مِنْهُنَّ، وهُوالْانْسانُ، (إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا).

### الشرح والتفسير: أداء الأمانة

طرح الإمام عليه السلام فى القسم الثالث من الخطبة- بعد بيان أهميّة الصلاة والزكاة- مسألة أخرى غاية فى الأهميّة هى «أداء الأمانة».

والأمانة إن لم تؤدّى فقدت سائر المشاريع الإسلاميّة أثرها ومعطياتها، فقال:

«ثُمَّ أَداءَ الْأَمانَةِ، فَقَدْ خابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِها».

وقد اختلف شرّاح نهج البلاغة فی المراد (بأداء الأمانة) الوارد فی هذه العبارة؛ فقد ضيّقه البعض ليراه يعنی الولاية والإمامة أو ما شابه ذلك، والحال أنّ مجیء أداء الأمانة بعد الصلاة والزكاة يفيد أنّ المراد به مفهوم عام وشامل، ذلك لأنّ أداء الأمانة أساس ودعامة جميع الأنشطة الاجتماعيّة والإيجابيّة بحيث لو تسللت الخيانة إلى أداء الأمانة لانعدمت الثقة بين الجميع ولزال التعاون الاجتماعی ولساد سوء الظنّ بين الناس ممّا يؤدّی إلى إرباك المجتمع، ولذلك جاء فی الرواية أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إنّ اللّهَ عَزَّ وجَلَّ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيّاً إلَّا بِصِدْقِ الْحَديثِ وأداءِ الْأَمانَةِ إلَى

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۶۶

الْبَرِّ والْفاجِرِ»[۱۱۹۱].

كما ورد فی الحديث النبوی الشريف:

«الْأَمانَةُ تَجْلِبُ الْغِنی والْخِيانَةُ تَجْلِبُ الْفَقْرَ»[۱۱۹۲].

جدير ذكره أنّ للأمانة معنيين؛ معنى خاص يشمل أمانات الناس المالية التی يستودعها بعضهم البعض الآخر وحفظها من أوجب الواجبات، ومعنى عام يشمل جميع المسؤوليات الإلهيّة، وعلى هذا الأساس فإنّ عمرنا وأولادنا وبلدنا ومراكزنا الاجتماعيّة والحكومات الإلهيّة كلّها أمانات أودعت لدينا ولا ينبغی خيانتها.

والمفهوم العام يشمل أمانات الناس الماديّة وكذلك الأمانات الإلهيّة والمعنويّة وحفظها من أركان الدين كما أشار الإمام عليه السلام إليها بعد الصلاة والزكاة، وتفيد العبارات اللاحقة بعدها إلى أنّ الهدف من ذكر الأمانة هنا هو المفهوم العام، ذلك لأنّ الإمام عليه السلام قال عقب هذه العبارة:

«انَّها عُرِضَتْ عَلَى السَّماواتِ الْمَبْنِيَّةِ[۱۱۹۳]، والْأَرَضِينَ

الْمَدْحُوَّةِ[۱۱۹۴]، والْجِبالِ ذاتِ الطُّوْلِ الْمَنْصُوبَةِ، فَلا أَطْوَلَ وَلا أَعْرَضَ، وَلا أَعْلَى وَلا

أَعْظَمَ مِنْها».

ثم قال عليه السلام:

«ولَوِامْتَنَعَ شَیٌ بِطُولٍ أوعَرْضٍ أَوقُوَّةٍ أَوعِزٍّ لَامْتَنَعْنَ؛ ولكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ، وعَقَلْنَ ما جَهِلَ مَنْ هُوأَضْعَفُ مِنْهُنَّ، وهُوالْانْسانُ، «إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا»».

هذا الكلام إشارة لما ورد فی الآية ۷۲ من سورة الأحزاب: «انّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَهَا الْانْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جهولًا».

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۶۷

## تأمّلان

### ۱. نقطة مهمّة

هنالك نقطة مهمّة فی هذه الآية الشريفة: وهی: ما المراد بهذه الأمانة الإلهيّة التی بلغت هذا القدر من الثقل بحيث عجزت عن حملها السماوات والأرض والجبال؟

وقد ذهب أغلب المفسرين إلى أنّ المراد بها التكاليف الشرعيّة والأوامر والنواهی والإيمان ومنها ولاية المعصومين عليهم السلام وأنّ

عـدم تحملها من قِبل السـماء والأرض والجبال دليل على عـدم اسـتعدادها لقبول هـذه المسؤوليّـة، وعليه فعرض هذه التكاليف الإلهيّة عليهـا كـان بلسـان الحـال، رغم مـا ذهب إليه البعض من أنّ اللّه أفاض عليهـا آنـذاك ما يكفيها من العقل والشـعور لتخاطب بـذلك الخطاب، ولكن على كلّ حال فقد حملها وقبلها الإنسان بفضل ما أودع من استعداد ربّاني شامل.

حقاً أنّ هذا لوسام شرف عظيم للإنسان لأنّ يخاطب بأوامر اللّه ونواهيه ولذلك فهويحتفل في اليوم الذي يبلغ فيه التكليف.

وعلى هـذا الضوء فسر «الظلوم والجهول» بعاقبـة العمـل، أي أنّه لم يكن ظلومـاً في قبول هـذه الأمانـة بـل ظلم نفسه في أداء حقها ولم يلتفت إلى قدر نفسه ومقامه وكان جاهلًا به.

فهـذا أوضـح تفسـير يمكن ذكره للآيـة الشـريفة، لكنه لاـ ينسـجم مع مـا ورد في الخطبـة الـتي نحن بصـددها من جهـتين، الأُولى إنّ السـماوات والأرض والجبال إنّما لم تتحمل هـذه الأمانة بسـبب ما هي عليه من عقل وفطنة، والثانية: إنّ الإنسان كان أضـعف منها وقد ظلم نفسه إثر جهله وحمل تلك الأمانـة، ومن هنا فإنّ النهوض بهـذه الأمانـة والتكليف يعد نقطة ضـعف في الإنسان، وعدم قبولها من قبل السماوات والأرض يعد نقطة قوّة لها.

وهـذا المعنى وبغض النظر عن عـدم انسـجامه مع الآيـة الشـريفة، فهو لا يتفق أيضاً مع سائر الآيات القرآنيّـة، فاللّه جعل الإنسان أفضـل خلقه فقال: «لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ادَمَ ...

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۶۸

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا»[۱۱۹۵] وقد أمر جميع ملائكته بالسجود له وجعله خليفته في أرضه وقال بحقه: «انِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً»[۱۱۹۶]. فهـل يمكن أن يقـال بعـد كـل هـذه الافتخـارات إنّ الإنسان أضـعف واحط من الجمادات كالأرض والسماء والجبال؟!

حقّاً إنّ هذه مسألة معقدة ولا يبدو من السـهل الجمع بين مضـمون هذه الخطبة وما جاء في الآية الشـريفة، ولم يتجه شرّاح نهج البلاغة صوب حل هـذه المشـكلة، والحل الوحيـد هو أن نعتبر الآيـة قضـية كليّة ونحمل كلام الإمام عليه السـلام على قضـية جزئيّة فنقول: إنّ الإمام عليه السلام تطرق إلى فئة من الناس، فئة بحكم الآية الشريفة:

«أُوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ»[۱۱۹۷] ممن ليس لهم حظ من عقـل ومعرفـة ويعيشون في دوّامـة من الجهـل والغرور والغفلـة واتباع الهوى الـذي تسلل إلى أفكارهم فكان قبول هـذه الأمانـة سـبب بؤسـهم وشـقائهم بدلًا من أن يكون أساس إعتزازهم وفخرهم؛ ولعلنا نلمس شبيه ذلك في القرآن الكريم بشأن المنافقين ومرضى القلوب: «وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ* وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ»[۱۱۹۸].

ومن هنا يجدر بالباحثين التركيز والتعمق في هذه المسألة.

### ۲. أفضل علامات الإيمان

إنّ حفظ الأمانـة، سواء بالمعنى الخاص الـذي يعني حفظ ثروات الآخرين المالية، أو بمعناها العام في حفظ وصون المسؤوليات الإلهيّة والمعنويّة والماديّة

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۶۹

والفرديّة والاجتماعيّة، لمن المبادئ الأساسيّة لجميع الأنبياء عليهم السلام، والدليل على ذلك الحديث النبوي الشريف:

«انَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيّاً إلّابِصِدْقِ الْحَديثِ وأداءِ الْأَمانَةِ إِلَى الْبَرِّ والْفاجِرِ».

وحفظ هـذه الأمانـة على درجـة من والعظمـة بحيث أبت حمله تلك السـماوات المرفوعـة والجبال الشامخـة، وحملها الإنسان أشـرف مخلوقـات اللّه بمـا أفاض اللّه عليه من اسـتعداد، وقـد صانها وحملها الأنبياء والأولياء ومن سار على دربهم ليفوزوا بهـذا الشـرف، رغم

عدم أداء تلك الأمانة من قبل طائفة جاحدة من الظلمة والجهّال، والنقطة المهمّة هى أنّ المصادر الإسلاميّة ذكرت المزيد من الحقوق للمسلمين بالنسبة لبعضهم البعض الآخر؛ إلّاأنّ حفظ الأمانة أهمها جميعاً والتى تعتبر جزءً من حقوق الإنسان. ومن هنا جاء فى الرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ أحد وصاياه كانت بهذا الخصوص:

«إعْلَمْ أنَّ ضارِبَ عَلِيٍّ بِالسَّيْفِ وقاتِلِهِ لَوإئْتَمَنَنى واسْتَنْصَحَنى واسْتَشارَنى ثُمَّ قَبِلْتُ ذلِكَ مِنْهُ لأدّيتُ إلَيْهِ الأمانَةَ»[۱۱۹۹].

وتبدو هذه المسألة على درجة من الأهميّة بحيث اعتبرت من أفضل الدلالات على شخصية الإنسان وإيمانه حتى أنّها لتفوق الصلاة والصوم والحج.

جاء فى الحديث النبوى الشريف:

«لا تَنْظُرُوا إلى كَثْرَةِ صَلاتِهِمْ وصَوْمِهِمْ وكَثْرَةِ الْحَجِّ والْمَعْرُوفِ وطَنْطَنَتِهِمْ بِاللَّيْلِ ولكِنِ انْظُرُوا إلى صِدْقِ الْحَدِيثِ وأداءِ الأمانَةِ»[۱۲۰۰].

والدليل الواضح على صدق هذا الحديث الشريف، التجارب التى عشناها طيلة حياتنا، فما أكثر الأفراد الذين يعيشون حالة من الجدّ والاجتهاد والالتزام بالمسائل العاديه، ولكن ما أن ترد بعض المسائل المهمّة سيما الأموال الطائلة حتى تزل أقدامهم وتهتز شخصيتهم.

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۷۱

## القسم الرابع

### اشارة

انَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى لَايَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِى لَيْلِهِمْ ونَهَارِهِمْ. لَطُفَ بِهِ خُبْراً، وأَحَاطَ بِهِ عِلْماً. أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ، وجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ، وضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ، وخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ.

### الشرح والتفسير: عالم الغيب والشهادة

أشار الإمام عليه السلام فى الأقسام السابقة من هذه الخطبة إلى ثلاثة مواضيع مهمّة تعدّ من أركان الأوامر الإلهيّة وهى الصلاة والزكاة وأداء الأمانة، ثم تطرق الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة إلى أمر بمثابة العنصر الإجرائى لهذه الأوامر المهمّة والذى يتمثل بإحاطة اللَّه تعالى العلميّة بالإنسان فى أحواله كافّة.

وبعبارة أخرى أنّ الإنسان حين يهم بطاعة هذه الأوامر يشعر بأنّه حاضر على كلّ حال عند اللَّه وأنّ علمه محيط به على غرار العيون التى تبث داخل الطرق والمدن بغية رعاية الناس للقوانين السائدة فقال:

«انَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى لَايَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِى لَيْلِهِمْ ونَهَارِهِمْ. لَطُفَ بِهِ خُبْراً، وأَحَاطَ بِهِ عِلْماً».

والتعبير بالعباد تعبير واسع يشمل جميع الناس بما فيهم المسلم والكافر والصغير والكبير والعالم والجاهل، وتقديم الليل علىالنهار لأنّ الليل موضع خفى لأغلب العصاة.

والعبارة:

«لَطُفَ بِهِ خُبْراً»

بالنظر إلى أنّ اللطيف أحد أسماء اللَّه الحسنى ويطلق على من يلم بأظرف الأمور وأدقّها، إشارة إلى عدم غياب أصغر أعمال العباد وأخفاها عن علمه تبارك وتعالى: «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ»[۱۲۰۱].

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۷۲

وكل هذه الأمور تستند إلى كون علمه سبحانه وتعالى بجميع الأشياء علماً حضورياً فهو حاضر فى كلّ مكان والكون برمته حاضر لديه، فلا يخفى عليه شىء ولا يعزب عن علمه شىء.

وقد تمسك البعض بمثال فقال: لو كان فى يدنا شىء ننظر إليه فهل يخفى علينا شىء منه، وبالطبع فإنّ علم اللّه لأعمق وأسمى من ذلك بالنسبة لجميع الكائنات.

وقال فى مواصلته لكلامه ولإثبات شدّة الرقابة الإلهيّة على الإنسان:

«أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ، وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ، وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ، وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ».

ولمفردة الأعضاء (جمع عضو) معنى عام يشمل الأعضاء التى بها يقوم الإنسان بأعماله، مثل الأيدى والأرجل، وكذلك الأعضاء التى يبدو ظاهرياً لا يقوم بها بعمل كالأضلاع والعظام؛ أمّا الجوارح (جمع جارحة) واستناداً إلى مادتها اللغويّة جرح التى تعنى الاكتساب فهى تقتصر على الإشارة إلى تلك الأعضاء التى يقوم بواسطتها الإنسان ببعض الأعمال ويحسن بها أو يسيىء بها، وعليه فذكر الجوارح بعد الأعضاء من قبيل ذكر الخاص بعد العام.

و «ضمائر» جمع «ضمير» بمعنى باطن الإنسان وتشير هنا إلى وجدان الإنسان الذى يمثل القاضى الباطنى.

و «خلوات»:

جمع «خلوة» تعنى الموضع الذى لا يتواجد فيه عامة الناس، ولما كانت أغلب الذنوب إنّما ترتكب فى الخلوات، فقد ركزت عليها العبارة السابقة.

وذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ (خلوات) تعنى ما يرتكب من أعمال فى الخلوة وستكون من قبيل حذف المضاف، على كلّ حال فإنّ هدف الإمام عليه السلام من بيان هذه العبارات الأربع الأخيرة أن يقول ليس لعلم اللّه إحاطة بجميع أعمال الإنسان فحسب، بل أعضاء الإنسان وجوارحه ووجدانه شهوده وجنوده وعيونه، وإنّ كلّ بقعة من مكان حتى الخلوات لتشهد على أعمال الإنسان.

***

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۷۳

## الخطبة ۲۰۰

### اشارة

فِى مُعَاوِيَةَ[۱۲۰۲]

### نظرة إلى الخطبة

أشار الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة إلى سياسة معاوية المؤسسة على الكذب والخداع والمكر والحيلة، وذكر عليه السلام أنّه أعرف بهذه الفنون من السياسة إلّاأنّ الورع والتقوى وخشية اللّه لا تدعه أبداً يمارس هذا الأسلوب الرخيص، وصرّح فى آخر كلامه بأنّه ممن لا تنطلى عليه هذه السياسة فيستغفل ولا يبدى مقاومة.

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۷۵

واللّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّى، ولكِنَّهُ يَغْدِرُ ويَفْجُرُ. ولَولَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ، ولكِنْ كُلُّ غُدَرَة فُجَرَةٌ، وكُلُّ فُجَرَة كُفَرَةٌ.

«ولِكَلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ».

واللَّهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ، وَلَا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ.

## الشرح والتفسير: السياسة الآثمة

إنّ بعض السذج والجهّال فى عصر أميرالمؤمنين يرون حين مقارنتهم للإمام على عليه السلام بمعاوية أنّ هذا الأخير كان أعظم سياسة منه، وهو ذات الكلام الذى سمع فى القرون اللاحقة من قبل البعض وما زال يكرره اليوم بعض الجاهلين، وعبارات الإمام عليه السلام تعدّ رداً منطقياً يلقم مثل هؤلاء الأفراد حجراً، حيث قال عليه السلام:

«واللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى ۱۲۰۳] مِنِّى، ولكِنَّهُ يَغْدِرُ ويَفْجُرُ».

و «يَغْدِرُ»:

من «غدر» بمعنى الخدعة ونقض العهد و

«يَفْجُرُ»

من «فجور» بمعنى الإثم والمعصية، والواقع أنّ هذا الفجور نتيجة لذلك الغدر، لأنّ الغدر يمهد السبيل للمعصية.

ثم قال عليه السلام:

«ولَوْلَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ».

فقد أشار الإمام عليه السلام فى الواقع إلى نقطة مهمّة وهى أنّ السياسة على نوعين:

سياسة طائشة ومقرونة بأنواع المعاصى، وبالتالى فهى سياسة شيطانيّة، وسياسة عن

نفحات الولايه، ج۷، ص: ۵۷۶

تدبير مفعم بالورع والتقوى، وبالتالى فهى سياسة رحمانيّة، وفى الواقع تتفاوت السياستين وتبعاً لذلك تتفاوت نتائجهما.

والسياسة بالمعنى الأوّل لا تعرف من حد خلقى ودينى وإنسانى ووجدانى، وتقضى على كلّ قانون أو مبدأ أو ضابطة تشكل خطراً عليها، على غرار ما نلاحظه اليوم فى عالم السياسة الذى يحكم الشرق والغرب.

أمّا الصنف الثانى فتخضع فيه السياسة لأطر معينة حدودها القيم والمثل الدينيّة والإنسانيّة والوجدان والضمير؛ فهى لا تعتمد الظلم والجور والمعصية قط سيما تجاه العزل من الأفراد الأبرياء؛ ولا تسمح بالغدر والخيانة والفجور ونقض العهود والمواثيق، وترفض التسلط والتوسع وبالتالى ترى وجود بعض الخطوط الحمراء التى لا يمكن تجاوزها.

ومن هنا أشار الإمام عليه السلام فى مواصلته لكلامه إلى أولئك الأفراد الذين انتهجوا الغدر والفجور ليعتمدوهما كوسيلة لسياساتهم فقال:

«ولكِنْ كُلُّ غُدَرَة فُجَرَةٌ، وكُلُّ فُجَرَة كُفَرَةٌ. (ولِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)».

والعبارة:

«ولِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ ...»

حديث معروف عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله روته أغلب المصادر، ومنها: الشوكانى فى نيل الأوطار، والبخارى فى صحيحه، وقال الشوكانى:

متفق عليه ۱۲۰۴].

ثم قال عليه السلام فى اختتامه لهذا الكلام وحتى لا يتصور أحد أنّ الإمام عليه السلام بما هو عليه من نقاء القلب تنطوى عليه سياسة الغدر والمكر:

«واللَّهِ مَا أَسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ، ولَا أَسْتَغْمَزُ[۱۲۰۵] بِالشَّدِيدَةِ».

وهذا الكلام فی الواقع رد علی أولئک الذین یزعمون أنّه لا- یمکن مواجهة أولئک الفجرة سوی من قبل أمثالهم ولیس أمام الفرد المتدین سوی الوقوع فی مخالبهم،

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۵۷۷

فمضمون کلام الإمام علیه السلام هو إنّ الإنسان قد لا- یکون من أهل الخداع والفجور والخیانة ولکن یعرف طریقة أهل الغدر والخیانة حتی لا یقع فی شباکهم ویخدع بالأعیبهم.

## تأمّل

### السیاسة الإنسانیّة والسیاسة الشیطانیّة

حقیقة السیاسة هی التدبیر وإدارة الحکومة ورعایة شؤون الناس، وهو أمر متعارف علیه منذ قدیم الزمان فی المجتمعات البشریّة، وقد حکمت تلک المجتمعات من قبل بعض الساسة طالحین کانوا أم صالحین.

والسیاسة علی صنفین: سیاسة طائشة وأخری حکیمة، أمّا السیاسة الطائشة فهی تلک السیاسة التی لا تؤمن بأی مانع أو رادع من أجل تحقیق أهدافها فتبیح کلّ شیء فهی تقتل المتهم والبریء وتهدم البیوت العامرة والخالیة، وتتشبث بکلّ حیلة وکذب وغش، وإذا ما عقدت اتفاقیة وتعارضت مستقبلًا مع أهدافها نقضتها، وبالتالی فهی لا ترحم الولد والأب والام، ومن هنا قیل: إنّ السیاسة لا تعرف من معنی للأب والام.

وقد قرأنا فی التاریخ أنّ الخلیفة العباسی هارون الرشید قال لابنه المأمون: «لو نازعتنی الملک لأخذت الذی فیه عیناک»، کما استقبل المأمون جسد أخیه الأمین بفرح وسرور، وما أکثر أمثال هذه الحوادث فی تاریخ العرب والعجم والشرق والغرب والتی أشار القرآن الکریم إلی نماذجها بشأن فرعون فقال: «انَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَآءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ»[۱۲۰۶].

أمّا السیاسة الحکیمة والإنسانیّة فهی السیاسة التی تعتمد الأسس المشروعة

نفحات الولایة، ج۷، ص: ۵۷۸

بغیة الوصول إلی الهدف ولا تنتهک قط حدود الأحکام الشرعیّة والمبادئ الإنسانیّة، وتجری العدل بحقّ العدو والصدیق؛ وترعی الأمانة، وتلتزم بالعهود والمواثیق وتنظر بعین الاعتبار إلی الإنسان وکرامته وعزته.

وإنّ أصحاب السیاسة الحکیمة والإنسانیّة مهما کانوا قلائل مقارنة بأصحاب السیاسة الشیطانیّة، قد یعانون من المشاکل والمعضلات، إلّاأنّهم ظلّوا ناصعی الجبین فی التاریخ وأضحت سیاستهم قدوة للبشریّة برمتها.

والنموذج البارز للصنف الأوّل من السیاسة، معاویة ورهطه فی الشام، والنموذج الجلی الواضح للسیاسة بصنفها الثانی أمیرالمؤمنین علی علیه السلام، وهو ما أذعن له العدو والصدیق سوی تلک الثلة المتعصبة.

ابن أبی الحدید واستناداً إلی مبادئ مذهبه قارن بین سیاسة أمیر المؤمنین علیه السلام فی إدارة البلاد والسیاسة التی انتهجها عمر، فقال: «زعموا أنّ عمر کان أسوس من أمیرالمؤمنین وإن کان هو أعلم منه».

ثم خاض فی الرد علی هذه النظریة فقال: «إنّ سیاسة علی هی سیاسة النّبی صلی الله علیه و آله». وروی عن استاذه أبو جعفر النقیب أنّه قال: «کانت سیاسة علی علیه السلام هی ذاتها سیاسة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله».

ثم تطرق إلی شرح کلمات الجاحظ (العالم السنی المعتزلی) فی مقارنة سیاسة علی علیه السلام ومعاویة وإلیک خلاصة کلامه:

زعم البعض أنّ معاوية كان أسوس من على عليه السلام وهذا خطأ كبير، ثم واصل كلامه فى إبطال هذا الكلام حيث صرّح بأنّ عليّاً عليه السلام لم يعمل فى الحروب سوى بما وافق القرآن والسنّة، بينما كان معاوية يخالف القرآن.

فكان عليه السلام يوصى الجيش بعدم البدء بالقتال وتعقيب الهاربين والإجهاز على المجروحين (والحال لم يكن معاوية يرعى أيّاً من هذه الوصايا).

ولما فرغ ابن أبى الحديد من نقل هذا الكلام اتّجه صوب بعض الإشكالات التى

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۷۹

أوردها البعض على سياسة على عليه السلام ومنها:

۱. لو كان على عليه السلام حين بويع له بالخلافة فى المدينة أقر معاوية على الشام إلى أن يستقر الأمر له ثم يعزله، وقال فى الجواب: إنّ أميرالمؤمنين كان يعلم أن إقراره أقوى لحال معاوية وأكّد فى الامتناع من البيعة، فلا يبقى بعد ذلك من عذر لعزله.

۲. إنّه حين ملك شريعة الفرات فى صفين هلّا منعها عن معاوية وأهل الشام، فكان يأخذهم قبضاً بالأيدى بعد أن ملكها معاوية فمنعها عنه وعن أهل العراق؟

وقال فى الجواب: إنّه لم يكن يستحل ما استحله معاوية من تعذيب البشر بالعطش؛ فإنّ اللّه تعالى ما أمر أحداً بذلك.

۳. إنّه عليه السلام أخطأ حين محى اسمه من الخلافة فقوى الشبهة فى نفوس أهل الشام.

وقال فى الجواب: إنّه عليه السلام احتذى فى ذلك لما دعى إليه واقترحه الخصم عليه، فعل رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى صلح الحديبية، حين أصر زعماء الشرك على محو اسمه من النبوّة (وحيث لم يرض ذلك أحد) فقد أقدم عليه بنفسه، وأخبره النّبى صلى الله عليه و آله بذلك سابقاً.

۳. إنّه عليه السلام كان غير مصيب فى ترك الاحتراس، فقد كان يعلم كثرة أعدائه؟

وقال فى الجواب: إنّ هذا إن كان قادحاً فى السياسة والتدبير فليكن قادحاً فى سياسة رسول اللّه صلى الله عليه و آله الذى لم يكن يرضى بذلك ۱۲۰۷].

ولابن أبى الحديد كلمات أكثر من ذلك حيث أفرد أكثر من ۵۰ صفحة فى شرح ذيل هذه الخطبة للبحث المذكور ولا يسعنا ذكرها هنا.

والجدير ذكره ما ذكره فى آخر كلّ هذه الأبحاث، حيث قال: فقد بان بما أوضحناه فساد قول من قال إنّ تدبيره عليه السلام وسياسته لم تكن صالحة:

«انَّهُ أصحُّ النّاسِ تَدْبيراً وأحْسَنُهُمْ سِياسَةً وإِنَّمَا الْهَوى والْعَصَبيَّةُ لا حيلَةَ فيهِما».

نفحات الولاية، ج۷، ص: ۵۸۰

إلى هنا تمّ وبحمد اللّه الخطبة ۲۰۰ من خطب أميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فى نهج البلاغة ومن الجزء السابع لهذا الكتاب القيم، نشكر اللّه تعالى على توفيقه ومنّه أن يسّر لنا هذا الطريق، ونسأله أن يظلّلنا بغمام لطفه وكرمه كى نتمّ الأجزاء الآتية من هذا السفر المبارك إن شاءاللّه تعالى.

وكذلك نحمده أن نال هذا الشرح إعجاب ورضا الطوائف المختلفة من الناس انتخب بعنوان أفضل كتاب لسنة ۲۰۰۲ م ونأمل أن يفتح هذا الشرح فصلًا جديداً بين الشروح المطروحة لنهج‌البلاغة.

***

ولا- يخفى أننا تلقّينا ببالغ الأسى والحزن رحيل وفقدان أحد الإخوة العاملين الأعزّاء معنا، ألا وهو العالم الفاضل والمتتبع المتبحر المغفور له المرحوم حجّة الإسلام والمسلمين الحاج الشيخ إبراهيم البهادرى (قدّس سرّه).

کان المرحوم رجلًا فاضلًا، جاداً، منظماً، مخلصاً، متّقیاً، ومحققاً بارعاً، حیث أقدم علی تحقق أکثر من عشرین کتاباً من کتب العلماء الکبار، وترک من بعده تراثاً قیماً، نسأل اللّه تعالی أن یغمده برحمته الواسعة إنّه قریب مجیب.

«رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِینَ سَبَقُونَا بِالْإِیمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِی قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِینَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّکَ رَءُوفٌ رَحِیمٌ»

نهایة الجزء السابع لنفحات الولایة فی شرح نهج البلاغة لأمیرالمؤمنین علیه السلام

۲۷/ شعبان المعظم/ ۱۴۲۶ ه ق، الموافق ۲۰۰۴ م

---

[۱] ( ۱).« قطنوا»، من مادة« قطون» علی وزن« فنون» بمعنی الإقامة الإستوطان.

[۲] ( ۲).« ظعنوا» من مادة« ظعن» علی وزن« رهن» فی مقابل قطون وبمعنی الرحیل والانتقال.

[۳] ( ۳). سند الخطبة:

مع الإلتفات إلی اتصال هذه الخطبة بالخطبة ۴۴، فأورد صاحب المصادر أسنادها فی ذیل الخطبة ۴۴ ویقول:« تضمّنت کتب السیر قصّة بنی ناجیة هذه، وکلام أمیرالمؤمنین علیه السلام هذا قبل أن تلد الرضی امّه، منهم أبوجعفر الطبری فی تاریخه المعروف فی حوادث سنة ۳۸ هجری، وإبراهیم بن هلال الثقفی فی کتاب« الغارات»، والبلاذری فی« أنساب الاشراف»، وکما رواه آخرون مثل ابن عساکر فی« تاریخ دمشق»، وأبوالفرج الاصفهانی فی« الأغانی» فی شرح حال مثقلة بن‌هبیرة،( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۱، ص ۴۵۱ و ۴۵۲؛ ج ۲، ص ۴۴۱).

[۴] ( ۱). تاریخ الطبری، ج ۴، ص ۷۶؛ شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید، ج ۳، ص ۱۲۸ وقد ذکرنا شرحاً مسهباً بهذا الشأن فی الخطبة ۴۴.

[۵] ( ۱).« بُعداً» مفعول مطلق لفعل محذوف جاء للتوکید وتقدیره« أبعَدَهُم اللّهُ بُعداً».

[۶] ( ۲). سورة هود، الآیة ۹۵.

[۷] ( ۱).« أشرعت» من مادة« شرع» تعنی فی‌الأصل الذهاب إلی برکة الماء، أو شقّ الطریق إلی الماء، ومتی ماإستعملت هذه المفردة فی« الرماح» تأتی بمعنی سُدّدت وصُوّبت نحوهم.

[۸] ( ۲).« هامات» جمع« هام» بمعنی الرأس.

[۹] ( ۳).« استقل» من مادة« قلّ» علی وزن« شل» بمعنی التفرقة والتشتت.

[۱۰] ( ۴). انظر: سورة العنکبوت، الآیة ۶۵.

[۱۱] ( ۵). انظر: سورة الحشر، الآیة ۱۶.

[۱۲] ( ۶). انظر: سورة البقرة، الآیتان ۱۶۶ و ۱۶۷.

[۱۳] ( ۷).« ارتکاس» من مادة« رکس» علی وزن« مکث» بمعنی الانقلاب وعودة الشیء.

[۱۴] ( ۸).« جماح» و« جموح» بمعنی الطغیان.

[۱۵] ( ۱). جعدة بن هبیرة المخزومی: ابن اخت أمیر المؤمنین علیه السلام وأمّه أم هانی بن أبی طالب، کان رجلًا شجاعاًوعالماً أدرک عصر النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله، وولاه الإمام علی علیه السلام علی خراسان( أسد الغابة، ج ۱، ص ۲۸۵).

[۱۶] ( ۲).« مدرعة»« جُبّه» من مادة« درع»، ثوب يعرف عند بعض العامّة بالدراعية، قميص ضيق الأكمام.

[۱۷] ( ۳).« ثفنة» تعنى فى الأصل ما يمسّ الأرض من رُكبتى البعير بعد البروك ويكون فيه غلظة من ملاطمة الأرض.

[۱۸] ( ۴). سند الخطبة:

هذه آخر خطبة خطبها أمير المؤمنين عليه السلام( وقتل بعدها بأسبوع). ذكرها الزمخشرى فى كتابه ربيع الأبرار، كما روى بعضها أبو شاكر الليثى فى عيون الحكم والمواعظ، وفسّر ابن الأثير بعض كلماتها وبالنظر لاختلاف كلماتهم مع ما ورد فى نهج‌البلاغة يبدو أنّها ذكرت من مصدر آخر غير نهج‌البلاغة.( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۲، ص ۴۵۱).

[۱۹] ( ۱).« مصائر» جمع« مصير» بمعنى موضع الرجوع.

[۲۰] ( ۲).« نوامى» جمع« نامية» من مادة« نمو» بمعنى الشيء الزائد.

[۲۱] ( ۱).« الطول» بمعنى الفضل والنعمة، وأصلها من طول على وزن« نور» بمعنى ما يحفظ للإنسان قوّته وبقاءه وإمكان استمراره فى الوجود، مادة« طَوْل» على وزن« قَوْل» وعليها اطلقت هنا.

[۲۲] ( ۲).« مذعن» من مادة« إذعان» بمعنى التصديق والطاعة.

[۲۳] ( ۳).« خنع» من مادة« خنوع» بمعنى الخضوع والتواضع.

[۲۴] ( ۱).« يتعاور» من مادة« تعاور» بمعنى تبادل الشيء والقيام بعمل بصورة متناوبة، والمراد منها فى العبارة عدم طرو الزيادة والنقصان على الذات القدسيّة، وأنّ هذه الذات منزّهة عن الحوادث.

[۲۵] ( ۱). اعتبر بعض شرّاح نهج البلاغة أنّ الوقت يرادف الزمان، بينما عدّه البعض الآخر بالزمن المعين وأنّ للزمان مفهوماً عاماً، والتفسير الثانى يبدو أصح. كما ورد فى القرآن الكريم فى الآية ۱۰۳ من سورة النساء بشأن الصلاة،« إنّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى المُؤمِنينَ كَتابا مَوقُوتاً».

[۲۶] ( ۲). سورة آل عمران، الآيتان ۱۹۰ و ۱۹۱.

[۲۷] ( ۳).« موطدات» من مادة« وطد» على وزن« وقت» بمعنى التثبيت والإحكام.

[۲۸] ( ۴).« عمد» جمع« عماد» بمعنى العمود.

[۲۹] ( ۵).« سند» بمعنى ما يستند عليه.

[۳۰] ( ۱).« متلكّئات» من مادة« تلكّؤ» على وزن« تكلّم» بمعنى التباطؤ.

[۳۱] ( ۲).« طواعية» بمعنى الطاعة والانقياد.

[۳۲] ( ۳).« مصعد» موضع الصعود.

[۳۳] ( ۱).« فجاج» جمع« فج» على وزن« حج» بمعنى الفاصلة بين جبلين.

[۳۴] ( ۲).« أقطار» جمع« قطر» على وزن« قفل» بمعنى الناحية.

[۳۵] ( ۱). سورة النحل، الآية ۱۶.

[۳۶] ( ۲). سورة الأنعام، الآية ۹۷.

[۳۷] ( ۳).« ادلهمام» بمعنى شدّة الظلمة.

[۳۸] ( ۴).« سجف» جمع« سجاف» حسب أرباب اللغة بمعنى الستر.

[۳۹] ( ۵).« جلابيب» جمع« جلباب» بمعنى ثوب واسع تلبسه المرأة فوق ثيابها وتغطى به رأسها وهو أقصر من العباءة.

[۴۰] ( ۶).« حنادس» جمع« حندس» على وزن« قبرص» بمعنى الليل المظلم.

[۴۱] ( ۱).« غسق» الظلمة التى تقع عادة منتصف الليل.

[۴۲] ( ۲ ).« داج» من مادة« دجوّ» على وزن« غلوّ» بمعنى الشديد الظلام.

[۴۳] ( ۳ ).« ساج» من مادة« سجوّ» على وزن« غلوّ» السكون والهدوء.

[۴۴] ( ۴ ).« متطأطئات» جمع« متطأطئ» المنخفضات.

[۴۵] ( ۵ ).« يفاع» التل وكل شيء مرتفع.

[۴۶] ( ۶ ).« سفع» جمع« سفعة» على وزن« سفرة» الحمرة المائلة للسواد.

[۴۷] ( ۷ ).« يتجلجل» من« جلجلة» صوت الرعد ثم اطلقت على كلّ صوت شديد.

[۴۸] ( ۸ ).« تلاشت» من« تلاشي» بمعنى الاضمحلال. ويرى البعض أنّ مادتها لا شيء.

[۴۹] ( ۹ ).« عواصف» جمع« عاصف» و« عاصفة» الرياح الشديدة.

[۵۰] ( ۱۰ ).« أنواء» جمع« نوء» على وزن« نوع» غروب النجم في جهة المغرب، وللعرب عقيدة في الأنواء سنعرض لها في مبحث التأملات بمعنى الطوفان.

[۵۱] ( ۱۱ ).« انهطال» نزول المطر كما تطلق على إنهمار الدموع.

[۵۲] ( ۱۲ ).« مسحب» اسم مكان من مادة« سَحْب» على وزن« سهو» الجذب نحو الشيء.

[۵۳] ( ۱۳ ).« مجرّ» اسم مكان من مادة« جرّ»؛ السحب والجر.

[۵۴] ( ۱ ). سورة الرعد، الآية ۸.

[۵۵] ( ۲ ). سورة لقمان، الآية ۳۴.

[۵۶] ( ۱ ). بحار الأنوار، ج ۵۵، ص ۳۱۵.

[۵۷] ( ۱ ).« نائل» له معنى اسم الفاعل والمصدر بمعنى العطاء أو البذل أو طالب البذل أو المعنيان هنا مناسبان.

[۵۸] ( ۱ ). جاء في الحديث القدسي:« يا عِبادى لَو أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ قامُوا فِى صَعِيدٍ واحِدٍ فَسَأَلُونى فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إنْسان مَسْأَلَتَهُ ما نَقَصَ ذلِكَ مِمّا عِنْدى شَيْئاً إلّاكَما يَنْقُصُ الْمَخيطُ إذا دَخَلَ الْبَحْرَ»( صحيح مسلم، ج ۸، ص ۱۷؛ كنز العمال، ج ۱۵، ص ۹۲۴).

[۵۹] ( ۲ ).« أين» بمعنى المكان.

[۶۰] ( ۳ ).« أزواج» جمع« زوج» لها معنى واسع يشمل كلّ قرين ومثيل.

[۶۱] ( ۴ ). لابدّ من الإلتفات إلى أنّ كلمة« يخلق» وردت بصيغة المجهول في متن نهج البلاغة لصبحي الصالح ولا يبدولها أي مفهوم صحيح، بينما ذكرها أغلبية الشرّاح مثل المرحوم ابن ميثم ومغنية وعبده والتستري والخوئي والجعفري بصيغة المعلوم والحقّ ما ذكروه، أمّا العبارة« وَلَا يَنْظُرُ بِعَيْن» وإن كانت ذات معنى بصيغة المعلوم إلّاأنّها أنسب مع العبارة اللاحقة بصيغة المجهول.

[۶۲] ( ۵ ). سورة يس، الآية ۸۲.

[۶۳] ( ۱ ).« لهوات» جمع« لهاة» بمعنى اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم، ويقال لها اللسان الصغير، ولكن يبدو معناها في الخطبة الحنجرة بقرينة المجاورة.

[۶۴] ( ۲ ). المراد من الآيات التسع ما وردت الإشارة إليها في آيات مختلفة من القرآن الكريم، وهي عبارة عن الجرادوالقمّل والضفادع والدم والرياح العاصفة والعصا واليد البيضاء والقحط الشديد الذي أصاب الفراعنة وآفات الفاكهة.

[۶۵] ( ۱ ).« متكلّف» تطلق على الشخص الشديد التعرض لما لا يعنيه.

[۶۶] ( ۲ ).« مرجحنين» من الفعل الرباعي« رجحن» على وزن« دحرج» بمعنى المائل لثقله والمتحرك يميناً وشمالًاووردت في الخطبة بمعنى الخضوع والتواضع.

[۶۷] ( ۳).« متولّهة» من مادة« وله» بمعنى الحائرة أو متخوفة من شدّة الحب.

[۶۸] ( ۱). كتاب الوافى، ج ۱، ص ۴۰۵، الباب ۴۰.

[۶۹] ( ۲). نفحات الولاية، ج ۱، ص ۱۰۵.

[۷۰] ( ۱). سورة البقرة، الآية ۲۵۵.

[۷۱] ( ۲). روى المرحوم العلّامة المجلسى فى ج ۵۵ من بحار الأنوار عدّة أقوال وروايات بشأن العرش والكرسى.

[۷۲] ( ۱).« رياش» جمع« ريش» تعنى فى‌الأصل ريش الطائر ثم اطلقت على كلّ نوع من الثياب، ولما كان ريش الطيور بألوان مختلفة وجميلة فهذه المفردة تختزن مفهوم الجمال والزينة، ويطلق الرياش على الثياب الفاخرة.

[۷۳] ( ۱).« زلفة» و« زلفى» بمعنى القرب والمنزلة.

[۷۴] ( ۲).« قسى» جمع( قوس).

[۷۵] ( ۳).« نبال» جمع« نبل» بمعنى السهم.

[۷۶] ( ۱). سورة الأعراف، الآية ۳۴.

[۷۷] ( ۲).« هزموا» من مادة« هزيمة» بمعنى الغلبة.

[۷۸] ( ۱). التوراة: الكتاب الأول للملوك والسلاطين.

[۷۹] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۱۴، ص ۱۳۶ و ۱۳۷( بتلخيص كما ورد هذا المطلب مختصراً فى القرآن الكريم فى الآية ۱۳ و ۱۴ من سورة سبأ).

[۸۰] ( ۱). راجع دائرة المعارف لفريد وجدى، قاموس دهخدا والتفاسير ذيل الآية« قَالُوا يا مُوسى إِنَّ فِيها قَوماً جَبّارِينَ» سورة المائدة، الآية ۲۲.

[۸۱] ( ۱). راجع بحار الأنوار، ج ۱۴، ص ۱۴۸ فما فوق، وتفسير الميزان، ج ۱۵؛ التفسير الأمثل، ج ۱۵ ذيل الآية ۳۸ من سورة الفرقان، والآية ۱۲ من سورة ق.

[۸۲] ( ۱).« جنّة» من مادة« جن» على وزن« فن» بمعنى تغطية الشئ وتطلق على المجنون وكأنّ ستراً غطى عقله. والجن كائن لا يرى والجنين أيضاً مستور فى الرحم كما تطلق الجنّة على البستان كونه مغطى بالأشجار وجنان على وزن« زمان» تطلق على القلب المستور فى الصدر ووردت الجنّة فى الخطبة بمعنى الدرع الذى يلبسه الإنسان فى الدفاع عن نفسه.

[۸۳] ( ۱). عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ۲، ص ۶۹، ح ۳۲۱.

[۸۴] ( ۲). بحار الأنوار، ج ۲، ص ۳۲۸، ح ۴۷.

[۸۵] ( ۱).« اغترب» من مادة« اغتراب» بمعنى الهجرة.

[۸۶] ( ۲).« عسيب» يقال للعظم فى مؤخرة ذيل الدابة أو الفرس.

[۸۷] ( ۳).« الذنب» من مادة« ذنب» على وزن« ضرب» بمعنى متابعة الشىء، وبما أنّ للذنب آثار وتبعات لا تفارق الإنسان لذلك قيل له ذنب على وزن« ضرب» وذنب على وزن« هدف» الذى ورد فى هذه الخطبة بمعنى ذيل الحيوان وذيل كلّ شىء.

[۸۸] ( ۴).« جران» يقال لمقدّم عنق البعير والعبارة( ضرب بجرانه) كناية عن الإطراق فى مكان.

[۸۹] ( ۵). بحار الأنوار، ج ۷۳، ص ۳۳۶.

[۹۰] ( ۱). سورة طه، الآية ۱۱۴.

[۹۱] ( ۱).« بثت» من مادة« بثّ»، على وزن« نص» بمعنى النشر.

[۹۲] ( ۲).« حدوتكم» من مادة« حَدْو» على وزن« محو» و« حُدى» على وزن« دعا» تعنى فى الأصل سير الدابّة بصوت‌مخصوص من

قبل الجمال ثم اطلقت على كلّ سوق وسير.

[۹۳] ( ۳).« تستوسقوا» من« وسوق» بمعنى الاجتماع والانضمام إلى بعض.

[۹۴] ( ۱).« أزمع» من مادة« زمع» على وزن« شمع» فى الأصل بمعنى التصميم على الشىء.

[۹۵] ( ۲).« ترحال» من مادة« رحلة» بمعنى السفر والحركة.

[۹۶] ( ۱).« يسيغون» من مادة« سوغ» على وزن« فوق» وسيغ، على وزن« سيل» بمعنى الهنيىء.

[۹۷] ( ۲).« رنق» بمعنى الكدر.

[۹۸] ( ۱).« أبرد» من مادة« برود» و« برودة» بمعنى البرودة وتستعمل هذه المفردة بشأن يرد مكاناً آخر النهار وكذلكبشأن الرسالة التى تنقل من مكان إلى آخر وتطلق اليوم على دائرة البريد والمراد هنا ارسلت مع البريد بعد قتلهم إلى معاوية.

[۹۹] ( ۱). روى ابن عبد البر عن عبد الرحمن بن أبزى أنّ ثلاثمائة ممن بايع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى بيعة الرضوان شهدوا صفين مع على عليه السلام فقتل منهم ثلاثة وستون، ومنهم عمار بن ياسر( الاستيعاب، ج ۲، ص ۷۰ عمار بن ياسر).

[۱۰۰] ( ۲).« اوّه» بفتح الهمزة وكسر الواو وتشديدها وكسر الهاء كلمة توجع.

[۱۰۱] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۴۱، ص ۶۹.

[۱۰۲] ( ۱). سورة النحل، الآية ۱۰۶.

[۱۰۳] ( ۲). الاستيعاب، ج ۲، ص ۶۸( سيرة عمار).

[۱۰۴] ( ۳). كامل ابن الأثير، ج ۳، ص ۳۵۳، فى حوادث سنة ۳۸ هجرى.

[۱۰۵] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۰، ص ۱۰۷ و ۱۰۸.

[۱۰۶] ( ۲). اسد الغابة، ج ۲، ص ۱۱۴( سيرة خزيمة).

[۱۰۷] ( ۳). الاستيعاب، ج ۱، ص ۲۶۸( سيرة خزيمة بن ثابت).

[۱۰۸] ( ۴). أسد الغابة، ج ۴، ص ۲۱۵؛ الاستيعاب، ج ۲، ص ۱۵۹( سيرة قيس بن سعد).

[۱۰۹] ( ۱). الاستيعاب، ج ۱، ص ۲۵۳؛ ج ۲، ص ۳۶۸.

[۱۱۰] ( ۱). سند الخطبة:

روى هذه الخطبة بعض الأفراد بعد السيد الرضى وإن لم نعثر عليها فى كتب الحديث قبله، فذكروها بما يفيد أنّهم عثروا عليها فى مصدر آخر غير نهج البلاغة، وممن روى هذه الخطبة الزمخشرى فى كتاب ربيع الأبرار فذكر بعض هذه الخطبة الذى يرتبط بأنواع نار جهنم، كما فسّر ابن الأثير كلماتها فى كتابه النهاية، وكما ذكر السيد هاشم البحرانى فى كتابه البرهان جانباً منها مع اختلاف وما ورد فى نهج البلاغة، وهذا يدلّ على أنّه استقاها من مصدر آخر( مصادر نهج البلاغة، ج ۲، ص ۴۵۹).

[۱۱۱] ( ۱). شرح نهج البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۰، ص ۱۲۶.

[۱۱۲] ( ۱).« منصبة» مصدر ميمى من مادة« نصب» على وزن« غضب» بمعنى التعب، وللمصدر هنا معنى اسم المصدر.

[۱۱۳] ( ۲).« يهجموا» من مادة« هجوم» بمعنى الدخول أو الحملة غفلة ويراد بها فى بعض الموارد القوّة.

[۱۱۴] ( ۱).« معتبر» اسم مفعول من مادة« عبرة» تعنى فى الأصل العبور من شىء، ويقال العبرة للحوادث التى يعتبر بهاالإنسان كونها تعبر الإنسان من شىء إلى آخر، وعليه فالمعتبر يطلق على كلّ أساس لعبرة واتعاظ.

[۱۱۵] ( ۲).« مصاح» جمع« مصحّة» بمعنى اسم المصدر من مادة« صحة» تعنى الصحة والعافية.

[۱۱۶] ( ۳). كثرت أقوال شرّاح نهج البلاغة التى لا تخلو من تكلّف فى تفسيرهم لهذه العبارات والمعطوف عليه فى العبارة( حلالها وحرامها ...) والأنسب أن تكون العبارة( حلالها ... وما أعد اللَّه ...) عطف على( بمعتبر) ليكون المعنى أنّ للأنبياء ثلاثة وظائف أخرى

والتى شرحناها آنفاً.

[۱۱۷] ( ۴). المعجم الوسيط، مفردة« حمد».

[۱۱۸] ( ۱). سورة المدّثر، الآية ۳۸.

[۱۱۹] ( ۲). سورة المائدة، الآية ۳.

[۱۲۰] ( ۱).« بادياً» من مادة« بدو» على وزن« جبر» بمعنى الايضاح ولها حيثية وصفية.

[۱۲۱] ( ۲). الكافى، ج ۱، باب البدع والرأى والمقاييس، ح ۱۹.

[۱۲۲] ( ۱). سورة البقرة، الآية ۲۸۵.

[۱۲۳] ( ۲). سورة الجاثية، الآية ۱۳.

[۱۲۴] ( ۳). سورة البقرة، الآية ۲۹.

[۱۲۵] ( ۴). سورة الرعد، الآية ۲۸.

[۱۲۶] ( ۵). سورة الأعراف، الآية ۲۰۱.

[۱۲۷] ( ۱).« أحمر»، إشارة إلى حمرة الوجه، أو كونه حنطاوياً، لأنّ بيض الوجوه كانت فى ذلك المحيط ألوانهم بلونالحنطاوى.

[۱۲۸] ( ۲). تفسير القرطبى، ج ۹، ص ۶۱ و ۶۲.

[۱۲۹] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۷۲، ص ۳۴۸.

[۱۳۰] ( ۲). المصدر السابق، ص ۳۵۰.

[۱۳۱] ( ۱). سورة الحجرات، الآية ۹.

[۱۳۲] ( ۱). سورة الحجرات، الآية ۱۳.

[۱۳۳] ( ۲). سورة البقرة، الآية ۱۹۷.

[۱۳۴] ( ۳). سورة مريم، الآية ۶۳.

[۱۳۵] ( ۴).« نواصى» جمع« ناصية» بمعنى شعر مقدمة الرأس وهى إشارة لقدرة اللَّه وكناية عن هيمنته على كلّ شىء.

[۱۳۶] ( ۵).« تقلب» هنا بمعنى التصرف وكل تغيير إشارة إلّاأنّ بيده كلّ حركاتكم.

[۱۳۷] ( ۶). سورة الملك، الآية ۱۳.

[۱۳۸] ( ۷). سورة الانفطار، الآيات ۱۰- ۱۲.

[۱۳۹] ( ۱). سورة الطلاق، الآية ۲.

[۱۴۰] ( ۲). تفسير مجمع البيان، ج ۱۰، ص ۳۰۶.

[۱۴۱] ( ۳). سورة الانفال، الآية ۲۹.

[۱۴۲] ( ۴).« اصطنع» من مادة« صنع».

[۱۴۳] ( ۱). سورة النساء، الآية ۶۹.

[۱۴۴] ( ۲). سورة الحديد، الآية ۲۱.

[۱۴۵] ( ۳). سورة الرعد، الآيتان ۲۳ و ۲۴.

[۱۴۶] ( ۴).« يرهق» من مادة« رهق» على وزن« شفق» فى الأصل من تغطية شىء بالقهر والغلبة وتعنى هنا الغلبة وتسلطالموت على الإنسان.

[۱۴۷] ( ۱). سورة المؤمنون، الآيتان ۹۹ و ۱۰۰.

[۱۴۸] ( ۲). سورة غافر، الآية ۳۹.

[۱۴۹] ( ۳). سورة البقرة، الآية ۱۹۷.

[۱۵۰] ( ۱).« شوكة» تطلق على حراب الجنود والأسلحة كافّة، لأنّ السلاح علامة القدرة والشدّة وتطلق الشوكة على كلّ قدرة، وتطلق على التنوء المدبّب كالإبرة فى النبات الشائك.

[۱۵۱] ( ۲).« تدميه» من مادة« إدماء» بمعنى إخراج الدم من البدن.

[۱۵۲] ( ۳).« رمضاء» بمعنى شدّة الحرارة وكذلك الأرض والحجر المحرقة بفعل أشعة الشمس.

[۱۵۳] ( ۴).« طابقين» تثنية« طابق» بكسر وفتح الباء بمعنى طبقة البناء ويطلق على ما يخبز عليه.

[۱۵۴] ( ۱).« حطم» من مادة« حطم» على وزن« حتم» بمعنى هدم وكسر الشيء ويطلق على الأشياء التى تتهشم بقوّةومن هنا كان أحد أسماء جهنم الحطمة.

[۱۵۵] ( ۲).« توثبت» من مادة« وثوب» بمعنى القفز.

[۱۵۶] ( ۳). فى ظلال نهج البلاغة، ج ۳، ص ۴۶( باقتباس).

[۱۵۷] ( ۱).« يفن» بمعنى الشيخ المسن.

[۱۵۸] ( ۱).« لهز» من مادة« لهز» على وزن« محض» المخالطة والنفوذ فى شيء.

[۱۵۹] ( ۲).« قتير» تعنى فى‌الأصل رؤوس المسامير فى حلقات الدرع ثم اطلق على كلّ أمر صعب ومرهق وبما أنّ فترة الكهولة تعدّ إحدى المشاكل الشديدة فقد اطلق القتير على الكهل وهذا هو المعنى المراد بها فى الخطبة.

[۱۶۰] ( ۳).« التحمت» من مادة« لحم» على وزن« فهم» بمعنى اندكت واستحكمت وتعنى فى العبارة المذكورة أنّ أطواق النار تلتصق بعظام الرقبة.

[۱۶۱] ( ۴).« نشبت» من مادة« نشب» على وزن« رجب» التعلق.

[۱۶۲] ( ۵).« جوامع» جمع« جامعة» الغل لأنّها تجمع اليدين إلى العنق.

[۱۶۳] ( ۶).« سواعد» جمع« ساعد».

[۱۶۴] ( ۱).« رهائن» جمع رهينة.

[۱۶۵] ( ۲).« اسهروا» من مادة« سهر» على وزن« سفر» بمعنى اليقظة فى الليل.

[۱۶۶] ( ۳).« اضمروا» من مادة« ضمور» على وزن« عبور» بمعنى الضعف وتتعدى فى باب الأفعال.

[۱۶۷] ( ۱). سورة محمد، الآية ۷.

[۱۶۸] ( ۲). سورة الحديد، الآية ۱۱.

[۱۶۹] ( ۳). سورة محمد، الآية ۴.

[۱۷۰] ( ۴). سورة الملك، الآية ۲.

[۱۷۱] ( ۱).« حسيس» من مادة« حس» تعنى الصوت الخفيف أو الضعيف.

[۱۷۲] ( ۲).« صان» من« صيانة» بمعنى المحافظة.

[۱۷۳] ( ۳).« لغوب» مصدر بمعنى شدة العياء.

[۱۷۴] ( ۴).« نصب» بمعنى التعب. وذهب البعض إلى أنّ لغوب بمعنى التعب الروحى والنصب التعب البدنى. وعلى هذا الأساس فليس فى الجنّة ومجاورة اللَّه من تعب روحى ولا بدنى.

[۱۷۵] ( ۵). سورة الحديد، الآية ۲۱.

[۱۷۶] ( ۱). سورة الأنبیاء، الآیة ۱۰۲.

[۱۷۷] ( ۲). سورة فاطر، الآیة ۳۵.

[۱۷۸] ( ۳). سورة النساء، الآیة ۶۹.

[۱۷۹] ( ۱). کنز العمال، الحدیث رقم ۴۳۴۹۰؛ بحار الأنوار، ج ۷۴، ص ۱۷۵ مع اختلاف طفیف.

[۱۸۰] ( ۱). سند الخطبة:

ذکر صاحب مصادر نهج البلاغة أنّ أبا هلال العسکری ذکر هذا الکلام فی کتابه الصناعتین قبل أن یجمع المرحوم السید الرضی نهج البلاغة( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۲، ص ۴۶۱).

[۱۸۱] ( ۱).« ضئیل» من مادة« ضئولة» علی وزن« کهولة» تعنی النحیف المهزول.

[۱۸۲] ( ۲).« نجمت» من مادة« نجم» بمعنی الظهور والبروز ویقال للکواکب نجوم کونها تظهر فی السماء.

[۱۸۳] ( ۳).« ماعز»، الشاة.

[۱۸۴] ( ۱). أعلام الزرکلی، ج ۲، ص ۴۷.

[۱۸۵] ( ۱). سند الخطبة:

ذکر هذه الخطبة جمع من الأعلام ممن عاش بعد السید الرضی کالمرحوم الطبرسی فی الاحتجاج والزمخشری فی ربیع الأبرار بالإضافة إلی آخرین ویتّضح من الاختلاف بین ما ذکروه وما ذکره السید الرضی أنّهم رووها من مصدر آخر غیر نهج البلاغة( مصادر نهج البلاغة، ج ۲، ص ۴۶۷).

[۱۸۶] ( ۱). سورة الرحمن، الآیتان ۲۶ و ۲۷.

[۱۸۷] ( ۲). سورة طور، الآیة ۳۵.

[۱۸۸] ( ۱). أشرنا فی شرحنا للخطبة ۶۵ فی الجزء الثالث من هذا الشرح إلی حدیث عمیق المعنی والذی بیّنه أمیرالمؤمنین علیه السلام فی رده علی السائل الذی سأله عن وحدانیّة اللَّه تعالی، فذکر علیه السلام للواحد أربعة معانٍ یستحیل اثنان منهما علی اللَّه بینما یصح الآخران( راجع نفحات الولایة، ج ۳، ص ۴۱).

[۱۸۹] ( ۲).« مشاعرة» تعنی الإدراک بواسطة الحواس ومادته شعور بمعنی الاحساس.

[۱۹۰] ( ۳).« مرائی» جمع مرءاة تطلق أحیاناً علی العین حیث تنعکس فیها صور الموجودات.

[۱۹۱] ( ۴).« محاضرة» بمعنی الحضور والمجالسة.

[۱۹۲] ( ۱).« أوهام» جمع« وهم» علی وزن« فهم» تعنی لغویاً ما یخطر علی القلب ولکن تشیر القرائن إلّاأنّها وردت فی هذه الخطبة وسائر الخطب بمعنی الأفکار الخیالیة.

[۱۹۳] ( ۲).« تجلی لها» تعود الضمائر الست فی هذه العبارة والعبارتین التالیتین إلی الأوهام ومفهومها فی العبارة الأولی أنّ اللَّه تعالی تجلی للعقول عن طریق الإدراکات العقلیة وللأنظمة التی یراها العقل فی عالم الخلقة وسلم عن طریق الإدراک العقلی باستحالة إدراک ذاته علی العقول. وحوکم العقل بادعائه درک کنه ذاته من قبل العقل نفسه( علیک بالدقة). أمّا ما ذکره البعض من احتمالات أخری لعودة الضمائر فلا یبدو صحیحاً.

[۱۹۴] ( ۱). الکافی، ج ۱، ص ۱۱۷، ح ۸.

[۱۹۵] ( ۲). سورة الصافات، الآیتان ۱۵۹ و ۱۶۰.

[۱۹۶] ( ۱).« فلج» بمعنی الظفر سواء فی الاستدلال أو العمل.

[۱۹۷] ( ۱).« صادع» من مادة« صدع» علی وزن« صبر» تعنی فی الأصل الشقّ ولما کان شق الأرض یدعو إلی ظهورالنباتات فإنّ

الصدع يستبطن معنى الظهور والجهر.

[۱۹۸] ( ۲).« أمراس» جمع« مرس» على وزن« مرض» يعنى الحبل.

[۱۹۹] ( ۳).« عرى» جمع« عروة» بمعنى العقدة.

[۲۰۰] ( ۴). سورة الحجر، الآية ۹۴.

[۲۰۱] ( ۱). الكافى، ج ۲، ص ۱۲۶، ح ۶.

[۲۰۲] ( ۱).« مدخولة» من مادة« دخل» على وزن« دغل» بمعنى الفساد.

[۲۰۳] ( ۱). سورة المطففين، الآية ۱۴.

[۲۰۴] ( ۲). سورة الجاثية، الآية ۲۳.

[۲۰۵] ( ۳).« سوى» من مادة« تسوية» بمعنى التنظيم والترتيب.

[۲۰۶] ( ۴).« بشر» جمع« بشرة» بمعنى ظاهر جلد البدن وتأتى بمعنى الإنسان.

[۲۰۷] ( ۱).« الورد» بمعنى العطش وهنا كناية عن القدرة.

[۲۰۸] ( ۲).« صدر» الرجوع بعد الورود وهى هنا كناية عن العجز والفقدان.

[۲۰۹] ( ۳).« ديان» بمعنى المفيد والحاكم والمدبر.

[۲۱۰] ( ۴).« صفا» بمعنى الحجر الأملس لا شقوق فيه.

[۲۱۱] ( ۵).« جامس» جامد.

[۲۱۲] ( ۱).« شراسيف» جمع« شُرسُوف» بمعنى الاضلاع التى تشرف على البطن.

[۲۱۳] ( ۱). راجع دائرة المعارف لموريس باركر وحياة الحيوان للدميرى.

[۲۱۴] ( ۱).« القلال» جمع« قلة» بمعنى قمة الجبل.

[۲۱۵] ( ۱). سورة غافر، الآية ۵۷.

[۲۱۶] ( ۲). سورة الحجر، الآية ۲۲.

[۲۱۷] ( ۱). دعاء أبو حمزة الثمالى.

[۲۱۸] ( ۲). سورة النازعات، الآيات ۳۰- ۳۳.

[۲۱۹] ( ۳). سورة الرحمن، الآيات ۱- ۴.

[۲۲۰] ( ۴). سورة الروم، الآية ۲۲.

[۲۲۱] ( ۱).« يلجأُوا» من مادة« لجوء» على وزن« غروب».

[۲۲۲] ( ۲).« اوعوا» من مادة« وعى» على وزن« سعى» تعنى فى الأصل حفظ الشىء فى القلب ومنه الوعاء.

[۲۲۳] ( ۱). سورة فصلت، الآية ۵۳

[۲۲۴] ( ۱).« الجرادة» من مادة« جرد» على وزن« فرد» بمعنى إزالة القشور ويبدو أنّ هذه المفردة اقتبست منها.

[۲۲۵] ( ۲).« قمراوين» تثنية« قمراء» من مادة« قمر» و« القمراء» مفردة وصفية تعنى المضىء.

[۲۲۶] ( ۳).« سوى» بمعنى الكائن الكامل الذى لا عيب فيه.

[۲۲۷] ( ۴).« نابين» تثنية« ناب» السن الأمامى.

[۲۲۸] ( ۵).« منجلين» تثنية« منجل» كناية هنا عن أرجل الجرادة أو أيديها القوسيّة الشكل وتمسك بهما الأوراق والسيقان.

[۲۲۹] ( ۶).« نزوات» جمع« نزوة» بمعنى الوثوب.

[۲۳۰] ( ۷).« مستدقة» من مادة« دقّة» بمعنى النحافة ومستدقة بمعنى نحيفة.

[۲۳۱] ( ۱). انظر: الزلجىّ الحديث تأليف وترجمة محمد كاظم المالكى، ج ۲، ص ۳۲۹؛ قاموس معين، كلمة الجرادة.

[۲۳۲] ( ۱).« تبارك» من مادة« برك» فى الأصل من« البرك» على وزن« الفرك» بمعنى صدر الناقة ولما كانت الجمال تلصق صدرها بالأرض حين الاستقرار فقد استعملت هذه المفردة بمعنى ثبات الشيء واستقراره ومنه البركة لبقاء الماء مدّة فيها، ويقال للشيء مبارك إن ثبت واستقر خيره، وعليه فإن استعملت هذه المفردة بشأن اللَّه عنت كثرة بركته وخلودها.

[۲۳۳] ( ۲). سورة الرعد، الآية ۱۵.

[۲۳۴] ( ۳).« يعفر» من مادة« عفر» و« عفر» على وزن« فقر» و« سفر» بمعنى التراب والتعفير بمعنى التمريغ بالتراب.

[۲۳۵] ( ۴).« خد» تعنى فى الأصل الشق ثم اطلق على ما فى الوجه ووردت هنا بمعنى جانبى الوجه.

[۲۳۶] ( ۱). سورة العنكبوت، الآية ۶۵.

[۲۳۷] ( ۱). سورة النحل، الآية ۷۹.

[۲۳۸] ( ۲).« الريش» معروف لدى الطيور وبما أنّ الريش غالباً ما يكون للزينة فقد اطلقت هذه المفردة على الثياب المزينة.

[۲۳۹] ( ۳).« أرسى» من مادة« رسو» على وزن« رسم» بمعنى الثبات وأرسى بمعنى أثبت.

[۲۴۰] ( ۴).« الندى» و« نداوة» بمعنى الرطوبة والبلل.

[۲۴۱] ( ۱). سورة يس، الآية ۸۲.

[۲۴۲] ( ۲). سورة الرعد، الآية ۱۲.

[۲۴۳] ( ۳).« اهطل» من مادة« هطل» على وزن« حتم» بمعنى تتابع المطر.

[۲۴۴] ( ۴).« ديم» جمع« ديمة» مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق.

[۲۴۵] ( ۵).« جدوب» و« جدب» على وزن« جم» بمعنى اليبس الناشيء من عدم نزول المطر.

[۲۴۶] ( ۱). سورة الأعراف، الآية ۵۷.

[۲۴۷] ( ۱). سند الخطبة:

قال صاحب مصادر نهج البلاغة أنّ السيد المرتضى( رحمه اللَّه) قال:« إنّ شرح أصول التوحيد والعدل اقتبست من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام وخطبه وكل ما قاله المتكلمون هنا هوشرح لهذه الكلمات». وأضاف:« إنّ الطبرسى ذكر هذه الخطبة مع اختلاف يفيد أنّه أخذها من مصدر آخر غير نهج البلاغة، كما روى المرحوم الكلينى قبل السيد الرضى بعض هذه الخطبة فى الجزء الأوّل من اصول الكافى».( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۲، ص ۴۷۷) ومن جانب آخر فإنّ مضامين الخطبة على درجة من الرفعة والسمو بحيث يستحيل صدورها من غير الإمام المعصوم وحجّة اللَّه وأننا لنعلم أنّ أحد أدلة صحة استناد الروايات إلى المعصومين عليهم السلام هو علو مضمونها.

[۲۴۸] ( ۱).« صمد» من مادة« صمد» تعنى أحياناً العظمة وأحياناً أخرى الصلابة والاستحكام كما تعنى الطهارة والتنزه وهذا هو المعنى المراد بها فى هذه العبارة.

[۲۴۹] ( ۱).« جول» و« جولان» بمعنى الحركة فى كل اتجاه وجولان الفكر بمعنى التفكير.

[۲۵۰] ( ۲). سورة فاطر، الآية ۱۵.

[۲۵۱] ( ۱).« ترفده» من مادة« رفد» بمعنى المعونة و المساعدة.

[۲۵۲] ( ۱).« تشعير» من« شعور» بمعنى العلم والمعرفة وتعنى هنا العلم بالشى عن طريق الحواس.

[۲۵۳] ( ۲).« بهمة» بمعنى السواد والليالى الظلماء والمعنى الأوّل هو المطلوب.

[٢٥٤] ( ٣).« صرد» بمعنى البرد وقيل إنّها مفردة فارسية.

[٢٥٥] ( ۴). سورة القصص، الآية ٧١.

[٢٥۶] ( ١). سورة القصص، الآية ٧٢.

[٢٥٧] ( ٢). سورة القصص، الآية ٧٣.

[٢٥٨] ( ٣). سورة الأنعام، الآية ١.

[٢٥٩] ( ١). سورة الشورى، الآية ١١.

[٢۶٠] ( ٢). لابدّ من الإلتفات إلى أنّ الكلمات( منذ وقد ولولا) فى العبارات الثلاث فاعل للأفعال منعت وحمد وجنبت ومفعولها قدمه وأزليّة وتكملة، وتعود الضمائر المؤنثة فى منعتها وحمتها وجنبتها إلى المخلوقات.

[٢۶١] ( ١). سورة سبأ، الآية ٣١.

[٢۶٢] ( ١).« تقل» من مادة« قل» على وزن« ذل» بمعنى الرفع ولهذا اطلقت القلة على قمة الجبل حيث تقع فى ارفع نقطة منه.

[٢۶٣] ( ٢).« تهوى» من مادة« هوى» على وزن« تهى» بمعنى السقوط من شاهق، و« هوا» على وزن« قفا» تطلق على الحب والرغبة.

[٢۶۴] ( ١).« والج» من مادة« ولوج» تعنى الدخول.

[٢۶۵] ( ٢).« لهوات» جمع« لهاة» اللحمة فى سقف أقصى الفم وقيل معلقة بالحلق ومن هنا فهى تطلق على الحلق وقدوردت فى هذه الخطبة بهذا المعنى.

[٢۶۶] ( ٣).« خروق» جمع« خرق» على وزن« برق» بمعنى الشقّ الذى يوجد فى الحائط أو فى غيره وتعنى هنا ثقب الأذن.

[٢۶٧] ( ١). سورة التوبة، الآية ١١٧.

[٢۶٨] ( ١). من الواضح أنّ الضمائر فى بينها وعليها تعود إلى المحدثات، وأنّ قراءة صفات المحدثات بصيغة الإضافة وبدون الألف واللام( كما وردت فى بعض النسخ) لأصبح المطلب أكثر وضوحاً، كما يصبح مفهوم العبارة أوضح إن استبدلت المبتدع بالمبدع كما فى بعض النسخ لأنّ المبدع يعنى الخالق والبديع فى هذه الحالة يعنى المخلوق والذى له معنى اسم المفعول.

[٢۶٩] ( ٢).« أود» بمعنى الثقل الذى يوجب الاعوجاج.

[٢٧٠] ( ٣).« التهافت» يعنى التساقط.

[٢٧١] ( ۴).« الانفراج» يعنى الانشقاق.

[٢٧٢] ( ١).« أَسداد» جمع« سدّ».

[٢٧٣] ( ٢).« خد» أخذ فى الأصل من خد الإنسان الواقع على طرفى الوجه ثم اطلق على الشقوق الواسعة والعميقة فى الأرض. وذكر فى الخطبة بمعنى الشق.

[٢٧۴] ( ٣). سورة النبأ، الآية ٧.

[٢٧٥] ( ۴). راجع شرح هذا الموضوع فى التفسير الأمثل ذيل الآية ٣ من سورة الرعد والآية ١٥ من سورة النحل.

[٢٧۶] ( ١). سورة الأحزاب، الآية ١٧.

[٢٧٧] ( ١).« مراح» من مادة« روح» مأوى الحيوانات.

[٢٧٨] ( ٢).« سائم» من« سوم» على وزن« قوم» الراعى وتعنى فى الأصل الذهاب خلف الشيء.

[٢٧٩] ( ٣).« اسناخ» جمع« سنخ» تعنى الأصول والجذور وهنا تعنى أنواع الحيوانات.

[٢٨٠] ( ۴).« متبلدة» من مادة« بلادة» بمعنى الغباء مقابل الذكاء.

[٢٨١] ( ١). سورة الحج، الآية ٧٣.

[۲۸۲] ( ۲).« خاسئة» من مادة« خسأ» على وزن« مدح» تعنى فى الأصل الذلّة وخاسىء بمعنى الذليل والعاجز.

[۲۸۳] ( ۳).« حسير» من« حسر» على وزن« حبس» تعنى فى الأصل العرى ورفع غطاء شىء ثم استعملت بمعنى الضعف والتعب.

[۲۸۴] ( ۱). سورة الأنبياء، الآية ۱۰۴.

[۲۸۵] ( ۲). انظر: هذا الموضوع فى الجزء الأوّل من نفحات الولاية بحث المعاد الجسمانى.

[۲۸۶] ( ۱). القاموس.

[۲۸۷] ( ۱).« يتكاءده» من« كاد» على وزن« وعد» بمعنى المشقّة والعبارة هنا تعنى لا يشق عليه وكؤود: كثير المشقّة.

[۲۸۸] ( ۲).« يؤده» من مادة« أود» على وزن« قول» بمعنى الثقل ولم يؤده بمعنى لم يثقل عليه.

[۲۸۹] ( ۳). سورة يس، الآية ۸۲.

[۲۹۰] ( ۴). سورة البقرة، الآية ۲۵۵.

[۲۹۱] ( ۵). سورة الاحقاف، الآية ۳۳.

[۲۹۲] ( ۱).« مكاثر» من« الكثرة» كما تطلق على من يطلب الكثرة.

[۲۹۳] ( ۲).« المثاور» من مادة« ثور» على وزن« غور» تعنى المهاجم.

[۲۹۴] ( ۱). سورة التكوير، الآيات ۱- ۶.

[۲۹۵] ( ۲). سورة ابراهيم، الآية ۴۸.

[۲۹۶] ( ۳). سورة طه، الآيات ۱۰۵- ۱۰۷.

[۲۹۷] ( ۱). لإعادة المعدوم صيغتان؛ صيغة غير معقولة وأخرى معقولة، والصيغة غير المعقولة أن يعود الموجود الذىفنى بجميع خصائصه بما فيه الزمان إلى ما كان عليه فى السابق وهذا محال حيث لا معنى لعودة الزمان ثم إنّه تناقض، أمّا الصيغة المعقولة فهى أن يعاد كلّ شىء بصورته السابقة ما عدا الزمان، ولعل عدم الإلتفات إلى هذا الفارق أدى إلى ذلك النزاع اللفظى بين العلماء بشأن إعادة المعدوم فرآها البعض محالة بينما رآها البعض الآخر ممكنة.

[۲۹۸] ( ۱).« سأم» بمعنى التعب والملل ونفى الملل فى العبارات التالية ليس تكراراً بل نفى فى العبارة الاُولى المللالناشىء من تدبير العالم من الذات القدسيّة، وفى العبارة التالية الملل الناشىء من طول بقاء العالم.

[۲۹۹] ( ۱).« التماس» من لمس بمعنى الطلب.

[۳۰۰] ( ۲).« ضعة» من مادة« وضع» بمعنى الخسة.

[۳۰۱] ( ۱). سورة الحجر، الآية ۲۱.

[۳۰۲] ( ۱). سند الخطبة:

روى هذه الخطبة أبوالحسن المدائنى من علماء القرن الثالث فى كتاب( صفين) وتبدأ الخطبة التى رواها« إذا كثر فيكم الاخلاط ...» ثم ذكر الخطبة بعد عبارات مفصلة مع اختلاف وإضافات بما يفيد أنّه أخذها من مصدر آخر لأنّه أولًا عاش لفترة مديدة قبل السيد الرضى، وثانياً ما نقله يحتوى على إضافات بالنسبة لما نقله السيد الرضى كما ذكر جانب منها الزمخشرى فى ربيع الابرار( مصادر نهج البلاغة، ج ۲، ص ۴۷۸).

[۳۰۳] ( ۱). مصادر نهج البلاغة، ج ۲، ص ۴۷۹؛ كما رواه ابن أبى الحديد فى شرح نهج‌البلاغة، ج ۶، ص ۱۳۶.

[۳۰۴] ( ۱). ذكر بعض شرّاح نهج البلاغة( الخوئى) فى تركيب العبارة المذكورة أنّ( هم) مبتدأ و( بأبى وأمى) فى محل خبر و( من) بيانيّة وهذه العبارة تشبه العبارة( بأبى أنتم وأمى) والتى استخدم فيها هنا بدل الضمير المخاطب ضمير الغائب فى آخر الجملة.

[۳۰۵] ( ۱). مصادر نهج البلاغة، ج ۲، ص ۴۷۸.

[۳۰۶] ( ۲). انظر: بحث علامات الظهور فی کتاب سفینة البحار مادة« هدی»؛ بحار الأنوار، ج ۲، ص ۱۱۹ و ۱۸۱.

[۳۰۷] ( ۳). وردت هذه الروایات فی جمیع الکتب المؤلفة بشأن المهدی علیه السلام بما فیها کتب الفریقین.

[۳۰۸] ( ۴). کشف الغمة، ج ۱، ص ۹۵؛ بحار الأنوار، ج ۲۲، ص ۲۸۴.

[۳۰۹] ( ۱). میزان الحکمة، ج ۱، ص ۴۳ مادة« اخ».

[۳۱۰] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۷۴، ص ۱۵۷.

[۳۱۱] ( ۲).« عَضَّ» من مادة« عضّ» علی وزن« خزّ» تستعمل کنایة عن الحوادث التی تزعج الإنسان.

[۳۱۲] ( ۳).« قتب» جهاز الناقة( اطار صغیر أصغر قلیلًا من سنام الناقة یوضع علیها لیجلس علیها الراکب).

[۳۱۳] ( ۴).« الغارب» موضع بین العنق والسنام.

[۳۱۴] ( ۱). مستدرک الوسائل، ج ۱۳، الباب ۱ من أبواب الربا، ح ۱۸.

[۳۱۵] ( ۲). سفینة البحار، مادة زمان.

[۳۱۶] ( ۱).« ازمة» جمع« زمام»، معروفة.

[۳۱۷] ( ۲). سورة المائدة، الآیة ۲.

[۳۱۸] ( ۱).« تصدعوا» من مادة« صدع» علی وزن« صبر» تعنی فی الأصل التشقق ثم جاءت بمعنی التفرق والاختلاف أوافشاء الشیء وأرید بها التفرق.

[۳۱۹] ( ۲).« غبّ» عاقبة الشیء کما جاء بمعنی بین یوم ویوم وأرید به هنا المعنی الأوّل.

[۳۲۰] ( ۳).« تقحموا» من مادة« اقحام» الإلقاء بالنفس دون رویة.

[۳۲۱] ( ۴).« فور» و« فوران» معروف.

[۳۲۲] ( ۵).« امیطوا» من مادة« میط» علی وزن« صیت» بمعنی الإبتعاد ومعنی الابعاد فی باب الأفعال.

[۳۲۳] ( ۶).« سنن» بمعنی الطریق و« سُنَن» علی وزن« کهن» جمع« سنّة» بمعنی الأسالیب.

[۳۲۴] ( ۷).« قصد السبیل» یعنی وسط الطریق سواء طریق الحقّ أم الباطل ولکن غالباً ما تطلق علی السبیل الوسط للحقّ قال القرآن:« وَعَلی اللَّهِ قَصدُ السَّبیل»( النحل، الآیة ۹) وأرید بها فی الخطبة المعنی الأوّل.

[۳۲۵] ( ۱).« وعی من مادة« وعی» علی وزن« سعی» بمعنی الفهم والحفظ وتحذف منها الواو حین ترد بصیغة فعل الأمر والفعل المضارع.

[۳۲۶] ( ۱). سند الخطبة:

لم یرد فی کتاب مصادر نهج البلاغة مصدر آخر لهذه الخطبة غیر نهج البلاغة سوی کتاب الإعجاز والإیجاز للثعالبی ویتّضح من کثرة الاختلافات مع ما جاء فی نهج البلاغة أنّه رواها من مصدر آخر غیر نهج البلاغة( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۱۷). طبعاً مضمون الخطبة علی درجة من الرفعة بحیث یبدو من المستبعد جدّاً صدورها من غیر الإمام المعصوم.

[۳۲۷] ( ۱).« بلاء» أحیاناً من مادة« بلو» ناقص واوی وأخری من مادة« بلی» ناقص یائی والأولی بمعنی الاختبار والامتحان، فالامتحان بوفور النعمة أحیاناً وندرتها، وأحیاناً بسلب النعم والآفات. قال اللَّه تعالی« بِالشَّرِّ وَالخَیرِ فِتْنَةً»( الأنبیاء، الآیة ۳۵) والثانیة تعنی الکبر ثم وردت بمعنی الغم والحوادث الألیمة التی تنهک الإنسان، کما وردت هذه المفردة بمعنی اختبار، لأنّها ثقیلة علی جسم الإنسان وروحه.

[۳۲۸] ( ۱).« أعورتم» من مادة« عار» بمعنی العیب وکل شیء یعدّ اظهارها عیباً یطلق علیه العورة وحین یرد فی باب الأفعال کما ورد فی العبارة فهو یعنی إظهار العیب.

[۳۲۹] ( ۲).« أخذ» وردت هذه الكلمة بمعنى العقاب.

[۳۳۰] ( ۱).« عمار» جمع« عامر» من مادة« عمارة» و« عمران» معروفة.

[۳۳۱] ( ۱).« صرعت» من مادة« صرع» على وزن« فرع» بمعنى التمريغ بالتراب.

[۳۳۲] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۷۹، ص ۱۶۷.

[۳۳۳] ( ۲). المحجة البيضاء، ج ۸ ص ۲۴۰.

[۳۳۴] ( ۳). الكافى، ج ۳، ص ۲۳۱، ح ۱.

[۳۳۵] ( ۱). سورة آل عمران، الآية ۱۳۳.

[۳۳۶] ( ۱). سورة يونس، الآية ۴۵

[۳۳۷] ( ۲). سورة البقرة، الآية ۲۲۱.

[۳۳۸] ( ۳). سورة ابراهيم، الآية ۷.

[۳۳۹] ( ۴). نهج البلاغة، الكلمة ۳۳۰.

[۳۴۰] ( ۵).« عمر» على وزن« دهل» وعمر على وزن« ظهر» كلاهما بمعنى واحد أى مدّة الحياة، وقال البعض يطلق العمر على الأربعين سنة الأُولى والعمر بضمتين على جميع العمر أو الشق الثانى منه.

[۳۴۱] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۳، ص ۱۰۰.

[۳۴۲] ( ۱). سند الخطبة:

روى هذه الخطبة عدد من الأعلام ممّن عاش قبل وبعد السيد الرضى. كما روى بعضها كلّ من المرحوم محمد بن حسن الصفار المتوفى عام ۲۹۰ فى بصائر الدرجات والمرحوم الصدوق المتوفى عام ۳۸۱ فى عيون الأخبار والخصال. ورواها الآمدى فى غرر الحكم والثعالبى فى الإيجاز والإعجاز باختلاف( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۱۹).

[۳۴۳] ( ۱). سورة الأنعام، الآية ۹۸.

[۳۴۴] ( ۲). ميزان الحكمة، ج ۱، ص ۲۶۵، ح ۱۳۵۰.

[۳۴۵] ( ۳). تفسير نور الثقلين، ج ۱، ص ۷۵۱، ح ۲۰۷.

[۳۴۶] ( ۱). ميزان الحكمة، ج ۱، ص ۱۳۵۹.

[۳۴۷] ( ۲). الكافى، ج ۲، ص ۴۲۰.

[۳۴۸] ( ۳). بحار الأنوار، ج ۷۴، ص ۲۷۲.

[۳۴۹] ( ۱).« مستسرّ» من مادة« سرّ» بمعنى الشخص الذى يكتم شيئاً.

[۳۵۰] ( ۲). طبقاً لما ورد فى العبارة فإنّ( ما) فى العبارة( ما كان للَّه ...) نافية، إلّاأنّ بعض شرّاح نهج البلاغة اعتبروها زمانيّة بمعنى( ما دام) وقالوا إنّ مفهوم العبارة هو أنّ الهجرة باقية ما دام اللَّه بحاجة إلى إيمان الناس والحاجة هنا بمعنى الطلب والمراد منها أوامر اللَّه ونواهيه للناس، ولكن يبدو المعنى الأوّل أنسب.

[۳۵۱] ( ۳). لابدّ من الإلتفات إلى أنّ( إلّا) محذوفة فى بعض نسخ صبحى الصالح لكنّها موجودة فى النسخ المصححة وليس للعبارة من معنى صحيح بدون( إلّا).

[۳۵۲] ( ۱). سورة النساء، الآية ۷۵.

[۳۵۳] ( ۲). الكافى، ج ۲، ص ۴۰۴، باب المستضعف، ح ۱.

[۳۵۴] ( ۳).« مستعصب» من مادة« صعب» بمعنى المشكل وصعوبة فهم الشىء ومجيىء المفردتين صعب ومستصعب‌مع بعضهما،

للتأكيد.

[۳۵۵] ( ۱).« يعى» من مادّة« وعى» على وزن« سعى» بمعنى الفهم والحفظ.

[۳۵۶] ( ۲).« رزينة» من« رزانة» بمعنى الوقار ورزين بمعنى الشخص الوقور.

[۳۵۷] ( ۳).« تشغر» من« شغور» على وزن« شعور» لها عدّة معان ومنها الهجوم الذى يناسب العبارة المذكورة ومن معانيها الرفع ورفع الرجل بمعنى شروع الحركة أى قبل حركة الفتنة.

[۳۵۸] ( ۴).« خطام» بمعنى« زمام» والعبارة« تطأ فى خطامها» كناية عن كون الفتنة كالدابة فى ارسالها وطيشها ولا قائد لها.

[۳۵۹] ( ۱).« أحلام» جمع« حلم» على وزن« نهم» بمعنى العقل كما وردت بمعنى النوم والرؤيا والمعنى الأوّل هو المراد.

[۳۶۰] ( ۲). الاستيعاب، ج ۲، ص ۵۰.

[۳۶۱] ( ۳). المصدر السابق، ص ۵۲.

[۳۶۲] ( ۴). المصدر السابق، ص ۵۰.

[۳۶۳] ( ۵). احقاق الحق، ج ۷، ص ۲۶۱ وجاءت هذه الرواية مع اختلاف طفيف فى بحار الأنوار( من كتاب فضائل شاذان بن جبرئيل) ج ۳۹، ص ۱۰۸، ح ۱۳.

[۳۶۴] ( ۱). سورة الانفال، الآية ۷۲.

[۳۶۵] ( ۲). كنز العمال، ح ۴۶۲۵۱.

[۳۶۶] ( ۱). كنزالعمال، ح ۶۴۲۶۰.

[۳۶۷] ( ۲). ميزان الحكمة، ج ۱۱، ح ۲۱۰۶۵.

[۳۶۸] ( ۳). سفينة البحار، مادة هجرة.

[۳۶۹] ( ۱). سند الخطبة:

قال ابن أبى الحديد: وأعلم أنّ هذه الخطبة من أعيان خطبه ومن ناصح كلامه ونادره، وفيها من صناعة البديع الرائعة المستحسنة البريئة من التكلّف ما لا يخفى. وقد أخذها ابن نباتة فأودعها خطبه وشذر بها كلامه. وقال صاحب مصادر نهج البلاغة بعد نقله لهذا الكلام: فلو لم يكن ابن أبى الحديد اطلع عليها فى غير نهج البلاغة لم يقل إنّها من أعيان خطبه مع ملاحظة أنّ ابن نباتة توفى سنة ۳۷۴ هجرى أى قبل صدور نهج البلاغة. وروى الآمدى من هذه الخطبة فى غرر الحكم.( مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۲۳).

[۳۷۰] ( ۱).« مجد» بمعنى الشرف والجلال والوقار والعظمة، وهذه الصفة تختص بصورة تامة باللَّه تعالى.

[۳۷۱] ( ۲).« يثنيه» من مادة« ثنو» على وزن« سعى» تعنى فى الأصل طى الخبر وحين تقترن بالعطف على وزن« كتف» بمعنى طى الضلع وهى كناية عن الانصراف عن الشىء وعدم الاهتمام به.

[۳۷۲] ( ۱). سيره ابن هشام، ج ۱، ص ۳۱۷.

[۳۷۳] ( ۱). سورة ص، الآية ۵.

[۳۷۴] ( ۲). انظر: بحار الأنوار، ج ۹، ص ۱۴۳؛ تاريخ الطبرى، ج ۲، ص ۶۷.

[۳۷۵] ( ۱).« معقل» بمعنى الملجأ والجبل المرتفع من العقل بمعنى المنع.

[۳۷۶] ( ۲).« منيع» من« منع» بمعنى الأصم الصعب المنال والبرج العالى.

[۳۷۷] ( ۳).« ذروته» تطلق على قمة الجبال والجانب المرتفع من كلّ شىء.

[۳۷۸] ( ۱).« غمرات» جمع« غمرة» على وزن« ضربة» بمعنى إزالة آثار الشىء، ثم اطلقت هذه المفردة على ما يغطى تماموجه الأرض، ووردت فى هذه الخطبة بمعنى غمرات الموت وشدائده التى تستولى على تمام وجود الإنسان.

[۳۷۹] ( ۲).« أرماس» جمع« رمس» بمعنى القبر والتراب وهذا هو المعنى المراد بها أى القبر.

[۳۸۰] ( ۳).« إبلاس» تعنى فى الأصل الحزن الذى يصيب الإنسان فى أوقات الشدّة.

[۳۸۱] ( ۴).« مطلع» تعنى فى الأصل الموضع المرتفع ثم اطلق على مواقف يوم القيامة أو عالم البرزخ الذى يطلع فيه الإنسان على نتيجة أعماله.

[۳۸۲] ( ۵).« روعات» جمع« روع» بمعنى الخوف.

[۳۸۳] ( ۶).« اضلاع» جمع« ضلع» المواضع جوانب الصدر.

[۳۸۴] ( ۷).« استكاك» من مادة« سك» بمعنى سدّ الشىء واستكاك الاسماع صممها على أعتاب الموت.

[۳۸۵] ( ۸).« ضريح» القبر أو اللحد فى وسط القبر.

[۳۸۶] ( ۹).« ردم» غلق الشىء كما تطلق على السد الكبير وملء الحفرة بالتراب.

[۳۸۷] ( ۱۰).« الصفيح» الحجر العريض.

[۳۸۸] ( ۱). وسائل الشيعة، ج ۲، ص ۸۳۸ وكتاب الطهارة، أبواب الدفن، باب ۱۶، ح ۶.

[۳۸۹] ( ۱).« سنن» بمعنى الطريق والأسلوب وتطلق على الجادة أيضاً.

[۳۹۰] ( ۲).« قرن» ما يقرن به البعيران.

[۳۹۱] ( ۳).« اشراط» جمع« شرط» على وزن« شرف» بمعنى العلامات.

[۳۹۲] ( ۴).« ازفت» من مادة« ازف» على وزن« شرف» بمعنى قربت.

[۳۹۳] ( ۵).« افراط» جمع« فرط» على وزن« شرط» جبل صغير وعلامة والمراد بها هنا المعنى الثالث.

[۳۹۴] ( ۶).« أناخت» من« أناخ» بمعنى نوم الدابّة.

[۳۹۵] ( ۷).« كلاكل» جمع« كلكل» بمعنى الصدر.

[۳۹۶] ( ۸).« حضن» بمعنى الصدر.

[۳۹۷] ( ۹).« رث» بمعنى قديم.

[۳۹۸] ( ۱۰).« غث» بمعنى المهزول ويقابل السمين.

[۳۹۹] ( ۱).« ضنك» بمعنى الشدّة والضيق.

[۴۰۰] ( ۲).« كلب» بمعنى عضّة الكلب ثم استعملت فى كلّ انزعاج وشدّة.

[۴۰۱] ( ۳).« لجب» بمعنى اضطراب الأمواج.

[۴۰۲] ( ۴).« متأجج» من مادة« أجيج» بمعنى إشعال النار المقرون بالصوت.

[۴۰۳] ( ۵).« ذاك» من مادة« ذكاء» على وزن« دواء» بمعنى إشتد لهيبها وحرارتها.

[۴۰۴] ( ۶).« عم» صفة مشبهة تعنى العمى من مادة« عمى» على وزن« جفا».

[۴۰۵] ( ۱).« زمر» جمع« زمرة» على وزن« عمرة» طائفة صغيرة.

[۴۰۶] ( ۲).« زحزحوا» من مادة« زحزح» على وزن« قهقهة» بمعنى الإبعاد.

[۴۰۷] ( ۱). سورة الفتح، الآية ۲۶.

[۴۰۸] ( ۱).« مبطل» من مادة« بطلان» بمعنى إبطال الحقّ.

[۴۰۹] ( ۲). سورة النور، الآية ۵۲.

[۴۱۰] ( ۱).« مدينون» من مادة« دين» بمعنى الجزاء ويقال المدينون لمن جُوزوا على عمل قاموا به.

[۴۱۱] ( ۲). سورة المدّثر، الآية ۳۸.

[۴۱۲] ( ۳). وسائل الشيعة، ج ۷، ص ۲۲۷، ح ۲۰، الباب ۱۸ من أبواب حكم شهر رمضان.

[۴۱۳] ( ۴).« تقالون» من مادة« إقالة» بمعنى الإعادة وتعنى هنا قبول العذر.

[۴۱۴] ( ۱).« الزموا» من« لزوم» بمعنى الملازمة والعبارة إلزموا الأرض الأمر بالتوقف والسكون.

[۴۱۵] ( ۱).« اصلات» بمعنى سل السيف.

[۴۱۶] ( ۱). سند الخطبة:

ذكر ابن أبى الحديد اختلاف الرواية فى بعض كلماتها، ممّا يدل على أنّه رآها فى غير نهج البلاغة( مصادر نهجالبلاغة، ج ۳، ص ۲۸).

[۴۱۷] ( ۱).« الفاشى» من مادة« فشو» على وزن« كشف» بمعنى الانتشار والاتساع.

[۴۱۸] ( ۱). سورة الفتح، الآية ۷.

[۴۱۹] ( ۲). سورة الجن، الآية ۳.

[۴۲۰] ( ۳). فالتعبير عن الجد بهذا الأسم لعظم مقامه.

[۴۲۱] ( ۴).« تؤام» على وزن« غلام» جمع« توأم» على وزن« جوشن» تعنى فى الأصل المولود مع غيره فى بطن واحدة ويقال لهما التوأمان، ثم اطلق على كلّ شىء يقترن بآخر ويشير فى العبارة المذكورة إلى أنّ نعم اللّه سبحانه وتعالى ليست مفردة بل مقرونة عادة بالعديد من النعم.

[۴۲۲] ( ۱).« الاحتذاء» يعنى التنسيق من مادة« حذو» على وزن« جذب» بمعنى التنسيق والانسجام.

[۴۲۳] ( ۱).« غمرة» الماء الكثير الذى يغطى كلّ شىء ثم اطلق على كلّ شدّة.

[۴۲۴] ( ۲).« حين» بفتح الحاء تعنى الموت والهلكة واستعمل بمعنى الغم والهم الشديد الذى يؤدّى بالإنسان إلى الموت وحين بكسر الحاء بمعنى الزمان وقد وردت فى هذه الخطبة بالمعنى الأوّل.

[۴۲۵] ( ۳).« رين» بفتح الراء تعنى الصدأ الذى يصيب المعادن والذى يفيد الفساد والتلف أو ضياع شفافية المعدن ولمعانه.

[۴۲۶] ( ۱). سورة هود، الآية ۸۸، ورد هذا الكلام فى القرآن على لسان النبى شعيب عليه السلام تجاه قومه الطاغين.

[۴۲۷] ( ۲). بحار الأنوار، ج ۹۹، ص ۵۵.

[۴۲۸] ( ۱). سورة البقرة، الآية ۱۹۷.

[۴۲۹] ( ۲). سورة مريم، الآية ۶۳.

[۴۳۰] ( ۳).« تبرح» من مادة« برح» بمعنى الإبتعاد لكنها تعطى معنى الإيجاب حين تقترن بكلمة النفى.

[۴۳۱] ( ۱).« الغابرين» جمع« غابر» من غبور على وزن« عبور» تعنى بقاء الشىء وعليه فغابرين تعنى الباقين.

[۴۳۲] ( ۲).« اسدى» من مادة« سدى» على وزن« عبا» بمعنى الإحسان والعطاء.

[۴۳۳] ( ۳). سورة النساء، الآية ۱۳۱.

[۴۳۴] ( ۴). سورة سبأ، الآية ۱۳.

[۴۳۵] ( ۵). بحار الأنوار، ج ۶۸، ص ۷۲.

[۴۳۶] ( ۱). بحارالأنوار، ج ۶۸، ص ۷۲؛ نهج البلاغة، خطبة ۱۷۶.

[۴۳۷] ( ۲).« اهطعوا» من مادة« هطوع» على وزن« طلوع» بمعنى الاندفاع سريعاً نحو الشىء.

[۴۳۸] ( ۳).« ألظوا» من مادة« لظّ» على وزن« خط» بمعنى الإلحاح على الشىء.

[۴۳۹] ( ۱). سورة النحل، الآية ۱۲۸.

[۴۴۰] ( ۲). سورة آل عمران، الآية ۱۲۰.

[۴۴۱] ( ۳).« ارحضوا» من« رحض» على وزن« محض» بمعنى الغسل.

[۴۴۲] ( ۴).« الحمام» بكسر الحاء الموت.

[۴۴۳] ( ۱).« تصونوا» من مادة« صون» على وزن« قوم» بمعنى الحفظ وتصون بالتشديد بمعنى حفظ النفس.

[۴۴۴] ( ۲). سورة الحديد، الآية ۲۱.

[۴۴۵] ( ۳). سورة الأعراف، الآية ۲۶.

[۴۴۶] ( ۴). سورة يوسف، الآية ۱۱۱.

[۴۴۷] ( ۵).« نزاه» جمع« نازه» بمعنى عفيف النفس.

[۴۴۸] ( ۶).« ولاه» جمع« واله» بمعنى المشتاق.

[۴۴۹] ( ۷).« لا تشيموا» من مادة« شيم» على وزن« غيب» نظر إليه أين يمطر.

[۴۵۰] ( ۸).« بارق» السحاب الذى يقدح منه البرق و جاء أيضاً بمعنى السيف البراق.

[۴۵۱] ( ۹).« ناعق» من مادة« نعق» على وزن« برق» بمعنى مناداة الحيوانات ثم اطلقت على المناداة بصورة عامة.

[۴۵۲] ( ۱).« اعلاق» جمع« علقة» على وزن« فتنة» بمعنى الشيء النفيس( وإن كانت له حيثية ظاهرية) وتوجب تعلق النفس بها.

[۴۵۳] ( ۲).« خالب» من« خلابة» بمعنى الخادع.

[۴۵۴] ( ۳).« محروبة» بمعنى منهوبة.

[۴۵۵] ( ۴).« المتصدية» بمعنى المرأة تتعرض إلى الرجال وتميلهم إليها من مادة تصدى بمعنى التعرض.

[۴۵۶] ( ۵).« عنون» من مادة« عن» على وزن« ظن» بمعنى الظهور.

[۴۵۷] ( ۶).« جامحة» من« جموح» على وزن« فتوح» الصعبة على راكبها.

[۴۵۸] ( ۱).« حرون» بمعنى« الجامحة» أيضاً مع هذا الفارق أن الجموح، حيوان يركض هنا وهناك مضطرباً، وعنون، حيوان معاند متمرد يقف ولا يتحرك.

[۴۵۹] ( ۲).« مائنة» أى كاذبة من مادة« مين» على وزن« عين» بمعنى الكذب.

[۴۶۰] ( ۳).« خؤون» المبالغة فى الخيانة.

[۴۶۱] ( ۴).« الكنود» الجحود والبخل وتعنى فى الأصل الأرض التى لا يظهر عليها شيء.

[۴۶۲] ( ۵).« صدود» أى المعترض والمانع من مادة« صد» وتستعمل بمعنيين الاعراض والمنع.

[۴۶۳] ( ۶).« حيود» من مادة« حيد» على وزن« صيد» تعنى الميل عن الطريق.

[۴۶۴] ( ۷).« ميود» بمعنى المنحرف والمضطرب من مادة« ميدان» على وزن« ضربان» بمعنى الانحراف والاضطراب.

[۴۶۵] ( ۱).« علو وسفل» بمعنى الأعلى والأسفل والتى تلفظ أحياناً بضم الحرف الأوّل وكسره.

[۴۶۶] ( ۲).« ساق» بمعنى« ساق» الرجل. والعبارة« على ساق» تطلق على من يقف على رجل ويستعد للقيام بعمل. وسياق من مادة سوق بمعنى التقدم والاندفاع وعليه فالعبارة على ساق وسياق أنّ أهل الدنيا يتأهبون للحركة للعالم الآخر.

[۴۶۷] ( ۳).« لحاق وفراق» نقطتان متقابلتان بمعنى الإلتحاق والانفصال.

[۴۶۸] ( ۱). بحارالأنوار، ج ۴۱، ص ۷۳، كما ورد هذا الحديث عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى سنن‌البيهقى، ج ۶، ص ۳۰۷ و ۳۰۹.

[۴۶۹] ( ۲).« مهارب» جمع« مهرب» على وزن« مطلب» بمعنى مكان الهروب.

[۴۷۰] ( ۳).« معاقل» جمع« معقل» على وزن« مجلس» بمعنى القلعة الحصينة والملجأ.

[۴۷۱] ( ۴).« لفظت» من مادة« لفظ» على وزن« حلف» بمعنى رمت ويقال لهذه الألفاظ كأنّها ترمى من الفم.

[۴۷۲] ( ۵).« محاول» جمع« محالة» على وزن« حوالة» تعنى الحذق وحسن التدبير والتصرف.

[۴۷۳] ( ۱).« معقور» من مادة« عقر» على وزن« فقر» يعنى مجروح وقتل أو قطع يد الناقة ورجلها.

[۴۷۴] ( ۲).« مجزور» من مادة« جزر» بمعنى المسلوخ.

[۴۷۵] ( ۳).« شلو» بعض لحم الحيوان المذبوح.

[۴۷۶] ( ۴).« مسفوح» يعنى« مسفوك» من مادة« سفح» على وزن« صبر» بمعنى السفك وتستعمل عادة فى سفك الدماء.

[۴۷۷] ( ۵).« عاض» من مادة« عض» على وزن« سد» ويطلق هذا اللفظ عادة على أولئك الذين يعضون أيديهم بأسنانهم من شدّة الندم.

[۴۷۸] ( ۶).« صافق» من مادة« صفق» على وزن« دفع» تعنى ضرب اليدين ببعضها مع الصوت وتشير هنا إلى الأشخاص الذين يضربون أيديهم ببعضها من شدّة الحسرة.

[۴۷۹] ( ۷).« مرتفق» بمعنى الشخص الذى يستند على يديه ووردت فى العبارة كناية عن الشخص الحائر الذى وضع رأسه على يديه وغرق فى التفكير، وارتفاق يعنى الاستناد.

[۴۸۰] ( ۸).« خديه» مثنى« خد» لدى الإنسان وهو معروف.

[۴۸۱] ( ۹).« زار» بمعنى اللوم والتوبيخ من مادة« زرى» ولذلك وردت بمعنى الاستصغار والاستحقار.

[۴۸۲] ( ۱).« الغيلة» بمعنى الشر والقرار الخطير الخفى وتطلق هذه المفردة على الاغتيال.

[۴۸۳] ( ۲).« لات» أداة نفى كانت فى الأصل لا نافية أضيفت إليها التاء للتأكيد بينما قيل إنّها زائدة وللمبالغة.

[۴۸۴] ( ۳).« مناص» بمعنى من مادة« نوص» الفرار.

[۴۸۵] ( ۴).« بال» بمعنى القلب والخاطر.

[۴۸۶] ( ۵). سورة ص، الآية ۳.

[۴۸۷] ( ۶). سورة الدخان، الآية ۲۹.

[۴۸۸] ( ۱). سند الخطبة:

قال صاحب مصادر نهج البلاغة بعد أن ذكر أنّ هذه أطول خطب أمير المؤمنين عليه السلام على ما ذكره الشارحون وهى فى عدة فصول فى المواعظ والزواجر وأنّ طائفة ممن عاشوا قبل السيد الرضى ذكروها فى كتبهم وكانت نسخة خطية عند السيد ابن طاووس ذكرها فى كتابه( اليقين) وقال رأيت هذه النسخة مع أخبار فى فضائل أهل البيت عليهم السلام وردت عن الأعلام السابقين ويعود تاريخها إلى سنة ۲۸۰ هجرى، كما روى المرحوم الكلينى فصلًا من هذه الخطبة فى الجزء الرابع من كتابه الكافى كما روى المرحوم الصدوق بعضها فى كتابه( من لايحضره الفقيه) ورواها بعد السيد الرضى؛ الزمخشرى فى( ربيع الأبرار) وروى الماوردى فى( أعلام النبوّة) المعجزة التى رواها أميرالمؤمنين عليه السلام عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى حركة الشجرة( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۵۶).

[۴۸۹] ( ۱).« حمى» بمعنى المنطقة الممنوعة من مادة« حماية» بمعنى الممانعة والدفاع عن الشىء ومن هنا تطلق‌الحميّة على وزن« جزية على» المريض الذى يجتنب ما يضرّ به.

[۴۹۰] ( ۱). نهج البلاغة، الكلمة ۹۳.

[۴۹۱] ( ۲).« ادرع» من« درع» على وزن« فكر» بمعنى الثوب ويستعمل أحياناً بمعنى لبس الثوب.

[۴۹۲] ( ۳).« تعزز» بمعنى افتخر ورأى نفسه عزيزاً.

[۴۹۳] ( ۴). سورة ص، الآية ۷۶.

[۴۹۴] ( ۵). سورة ص، الآية ۷۶.

[۴۹۵] ( ۱). الكافى، ج ۲، ص ۳۰۹، ح ۱، باب الكبر.

[۴۹۶] ( ۲). المصدر السابق، ص ۳۱۰.

[۴۹۷] ( ۳).« مدحور» بمعنى مطرود من مادة« دحر» على وزن« دهر».

[۴۹۸] ( ۴). سورة الحجرات، الآيتان ۳۴ و ۳۵.

[۴۹۹] ( ۱). سورة ص، الآيتان ۸۴ و ۸۵.

[۵۰۰] ( ۲).« يخطف» من« خطف» على وزن« عطف» بمعنى الأخذ بسرعة.

[۵۰۱] ( ۱).« يبهر» من مادة« بهر» على وزن« بحر» بمعنى الحيرة والبهت.

[۵۰۲] ( ۲).« رواء» بمعنى حسن المنظر.

[۵۰۳] ( ۳).« عرف» بمعنى الرائحة الطيّبة.

[۵۰۴] ( ۴).« خُيَلاء» بمعنى التكبّر.

[۵۰۵] ( ۱).« جهد» على وزن« مهد وجهد» على وزن« كفر» كلاهما يعنى السعى الجاد وجهيد على وزن« فعيل» من هذهالمادة يذكر للتأكيد وعليه فجهد وجهيد تعنى منتهى السعى.

[۵۰۶] ( ۲).« سنى» هى سنين فى الأصل وحذفت النون للإضافة.

[۵۰۷] ( ۳). سورة الحج، الآية ۴۷ وقريب من هذا المعنى سورة السجدة، الآية ۵.

[۵۰۸] ( ۴).« هوادة» بمعنى اللين والرخصة.

[۵۰۹] ( ۵).« حمى» بمعنى المنطقة المحظورة من حمى على وزن« نفى» بمعنى المنع والاعراض.

[۵۱۰] ( ۱). للوقوف على المزيد بهذا الشأن انظر: التفسير الأمثل ذيل الآية ۲۱۷ من سورة البقرة.

[۵۱۱] ( ۱). سورة الكهف، الآية ۵۰.

[۵۱۲] ( ۲). سورة الأنبياء، الآيتان ۲۶ و ۲۷.

[۵۱۳] ( ۱). الكافى، ج ۸، ص ۲۷۱.

[۵۱۴] ( ۲). سورة المائدة، الآية ۱۸.

[۵۱۵] ( ۱).« يعدى» من« عدو» على وزن« صبر» تعنى فى الأصل التجاوز والعدوان والعداوة معروفة و« عدوى» بمعنىالركض وكذلك بمعنى انتقال المرض من شخص لآخر وهذا هو المراد فى العبارة أى أنّ الشيطان ينقل إليكم مرضه فى التعصب والغرور.

[۵۱۶] ( ۱).« يستفز» من« استفزاز» بمعنى الاستنهاض والإثارة.

[۵۱۷] ( ۲).« يجلب» من« جلب» بمعنى الصراخ بشخص أو نقله من موضع إلى آخر.

[۵۱۸] ( ۳).« رِجل» جمع« راجل» بمعنى المشاة.

[۵۱۹] ( ۴). سورة الاسراء، الآية ۶۲.

[۵۲۰] ( ۵).« فوق» من« فوق» موضع الوتر من السهم، إشارة إلى أنّ الشيطان استعد لاطلاق سهمه عليكم والمفردةتشير إلى هذا المعنى.

[۵۲۱] ( ۶).« اغرق» من مادة« اغراق» و« غرق» علی وزن« ورق» استوفی مد قوسه ویطلق أیضاً علی کلّ عمل بمنتهی السعی.

[۵۲۲] ( ۷).« نزع» بمعنی استئصال الشیء أو جره مثل مد القوس.

[۵۲۳] ( ۱). سورة سبأ، الآیة ۲۰.

[۵۲۴] ( ۲). سورة سبأ، الآیة ۱۳.

[۵۲۵] ( ۳). سورة ص، الآیة ۲۴.

[۵۲۶] ( ۴).« جامحة» بمعنی الحیوان الجامح. من« جموح» علی وزن« فتوح».

[۵۲۷] ( ۵).« الطماعیة»،« طماعیة» و« طمع» بمعنی واحد.

[۵۲۸] ( ۶).« نجمت» من« نجوم» بمعنی ظهرت کما یطلق علی النبات بدون ساق لأنّه یظهر من الأرض و یطلق علی النجوم لأنّها تظهر فی السماء.

[۵۲۹] ( ۷).« استفحل» من مادة« استفحال» ومن« فَحْل» علی وزن« نخل» بمعنی العظیم البارز و« استفحال» الثقیل والمتعب.

[۵۳۰] ( ۱).« دلف» من« دلوف» بمعنی المشی ببط ورفع الخطوات القصیرة وتشیر هنا إلی التقدم التدریجی للشیطان.

[۵۳۱] ( ۲).« اقحموکم» من مادة« قحوم» بمعنی العمل دون تروی و« اقحام» یعنی حمل شخص بالقوّة علی عمل معین.

[۵۳۲] ( ۳).« ولجات» بمعنی الملاجیء والکهوف جمع« ولجة» علی وزن« درجة» ما یلجا إلیه المارة عند المشاکل.

[۵۳۳] ( ۴).« وَرَطات» بمعنی المشاکل والمهالک جمع« وَرْطه» علی وزن« غفله».

[۵۳۴] ( ۵).« اوطأوکم» من مادة« وَطْئ» بمعنی الوطئ بالارجل.

[۵۳۵] ( ۶).« اثخان» من« ثخونة» تعنی فی الأصل الضخامة والغلظة و« اثخان» المبالغة فی قتل العدو.

[۵۳۶] ( ۷).« حزّ» بمعنی القطع.

[۵۳۷] ( ۸).« مناخر» جمع« منخر» الانف أو خرم الانف.

[۵۳۸] ( ۹).« خزائم» جمع« خزامة» علی وزن« کتابة» حلقة توضع فی أنف البعیر فیشد فیها الزمام ویسحب عند الجماح.

[۵۳۹] ( ۱۰).« حرج»، علی وزن« خرج» و« حَرَج» علی وزن« حرم» بمعنی الانزعاج والمحدودیة الشدیدة وتعنی فی الأصل اجتماع الأشجار والتفافها.

[۵۴۰] ( ۱).« اورْی» من مادة« وَرْی» علی وزن« نفی» تعنی فی الأصل الاخفاء ویطلق الوری علی النار الکامنة فی الوسائل الناریة وتقتدح عن طریق الجدحة وتعنی فی هذه العبارة اشعال النار.

[۵۴۱] ( ۲).« قَدْح» اخراج النار من الآلة( شیء أشبه بالکبریت).

[۵۴۲] ( ۳).« مناصبین» جمع« مناصب» بمعنی المجاهر بالعداوة من مادة نصب بمعنی العداوة.

[۵۴۳] ( ۴).« متألبین» طائفة تجتمع علی القیام بعمل من ماده« ألب» علی وزن« سلب» بمعنی الاجتماع.

[۵۴۴] ( ۵).« حدّ» و« حدّت» بمعنی الشدّة والغضب، وفی الأصل بمعنی الحدّة.

[۵۴۵] ( ۶).« جدّ» یعنی القطع. ولما کان کلّ موجود عظیم یمتاز عن الآخرین فقد اطلق علی الجد وورد فی الآیة الشریفة« وأنّه تعالی جَدُّ رَبِّنا» إشارة إلی عظمة اللَّه والمعنی المراد بها قطع العلاقة.

[۵۴۶] ( ۱).« لعمر اللَّه»« عَمْر»، بفتح« العین» بمعنی العمر، بضم« العین» یستعمل فی القسم وعلیه فالعبارة لعمری تعنی أقسم بنفسی و« لعمر اللَّه»؛ تعنی ببقاء ذات اللَّه تعالی.

[۵۴۷] ( ۲).« حسب» تذکر هذه العبارة عادة مقرونة بالنسب لکنهما مختلفان فی المعنی. فالحسب فی الأصل قدر الشیء ومنزلته وشرفه وبما أنّ الأصل والنسب یؤثر علی منزلة الإنسان وقدره فإنّ هذه المفردة تشمل أیضاً النسب الرفیع والعزیز فیقال الحسب لمقدار

كلّ شیء، والواقع أنّ هذه المفردة أخذت من مادة حساب لأنّ الأفراد يحسبون مفاخرهم ومفاخر آبائهم عند ذكر الحسب.

[۵۴۸] ( ۳).« يقتنصون» من مادة« قنص» على وزن« حبس» بمعنى يصيدون.

[۵۴۹] ( ۴).« بنان» جمع« بنانة» تعنى لغوياً الأصابع ورؤوس الأصابع والشخص الذی تقطع بنانه لا يقوى على العمل.

[۵۵۰] ( ۵).« حومة» بمعنى أهم موضع فی الشیء وتطلق الحومة على القسم الرئيسی من القتال أو الذل.

[۵۵۱] ( ۱). سورة الأنفال، الآية ۱۲.

[۵۵۲] ( ۲).« نخوات» جمع« نخوة» بمعنى الكبر.

[۵۵۳] ( ۳).« نزغات» جمع« نزغة» بمعنى الفساد من مادة« نزغ» على وزن« وضع» بمعنى الدخول فی فعل بقصد الافساد.

[۵۵۴] ( ۴).« نفثات» جمع« نفثة» بمعنى ما يخرج من الفم من اللعاب وفی الأصل من مادة« نفث» على وزن« حبس» بمعنى النفخ واستعملت هنا لخروج مقدار من اللعاب حين النفخ على الشیء وهی كناية عن وساوس الشيطان فی العبارة، السائد بين السحرة أنّهم يقرأون بعض الأوراد عند السحر وينفخون على الشخص المطلوب فهی كناية عن الوسوسة.

[۵۵۵] ( ۱).« مسلحة» بمعنى موضع الجمع وبعبارة أخرى يطلق على المواضع ومخازن السلاح لأنّهم يجمعون عادةمقداراً من الأسلحة فی الموضع وقد وردت بهذا المعنى فی العبارة السابقة.

[۵۵۶] ( ۲). سورة الأنعام، الآية ۱۱۲.

[۵۵۷] ( ۳). سورة طه، الآية ۹۴.

[۵۵۸] ( ۱).« آثام» جمع« إثم» بمعنى الذنب و تعنی فی الأصل تلك الحالة التی يصل إليها روح و عقل الإنسان و يمنعه من الوصول الی الكمال والحسنات.

[۵۵۹] ( ۲). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحديد، ج ۱۳، ص ۱۴۶.

[۵۶۰] ( ۱).« أمعنتم» من مادة« إمعان» بمعنى المبالغة فی القيام بشیء مشتقة فی الأصل من مادة« معن» على وزن« دهن» بمعنى ارتواء الأرض بالماء.

[۵۶۱] ( ۲).« مصارحة» من مادة« صرح» بمعنى الوضوح والظهور ومصارحة تعنی مواجهة الشخص بصورة علنية.

[۵۶۲] ( ۳).« مناصبة» من مادة« نصب» على وزن« نسب» بمعنى التعب والمشقّة كما تعنی المناصبة التظاهر بالعداوة التی تؤدّی إلی تعب ومعاناة الطرفين.

[۵۶۳] ( ۱).« أعنقوا» من مادة« عنق» بمعنى الرقبة و« عناق» الاسراع فی الذهاب خلف الشیء.

[۵۶۴] ( ۲).« حنادس» جمع« حندس» على وزن« قبرص» بمعنى الظلام ومن هنا يقال حنادس لليالی الثلاثة الأخيرة فی الشهر لشدّة ظلمتها وامتزاجها بالمحاق.

[۵۶۵] ( ۳).« مهاوی» جمع« مهواة» يعنی الحفرة كما تعنی الحفرة العميقة التی يقع فيها السيل وليس له من سبيل.

[۵۶۶] ( ۴).« ذلل» جمع« ذلول» بمعنى الشخص المنقاد والمستسلم للحيوان الهادئ.

[۵۶۷] ( ۵).« سُلسُ» جمع« سلس» على وزن« خشن» بمعنى السهل والمنقاد.

[۵۶۸] ( ۱).« هجينة» بمعنى الفعلة القبيحة والمستهجنة من مادة هجونة.

[۵۶۹] ( ۲).« آلاء» جمع« ألا» على وزن« جفا» أو إلا على وزن« فعل» بمعنى النعم وقيل بمعنى خصوص النعم المعنويّة خاصة حين تأتی مع مفردة النعمة، ويقال:« النعم والآلاء».

[۵۷۰] ( ۳). سورة الأحزاب، الآيتان ۶۷ و ۶۸.

[۵۷۱] ( ۴). بحار الأنوار، ج ۲۲، ص ۳۸۱، ح ۱۶.

[٥٧٢] ( ١).« اعتزاء» بمعنى النسب من مادة« عزو» على وزن« رزم».

[٥٧٣] ( ٢). سورة النمل، الآية ٣۴.

[٥٧۴] ( ١). سورة سبأ، الآية ٣۴.

[٥٧۵] ( ٢).« أدعياء» جمع« دعى» على وزن« جلى» تعنى فى الأصل المتبنى أى الولد من أب آخر ومن ينسب نفسه لآخر، وبما أنّ مثل هؤلاء الأفراد لا يمتلكون نسباً واضحاً يطلق عليهم الأدعياء ووردت بمعنى عديم النسب أو ابن الزنا.

[٥٧۶] ( ٣). الكافى، ج ٢، ص ٣١٢.

[٥٧٧] ( ١).« أحلاس» جمع« حلس» على وزن« حرص» بمعنى كساء رقيق يكون على ظهر البعير ملازماً له، ثم اطلق« الحلس» على كل شيء ملازم لآخر ولذلك يقال للأفراد الذين يلازمون البيوت« أحلاس البيوت».

[٥٧٨] ( ٢).« عقوق» تعنى فى الأصل التقطيع والتمزيق ثم اطلقت هذه الكلمة على مخالفة الأب والأُم والآخرين و« أحلاس العقوق» بمعنى الأفراد الملازمين للطغيان والعصيان.

[٥٧٩] ( ٣).« يصول» من مادة« صولة» بمعنى الهجوم.

[٥٨٠] ( ۴).« دخول» معروف المعنى ولكن يأتى بمعنى الفاسد أيضاً وهذا ما أريد به فى العبارة.

[٥٨١] ( ۵).« نفث» تعنى فى الأصل طرح مقدار من لعاب الفم وحيث يقترن بالنفخ فقد وردت بمعنى النفخ أيضاً.

[٥٨٢] ( ١).« نبل»، السهام.

[٥٨٣] ( ٢). سورة الأنعام، الآية ١٢١.

[٥٨۴] ( ١). الكامل، لابن الأثير، ج ١، ص ۵٨٨ و ۵٨٩.

[٥٨۵] ( ٢). منهاج البراعة، ج ١١، ص ٣٠٩.

[٥٨۶] ( ٣). المصدر السابق.

[٥٨٧] ( ١).« صولات» جمع« صول» على وزن« قول» بمعنى التسلط والغلبة.

[٥٨٨] ( ٢).« مثلات» جمع« مثلة» على وزن« عضلة» بمعنى العقوبة ومن ذلك العذاب الذى نزل على الأمم السابقة والذى اصبح يضرب به المثل.

[٥٨٩] ( ٣). سورة العنكبوت، الآية ۴٠.

[٥٩٠] ( ۴).« مثاوى جمع« مثوى» من مادة« ثواء» بمعنى الإقامة فى موضع، وعليه فالمثوى بمعنى المنزل والمكان.

[٥٩١] ( ۵).« جنوب» جمع« جنب» على وزن« جمع» بمعنى الجهة والجانب.

[٥٩٢] ( ۶).« لواقح» جمع« لاقح» من مادة« لقاح» تشير فى العبارة إلى عوامل ظهور الكبر والغرور.

[٥٩٣] ( ١).« عفّروا» من مادة« عفر» بمعنى التمريغ بالتراب.

[٥٩۴] ( ١).« مخمصة» بمعنى الجوع وخلو البطن من الطعام، ومن مادة« خمص» على وزن« لمس» بمعنى الجوع الشديدالذى يدعو إلى خسف البطن.

[٥٩۵] ( ٢).« مجهدة» مصدر ميمى بمعنى المشقّة من« جهد» على وزن« مهد» و« جهد» على وزن« كفر» بمعنى التعب الناتج من السعى والحركة.

[٥٩۶] ( ٣).« مَخَض» من مادة« مخض» على وزن« خفض» تعنى فى الأصل، تحريك اللبن ليخرج زبده، ثم أُطلقت على كل حركة شديدة وشاقة.

[٥٩٧] ( ١). سورة المؤمنون، الآيتان ۵۵ و ۵۶.

[۵۹۸] ( ۱).« مدارع» جمع« مدرع» على وزن« منبر» بمعنى الجبّة.

[۵۹۹] ( ۲).« عصىّ» جمع« عصا».

[۶۰۰] ( ۳).« أساورة» و« أساور» جمع« أسورة» وجمع« سُوار»، على وزن« غبار» أو« سوار» على وزن« كتاب» وهى فى الأصل كلمة فارسية( دستور) بمعنى السوار الذى يوضع فى اليد للزينة.

[۶۰۱] ( ۴).« ذهبان» جمع« ذهب» معروف.

[۶۰۲] ( ۱).« عقيان» مفردة وهو نوع من الذهب الخالص.

[۶۰۳] ( ۲).« مغارس» جمع« مغرس» يعنى محلّ غرس الأشجار.

[۶۰۴] ( ۱).« خصاصه» من« خصاص» على وزن« أساس» تعنى فى‌الأصل الشق الذى يظهر فى جدار البيت ثم اطلق على الفقر والحاجة التى توجب الشدّة فى العيش.

[۶۰۵] ( ۱).« ترام» من مادة« روم» على وزن« قوم» تعنى الطلب.

[۶۰۶] ( ۲).« تضام» من مادة« ضيم» بمعنى الذلّة.

[۶۰۷] ( ۳).« عقد» جمع« عقدة».

[۶۰۸] ( ۴).« رحال» جمع« رحل» ما يوضع على ظهر البعير ويجلس عليه و« شدّ الرحال» تعنى الاستعداد للسفر أو السفر.

[۶۰۹] ( ۱).« استكانة» تعنى الخضوع.

[۶۱۰] ( ۲).« تشوب» من« شوب» على وزن« شوق» تعنى الخدعة وخلط شىء مع آخر للخداع.

[۶۱۱] ( ۳). سورة الزمر، الآية ۳.

[۶۱۲] ( ۴). سورة البينة، الآية ۵.

[۶۱۳] ( ۱).« أوعر» من« وعر» على وزن« قعر» تعنى الأرض الوعرة والشديدة.

[۶۱۴] ( ۲).« نتائق» جمع« نتيقة» بمعنى البقاع المرتفعة من مادة« نتق»، على وزن« فتق» بمعنى الحفر والارتفاع.

[۶۱۵] ( ۳).« مدر» بمعنى الطين اليابس.

[۶۱۶] ( ۴).« قطر» بمعنى البلد والمنطقة.

[۶۱۷] ( ۱).« دمثة» من مادة« دماثة» بمعنى اللينة.

[۶۱۸] ( ۲).« وشلة» بمعنى قليل الماء من« وَشْل» على وزن« حشر».

[۶۱۹] ( ۳).« يزكو» من« زكاة» بمعنى النموّ.

[۶۲۰] ( ۴).« خف» تعنى فى‌الأصل النعل وهى هنا كناية عن الدابة لأنّ أسفل قدمها كالحذاء.

[۶۲۱] ( ۵).« حافر» من الحفر وتعنى قدم الفرس.

[۶۲۲] ( ۶).« ظلف» كناية عن البقر والغنم.

[۶۲۳] ( ۱). سورة إبراهيم، الآية ۳۷.

[۶۲۴] ( ۲).« يثنوا» من مادة« ثنى» بمعنى طوى الشىء، أو تقريب شىء من آخر.

[۶۲۵] ( ۳).« اعطاف» جمع« عطف» على وزن« كتف» بمعنى كتف الانسان.

[۶۲۶] ( ۴).« مثابة» مكان الرجوع« ثوب» على وزن« فوق» بمعنى العودة.

[۶۲۷] ( ۵).« منتجع» يعنى محل الفائدة من« نجوع» بمعنى المنفع ولذلك يقال منتجع لمكان الراحة والمتنزّه أيضاً.

[۶۲۸] ( ۶).« ملقى رحالهم» يعنى محط رحالهم، من الأصل« إلقاء» و« رحال» جمع« رحل».

[۶۲۹] ( ۷).« مفاوز» جمع« مفازة» بمعنى الصحراء.

[۶۳۰] ( ۸).« قفار» جمع« قفر» بمعنى خلو المكان من السكن.

[۶۳۱] ( ۹).« سحيقة» بمعنى البعيدة من« سحق» على وزن« سقف» بمعنى التليين والتبعيد.

[۶۳۲] ( ۱۰).« مهاوى» جمع« مهوى» منخفضات الأراضى من« هُوِىّ» على وزن« حُلِىّ» بضم« الحاء» وتشديد« الياء») بمعنى السقوط والوقوع.

[۶۳۳] ( ۱۱).« فجاج» جمع« فج» بمعنى الطرق الواسعة بين الجبال من« فج» على وزن« حجّ» بمعنى فتح الساقين وتبعيدهما عن بعضهما.

[۶۳۴] ( ۱۲). سورة البقرة، الآية ۱۲۵.

[۶۳۵] ( ۱۳). سورة الحج، الآية ۲۸.

[۶۳۶] ( ۱). سورة إبراهيم، الآية ۳۷.

[۶۳۷] ( ۲). سورة الحج، الآية ۲۷.

[۶۳۸] ( ۳).« يهزوا» من مادة« هزّ» على وزن« حظ» بمعنى التحريك.

[۶۳۹] ( ۴).« يرملون» من مادة« رمل» على وزن« عمل» بمعنى الهرولة.

[۶۴۰] ( ۵).« شعث» جمع« أشعث» بمعنى الشعر مع تلبد فيه.

[۶۴۱] ( ۶« ").غبر» جمع« اغبر»: من علا بدنه الغبار.

[۶۴۲] ( ۷).« سرابيل» جمع« سربال»: الثياب.

[۶۴۳] ( ۸).« شوهوا» من مادة« شوه» على وزن« قول» بمعنى أنّ مناظرهم مشوّهة.

[۶۴۴] ( ۹).« إعفاء» بمعنى الترك و« اعفاء الشعور» يعنى ترك الشعر بلا قص.

[۶۴۵] ( ۱). الكافى، ج ۴، ص ۲۵، باب فضل الحج والعمرة، ح ۲.

[۶۴۶] ( ۱).« مشاعر» جمع« مشعر» موضع تقام فيه بعض مناسك الحج ويقال له« مشعر» حيث تجرى فيه الشعائر الإسلاميّة.

[۶۴۷] ( ۲).« جم» كثير.

[۶۴۸] ( ۳).« ملتف»: مجتمع ومتراكم من مادة« لفّ» على وزن« كف».

[۶۴۹] ( ۴).« بنى» جمع« بنية» يعنى بناء.

[۶۵۰] ( ۵).« برّة» و« بُرّ» بمعنى الشعير.

[۶۵۱] ( ۶).« سمراء» معروفة اللون.

[۶۵۲] ( ۷).« أرياف» جمع« ريف» تعنى القرية.

[۶۵۳] ( ۸).« محدقة» يعنى الموضع الذى تكثر فيه البساتين.

[۶۵۴] ( ۹).« عراص» جمع« عرصة» فناء الدار.

[۶۵۵] ( ۱۰).« مغدقة» يعنى كثيرة وفى‌الأصل من« غدق» على وزن« شفق» بمعنى الماء الوفير.

[۶۵۶] ( ۱۱).« ناضرة» الخضراء من مادة« نضرة» الرفاهية الحاصلة بسبب وفور النعمة.

[۶۵۷] ( ۱۲).« أساس» بكسر الهمزه جمع« أُس»( بفتح أو بكسر أو بضم الهمزه) دعامة.

[۶۵۸] ( ۱).« مصارعة» من« صرع» على وزن« فرع»: الصرع فى الأرض و يقال المصروع على من أصيب بمرض الصرع لأنّه‌يطرحه أرضاً.

[۶۵۹] ( ۲).« معتلج» تعنى« التلاطم» من مادة« اعتلاج» يعنى نزاع أحدهما للآخر.

[۶۶۰] ( ۳).« فتحاً» بمعنى« الفتح» معروفة.

[۶۶۱] ( ۴).« ذلل» جمع« ذلول» بالمعنى التسليم والانقياد.

[۶۶۲] ( ۱). بحارالأنوار، ج ۶۷، ص ۱۹۱.

[۶۶۳] ( ۱).« مصيدة»( بسكون الصاد وفتح الياء) وقرأها البعض بكسر الميم وتعنى الفخ.

[۶۶۴] ( ۲).« تساور» من« سور»، على وزن« غور» بمعنى الوثوب والمقاتلة وتعنى هنا نفوذ السموم فى القلوب.

[۶۶۵] ( ۳).« تكدى» من مادة« كَدْى» على وزن« كسب» بمعنى البخل والحبس والتعطيل.

[۶۶۶] ( ۴).« تشوى» من مادة« شىّ» على وزن« شرّ» تاتى بمعنى الطبخ أحياناً وأخرى بمعنى اليد والقدم وأطراف الجسم وإن وردت فى باب الأفعال عنت تخطىء المقتل.

[۶۶۷] ( ۵).« مقلّ» تعنى الفقير من مادة« قليل».

[۶۶۸] ( ۶).« طمر» الكساء البالى.

[۶۶۹] ( ۷). اختلف الشرّاح والمفسرون فى تركيب هذه الجملة« عَنْ ذلِكَ ما حَرَسَ اللَّهُ». قال ابن أبى الحديد: إنّ« ما» زائدة و« ذلك» إشارة إلى الظلم والتكبر، وعلى هذا الضوء يصبح مفهوم الجملة أنّ اللَّه حفظ عباده من هذه الأمور الثلاثة بواسطة الصوم والصلاة والزكاة، وقال المرحوم الشارح الخوئى: إنّ« عن» هنا سببية وما مصدرية ومعنى الجملة إنّ اللَّه لهذا السبب حفظ عباده عن الكبر والغرور والظلم بواسطة الصلاة والصوم والزكاة.

[۶۷۰] ( ۱).« أطراف» من مادة« طرف» على وزن« هدف» بمعنى قطعة من أى شيء وأطراف الجسم هى الأيدى والأرجل.

[۶۷۱] ( ۲).« تخفيض» من« خفض» على وزن« لفظ» تعنى السهولة واللين والتنزيل.

[۶۷۲] ( ۳).« خيلاء» بمعنى التكبر والأنانيّة.

[۶۷۳] ( ۴). سورة العنكبوت، الآية ۲۵.

[۶۷۴] ( ۵). وسائل‌الشيعة، ج ۳، ص ۴، كتاب الصلاة، أبواب أعداد الفرائض ونوافلها، ح ۷.

[۶۷۵] ( ۱). وسائل الشيعة، ج ۶، ص ۵، كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه الزكاة وما تستجب فيه، باب ۱، ح ۷.

[۶۷۶] ( ۲). من لايحضره الفقيه، ج ۲، ص ۷۳، ح ۱۷۶۷.

[۶۷۷] ( ۳).« تعفير» تعنى التمريغ فى التراب من« عفر» بمعنى التراب والغبار.

[۶۷۸] ( ۴).« عتاق» جمع« عتيق» بمعنى الشيء الثمين والقيم، و« عتاق الوجوه» إشارة إلى القسم المهم من وجه الإنسان، هى الجبهة.

[۶۷۹] ( ۵).« كرائم» جمع« كريمة» نفيس، ثمين، شريف.

[۶۸۰] ( ۶).« تصاغر» من مادة« صغر» معروفة.

[۶۸۱] ( ۷).« متون» جمع« متن» بمعنى الظهر ويأتى بمعنى الأصل والمراد المعنى الأوّل.

[۶۸۲] ( ۱). من لا يحضره الفقيه، ج ۲، ص ۳۶۳.

[۶۸۳] ( ۲).« قمع» بمعنى القهر.

[۶۸۴] ( ۳).« نواجم» جمع« ناجمة» كلما يطلع ويظهر. من« نجم» على وزن« حجم» بمعنى الطلوع والظهور.

[۶۸۵] ( ۴).« قدع» تعنى الكفّ والمنع.

[۶۸۶] ( ۵). سورة إبراهيم، الآية ۸.

[۶۸۷] ( ۶). سورة آل عمران، الآية ۹۷.

[۶۸۸] ( ۱). راجع كلمات نهج البلاغة القصار، الكلمة ۲۵۲.

[۶۸۹] ( ۱).« تمويه» يعنى الخداع وتعنى فى‌الأصل طلى النحاس بالذهب لخداع الآخرين.

[۶۹۰] ( ۲).« تليط» من مادة« لوط» على وزن« موت» بمعنى الالتصاق وتستعمل عبارة« لاطَ بِقَلْبى» لمن تعلق بشىء لا يفارقه وكأنّه لصق به. وتستعمل هذه المفردة بصيغة أجوف واوى وأجوف يائى.

[۶۹۱] ( ۱). سورة الحجر، الآية ۲۹.

[۶۹۲] ( ۲).« مترفة» و« مترف» كما ورد فى لسان العرب من مادة« ترف» على وزن« هدف» بمعنى التنعّم ويقال عادةللشخص أغرته وفرة النعمة وساقته للطغيان.

[۶۹۳] ( ۳).« مواقع» جمع« موقع» بمعنى المحلّ و مواقع النعم إشارة إلى النعم التى يستفاد منها والمراد من الآثار اللذات التى تتوفر لأصحاب النعم.

[۶۹۴] ( ۴). سورة سبأ، الآية ۳۵.

[۶۹۵] ( ۱).« مجداء» جمع« مجيد» بمعنى العزيز والعظيم.

[۶۹۶] ( ۲).« نجداء» جمع« نجيد» بمعنى الشجاع من« نجد» بمعنى الأرض المرتفعة.

[۶۹۷] ( ۳).« يعاسيب» جمع« يعسوب» وهو أمير النحل. ويستعمل مجازاً بمعنى رئيس القوم كما هنا.

[۶۹۸] ( ۴).« ذمام» يعنى العهد.

[۶۹۹] ( ۱). الكافى، ج ۲، ص ۶۶۷، ح ۸.

[۷۰۰] ( ۱). سورة هود، الآية ۷۸.

[۷۰۱] ( ۲). سورة النور، الآية ۲.

[۷۰۲] ( ۳). سورة النور، الآية ۳۲.

[۷۰۳] ( ۴). وسائل الشيعة، ج ۱۵، الباب ۵ من أبواب المهور، ح ۱۱.

[۷۰۴] ( ۱). وسائل الشيعة، ج ۱۵، الباب ۵ من أبواب المهور، ح ۱۰.

[۷۰۵] ( ۱).« فقرة» وجمعها« فقرات» بمنزلة العمود الذى يشد ظهر الإنسان ويجعله يستقيم وينحنى.

[۷۰۶] ( ۲).« مُنَّة» بمعنى القوّة و« مِنّة» على وزن« عِزّة» بمعنى النعمة العظيمة التى توجب القدرة والقوة وقال الراغب فى المفردات إنّها مشتقة فى‌الأصل من« منّ» وحدة الوزن.

[۷۰۷] ( ۱).« أعباء» جمع« عِبء» على وزن« فكر» بمعنى الحمل الثقيل.

[۷۰۸] ( ۲).« ساموا» من مادة« سوْم» على وزن« قوم» بمعنى البحث عن شىء أو إجبار الآخرين على العمل وكذلك‌الاستمرار أى أنّ العبارة« ساموهم ...» تعنى استمرارهم فى عذاب بنى اسرائيل.

[۷۰۹] ( ۳).« مرار» نوع من الشجرة المرة المذاق. ثم اطلقت على كلّ حادث مرير.

[۷۱۰] ( ۱). سورة الدخان، الآيات ۲۵- ۲۸.

[۷۱۱] ( ۲). سورة القصص، الآية ۵.

[۷۱۲] ( ۱).« أملاء» جمع« ملأ» بمعنى الجماعة و القوم وأحياناً بمعنى الأيادى المتعاونة مثل أشراف القوم.

[۷۱۳] ( ۱).« غَضارَة» بمعنى السعة.

[۷۱۴] ( ۱).« اعتدال» الحد الوسط بين الافراط والتفريط وأيضاً المساواة بين الشيئين وتشابههما( كل واحدة عدل‌الأخرى) وهو المعنى المراد فى العبارة.

[۷۱۵] ( ۱).« اشتباه» لها معنیان؛ الأول الخطأ فی الفهم أو العمل و الثانی تشابه شیئین والمعنی الثانی هو المراد فی العبارة أیضاً.

[۷۱۶] ( ۲).« أکاسرة» جمع« کسری»( بکسر وفتح الکاف) لقب عام لملوک ایران قبل الإسلام.

[۷۱۷] ( ۳).« قیاصرة» جمع« قیصر» علی وزن« حیدر» لقب عام لملوک الروم.

[۷۱۸] ( ۴).« یحتازونهم» من مادة« حیازة» بمعنی التملک والمعنی المراد فی هذه العبارة أنّهم یقبضونهم عن الأرضی الخصبة.

[۷۱۹] ( ۵).« ریف» الأرض الخصبة والزراعیة.

[۷۲۰] ( ۶).« شیح» نبات مر ذات ریحة طیبة.

[۷۲۱] ( ۷).« مهافی» جمع« مهفی» المواضع التی تهفّ فیها الریاح أی تهب.

[۷۲۲] ( ۸).« نکد» بمعنی الشیء القلیل.

[۷۲۳] ( ۱).« عالة» جمع« عائل» الفقیر و« عیلولة» قضاء حوائج الآخرین.

[۷۲۴] ( ۲).« دبر» جمع« دبرة» علی وزن« شجرة» القرحة فی ظهر الدابة.

[۷۲۵] ( ۳).« وبر» شعر الجمال والمراد فی العبارة أنّهم رعاة.

[۷۲۶] ( ۴).« یأوون» من مادة« إواء» علی وزن« کتاب» بمعنی الدخول والسکن فی مکان.

[۷۲۷] ( ۵).« أزل» بمعنی الشدّة؛ وتأتی بمعنی الحبس أیضاً.

[۷۲۸] ( ۶).« موؤودة» من« وأد» علی وزن« رعد» تعنی فی الأصل الثقل، ثم اطلقت علی البنت التی کانت تدفن وهی حیّة فی عصر الجاهلیّة أیضاً، لأنّهم کانوا یخفونها تحت التراب ویضعون فوقها الکثیر من التراب.

[۷۲۹] ( ۷).« غارات» جمع« غارة» تعنی فی الأصل الهجوم، وحین یکون الهجوم من کلّ جانب یقال له« غارات مشنونة».

[۷۳۰] ( ۸).« مشنونة» من« شَنّ» علی وزن« ظنّ» الهجوم من کلّ جانب.

[۷۳۱] ( ۱). سورة الأنفال، الآیة ۴۶.

[۷۳۲] ( ۱).« جداول» جمع« جدول» بمعنی مجری النهر.

[۷۳۳] ( ۲).« فکهین» جمع« فکه» علی وزن« خشن» بمعنی الراضین والفرحین فی الأصل من« فکاهة» علی وزن« قبالة» بمعنی المزاح والضحک، یقول البعض أنّ أصلها« فاکهة» أی أنّ المزاح حلو کالفاکهة الحلوة.

[۷۳۴] ( ۳).« تربّعت» من« تربّع» بمعنی الاقامة باطمئنان فی مکان.

[۷۳۵] ( ۴).« ذری» جمع« ذروة»( بضم الذال وکسرها) فوق کلّ شیء مثل قلة الجبال.

[۷۳۶] ( ۱).« تغمز» من مادة« غمز» علی وزن« همز» تعنی الإشارة بالعین والید للتعییب وتأتی بمعنی الانحناء وهنا المراد هو المعنی الثانی.

[۷۳۷] ( ۲).« قناة» به بمعنی الرمح وتأتی بمعنی العصا أیضاً، ویقال لمسیر الماء المستقیم أیضاً وهنا المراد هو المعنی الأوّل.

[۷۳۸] ( ۳).« لا تقرع» من مادة« قرع» علی وزن« فرع» یعنی صدم شیء بآخر بحیث یصدر عنهما صوت عالٍ.

[۷۳۹] ( ۴).« صفاة» بمعنی الحجر الصلد وفی العبارة کنایة عن القوّة.

[۷۴۰] ( ۱).« نفضتم» من مادة« نفض» علی وزن« نبض» بمعنی تحریک الشیء لإخراج ما فی داخله والمراد فی العبارةتقطع عری الطاعة.

[۷۴۱] ( ۲).« ثلمتم» من مادة« ثلم» علی وزن« عزم» بمعنی الخرق والکسر.

[۷۴۲] ( ۳).« کنف» بمعنی الحمایة.

[۷۴۳] ( ۴). سورة آل عمران، الآیة ۱۰۳.

[۷۴۴] ( ۵). وشاهدنا آثار هذا الأمر القرآنی وتعلیمات الإمام فی أیّامنا هذه، وقد أعدّ أعداء الإسلام والاستعمار الغربی خططاً جهنمیّة ضد البلدان الإسلامیّة ولبنان لیسیطروا علیها بواسطة عملائهم فی المنطقة، لکی تضمن حمایة إسرائیل من جانب ولتکون قاعدة من جانب آخر للتطاول علی سائر البلدان الإسلامیّة غیر أنّ الشعب اللبنانی عبّر عن وحدته فی ذلک الیوم التاریخی( یوم ۲۶ محرم الحرام ۱۴۲۶) لیخرج بتلک المسیرات الملیونیة ویطلق الشعارات المعادیة للامبریالیة فأفشل تلک الخطط:« وَمَکَرُوا وَمَکَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَیْرُ الْماکِرِینَ».

[۷۴۵] ( ۱).« تکفئوا» من مادة« اکفاء» بمعنی الانقلاب.

[۷۴۶] ( ۲). عاش فی عصر الجاهلیّة؛ وروی حفیده« حمید بن منهب» أنّ جده أوس بن الحارثة قدم علی النّبی صلی الله علیه و آله وبایعه مع سبعین نفر من قبیلة« طیّ».( أسدالغابة، ج ۱، ص ۱۴۱).

[۷۴۷] ( ۱). مرجع الضمیر فی« غیره» هو الإسلام الذی سبق ذکره، کما احتمل البعض أن یکون المراد اللّه.

[۷۴۸] ( ۲). جاءت مفردة« لا» فی أربعة موارد وردت فی هذه الجملة ولو کانت« لا» نافیه للجنس لابدّ أن یراد جبرائیل ومیکائیل والمهاجرون والأنصار بالنصب، کما جاء فی بعض النسخ. وإن اعتبرناها« لا» نافیة( اللام المشبهة بلیس) فلابدّ أن تقرأ الکلمات الأربع المذکورة بالرفع کما جاءت فی النسخة الموجودة.

[۷۴۹] ( ۳).« المقارعة» النزاع والقتال والضرب.

[۷۵۰] ( ۴). العبارة« إِلَّا الْمُقارَعَةَ بِالسَّیْفِ» یحتمل أن تکون من قبیل الاشتناء المنقطع، إشارة إلی أنّه سوف لن یکون لکم من نصیر ومعین سوی الضرب بالسیف والذی لا یسعها أن تؤدّی إلی النصر مع ما أنتم علیه من الفرقة، وعلیه ستهزمون، کما ذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلی أنّ العبارة المذکورة استثناء متصل، أی أنّ معینکم الوحید سیوفکم التی فیها نصرکم، ولکن یبدو أنّ هذا الاحتمال لا ینسجم مع سیاق عبارات الإمام علیه السلام.

[۷۵۱] ( ۱). سورة القمر، الآیة ۱۹.

[۷۵۲] ( ۲). سورة القمر، الآیة ۲۰.

[۷۵۳] ( ۳).« تستبطئوا» من مادة« استبطاء»« بُطیء» علی وزن« قفل» ضد السرعة.

[۷۵۴] ( ۴).« بطش» تعنی فی‌الأصل الحصول علی شیء بالقوّة، وردت بمعنی العقاب لأنّهم یقبضون علی المجرم بالقوّة حین العقوبة.

[۷۵۵] ( ۱).« الحلماء» جمع« حلیم» بمعنی العاقل ومن مادة« حُلُم» علی وزن« سُبُل» بمعنی العقل.

[۷۵۶] ( ۲). سورة المائدة، الآیتان ۷۸ و ۷۹.

[۷۵۷] ( ۳). الکافی، ج ۵، ص ۵۶.

[۷۵۸] ( ۱).« نکث» بمعنی نقض العهد. وأهل النکث إشارة إلی طلحة والزبیر وأمثالهما ممن بایع الإمام علیه السلام ثم نقضواالبیعة وقاتلوا الإمام علیه السلام فی معرکة الجمل وأخیراً قتلوا ویقال لهم الناکثون.

[۷۵۹] ( ۲).« قاسطون» من مادة« قسط» تأتی بمعنی الظلم والعدالة، وتشیر هنا إلی أصحاب معاویة الذین کانوا جائرین‌عن الحقّ وظالمین بحقّ الناس.

[۷۶۰] ( ۳).« مارقة» من مادة« مروق» علی وزن« غروب» بمعنی الخروج من شیء وغالباً هو السهم حین یطلق من القوس ویتجاوز الهدف، وقیل المارقة للخوارج فی النهروان بسبب إفراطهم وتعصبهم وتحجّرهم وأنّهم کفّروا الجمیع غیرهم( کالوهابیة).

[۷۶۱] ( ۱).« دوّخت» من مادة« دوخ» علی وزن« فوق» بمعنی أضعف وأذل.

[۷۶۲] ( ۲). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی الحدید، ج ۶، ص ۱۳۰.

[۷۶۳] ( ۳). أسد الغابة، ج ۴، ص ۳۳.

[۷۶۴] ( ۴).« ردهة» النقرة التی یتجمع فیها الماء، ویقال للغرف والصالات الواسعة فی البیوت.

[۷۶۵] ( ۵).« صعقة» أخذت فی الأصل من الصاعقة التی تسبب الهلاک. ثم اطلقت علی الهلاک أو الخوف الذی یصیب قلب الإنسان.

[۷۶۶] ( ۶).« وجبة» بمعنی السقوط والخفقان والعطل والسکوت، ومفردة« وجبة» تطلق علی وقت الطعام.

[۷۶۷] ( ۷).« رجّة» من مادة« رجّ» علی وزن« حج» بمعنی الاهتزاز والارتعاد.

[۷۶۸] ( ۱).« ادیلن» من مادة« دولة» تعنی الانتقال وتأتی أحیاناً بمعنی الضعف والمراد هنا هو المعنی الأوّل؛ أی لأمحقنهم.

[۷۶۹] ( ۲).« یتشذر» من« تشذر» أی یتفرق.

[۷۷۰] ( ۱). جاء هذا الحدث وتنبّأ رسول اللّه صلی الله علیه و آله فی کتب السنّة المعتبرة( مع اختلاف طفیف) من قبیل: صحیح البخاری، ج ۷، ص ۱۱۱ و ج ۸، ص ۵۲؛ صحیح مسلم، ج ۳، ص ۱۱۲؛ مسند أحمد، ج ۳، ۵۶ و ۶۵؛ مصنف ابن أبی شیبة، ج ۸ ص ۷۴۱؛ شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید، ج ۲، ص ۲۶۶؛ تاریخ الطبری، ج ۲، ص ۳۶۰؛ أسد الغابة، ج ۲، ص ۱۳۹ وکنزالعمال، ج ۱۱، ص ۳۰۷ فما فوق.

[۷۷۱] ( ۲). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی الحدید، ج ۲، ص ۲۶۷ و ۲۶۸؛ البدایة والنهایة، ج ۷، ص ۳۳۷.

[۷۷۲] ( ۳). راجع، تاریخ الطبری، ج ۴، ص ۵۴ و ۵۵.

[۷۷۳] ( ۴). مصنف ابن أبی شیبة، ج ۱۰، ص ۷۴۰.

[۷۷۴] ( ۵). المصدر السابق، ص ۷۳۷.

[۷۷۵] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی الحدید، ج ۲، ص ۲۷۵- ۲۷۷.

[۷۷۶] ( ۱).« نواجم» جمع« ناجمة» من« نجم» علی وزن« حجم» بمعنی الطلوع والظهور ویقال نواجم القرون وهی من قبیل الحاق الصفة بالموصوف.

[۷۷۷] ( ۱). فی ظلال نهج البلاغة( شرح محمّد جواد مغنیة لنهج البلاغة)، ج ۳، ص ۱۵۱- ۱۵۵.

[۷۷۸] ( ۲). المصدر السابق، نقلت هذه العبارة عن عبدالرحمن الشرقاوی.

[۷۷۹] ( ۱).« عرف» بمعنی الرائحة الزکیة.

[۷۸۰] ( ۲).« خطلة» من مادة« خطل» علی وزن« خطر» بمعنی الخطأ الذی ینشأ عن عدم الرؤیة.

[۷۸۱] ( ۳).« فطیم» من« فطام» معروفة.

[۷۸۲] ( ۴).« فصیل» ولد الناقة الفطیم.

[۷۸۳] ( ۱).« رَنَّة» بمعنی العویل والصوت الحزین ویطلق أحیاناً علی الصراخ الشدید.

[۷۸۴] ( ۱). سورة الحجر، الآیتان ۳۹ و ۴۰.

[۷۸۵] ( ۱). أشار المرحوم السیّد شرف الدین فی کتابه« المراجعات» إلی هذه الحدیث وکذلک ومحققو کتاب المراجعات فی هوامشهم إلی مصادر عدیدة لهذا الحدیث.( المراجعات، ص ۲۶۱، مراجعة ۲۶). وذکر فی کتاب إحقاق الحقّ أکثر من مئة صفحة حول هذا الحدیث ومصادره من کتب السنة( إحقاق الحق، ج ۵، ص ۱۳۲- ۲۳۸).

[۷۸۶] ( ۲). انظر: تاریخ الطبری، ج ۲، ص ۵۷ و ۵۸.

[۷۸۷] ( ۳). أشار إلی أنّ علی بن أبی طالب علیه السلام کان أول الناس إسلاماً بصورة مفصلة فی الجزء الثالث من هذا الکتاب.

[۷۸۸] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید، ج ۱۳، ص ۲۰۸.

[۷۸۹] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۱۸، ص ۲۷۷ فما فوق.

[۷۹۰] ( ۱). للمرحوم العلّامة المجلسی بحث بهذا الخصوص فی کتاب بحار الأنوار حیث یعتقد أنّه صلی الله علیه و آله کان نبیّاً قبل البعثة لکنه لم یکن رسولًا.( ج ۱۷، ص ۲۷۷- ۲۸۱) وللفخر الرازی بحث بهذا الشأن فی کتاب المحصول( ج ۱، ص ۴۲۶، طبعة دارالکتب العلمیّة).

[۷۹۱] ( ۱).« ملأ» یقال لما یملأ العین ویثیر التعجب، ولذلک قیل« ملأ» لرؤساء وکبار القوم.

[۷۹۲] ( ۱).« قلیب» من مادة« قلب» تعنی التغییر کما وردت بمعنی البئر.

[۷۹۳] ( ۲). للاطلاع أکثر راجع التفسیر الأمثل، ج ۱۲، ذیل الآیة ۴۴ سورة الاسراء« تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِیهِنَّ وَإِنْ مِّنْ شَیء إِلَّا یُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَکِنْ لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِیحَهُمْ إِنَّهُ کَانَ حَلِیماً غَفُوراً».

[۷۹۴] ( ۱).« دویّ» بمعنی الصوت القوی والصدی.

[۷۹۵] ( ۲).« قصف» تعنی فی‌الأصل الکسر، ویقال« قاصف» للریاح العاتیة وکذلک تعنی الصوت الشدید بسبب الأصوات التی تسمع فی العواصف و ....

[۷۹۶] ( ۳).« مرفرف» من مادة« رفرف» تعنی فی‌الأصل أوراق الأشجار العریضة وکذلک یقال« رفرف» للأقمشة الجمیلةوالملونة و« مرفرفة» هو الطائر الذی یحرک أجنحته، وکان مراد الإمام فی العبارة أنّ الشجرة عندما اقتربت للرسول صلی الله علیه و آله کانت أغصانها تتحرک کأنّها أجنحة الطائر.

[۷۹۷] ( ۱).« خفیف» یعنی فی‌الأصل القلیل( کمیة أو وزناً أو ...) وکذلک یقال خفیف لمن یجری حرکات سریعة بمهارة.

[۷۹۸] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبی‌الحدید، ج ۱۳، ص ۲۱۴.

[۷۹۹] ( ۲). شرح نهج البلاغة للعلّامة التستری، ج ۲، ص ۴۶۹.

[۸۰۰] ( ۱). سورة المائدة، الآیة ۵۴.

[۸۰۱] ( ۱). مجمع البیان، ذیل الآیة ۱۰۳ من سورة آل عمران:« وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِیعاً».

[۸۰۲] ( ۲).« یغلّون» من« غلل» علی وزن« أجل» أو« غلول» علی وزن« غروب» بمعنی الخیانة، وتعنی فی العبارة أنّهم لا یخونون.

[۸۰۳] ( ۳). سورة النمل، الآیة ۳۴.

[۸۰۴] ( ۴). سورة القصص، الآیة ۸۳.

[۸۰۵] ( ۱). سند الخطبة:

هذه الخطبة من الخطب المعروفة والمعتبرة وردت بأسانید مختلفة عن غیر نهج البلاغة، عاش طائفة من رواتها قبل السید الرضی وطائفة بعده.

قال صاحب مصادر نهج البلاغة: فمن رواها قبل الشریف الرضی المرحوم الشیخ الصدوق فی« الأمالی»، وابن شعبة المعاصر للشیخ الصدوق فی« تحف العقول»، وسلیم بن قیس فی کتابه، ونقل ابن قتیبة( المتوفی فی القرن الثالث) قسماً من هذه الخطبة فی کتابه« الزهد» وکتابه« عیون الأخبار» وغیرهم.

هذا قبل السید الرضی، فقد رواها جماعة من العلماء باسانید وصور یعرف منها علی أنّهم لم یأخذوها عن نهجالبلاغة، منهم سبط ابن الجوزی« فی تذکرة الخواص»، وابن طلحة الشافعی فی« مطالب السؤول»، والکراجکی فی« کنز الفوائد» مع اختلاف یسیر فی نقلهم.( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۶۵).

[۸۰۶] ( ۱). راجع مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۶۵.

[۸۰۷] ( ۱). مستدرک سفینة البحار، باب التدبیر، ج ۳، ص ۴۲۱.

[۸۰۸] ( ۱). سورة الأحزاب، الآیتان ۷۰ و ۷۱.

[۸۰۹] ( ۲).« اقتصاد» من مادة« قصد» بمعنى الاعتدال وتشمل الاعتدال فى كلّ شىء.

[۸۱۰] ( ۳). سورة الأعراف، الآية ۲۶.

[۸۱۱] ( ۴). سورة الفرقان، الآية ۴۷.

[۸۱۲] ( ۵). سورة البقرة، الآية ۱۸۷.

[۸۱۳] ( ۱). تحف العقول، قسم كلام الإمام الباقر عليه السلام، ص ۲۱۸.

[۸۱۴] ( ۲). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ۱۴۰.

[۸۱۵] ( ۳). وسائل الشيعة، كتاب الجهاد، الباب ۲۸ أبواب جهاد النفس، ح ۲.

[۸۱۶] ( ۴).« غضّوا» من ماده« غضّ» على وزن« خزّ» كما ورد فى الخطبة تعنى التقليل، وإن استعملت فى العين عنتالخفض أى خفض الرأس بغية عدم النظر.« غمض» تعنى غلق العين.

[۸۱۷] ( ۱). الكافى، ج ۲، ص ۸۰، باب اجتناب المحارم، ح ۲.

[۸۱۸] ( ۲). ميزان الحكمة، ج ۴، ص ۵۵۱ نقلًا عن بحار الأنوار، ج ۷۸، ص ۱۰۹.

[۸۱۹] ( ۳).« رخاء» و« رخوه» تعنى فىالأصل اللين والضعف وإن استعملت بشأن الحياة فإنّها تعنى الحياة الهانئة.

[۸۲۰] ( ۱). الكافى، ج ۲، ص ۶۰، باب الرضا بالقضاء، ح ۱.

[۸۲۱] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۱۳، ص ۴۱۲.

[۸۲۲] ( ۲). نهج البلاغة، الخطبة ۲۲۴.

[۸۲۳] ( ۱). يقال خفق برأسه إذا أخذته سنة من النعاس فمال رأسه دون سائر جسده.

[۸۲۴] ( ۱). نقل المرحوم الكلينى هذا الحديث فى باب حقيقة الإيمان( الكافى، ج ۲، ص ۵۳) وكذلك نقله المرحوم العلّامة المجلسى فى بحار الأنوار، ج ۶۷، ص ۱۷۴ عن كتاب المحاسن.

[۸۲۵] ( ۲). بحارالأنوار، ج ۶۹، ص ۷۰.

[۸۲۶] ( ۱). سورة يونس، الآية ۶۲.

[۸۲۷] ( ۲). كنزالعمال، ج ۳، ص ۵۰۲، ح ۷۶۱۳.

[۸۲۸] ( ۳). نهج البلاغة، خطبة ۲۱.

[۸۲۹] ( ۴). وسائل الشيعة، ج ۱، الباب ۲۲، أبواب آداب دخول الحمام، ح ۳.

[۸۳۰] ( ۱). نهج البلاغة، القصار الكلمات، الكلمة ص ۵۷۴.

[۸۳۱] ( ۲). المصدر السابق، الكلمة ۸۲.

[۸۳۲] ( ۳). الكافى، ج ۲، ص ۸۹، باب الصبر، ح ۷.

[۸۳۳] ( ۱). سورة فاطر، الآية ۲۹.

[۸۳۴] ( ۲). سورة رعد، الآية ۲۴.

[۸۳۵] ( ۱).« يستثيرون» من مادة« ثور» على وزن« غور» و« ثوران» على وزن« فوران» بمعنى الهياج و« استثارة» بمعنى التهييج ويعنى فى العبارة المذكورة البحث فى الآيات القرآنيّة لشفاء الأمراض الأخلاقيّة والمعنويّة.

[۸۳۶] ( ۱).« تطلعت» من طلوع« تطلع» بمعنى البحث عن شىء.

[۸۳۷] ( ۲).« زفير» و« شهيق»« زفير» فى الأصل إخراج الهواء من الرئة و« شهيق» بمعنى إدخال الهواء إلى داخل الرئة؛ لكن صرح البعض أنّ« زفير»، هو إخراج الهواء مع صراخ و« شهيق» هو إدخال الهواء مع وأنين.

[۸۳۸] ( ۳). بحار الأنوار، ج ۹۲، ص ۲۱۱.

[۸۳۹] ( ۴). الكافى، ج ۲، كتاب فضل القرآن، باب فى قراءته، ح ۲.

[۸۴۰] ( ۱).« حانون» من مادة« حنو» بمعنى الانعطاف، اذن« حانون» جمع« حانى» بمعنى الشخص الذى ينحنى.

[۸۴۱] ( ۲).« أوساط» جمع« وسط» بمعنى الظهر.

[۸۴۲] ( ۳).« جباه» جمع« جبهة» بمعنى الجبين.

[۸۴۳] ( ۴).« أطراف» جمع« طرف» بمعنى رأس كلّ شيء وتعنى هنا رأس البنان الذى يوضع على الأرض فى السجود.

[۸۴۴] ( ۵).« فكاك» و« فك» بمعنى التحرير والتفريق.

[۸۴۵] ( ۶). سورة الفرقان، الآيتان ۶۴ و ۶۵.

[۸۴۶] ( ۱).« براهم» من مادة« برى» على وزن« سعى» بمعنى نحت القلم أو الخشب وتعنى هنا التصغير.

[۸۴۷] ( ۲).« قداح» جمع« قدح» على وزن« قشر» بمعنى السهم قبل أن يراش.

[۸۴۸] ( ۳).« خولطوا» من« خلط» أى مزجوا وتعنى هنا الأمر الذى خالط عقولهم، وكما يقال إلتبس عليه الأمر.

[۸۴۹] ( ۱). سورة المؤمنون، الآية ۶۰.

[۸۵۰] ( ۲). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱۰، ص ۱۴۶.

[۸۵۱] ( ۳).« مشفقون» من« اشفاق» بمعنى الرغبة المقرونة بالخوف؛ يعنى خائفون من التقصير فى اعمالهم، كما تعنى من يخشى على آخر يحبّه تعرضه لبعض الحوادث.

[۸۵۲] ( ۱). الغارات، ج ۱، ص ۹۰.

[۸۵۳] ( ۲). وسائل الشيعة، ج ۱، ص ۷۳، الباب ۲۲ من أبواب مقدمات العبادات، ح ۶.

[۸۵۴] ( ۱).« حزم» الإحكام والاتقان ومادته الأصلية« حزام»، رباط الحيوان( رباط محكم يربط به سرج الحيوان إلى بطنه‌وورد بمعنى مطلق الربط المحكم).

[۸۵۵] ( ۲).« تجمّل» من« جمال» التظاهر بالجمال و« تجمل» التظاهر باليسر عند الفقر والفاقة.

[۸۵۶] ( ۳).« نشاط» العمل الصادق و« نشاطات» علمية بمعنى الأعمال العلميّة.

[۸۵۷] ( ۱).« تحرّج» من مادة« حرج» المشقّة. وعندما تتعدى هذه المفردة بالحرف« عن» تعنى الابعاد.

[۸۵۸] ( ۲). الكافى، ج ۲، ص ۵۱، باب فضل الإيمان على الإسلام، ح ۱.

[۸۵۹] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۱، ص ۲۲۶.

[۸۶۰] ( ۲). سورة المؤمنون، الآية ۲.

[۸۶۱] ( ۳). سورة البقرة، الآية ۲۷۳.

[۸۶۲] ( ۴). سورة البقرة، الآية ۱۵۶.

[۸۶۳] ( ۵). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى‌الحديد، ج ۱، ص ۳۱۹؛ بحارالأنوار، ج ۷۹، ص ۱۳۷، ح ۲۲.

[۸۶۴] ( ۱). بحارالأنوار، ج ۷۴، ص ۱۵۱.

[۸۶۵] ( ۲). الكافى، ج ۵، ص ۷۸.

[۸۶۶] ( ۳). سورة المؤمنون، الآية ۵۱.

[۸۶۷] ( ۴). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ۱۸۰.

[۸۶۸] ( ۱). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ۲۱۹.

[۸۶۹] ( ۲).« وجل» بمعنى الخوف و« وَجِل» على وزن« خجل» بمعنى الشخص الخائف.

[۸۷۰] ( ۳). الكافى، ج ۲، ص ۶۷، كتاب الإيمان والكفر، باب الخوف والرجاء، ح ۱.

[۸۷۱] ( ۴). سورة المؤمنون، الآية ۶۰.

[۸۷۲] ( ۵). فى ظلال نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۱۶۹.

[۸۷۳] ( ۱). مستدرك الوسائل، ج ۱۲، الباب ۹۳ من أبواب جهاد النفس وما يناسبه، ح ۵.

[۸۷۴] ( ۲). غرر الحكم، ۵۶۶۴.

[۸۷۵] ( ۳). وسائل الشيعة، ج ۴، الباب ۱۲ من أبواب التعقيب، ح ۷.

[۸۷۶] ( ۴). سورة يونس، الآية ۵۸.

[۸۷۷] ( ۱).« استصعب» من« صعوبة» مأخوذة من« استصعاب» بمعنى التصعيب وعدم الخضوع.

[۸۷۸] ( ۲). سورة هود، الآية ۱۰۷.

[۸۷۹] ( ۳). سورة السجدة، الآية ۱۷.

[۸۸۰] ( ۱). بحارالأنوار، ج ۲، ص ۳۹، ح ۶۸.

[۸۸۱] ( ۱).« منزور» من مادة« نزر» على وزن« نذر» قليل.

[۸۸۲] ( ۲).« حريز» من مادة« حَرْز» على وزن« قرض» الحفظ و« حريز» الشىء المحفوظ.

[۸۸۳] ( ۳).« مكظوم» من مادة« كظم» على وزن« هضم»، ويقال« مكظوم» للشخص الغاضب والذى يتمالك نفسه.

[۸۸۴] ( ۴). سفينة البحار، ج ۱، ص ۳۰، مادة« أمل»؛ بحارالأنوار، ج ۷۴، ص ۱۷۳.

[۸۸۵] ( ۱). سورة يوسف، الآية ۲۴.

[۸۸۶] ( ۲). بحارالأنوار، ج ۶۴، ص ۶۰، ح ۳.

[۸۸۷] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۶۱، ص ۲۳۸.

[۸۸۸] ( ۲). المصدر السابق.

[۸۸۹] ( ۱). الكافى، ج ۳، ص ۱۴۹.

[۸۹۰] ( ۲). سورة المؤمنون، الآية ۹۶.

[۸۹۱] ( ۳).« فحشه» يقال لكلّ مَن تجاوز حد الاعتداء وبلغ الحد الفاحش. ولذا يقال فحشاء للأعمال والأقوال القبيحةوالمنكرة، وأخذت المفردتان فاحشة وفحشاء من هذا أيضاً.

[۸۹۲] ( ۱). الكافى، ج ۲، ص ۱۰۳.

[۸۹۳] ( ۲).« زلازل» جمع« زلزلة» و« زلزال» بمعنى الحركة الشديدة والصعبة. ويقال الزلازل للشدائد من الأحداث.

[۸۹۴] ( ۳).« وقور» من« وقر» على وزن« فقر» تعنى فى‌الأصل الثقل ويقال الوقور للشخص الذى لا يضطرب.

[۸۹۵] ( ۴). الكافى، ج ۲، ص ۲۴۱.

[۸۹۶] ( ۱).« يحيف» من مادة« حيف» تعنى الظلم فى‌الأصل و« لا يحيف» أى لا يظلم.

[۸۹۷] ( ۲). سورة المائدة، الآية ۸.

[۸۹۸] ( ۳). سورة الأنعام، الآية ۱۵۲.

[۸۹۹] ( ۱). بحارالأنوار، ج ۷۴، ص ۱۱۲.

[۹۰۰] ( ۲).« ينابز» من مادة« نبز» على وزن« نبض» نعت الآخرين بلقب سيىء و« التنابز بالألقاب» أن يدعو الآخرين ويذكرهم بألقاب

سيئة.

[۹۰۱] ( ۳).« يشمت» من« شماتة» بمعنى التقريع والفرح لحزن الآخرين.

[۹۰۲] ( ۴). سورة المؤمنون، الآية ۹.

[۹۰۳] ( ۵). سورة الأعراف، الآية ۲۰۱.

[۹۰۴] ( ۱). سورة الحجرات، الآية ۱۱.

[۹۰۵] ( ۲). نهج البلاغة، الرسائل، ۴۷.

[۹۰۶] ( ۳). الكافى، ج ۲، ص ۳۵۹.

[۹۰۷] ( ۱). الكافى، ج ۲، ص ۱۴۴.

[۹۰۸] ( ۱). غررالحكم.

[۹۰۹] ( ۲). سورة غافر، الآية ۳۹.

[۹۱۰] ( ۱). جاءت فى النسخة علامة الاستفهام على رأس« هكذا»؛ لكنها لم تذكر فى الكثير من النسخ القديمة وشرح نهج البلاغة وهو الأنسب.

[۹۱۱] ( ۲). سورة الأعراف، الآية ۱۴۳.

[۹۱۲] ( ۱). ذكر المرحوم العلّامة التسترى فى شرحه نهج‌البلاغة، ج ۱۰، ص ۴۵۹ نماذج منها.

[۹۱۳] ( ۲). شرح نهج البلاغة للتسترى، ج ۱۲، ص ۴۶۲.

[۹۱۴] ( ۱). راجع الأقوال العشرة، ص ۷- ۱۱.

[۹۱۵] ( ۱). سند الخطبة:

أشار صاحب مصادر نهج البلاغة إلى مصدرين لإثبات نقل الخطبة من أشخاص غير السيد الرضى؛ الأوّل: ما رواه المير يحيى العلوى فى كتاب الطراز الذى ذكر جوانب من الخطبة مع بعض الاختلافات ما يدل على أنّه أخذها من غير نهج البلاغة. والثانى: ما ذكره الآمدى فى غرر الحكم.( مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۶۹).

[۹۱۶] ( ۱).« ذاد» من مادة« ذود» على وزن« ذوق» الدفع والطرد.

[۹۱۷] ( ۱). سورة آل عمران، الآية ۱۰۳.

[۹۱۸] ( ۲). مجمع البيان، ذيل الآية ۱۰۳، سورة آل عمران، رواه أبوسعيد الخدرى عن النّبى صلى الله عليه و آله.

[۹۱۹] ( ۳). سورة إبراهيم، الآية ۳۴.

[۹۲۰] ( ۴).« غمرة» من« غمر» على وزن« خمر» إزالة أثر الشيء ثم اطلقت الغمرة والغامر على ما ازدحم وكثر من الماء.

[۹۲۱] ( ۵).« غصّة» تعنى فى الأصل الماء والغذاء وكل ما يحشر فى الحلقوم وحيث يشعر الإنسان بأنّ شيئاً يحشر فى حلقه عند الغم فقد عبّر عن ذلك بالغصّة.

[۹۲۲] ( ۱).« أدنون» جمع« أدنى» بمعنى القريب، وعليه« أدنون» يعنى الأقرباء فى مقابل« أقصون» الأباعد.

[۹۲۳] ( ۲).« تألّب» من مادة« ألب» على وزن« أمر» بمعنى التجمع من كلّ حدب وصوب كما تستعمل بمعنى تعبئةالآخرين وحشدهم ضد شخص معين أو جماعة.

[۹۲۴] ( ۳).« أعنّة» جمع« عنان» وهوحبل اللجام.

[۹۲۵] ( ۴).« رواحل» جمع« راحلة» بمعنى المركب وغالباً ما تعنى الناقة.

[۹۲۶] ( ۵).« أسحق» من مادة« سحق» على وزن« قفل» بمعنى أقصى كما تعنى اسحق أقصى نقطة.

[۹۲۷] ( ۱). شرح نهج‌البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۰، ص ۱۶۵.

[۹۲۸] ( ۱).« الزالّون المزلّون» من مادة« زلّة» بمعنى الخطأ والزلل.

[۹۲۹] ( ۲).« يفتنون» من« افتنان» من مادة« فنّ» بمعنى التزيين« يفتّون افتناناً» بمعنى تزيينهم لأعمالهم بأشكال مختلفة لخداع الآخرين.

[۹۳۰] ( ۱). سورة البقرة، الآية ۱۴.

[۹۳۱] ( ۲).« يعمدونكم» من مادة« عمد» المراد أنّهم يعتمدون كلّ وسيلة للقدح بكم.

[۹۳۲] ( ۳).« يرصدونكم» من« رصد» على وزن« صدف» بمعنى الاستعداد للمراقبة وبمعنى التربص والارتقاب.

[۹۳۳] ( ۴).« دويـة» من مادة« دوًى» من« دواً» بمعنى المرض ودوّى( صـفة مشـبهه على وزن فعيل) بمعنة المريض ومؤنثه دوّية ولكن« دواء» على وزن دمار من هذه المادة بمعنى ما يعالج به المرض.

[۹۳۴] ( ۱).« صفاح» جمع« صفح» بمعنى صفحة الوجه أو الورقة وأمثال ذلك وتشير هنا إلى أنّ ظاهر المنافقين طاهروباطنهم سيىء.

[۹۳۵] ( ۲).« يـدبّون» من« دبيب» أى يمشون على هيئة الـدبيب ببطء وتأنى وشـمل كلّ متحرك من حيث المفهوم اللغوى سواء كان يمشى سريعاً أم بطيئاً.

[۹۳۶] ( ۳).« ضرّاء» يعنى الأرض الواسعة التى تلتف فيها الأشجار وتلجأ إليها الحيوانات الصحراوية للاختفاء.

[۹۳۷] ( ۴).« عيـاء» من« عىّ» بمعنى العجز و« داء العيـاء» يراد بهـا هنـا المرض الـذى أعجز الأطبـاء علاـجه( العياء هنا مصـدر له معنى الصفة).

[۹۳۸] ( ۵).« حسدة» جمع« حاسد» مثل« قتلة» جمع« قاتل» بمعنى الشخص الذى يحسد.

[۹۳۹] ( ۶). سورة آل عمران، الآية ۱۲۰.

[۹۴۰] ( ۱). سورة محمد، الآية ۷.

[۹۴۱] ( ۲). سورة آل عمران، الآية ۱۳۹.

[۹۴۲] ( ۳).« صريع» من« صرع» على وزن« فرع» بمعنى المطروح على الأرض وله معنى اسم المفعول بمعنى المطروح.

[۹۴۳] ( ۴).« شجو» بمعنى الحزن.

[۹۴۴] ( ۱).« ألحفوا» من« الحاف» بمعنى الإصرار والإلحاح فى الطلب.

[۹۴۵] ( ۲).« عذلوا» من« عذل» على وزن« هزل» بمعنى لاموا.

[۹۴۶] ( ۳). سورة البقره، الآية ۲۷۳.

[۹۴۷] ( ۴). سورة البقرة، الآية ۲۰۵. والتفسير فوق أحد تفاسير هذه الآية.

[۹۴۸] ( ۱). صحيح مسلم، ج ۸ ص ۱۸۵ وسفينة البحار، مادّة« عمر» وسائر مصادر الفريقين.

[۹۴۹] ( ۲).« إعلاق» جمع« عِلْق» على وزن« حزب» الأشياء المحببة أو الشىء النفيس.

[۹۵۰] ( ۳).« يمّوهون» من« تمويه» بمعنى تزيين الشىء للاضلال ومزج الحقّ بالباطل.

[۹۵۱] ( ۱).« أضلعوا» فى‌الأصل من مادة« ضلع» وبسبب عوج الاضلاع فإنّ« اضلاع» يعنى يجعلونها معوجة.

[۹۵۲] ( ۲).« لُمة» تعنى الجماعة من النساء والرجال من ثلاثة إلى العشرة وتشير هنا إلى قلة عددهم وكثرة خطرهم.

[۹۵۳] ( ۳).« حمة» تعنى السم ويقال« حمة» لكل ما يلسع، مثل حمة وحرارة الشمس.

[۹۵۴] ( ۴). سورة المجادلة، الآية ۱۹.

[۹۵۵] ( ۱). سورة الأحزاب، الآية ۱۳.

[۹۵۶] ( ۱). سند الخطبة:

هذه الخطبة من خطب نهج البلاغة المحدودة التى لا مصدر لها سوى نهج البلاغة.

[۹۵۷] ( ۱).« مقل» جمع« مقلّة» على وزن« غرفة» الجانب المحيط بالعين الذى يشمل السواد والبياض وقد شبهالإمام عليه السلام العقل هنا بالإنسان الذى له عين باصرة تطلع إلى الأشياء العجيبة فتندهش لها.

[۹۵۸] ( ۲).« هماهم» جمع« همهمة» بمعنى الصوت الخفى الذى يطرق الأذن ولكن لا تدرك معناه.

[۹۵۹] ( ۱).« إذعان» من« ذعن» على وزن« وطن» بمعنى الخضوع والإنقياد والطاعة، ومن هنا كان فى المرحلة الرابعة التى ذكرها الإمام عليه السلام فى العبارة، الإيمان واليقين والإخلاص ونتيجة ذلك الطاعة والإنقياد.

[۹۶۰] ( ۲). سورة البقرة، الآية ۱۳۸.

[۹۶۱] ( ۱).« دارسة» من مادة« دراسة» تعنى تكرار الشىء وبما أنّ الاستاذ يكرر المطلب حين التعلم لذلك يقال درس كما ترد هذه المفردة بمعنى التآكل والاندفاع وهذا هو المعنى المراد فى الخطبة حيث إنّ الحوادث المتتالية والرياح والأمطار تؤدّى إلى إندثار المبانى فقد استعملت بهذا المعنى.

[۹۶۲] ( ۲).« طامسة» من« طمس» على وزن« شمس» بمعنى محووزوال آثار الشىء، كما وردت بمعنى الإزالة.

[۹۶۳] ( ۳).« صدع» من مادة« صدع» على وزن« صبر» مطلق الشقّ أو شقّ الأجسام القوية كما وردت بمعنى الاتضاح حيث يتّضح باطن الشىء بشقّه وهذا هو المعنى الذى أريد بها فى الخطبة.

[۹۶۴] ( ۱).« همل» من مادة« همل» على وزن« حمل» تعنى فى‌الأصل ترك الجمال دون راعٍ، ثم اطلقت على كلّ شخص أو عمل دون مشرف.

[۹۶۵] ( ۱). سورة المؤمنون، الآية ۱۱۵.

[۹۶۶] ( ۲).« استفتحوا» من مادة« فتح» تعنى فى‌الأصل الفتح، وعليه فالاستفتاح طلب الفتح والعون.

[۹۶۷] ( ۳).« استنجحوا» من« نجاح» السهولة والوصول إلى المطلوب.

[۹۶۸] ( ۴).« استمنحوا» من مادة« منح» على وزن« منع» تعنى فى‌الأصل اعطاء لبن الحيوان للحيوان ثم اطلقت على مطلق البذل والعطاء، وعليه استمناح تعنى التماس العطاء.

[۹۶۹] ( ۱).« يثلم» من مادة« ثلم» على وزن« صبر» و« ثلمة» على وزن« ضربة» تعنى فى‌الأصل كسر جانب الشىء، ثم اطلق‌على كلّ ما يسبب كسراً لشخص أو شىء.

[۹۷۰] ( ۲).« حباء» من مادة« حبو» على وزن« ختم» تعنى فى‌الأصل العطاء دون مكافأة وهذا هو المعنى المراد.

[۹۷۱] ( ۳).« يلوى» من مادة« لىّ» على وزن« حىّ» بمعنى الاعراض والانحراف والميل.

[۹۷۲] ( ۴).« توله» من« وله» على وزن« فرح» بمعنى الذهول من شدّة الهم والغم ولذلك يقال الواله للعاشق المغموم.

[۹۷۳] ( ۱).« يجن» من مادة« جنّ» على وزن« فنّ» أى يستره ولذا يقال لمن ستر عقله مجنون وكذلك يقال لطائفة الجن بسبب سترهم؛ ويقال كذلك للجنين فى رحم أُمّه، ويقال« جنّة» للبساتين التى سترت أرضها بالأشجار والنباتات.

[۹۷۴] ( ۲).« دان» من مادة« دين» على وزن« غير» تعنى أحياناً القرض وأحياناً الجزاء والحساب وهو المعنى المطلوب.

[۹۷۵] ( ۳).« لم يذرأ» من« ذرأ» على وزن زرع؛ بمعنى الخلق.

[۹۷۶] ( ۴).« كلال» له معنى المصدر واسم المصدر ويعنى التعب.

[۹۷۷] ( ۱). سورة مريم، الآية ۶۳.

[۹۷۸] ( ۲). سورة الأعراف، الآية ۹۶.

[۹۷۹] ( ۳).« وثائق» جمع« وثيقة» ما يعتمد عليه.

[۹۸۰] ( ۴).« حقائق» جمع حقيقة، معناه معروف، ولكن أخذه بعض شرّاح نهج البلاغة( ابن أبى الحديد) بمعنى الرايةالذى لم يعثر عليه فى أى قاموس لغوى.

[۹۸۱] ( ۵).« تؤل» التى كانت فى‌الأصل« تؤول» وجزمت لأنّها وقعت جزاء لشرط مقدر، فأصبحت تؤلْ) من مادة« أول» على وزن« قول» بمعنى العودة، وعلى هذا الأساس فإنّ العبارة« تؤل بكم» تعنى أنّها تعيدكم.

[۹۸۲] ( ۶).« أكنان» جمع« كنّ» على وزن« جنّ» بمعنى الستر والحاجز.

[۹۸۳] ( ۷).« دعة» بمعنى الاستراحة والهدوء.

[۹۸۴] ( ۸).« معاقل» جمع« معقل» على وزن« مسجد» بمعنى الملجأ والحصن ويقال أحياناً للجبال العالية التى تحمى الناس من الفيضانات وغيرها.

[۹۸۵] ( ۱).« تشخص» من مادة« شخوص» بمعنى تركيز العين على نقطة معينة وإمتناعها عن الحركة، وهذه العبارة فى‌الغالب كناية عن الرعب والخوف.

[۹۸۶] ( ۲).« صروم» جمع« صرم» على وزن« فعل» وهو القاطع من الناقة وقيل فيما بعد لمجموعة الناس أو غيرهم أيضاً.

[۹۸۷] ( ۳).« عشار» جمع« عشراء» على وزن« وكلا» وهى الناقة مضى لحملها عشرة أشهر وهى نفيسة من حيثها وابنها الكامل فى بطنها وهذه المفردة كناية عن الشيء الغالى والنفيس.

[۹۸۸] ( ۴). سورة الحج، الآية ۲.

[۹۸۹] ( ۵).« تزهق» من« زهوق» على وزن« غروب» بمعنى الهلاك.

[۹۹۰] ( ۶).« مهجة» تعنى فى الأصل الدم الموجود فى القلب والذى ترتبط بحياة الإنسان، ثم اطلقت هذه المفردة على القلب.

[۹۹۱] ( ۷).« تبكم» من« بكم» على وزن« قلم» بمعنى الخرس وعدم تحرك اللسان و« بكم» على وزن« قفل» جمع« أبكم» تعنى الفرد الأصم والأبكم.

[۹۹۲] ( ۸).« شمّ» جمع« أشمّ» أى الرفيع.

[۹۹۳] ( ۹).« شوامخ» جمع« شامخ» بمعنى‌العالى. وعلى هذاالأساس« الشمّ‌الشوامخ» على سبيل التأكيد على علو الجبال.

[۹۹۴] ( ۱۰).« صمّ» جمع« أصم» تأتى بمعنى الأصم وكذلك الصخور الثقيلة وهو المراد فى العبارة.

[۹۹۵] ( ۱۱).« رواسخ» جمع« راسخ» بمعنى الثابت والصلد.

[۹۹۶] ( ۱).« صلد» يقال للصخر الصلب الأملس الذى لا يثبت عليه شى، وتأتى أيضاً بمعنى الصعب البخيل أيضاً والمراد هنا هو المعنى الأوّل.

[۹۹۷] ( ۲).« رقرق» بمعنى الدمع الذى يحيط بالعين ويلمع ولا يخرج منها، ثم اطلق على كلّ قليل وخفيف وكذلك تعنى اللمعان والبريق.

[۹۹۸] ( ۳).« معهد» المكان الذى يرجع إليه وتطلق هذه المفردة اليوم على المدارس. و« معهدها» تعنى محل الجبال.

[۹۹۹] ( ۴).« قاع» تعنى الأرض المستوية.

[۱۰۰۰] ( ۵).« سملق» الأرض المستوية التى لا يوجد فيها مكان أعلى من الآخر.

[۱۰۰۱] ( ۶). سورة الحج، الآيتان ۱ و ۲.

[۱۰۰۲] ( ۷). سورة الزمر، الآية ۶۸.

[۱۰۰۳] ( ۱). سورة غافر، الآية ۱۸.

[۱۰۰۴] ( ۲). سورة الروم، الآية ۵۷.

[۱۰۰۵] ( ۳). سورة الأنبياء، الآية ۲۸.

[۱۰۰۶] ( ۱). سند الخطبة:

روى الآمدى بعضها( فى غرر الحكم فى حرف الالف) كما روى بعض ممّا فى الخطبة ۱۹۲ مع جوانب من هذه الخطبة والخطبة ۱۹۱ وهذا يدل على أنّ الخطبتين خطبة واحدة( وأنّ الآمدى أخذها من مصدر آخر غير نهج البلاغة)( مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۷۴).

[۱۰۰۷] ( ۱).« سطوع» بمعنى الصعود والاتساع والنور الساطع الذى يضيىء ما حوله.

[۱۰۰۸] ( ۱). سورة الجمعة، الآية ۲.

[۱۰۰۹] ( ۲).« شخوص» بمعنى الظهور والطلوع أو الانتقال من محل إلى آخر وهذا هو المعنى المراد بهذه العبارة.

[۱۰۱۰] ( ۳).« تقصفها» من مادة« قصف» على وزن« حذف» بمعنى الكسر.

[۱۰۱۱] ( ۴).« لجج» جمع« لجّه» البحر العميق.

[۱۰۱۲] ( ۵).« وبق» من مادة« وبق» على وزن« فقر» بمعنى الهالک صيغة« وبق» على وزن« خشن» له معنى الصفة.

[۱۰۱۳] ( ۶).« تحفزه» من مادة« حفز» على وزن« لفظ» بمعنى الدفع قدماً والطرد.

[۱۰۱۴] ( ۱).« سكّان» ما يشبه مقود المركبة الذى يقود السفينة إلى اليمين واليسار.

[۱۰۱۵] ( ۲). الكافى، ج ۱، ص ۱۶.

[۱۰۱۶] ( ۱).« لَدْنَة» من مادة« لدانة» على وزن« شبانة» يعنى اللين قبل حلول الشيخوخة والذبول وقلّة الحركة.

[۱۰۱۷] ( ۲).« منقلب» محل الرجوع وهو إشارة هنا إلى ميدان العمل.

[۱۰۱۸] ( ۳).« فسيح» من مادة« فسح» على وزن« مسح» بمعنى الواسع.

[۱۰۱۹] ( ۴).« ارهاق» من« رهق» على وزن« شفق» بمعنى الضغط على شخص، كما وردت بمعنى الإقتراب، وعليه« ارهاق الفوت» يمكن أن تكون إشارة إلى الضغط من حيث الموت أو إقترابه.

[۱۰۲۰] ( ۱). سند الخطبة:

رواها المرحوم الشيخ المفيد قبل السيد الرضى مع اختلاف طفيف فى كتاب المجالس، كما ذكر أغلبها الآمدى فى غرر الحكم فى حرف الواو. وفى رواية الآمدى إضافات تفيد أنّه استقاها من مصدر آخر غير نهج البلاغة( مصادر نهج البلاغة، ج ۳، ص ۷۵ و ۷۶).

[۱۰۲۱] ( ۱). ورد فى هذه الخطبة الكلمة« ولقد» خمس مرات حيث تؤكد كل واحدة منها موضوعاً معيناً، ويرى بعض شرّاح نهج البلاغة أنّ الواو هنا هى واو القسم، بينما ذهب بعض اساتذة العربية إلى أنّ الواو استئنافية واللام جواب القسم، ويعتقدون أنّ القسم محذوف تقديره« وأقسم باللّه لقد ...». وجاء فى كتاب مغنى اللبيب المشهور أنّ اللام فى هذه الموارد هى لام القسم؛ لكن قال أبوحيان: إنّ اللام فى الآية( ولقد علمتم ...) لام الابتداء للتأكيد، وربّما سبقت بقسم محذوف،( مغنى اللبيب، حرف« لام») ويحتمل أن لا يكون قسم فى العبارة، بل« لام» و« قد» كلاهما للتأكيد، ولذلک لم يذكر أغلب المترجمين معنى القسم هنا فى الترجمة.

[۱۰۲۲] ( ۱). سورة التوبة، الآية ۵۸.

[۱۰۲۳] ( ۲). انظر: المصنّف عبدالرزاق الصنعانى، ج ۵، ص ۳۳۹. وكذلک نقل هذا الحديث السيوطى فى الدرّ المنثور، ج ۶، ص ۷۷ ذيل الآية ۲۶ سورة الفتح، والطبرى فى تاريخه المعروف فى ج ۲، ص ۲۸۰ حوادث سنة ۶ للهجرة.

[۱۰۲۴] ( ۱).« واسيت» و« آسيت» كلاهما من مادة واحدة ولهما معنى واحد؛ كلاهما من« أسّى» على وزن« سعى» بمعنىالاشراک فى الشيىء و« مواساة» بمعنى إشراک الآخرين فى المال والإمكانات الدنيوية.

[۱۰۲۵] ( ۲).« تنكص» من مادة« نكص» على وزن« عكس» يعنى العودة إلى الوراء وتطلق على انسحاب الجيش من المعركة و« نجدة» بمعنى الشجاعة والصمود مقابل العدو.

[۱۰۲۶] ( ۳). انظر: تاریخ الطبری، ج ۲، ص ۱۹( حوادث السنة الثالثة).

[۱۰۲۷] ( ۴). المصدر السابق، ص ۲۳۹( حوادث السنة الخامسة).

[۱۰۲۸] ( ۵). المصدر السابق، ص ۳۰۰( حوادث السنة السابعة).

[۱۰۲۹] ( ۶). المصدر السابق، ص ۳۴۷( حوادث السنة الثامنة).

[۱۰۳۰] ( ۱). انظر: شرح نهج البلاغة لابن میثم وابن أبی الحدید؛ وفی ظلال القرآن للشیخ محمّد جواد معنیة،( ذیل الخطبة).

[۱۰۳۱] ( ۲). سورة زمر، الآیة ۴۲.

[۱۰۳۲] ( ۳). منهاج البراعة، للمحقّق الخوئی ونهج الصباغة للمحقّق التستری( ذیل خطبة).

[۱۰۳۳] ( ۱).« أفنیة» جمع« فناء» علی وزن« غناء» ما اتسع أمام الدار وجوانبه.

[۱۰۳۴] ( ۲).« هینمة» تعنی الصوت الخفی.

[۱۰۳۵] ( ۳).« وارینا» من مادة« مواراة» ومن مادة« وری» علی وزن« نَفْی» بمعنی الکتمان والتغطیة وتعنی هنا الدفن.

[۱۰۳۶] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۲۲، ص ۴۹۲.

[۱۰۳۷] ( ۲).« مزلّة» من مادة« زلل» علی وزن« ضرر» مکان الزلل الموجب للسقوط فی الهلکة.

[۱۰۳۸] ( ۱). کتب المرحوم العلّامة التستری فی شرحه نهج البلاغة: ج ۴، ص ۸۸ هذه الخطبة من الخطب التی ألقاها أمیرالمؤمنین علیه السلام فی صفین حسب نقل نصر بن مزاحم فی کتاب صفّین.

[۱۰۳۹] ( ۱). صحیح البخاری، کتاب العلم، ح ۱۱۴ وکتاب المرضی، ح ۵۶۶۹.

[۱۰۴۰] ( ۲). سورة آل عمران، الآیة ۱۴۴.

[۱۰۴۱] ( ۳). جاء فی تاریخ الطبری أنّه لما حضرت رسول اللّه صلی الله علیه و آله الوفاة، کان أبوبکر فی موضع« سُیخ» فی أحد أطراف المدینة، وحین توفی صلی الله علیه و آله نهض عمر وقال: یظن بعض المنافقین أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله قد مات، واللّه إنّه لم یمت وإنّما رفعه اللّه إلیه، کما غاب موسی عن قومه أربعین لیلة ثم عاد( وسوف یعود رسول اللّه صلی الله علیه و آله) فلمّا علم أبوبکر ذهب إلی بیت النّبی فعلم بوفاة النّبی صلی الله علیه و آله ورجع إلی المسجد وکان عمر ما زال یحدث الناس فقاطعه أبوبکر وقال ما ورد سابقاً.( تاریخ الطبری، ج ۲، ص ۴۴۲ حوادث سنة ۱۱).

[۱۰۴۲] ( ۱). ورد فی المصادر الروائیة لأهل البیت علیهم السلام أنّ علیّاً علیه السلام قال: إنّ أشرف موضع هو الموضع الذی قبض فیه اللّه نبیّه صلی الله علیه و آله؛ ومن هنا دفن فی بیته.( الکامل البهائی، ج ۱، ص ۲۸۵، تألیف عماد الدین الطبری).

[۱۰۴۳] ( ۲). الملل والنحل للشهرستانی، ص ۱۶- ۱۹، طبعة دار الفکر بیروت،( بتلخیص).

[۱۰۴۴] ( ۱). سند الخطبة:

قال صاحب مصادر نهج البلاغة: ما ذکره السید الرضی هنا فی الخطبة ۱۰۴( الخطبة ۱۰۶ حسب التسلسل فی هذا الکتاب) واحد کما یتّضح من التأمّل فی العبارات( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۸۲)؛ لکنه لم یذکر لذلک مصدراً آخر غیر نهج البلاغة، وتفید سائر الدراسات والتحقیقات عدم وجود مصدر آخر غیر نهج البلاغة. وللأسف فقد ذکرت فی بعض الکتب( مثل نهج البلاغة نسخة المعجم المفهرس للنشر الإسلامی التابع لجماعة المدرسین) ستة مصادر غیر نهج البلاغة لهذه الخطبة ولیس فیها حتی مصدر صحیح واحد؛ إلّاأنّ مضمون الخطبة ورفعتها لا یمکن أن تصدر من غیر الإمام، وهذا دلیل علی قوّة سندها.

[۱۰۴۵] ( ۱).« عجیج» من مادة« عجّ» علی وزن« حج» بمعنی الصراخ وتستعمل غالباً للحیوانات.

[۱۰۴۶] ( ۲).« فلوات» جمع« فلاة» بمعنی الأرض الواسعة والقاحلة ویقال أحیاناً للصحراء.

[۱۰۴۷] ( ۳).« نینان» جمع« نون» تعنی السمکة الکبیرة ویقال أیضاً للحوت.

[۱۰۴۸] ( ۴).« غـامرات» من مـادة« غمر» على وزن« عمـد» بمعنى محو شـیء. ثم اطلقت على المیاه التی تغطی الأرض أو موجوداته، والبحر الغامر هو البحر العمیق.

[۱۰۴۹] ( ۵).« عاصفات» جمع« عاصفه» من مادة« عصف» على وزن« حذف» تعنی القشّة و« عاصف» الریاح الشدیدة التی تفرق القش والأوراق الیابسة أو تفرق الأشیاء کالقشّة.

[۱۰۵۰] ( ۱).« نجیب» من« نجابة» تعنی المختار المصطفى وکل غال ونفیس.

[۱۰۵۱] ( ۲). سورة الأنبیاء، الآیة ۱۰۷.

[۱۰۵۲] ( ۳). سورة التکویر، الآیة ۲۰.

[۱۰۵۳] ( ۴). مجمع البیان، ذیل الآیة ۱۰۷ من سورة الأنبیاء.

[۱۰۵۴] ( ۱).« مفزع» من مادة« فزع» بمعنى الخوف وتعنی مفردة( مفزع) الملجأ، لأنّ الإنسان یلجأ إلیها فی خوفه.

[۱۰۵۵] ( ۲). سورة یونس، الآیة ۱۰۷.

[۱۰۵۶] ( ۳). سورة النحل، الآیة ۵۳.

[۱۰۵۷] ( ۴).« عشا» من« عشو» على وزن« نشـر» بمعنى ضـعف العین أو البحث عن شیء بعین ضعیفة و« عشا» اسم مصدرتعنی ضعف البصر.

[۱۰۵۸] ( ۵).« جأش» بمعنی مـا یضـطرب فی القلب عنـد الفزع ومن حیث إنّ القلب( الروح) هومرکز هـذه الأمور فیقال أحیاناً جأش للقلب أیضاً ویمکن للاثنان أن یکونا المعنى المراد.

[۱۰۵۹] ( ۶). بحارالأنوار، ج ۵۹، ص ۲۹۱.

[۱۰۶۰] ( ۱). سورة النمل، الآیة ۸۹.

[۱۰۶۱] ( ۱).« منهل» بمعنى المکان الذی یصلون منه إلى الماء ومن مادة« نهل» على وزن« محل» بمعنى ابتداء شرب‌الماء.

[۱۰۶۲] ( ۲).« ورود» تعنی فی‌الأصل الذهاب قرب الماء، ثم اتسع معناها لیشمل الدخول فی کلّ شیء.

[۱۰۶۳] ( ۳).« درک» على وزن« سَمک» بمعنى اللحاق والوصول والتعویض عن شیء.

[۱۰۶۴] ( ۴).« أوار» على وزن« غبار» بمعنى حرارة الشمس ولهیبها وتطلق أحیاناً على العطش الناتج منه.

[۱۰۶۵] ( ۱). سورة نوح، الآیات ۱۰- ۱۲.

[۱۰۶۶] ( ۲).« عزبت» من مـادة« عزوب» على وزن« غروب» تعنی فی‌الأصـل الغیـاب والبعـد عن العائلـة لایجاد مرتع للبهائم‌ثم اطلقت على کـلّ غیـاب وابتعـاد. ویقال کـذلک للرجال والنساء البعیـدین عن أزواجهم، أو یقال« عزب» على وزن« عَرَب» لمن لم یختر زوجة بعد.

[۱۰۶۷] ( ۳).« احلولت» فی‌الأصـل من« حلو» على وزن« حکم»، معروف و« احلولت» الـتی من بـاب المزیـد فیه أخـذت معنی‌الکـثرة؛ وعلى هذا الأساس فإنّ« احلول» یعنی الکثیر الحلاة، مثل« اعشوشب» بمعنى الکثیر العشب.

[۱۰۶۸] ( ۴).« انصاب» مصدر باب الأفعال بمعنى الاتعاب من مادة« نصب» على وزن« نَسَب» بمعنى التعب.

[۱۰۶۹] ( ۵).« هطل» بمعنى نزول المطر المتواصل.

[۱۰۷۰] ( ۶).« قحوط» بمعنى المجاعة.

[۱۰۷۱] ( ۱).« تحـدبت» من مـادة« حـدب» على وزن« أدب» تعنی فی‌الأصل الأراضـی العالیـة بین الأراضـی الواطئـة، وکـذلک‌یقال« حدب» للبروز فوق الجسم وکذلک یقال للشیء الذی یحیط بآخر وهو المعنى المقصود فی العبارة.

[۱۰۷۲] ( ۲).« نضوب» تعنی فی‌الأصل ذهاب الماء فی الأرض، ثم اطلقت على القضاء على کلّ شیء.

[۱۰۷۳] ( ۳).« وبلت» من مادة« وبل» على وزن« جبل» بمعنى المطر الشديد ذى القطرات الكبيرة وهنا تعنى سقوط البركات الإلهيّة بكثرة.

[۱۰۷۴] ( ۴).« إرذاذ» بمعنى سقوط المطر الخفيف.

[۱۰۷۵] ( ۵). سورة الأعراف، الآية ۹۶.

[۱۰۷۶] ( ۶). سورة الطلاق، الآيتان ۲ و ۳.

[۱۰۷۷] ( ۷). سورة البقرة، الآية ۱۸۳.

[۱۰۷۸] ( ۱).« اصطنع» من مادة« اصطناع» على وزن افتعال بمعنى التحضير والتنمية والتكبير لشىء.

[۱۰۷۹] ( ۲). سورة آل عمران، الآية ۸۵.

[۱۰۸۰] ( ۳). سورة طه، الآية ۳۹.

[۱۰۸۱] ( ۴). بحار الأنوار، ج ۶۶، ص ۲۳۷، ح ۵. والآية الواردة فى النص هى، الآية ۳۱ سورة آل عمران.

[۱۰۸۲] ( ۵).« محادّى» من« محادّة» بمعنى المخالفة والعداوة ومادته الأصلية« حدّ» التى تعنى نهاية وطرف كلّ شىءوذلك لأنّ العدو يكون فى الطرف الآخر.« محادّة» بمعنى المخالفة( جدير ذكره أنّ« محادّى» فى الأصل« محادّين» اسم فاعل صيغته الجمع وحذفت النون للإضافة).

[۱۰۸۳] ( ۱).« أتأق» من مادة« تأق» بمعنى الامتلاء وإن وردت فى باب الأفعال عنت الملىء.

[۱۰۸۴] ( ۲).« مواتح» جمع« ماتح» بمعنى من يسحب الماء من البئر.

[۱۰۸۵] ( ۳). سورة الصف، الآية ۹.

[۱۰۸۶] ( ۴). سورة الصف، الآية ۸.

[۱۰۸۷] ( ۵).« عفاء» بمعنى القدم والاندراس وهى فى الأصل من عفوية معنى صرف النظر عن شىء ولأنّ صرف النظر يؤدّى إلى قدم واندراس الشىء استخدمت هذه المفردة فى العبارة الفوق.

[۱۰۸۸] ( ۱). سورة الأحزاب، الآية ۴۰.

[۱۰۸۹] ( ۲).« ضنك» بمعنى الضيق وهى تستخدم دائماً مفردة.

[۱۰۹۰] ( ۳).« وعوثة» بمعنى المشقّة والعسر.

[۱۰۹۱] ( ۴).« وضح» من مادة« وضوح» بمعنى الظهور والتبيان.

[۱۰۹۲] ( ۵).« انتصاب» من مادة« نصب» يعنى الوقوف.

[۱۰۹۳] ( ۶).« عصل» بمعنى الاعوجاج.

[۱۰۹۴] ( ۷).« فجّ» تعنى فى الأصل الوادى؛ أى الطريق الواسع بين جبلين. ثم اطلقت على الطرق العامّة بصورة عامّة.

[۱۰۹۵] ( ۸). ورد هذا الحديث فى العديد من كتب الشيعة والسنّة منها فى المحصول للفخر الرازى ج ۵، ص ۱۷۵، وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ۱۵، ص ۱۴۴؛ الكافى، ج ۵، ص ۴۹۴.

[۱۰۹۶] ( ۱).« أساخ» من مادة« سوخ» على وزن« صوت» بمعنى الغوص فى شىء ما وإن وردت فى باب الأفعال عنت الغوص والخوض.

[۱۰۹۷] ( ۲).« أسناخ» جمع« سنخ» على وزن« صبر» بمعنى الأصل.

[۱۰۹۸] ( ۳).« آساس» جمع« أساس» بمعنى عمود البناء.

[۱۰۹۹] ( ۴).« غزرت» من مادة« غزارة» بمعنى الكثرة.

[۱۱۰۰] ( ۱).« سفّار» جمع« سافر» بمعنى المسافر.

[۱۱۰۱] ( ۲). الكافى، ج ۲، ص ۱۸، باب دعائم الإسلام، ح ۱.

[۱۱۰۲] ( ۳). سورة المائدة، الآية ۳.

[۱۱۰۳] ( ۱). سورة آل عمران، الآية ۸۵.

[۱۱۰۴] ( ۲). منهاج البراعة، ج ۱۲، ص ۲۹۴.

[۱۱۰۵] ( ۳).« معوز» من مادة« اعوزاز» بمعنى الازمة والقلة.

[۱۱۰۶] ( ۱).« اطّلاع» من مادة« طلوع» بمعنى الظهور والإتيان والاشراف والعلم بشىء.

[۱۱۰۷] ( ۲).« ساق» تعنى فى‌الأصل ساق الإنسان ولأنّ الإنسان يقف على ساقه فى الأعمال الصعبة والمعقدة، لذا أصبحت هذه المفردة كناية عن الشدّة والمشقّة.

[۱۱۰۸] ( ۳).« مهاد» تعنى فى‌الأصل الفراش، ثم اطلقت على الأراضى المستوية بصورة عامة.

[۱۱۰۹] ( ۴).« أزف» من مادة« ازوف» على وزن« وقوف» بمعنى التقرب.

[۱۱۱۰] ( ۵).« قياد» من« قيد» تعنى القبض و« قياد» هو الحبل الذى يوضع حول رقبة الحيوانات والعبارة« ازف منها قياداً» تعنى كأنّهم وضعوا حبلًا حول رقبة الدنيا وسحبوها إليهم.

[۱۱۱۱] ( ۶).« اشراط» جمع« شرط» على وزن« شرف» بمعنى العلامة.

[۱۱۱۲] ( ۷).« تصرّم» من مادة« صرم» على وزن« سرو» بمعنى القطع و« تصرّم» بمعنى الانتهاء.

[۱۱۱۳] ( ۸).« عَفاء» تستعمل بالمعنى المصدرى والاسم المصدرى؛ يعنى الزوال والاضمحلال، واقتبس العفو من هذا المعنى؛ لأنّ الذنوب تضمحل على أثر العفو.

[۱۱۱۴] ( ۱). بحار الأنوار، ج ۵۴، ص ۳۳۶. وذكر المرحوم العلّامة الطباطبائى فى الجزء الرابع من الميزان فى ذيل الآية الأولى من سورة النساء بحث جامع.

[۱۱۱۵] ( ۱).« يخبو» من مادّه« خبو» على وزن« سرو» بمعنى الانطفاء.

[۱۱۱۶] ( ۲).« منهاج» تعنى الطريق الواسع الواضح و« نهج» تعنى السير فى مثل هذا الطريق.

[۱۱۱۷] ( ۱). سورة فصّلت، الآية ۴۲.

[۱۱۱۸] ( ۲). جاء فى نسخه نهج البلاغة« لصبحى الصالح»« تبيان» بدل« بنيان»؛ ولكن ذكر مجموعة من الشرّاح كلمة« بنيان» وهى المتناسبة مع« لا تهدم أركانه».

[۱۱۱۹] ( ۳). الكافى، ج ۸ ص ۲۷۳، ح ۴۰۹.

[۱۱۲۰] ( ۱).« بحبوحة» بمعنى مركز ووسط كلّ شىء.

[۱۱۲۱] ( ۲).« رياض» جمع« روضه» بمعنى البستان.

[۱۱۲۲] ( ۳).« عذران» جمع« عذير» بمعنى البركة والنهر وهى فى‌الأصل حفرة تتجمع فيها المياه من السيول.

[۱۱۲۳] ( ۴).« أثافىّ» جمع« أثفيّة» على وزن« أضحيّة» من ماده« أثف» على وزن« أنف» بمعنى الثبات والاستقرار ويقال« أثفية» للصخور الثابتة التى يوضع عليها الإناء.

[۱۱۲۴] ( ۵).« غيطان» جمع« غيط» على وزن« زيد» بمعنى الشدّة والأرض الوسيعة.

[۱۱۲۵] ( ۶).« ينزف» من مادة« نزف» على وزن« نظم» بمعنى اخراج الماء من شىء( و كذلك بمعنى أخذ الدم) ويقال« مستنزفون» لمن يخرجوا الماء من الحفرة أو البئر بحيث ينفد.

[۱۱۲۶] ( ۷).« ينضب» فی‌الأصل من مادهٔ« نضوب» بمعنی غوص الماء فی الأرض وعبارهٔ« لا ينضبها» أنّ الماء لا ينفذ تلک العيون.

[۱۱۲۷] ( ۸).« ماتحون» جمع« ماتحهٔ» من مادهٔ« متح» علی وزن« مدح» بمعنی سحب الماء من البئر أو العين.

[۱۱۲۸] ( ۹).« يغيض» من مادّه« غيض» علی وزن« غيب» تعنی فی‌الأصل الغوص أو السحب( اللازم والمتعدی) وتعنی فی‌هذه العبارهٔ التقليل.

[۱۱۲۹] ( ۱).« آکام» جمع« أکمهٔ» علی وزن« طلبهٔ» بمعنی المرتفع الذی صنع من الصخر أو الرمل.

[۱۱۳۰] ( ۲). سورهٔ النساء، الآيهٔ ۱۳۵.

[۱۱۳۱] ( ۳). سورهٔ المائدهٔ، الآيهٔ ۸.

[۱۱۳۲] ( ۱). الکافی، ج ۲، ص ۱۸، باب دعائم الإسلام.

[۱۱۳۳] ( ۲). المصدر السابق، ص ۵۹۹.

[۱۱۳۴] ( ۳). بحار الأنوار، ج ۱۷، ص ۲۱۳، ح ۱۸.

[۱۱۳۵] ( ۱).« ریّ»( بکسر الراء وفتحه) بمعنی الارتواء.

[۱۱۳۶] ( ۲).« محاجّ» جمع« محجّهٔ» بمعنی الطريق الواسع والواضح.

[۱۱۳۷] ( ۳). نهج البلاغهٔ، الکلمات القصار، الکلمهٔ ۴۵۷.

[۱۱۳۸] ( ۱). سورهٔ النور، الآيهٔ ۳۵.

[۱۱۳۹] ( ۲).« معقل» بمعنی الملجأ والموضع من مادهٔ« عقل» بمعنی المنع، لأنّ الملاجیء تقی الإنسان من الحوادث.

[۱۱۴۰] ( ۳).« انتحل» تعنی قبول مذهب ودين من مادهٔ« نحلهٔ» علی وزن« خرقهٔ» تعنی الإيمان.

[۱۱۴۱] ( ۴).« فلج» بمعنی الظفر والفوز.

[۱۱۴۲] ( ۱).« توسّم» من« وسم» علی وزن« وصل» بمعنی نصب العلامهٔ وتعنی أحياناً الجمال.

[۱۱۴۳] ( ۲).« استلأم» من مادهٔ« لئم» علی وزن« لعن» بمعنی التجميع والالتيام وتناسب شيئين و« استلام» تعنی لبس الآلات الحربية والدروع، أی کما أنّهم قد ناسبوا بين أجسامهم ولبس هذه الأشياء.

[۱۱۴۴] ( ۱).« انَّ فِی خَلْقِ السَّمَ‌اوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَ‌ارِ وَالْفُلْکِ الَّتِی تَجْرِی فِی الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ‌النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ کُلِّ دَآبَّهٔ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ لَايَات لِّقَوْم يَعْقِلُونَ».( سورهٔ البقرهٔ، الآيهٔ ۱۶۴).

[۱۱۴۵] ( ۱).« وَفِی الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَاب وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَان يُسْقی بِمَآءوَاحِد وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَی بَعْض فِی الْاُکُلِ إِنَّ فِی ذلِکَ لَايَات لِّقَوْم يَعْقِلُونَ».( سورهٔ الرعد، الآيهٔ ۴).

[۱۱۴۶] ( ۲).« أَلَمْ يَرَوْا إِلَی الطَّيْرِ مُسَخَّرَات فِی جوالسَّمَ‌آءِ مَا يُمْسِکُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِی ذلِکَ لَايَات لِّقَوْم يُؤْمِنُونَ».( سورهٔ النحل، الآيهٔ ۷۹).

[۱۱۴۷] ( ۳).« اللَّهُ الَّذِی يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِی السَّمَآءِ کَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُ کِسَفاً فَتَرَی الْوَدْقَ‌يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ»،« فَانظُرْ إِلَی آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ کَيْفَ يُحْیِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا».( سورهٔ الروم، الآيتان ۴۸ و ۵۰).

[۱۱۴۸] ( ۴).« کَمَا بَدَأَکُمْ تَعُودُونَ».( سورهٔ الأعراف، الآيهٔ ۲۹).

[۱۱۴۹] ( ۵).« وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلَ الْحَيَاهْٔ الدُّنْيَا کَمَآء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْارْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَکَانَ اللهُ عَلَی کُلِّ شَیْ مُّقْتَدِراً».( سورهٔ الکهف، الآيهٔ ۴۵)

[۱۱۵۰] ( ۶).« وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِیَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْیِ الْعِظَامَ وَهِیَ رَمِيمٌ* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِی أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّهٔ وَهُوَ بِکُلِّ خَلْق عَلِيمٌ».(

سورة يس، الآيتان ۷۸ و ۷۹.

[۱۱۵۱] ( ۷).« يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلهِ وَلوعَلَى أَنفُسِكُمْ أَوالْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ».( سورة النساء، الآية ۱۳۵).

[۱۱۵۲] ( ۸).« وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوأَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ».( سورة المائدة، الآية ۸).

[۱۱۵۳] ( ۱).« وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً».( سورة آل عمران، الآية ۱۰۳).

« وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَايَعْلَمُونَ».( المنافقون، الآية ۸).

[۱۱۵۴] ( ۲). ثقافة المستشرقين المسلمين، تأليف حسين عبداللهى خروش، ج ۱، ص ۱۵.

[۱۱۵۵] ( ۱). عصر الإيمان، القسم الثانى، الحضارة الإسلاميّة، ص ۵۲.

[۱۱۵۶] ( ۲). ثقافة المستشرقين المسلمين، ج ۱، ص ۱۵.

[۱۱۵۷] ( ۳). المصدر السابق، ص ۱۴.

[۱۱۵۸] ( ۴). من مقدمة منظمات المدنيّة للامبراطورية الإسلاميّة، ص ۱۱۱.

[۱۱۵۹] ( ۱). التفسير الأمثل، ج ۱، ذيل تفسير الآية ۲۳ و ۲۴ من سورة البقرة.

[۱۱۶۰] ( ۱). سند الخطبة:

روى المرحوم الكلينى قبل السيد الرضى قسما رئيسياً من هذا الكلام فى الكافى، كتاب الجهاد( الكافى، ج ۵، ص ۳۶). ولم يرد أكثر من هذه فى مصادر نهج البلاغة.( مصادر نهج‌البلاغة، ج ۳، ص ۸۵).

[۱۱۶۱] ( ۱). سورة الأحزاب، الآية ۷۲.

[۱۱۶۲] ( ۱). سورة النساء، الآية ۱۰۳.

[۱۱۶۳] ( ۲). بحار الأنوار، ج ۷۹، ص ۳۰۸، ح ۹.

[۱۱۶۴] ( ۳). وسائل الشيعة، ج ۳، باب ۱۰، أبواب اعداد الفرائض، ح ۷.

[۱۱۶۵] ( ۱). الكافى، ج ۳، ص ۲۶۵، ح ۶.

[۱۱۶۶] ( ۲). سورة النساء، الآية ۱۰۳.

[۱۱۶۷] ( ۳).« سقر» فى‌الأصل من« سقر» على وزن« فقر» بمعنى التغيير والتذوب وتغير اللون والأذى من أشعة الشمس ولأنّها من آثار جهنم اطلق عليها« سقر». ويستفاد من بعض الروايات أنّ« سقر» يطلق على قسم خاص من جهنم هو مكان المتكبرين.

[۱۱۶۸] ( ۴). سورة المدثر، الآيتان ۴۲ و ۴۳.

[۱۱۶۹] ( ۵). سورة المدثر، الآيات ۴۴- ۴۶.

[۱۱۷۰] ( ۱).« حتّ» تعنى فى‌الأصل فصل الورقة عن الشجرة، واطلقت فيما بعد على فصل الأشياء عن بعضها.

[۱۱۷۱] ( ۲).« ربق» على وزن« عنب» جمع« ربق» على وزن« فعل» تعنى الحبل الذى يتضمن عقد عديدة وعندما يريد الشخص أن يضعها فى صف يشدّ كلّ واحدة بإحدى العقد.

[۱۱۷۲] ( ۳). سورة العنكبوت، الآية ۴۵.

[۱۱۷۳] ( ۴). وسائل الشيعة، ج ۳، الباب ۳۲ من أبواب أعداد الفرائض، ح ۳.

[۱۱۷۴] ( ۵).« درن» على وزن« لجن» بمعنى الوسخ والقذارة.

[۱۱۷۵] ( ۶). نقل هذا الحديث المرحوم الشيخ الحرّ العاملى فى وسائل الشيعة، ج ۳، الباب الثانى من أبواب أعداد الفرائض، ح ۳، مع

هـذا الفـارق أنّه نقل بـدل« حمّه»« نهر» و« النهر الجارى». وهـذا المتن ورد فى مسـند أحمـد، ج ۱، ص ۷۲، طباعـة دار الصادر بيروت وصحيح مسلم، ج ۲، ص ۱۳۲ طبعة دار الفكر أيضاً.

[۱۱۷۶] ( ۱). سورة النور، الآية ۳۷.

[۱۱۷۷] ( ۲).« نصب» على وزن« خجل» بمعنى التعب( بكسر العين) والصفة المشبّهة« نَصَب» على وزن« حسب» التعب.

[۱۱۷۸] ( ۳). سورة طه، الآية ۱۳۲.

[۱۱۷۹] ( ۴).« يصبر» من« صبر» معروفة وهو غالبـاً مـا يكون فعلًا لازماً؛ ولكن يمكن أن يكون متعـدياً أحياناً؛ أى اجبارهم على الصبر وهو المعنى المراد فى العبارة.

[۱۱۸۰] ( ۱). سورة طه، الآية ۱۴.

[۱۱۸۱] ( ۲). سورة العنكبوت، الآية ۴۵.

[۱۱۸۲] ( ۱). سورة الأعراف، الآية ۲۰۱.

[۱۱۸۳] ( ۲). بحار الأنوار، ج ۸۵، ص ۱۶.

[۱۱۸۴] ( ۱). الكافى، ج ۴، ص ۳، ح ۶.

[۱۱۸۵] ( ۲). سورة التوبة، الآية ۵۴.

[۱۱۸۶] ( ۳).« لهف» بمعنى التأسف والندم والحزن.

[۱۱۸۷] ( ۴). سورة الدهر، الآية ۹.

[۱۱۸۸] ( ۱).« إذا أَمْلَقْتُمْ فَتاجِرُوا اللَّهَ بِالصَّدَقَةِ»( نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ۲۵۸).

[۱۱۸۹] ( ۲). سورة البقرة، الآية ۲۷۶.

[۱۱۹۰] ( ۱). سورة التوبة، الآية ۱۰۳.

[۱۱۹۱] ( ۱). الكافى، ج ۲، ص ۱۰۴.

[۱۱۹۲] ( ۲). بحار الأنوار، ج ۷۲، ص ۱۱۴.

[۱۱۹۳] ( ۳).« مبنيّـة» من مادة« بناء» ولأنّ وجود البناء فى تركيب السـماء والأرض أمر بـديهى فلذلك أشارت هذه المفردةإلى مفهوم أهم وهو الارتفاع والعظمة فى البناء.

[۱۱۹۴] ( ۴).« مـدحوّة» من مـادة« دحو» على وزن« محو» أى البسط والمراد من« دحو الأرض» هو أنّه فى بادئ الأمر- كماتؤكـد علوم الأرض- كانت الأرض مغطاة من قبل الأمطار والفيضانات، ثم تجمعت هـذه المياه فى أخاديـد الأرض وظهرت اليابسة من تحت الماء فأصبحت الأرض مهيّئة لسكن.

[۱۱۹۵] ( ۱). سورة الإسراء، الآية ۷۰.

[۱۱۹۶] ( ۲). سورة البقرة، الآية ۳۰.

[۱۱۹۷] ( ۳). سورة الأعراف، الآية ۱۷۹.

[۱۱۹۸] ( ۴). سورة التوبة، الآيتان ۱۲۴ و ۱۲۵.

[۱۱۹۹] ( ۱). الكافى، ج ۵، ص ۱۳۳، ح ۵.

[۱۲۰۰] ( ۲). بحار الأنوار، ج ۷۲، ص ۱۱۴.

[۱۲۰۱] ( ۱). سورة غافر، الآية ۱۹.

[۱۲۰۲] ( ۱). سند الخطبة:

روی المرحوم الکلینی هـذه الخطبـة( بعبارات مختصـرة ومشابهة) فی الجزء الثانی من أصول الکافی ص ۳۳۶ و ۳۳۸ بسندین أحدهما عن الإمام الصادق علیه السلام والآخر عن الأصبغ بن نباتة عن أمیر المؤمنین علی علیه السلام. وبالنظر لما ذکره ابن نباتة من أنّ الإمام ألقی هـذه الخطبـة علی منبر الکوفـة فإنّها جانب مـن خطبـة طویلـة اکتفی المرحوم الشریف الرضـی منها بهـذا المقـدار.( مصـادر نهجالبلاغة، ج ۳، ص ۸۵).

[۱۲۰۳] ( ۱).« أدهی» من مادة« دهی» علی وزن« وحی» بمعنی شدّة الفطنة وتأتی أیضاً بمعنی الکارثة والمصیبة، والمراد فی العبارة هو المعنی الأوّل.

[۱۲۰۴] ( ۱). نیل الأوطار، ج ۸، ص ۷۹؛ وصحیح البخاری، ج ۸، ص ۶۲( کتاب الحیل).

[۱۲۰۵] ( ۲).« استغمز» من مادة« غمز» علی وزن« رمز» بمعنی الإضعاف وأیضاً بمعنی الضغط والکلام البذیء والمراد هنا هو المعنی الأوّل.

[۱۲۰۶] ( ۱). سورة القصص، الآیة ۴.

[۱۲۰۷] ( ۱). انظر: شرح نهجالبلاغة لابن أبیالحدید، ج ۱۰، ص ۲۱۲- ۲۶۰.

## تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع " القائمیّة "الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله " الشمس آباذی " – "رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز " القائمیّة "للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبرازِ المَرافِقِ و التسهیلاتِ– فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى" القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتـَجات العرضيّة، الخـَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّـِى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنـَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجريّة الشمسيّة (=١٤٢٧ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهويّة الوطنيّة: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣٥٧٠٢٣- (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهرانَ ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التـِّجاريّة و المَبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥(٠٣١١)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتـُنِيت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنـّها لا تـُوافِى الحجمَ المتزايد و المتـّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثـّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفـِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التـّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مركز القائمية
اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للایصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩